محمد يوسف مقلد

موريتانيا الحديثة

او

العرب البيض في افريقيا السوداء

دار الكتاب اللبناني

موريتانيا الحديثة

MOHAMED SAID OULD HAMODY
Bibliothèque

محمد يوسف مقلد

موريتانيا الحديثة

غابرها — حاضرها

او

العرب البيض في افريقيا السوداء

تاريخهم — اصلهم — عروبتهم — احوالهم

دار الكتاب اللبناني
للطباعة والنشر

محمد سعيد ولد حمادي
MOHAMED SAID OULD HAMODY

موريتانيا في صور

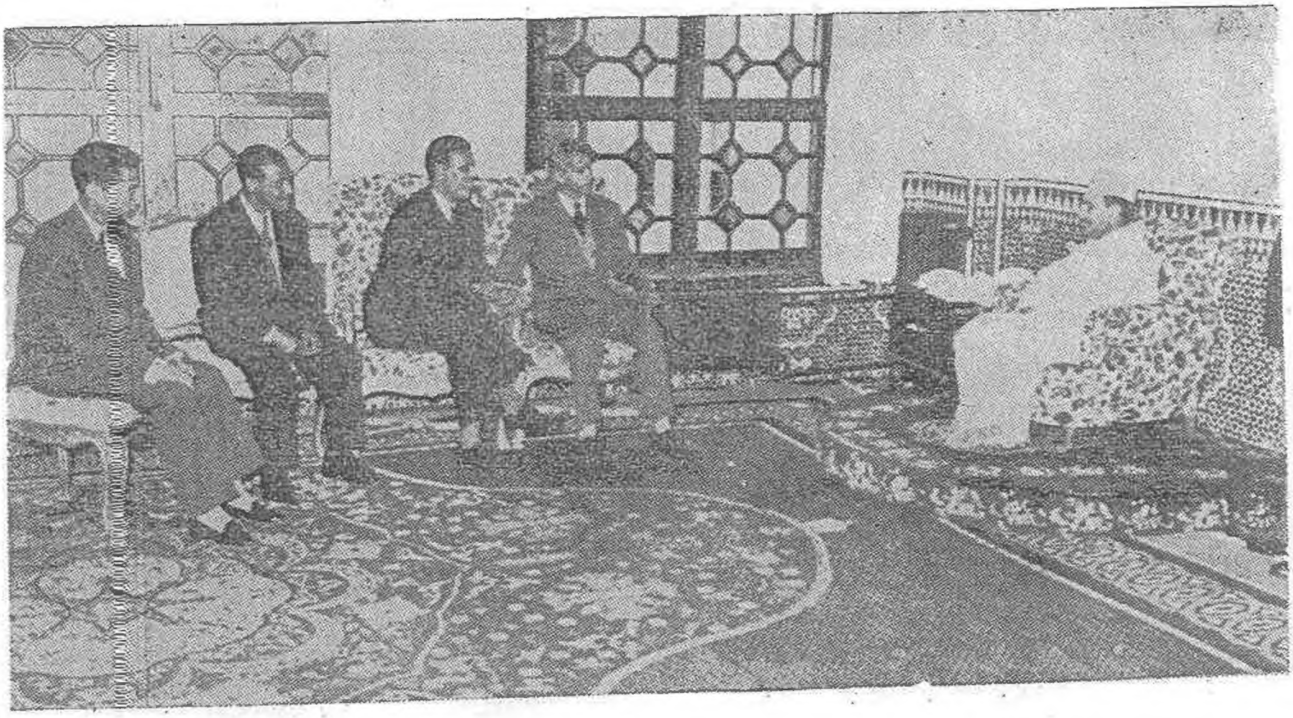

جلالة الملك محمد الخامس يستقبل زعماء الشبيبة الموريتانية الذين يمثلون سياسة الاتحاد مع المغرب . ويبدو مقابل الملك رئيسا الوفد : الامير محمد فال بن عمير امير الترارزة ومحمد المختار بن أباه .

جميع الحقوق محفوظة

الشيخ عبدالله ابن الشيخ سيدي ّ الزعيم الزمني والديني في موريتانيا ، ورئيس جمعية ترقية الثقافة الاسلامية ، ومدير المعهد الاسلامي في بوتيليميت

Ould Mohamed Ahmed Mahmoud
Bibliothèque

المؤلف يتحدث الى السيد حرمة بن بابانا العلوي زعيم الترارزة وسفير المغرب في ليبيا ؛ وذلك في فندق بريستول ببيروت اثناء زيارة ملك المغرب التاريخية للبنان والعالم العربي في مطلع عام ١٩٦٠ الحالي

لقاء بين المشرق والمغرب ...

اخذت هذه الصورة في مكتب جريدة « الحياة » البيروتية على اثر حديث صحفي عن موريتانيا مع الوفد الموريتاني المرافق للملك محمد الخامس اثناء زيارته للبنان في ختام رحلته التاريخية . ويبدو من يمين الصورة :

الاستاذ محمد المختار بن أباه ، الامير محمد فال بن عمير ، المؤلف ، الاستاذ عجاج نويهض المؤرخ المشهور وصاحب كتاب « حاضر العالم لاسلامي » ويبدو من ورائهم جزء من اللوحة الفنية الرائعة للفنان اللبناني الخالد المرحوم مصطفى فروخ، التي تمثل « الفجر العربي » أو « النهضة العربية »

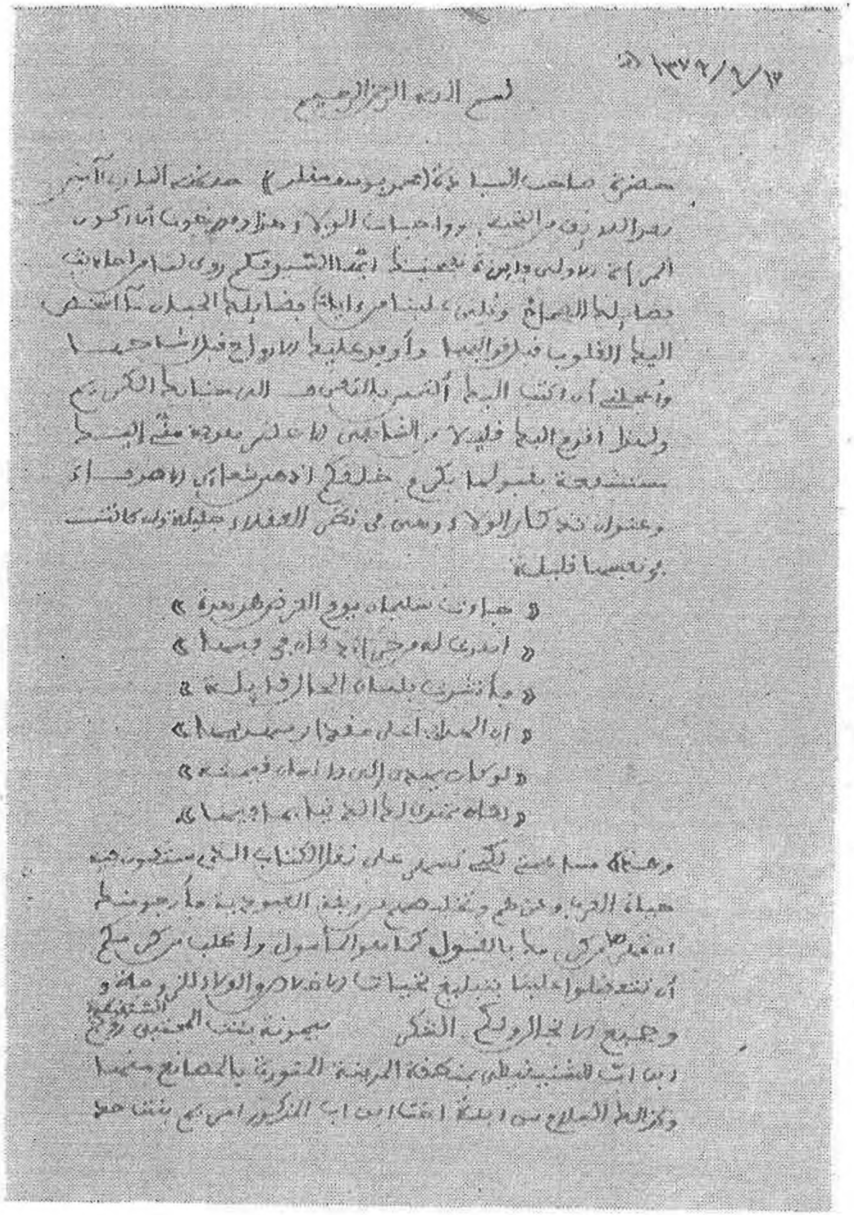

بسم الله الرحمن الرحيم

ميمونة بنت المجتبى الشنقيطية

هذه صورة قلمية للمرأة الموريتانية المثقفة . . تمثل رسالة خطية — الى المؤلف — من السيدة ميمونة بنت المجتبى الشنقيطية المهاجرة في السعودية (بالمصانع — المدينة المنورة) . والرسالة تمثل — بذات الوقت — نموذجاً من طريقتهم واسلوبهم في انشاء الرسائل . كما انها نموذج مكرر « لوحدة » الخط بين البلدين ، مضافة الى وحدة الاسلوب الكتابي ، واستعمال التاريخ الهجري الاسلامي دون سواه . .

الجسم ..

يظهر في هذا الوضع التفكيري الرائع المختار الحامد العالم والاديب المعروف الملقب بـ « ابن خلدون الثاني » استـــاذ التاريخ في معهد بوتيليميت .

و .. الروح ..!

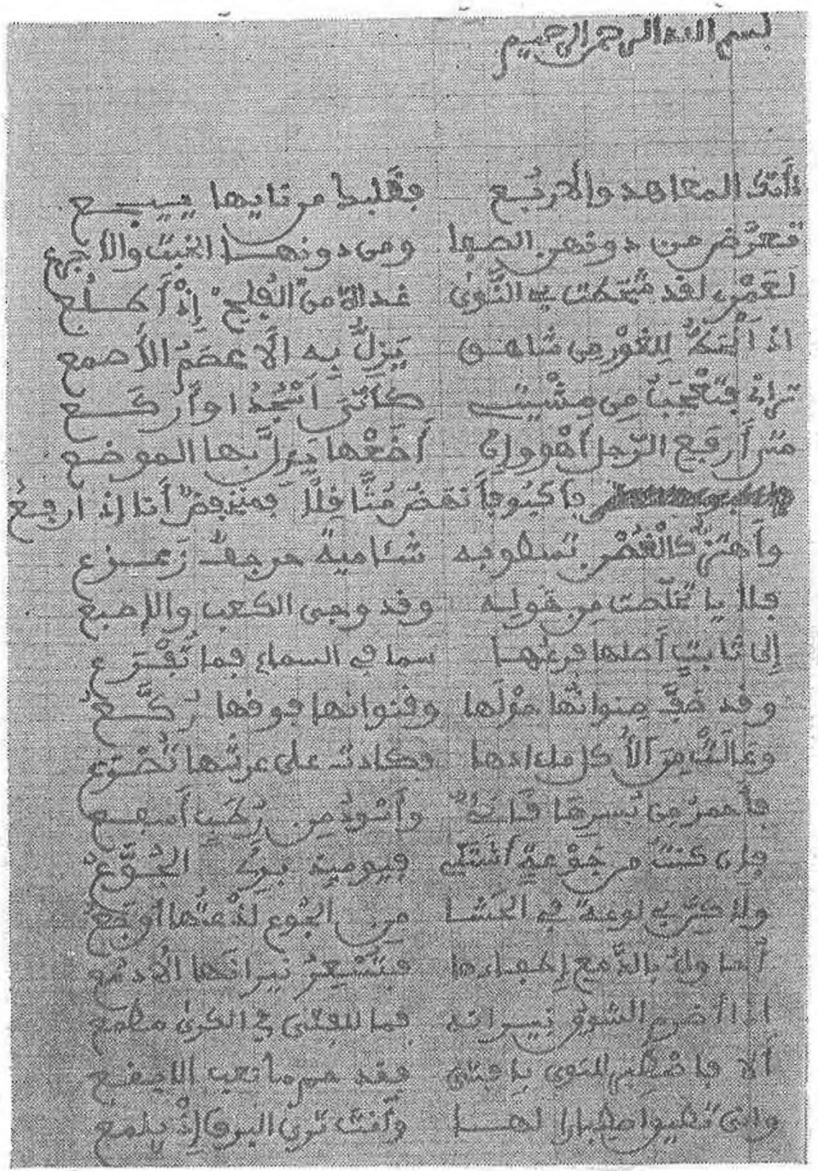

بسم الله الرحمن الرحيم

أأنت المعاهد والأربع فقلبك من نأيها ييجع
فعرّضن دون عهد الصبا ومن دونها الخبت والأجرع
لعمري لقد شحطت بها النوى غداة من الفلج إذ أطلع
إذا أنت للغور من شاهق يزلّ به الأعصم الأصمع
ترى فيه عجبا من مشيب كأني أنجد أو أركع
مر أرفع الرجل فوقها أقعها فيرتج بها الموضع
~~[illegible]~~ باكيونا تقض منا فلا فمنبض أنا إذ أربع
وأمّ كالقصر تسلو به شآمية حرجف زعزع
فلا يا تغلت من قوله وقد وجي الكعب والإصبع
إلى ثابت أصلها فرعها سما في السماء فما يفرع
وقد حفّ صنوانها حولها وقنوانها فوقها ركّع
وعالت من الأكرم أدها فكادت على عرشها تخضع
فأحمر من بسرها قانئ وأسود من رطب أسفع
فإن كنت من جوعها أشتكي فيومية برك الجوع
ولا حرج لوعة في الحشا من الجوع لا عجها أوجع
أسا ولا بالدمع إخمادها فتستعر نيرانها الأدمع
إذا أضرم الشوق نيرانه فما للفتى في الكرى مطمع
ألا فاصطبر للنوى يا فتى فقد صرما تجيب الأصفع
وإن تلقيوا صبارا لها وكيف ترى البرق إذ يلمع

... وهذه القصيدة المصورة ـــ من نظمه ـــ تمثل لوناً من الوان أدبهم الفطري ، ونموذجاً من «وحدة» خطهم المغربي ..

الخط المغربي بقلم ملك البلاد

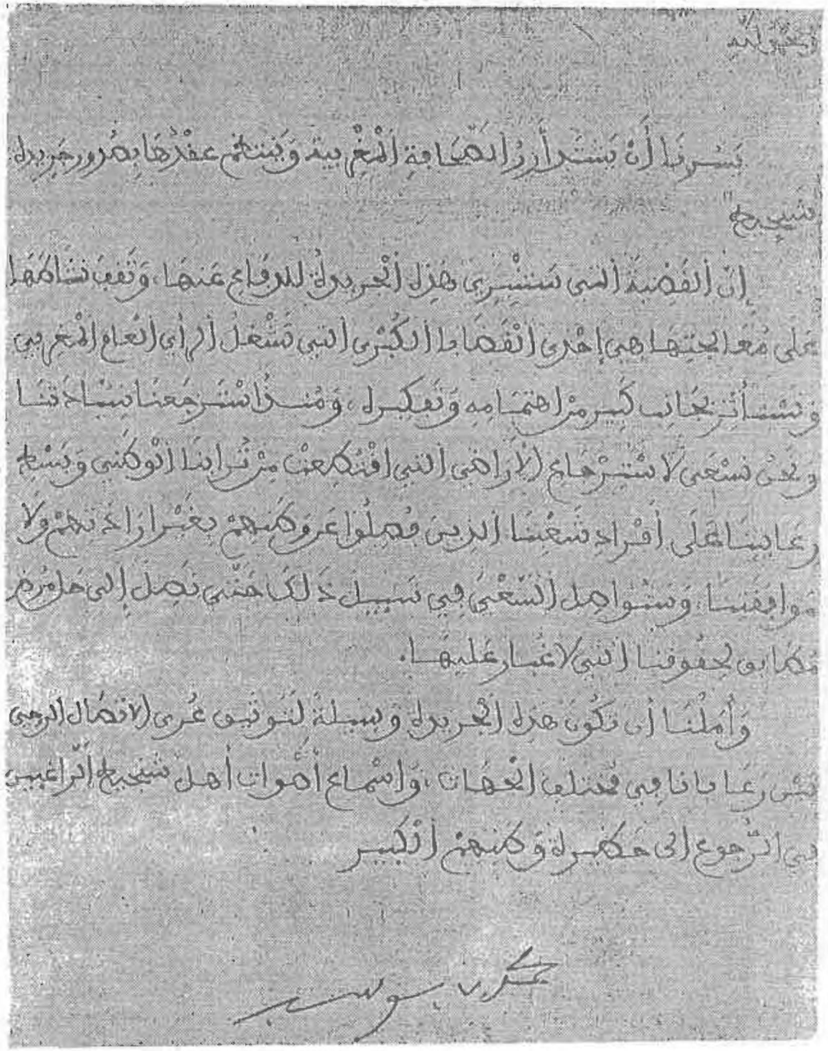

الحمد لله

يسرنا أن يستبشر أنصار القضية المغربية وينتظم عقدها بصدور جريدة "شنقيط"

إن القضية التي ستنشر هذه الجريدة للدفاع عنها وتقف نشاطها على معالجتها هي إحدى القضايا الكبرى التي تشغل الرأي العام المغربي وتستأثر بجانب كبير من اهتمامه وتفكيره، ومنذ استرجعنا سيادتنا ونحن نسعى لاسترجاع الأراضي التي اقتطعت من ترابنا الوطني وبسط رعايتنا على أفراد شعبنا الذين فصلوا عن وطنهم بغير إرادتهم ولا موافقتنا، وسنواصل السعي في سبيل ذلك حتى نصل إلى حل مرض مطابق لحقوقنا التي لا غبار عليها.

وأملنا أن تكون هذه الجريدة وسيلة لتوثيق عرى الاتصال الروحي بين رعايانا في مختلف الجهات، وإسماع أصوات أهل شنقيط الراغبين في الرجوع إلى حظيرة وطنهم الكبير

محمد بن يوسف

اخيراً لا آخراً . . هذه البراءه الملكية الكريمة بتوقيع جلالة الملك محمد الخامس « محمد بن يوسف » . . كتبت بمناسبة صدور العدد الاول من جريدة « شنقيط » في الرباط . وهي احدى شواهد الوطن الأم ــ المغرب ــ على « وحدة » الشبه الجوهرية العميقة العديدة بين الشعبين والبلدين . وهي ايضاً وثيقة خطية صريحة للسياسة المغربية المعلنة بعدد من البلاغات الرسمية بالنسبة لمستقبل موريتانيا السياسي في نظر ملك البلاد ونظر الشعب في البلدين . .

رئيس واعضاء حكومة « الجمهورية الاسلامية الموريتانية »

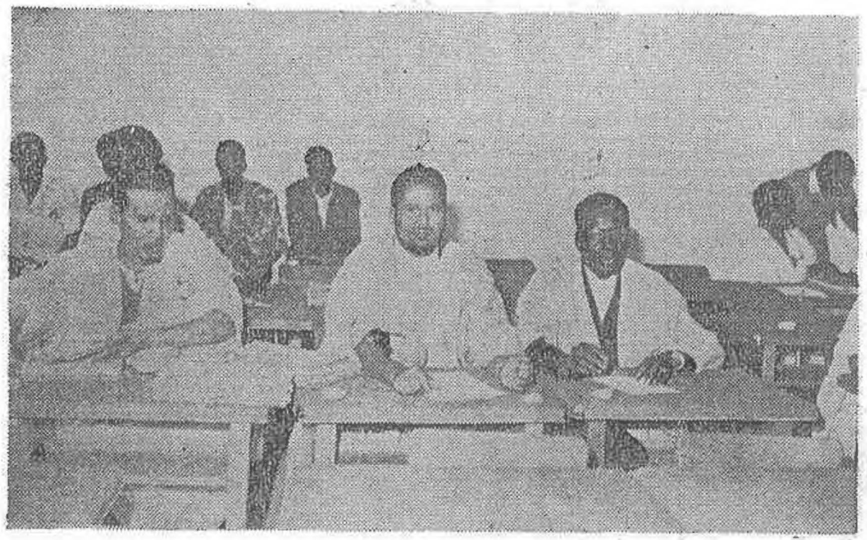

المختار بن داده (فوق) رئيس حكومة « الجمهورية الاسلامية الموريتانية » وثلاثة (تحته) من اعضاء حكومته ، هم من اليمين :

دمبل (لم يتصل بنا بقية اسمه واسم وزارته) .

حمود بن احمد وزير الصحة العمومية والشؤون الشعبية .

معروف ابن الشيخ عبد الله ، وزير التجارة والصناعة والمعادق .

والصورة تمثلهم جميعاً في جلسة من جلسات البرلمان الموريتاني .

دعاء الى الله بعد الصلح !

جماعة من قبيلتي كَنْتَه وآل الطالب في وضع صلواتي يشكرون الله على وقوع الصلح بينهما بعـد شقاق مرير ..! ويبدو معهم محمد بن البشير احد اعضاء وفد الصلح بين القبيلتين .

تضم البلاد العربية عدداً قليلا جداً من الاخوان الشناقطة معظمهم في السعودية ، ويقدر عددهم بحوالي ثلاثة آلاف نسمة يأتون لزيارة الاماكن المقدسة أو لطلب العلم. وهذان السيدان الشنقيطيان طالبان في المعهد العلمي بالرياض ، وهما (من اليمين): ولد أبّ الشنقيطي ، وبن احمد محمود رئيس عامة اهل سيدي محمود (كيفا حكامة سليبابي) . والجدير بالذكر ان جلالة العاهل السعودي المشهور بكرمه العربي هو الذي ينفق على هذين السيدين وغيرهما من الشناقطة الذين يطلبون العلم في بلاده . والجدير بالذكر ايضاً ان احدهما (ولد أبّ) من خيرة الشباب المندفعين بمحبة واخلاص لخدمة بلاده وخدمة كل من يخدمها بقلمه ولسانه ، وهو يحرص دائماً على مراسلة المؤلف وتسقّط اخبار بلاده .

وجوه بيضانية ..

جلسة (أتاي) .. في نواكشوط .. يحضرها محمد بن خيار رئيس القرية .

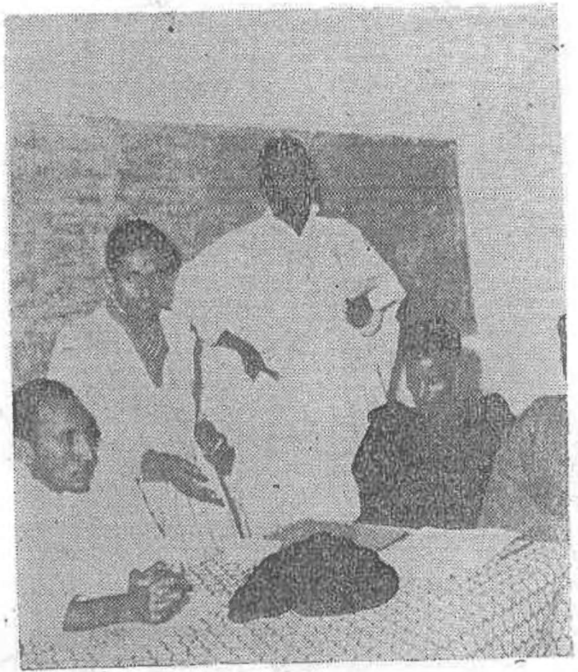

شلة من الشبان المثقفين (لم تتصل بنا اسماؤهم) يستمعون الى خطاب احدهم في موريتانيا .

السيد حمود بن احمد وزير الصحة العمومية والشؤون الشعبية (حاليا)

السيد احمد بن عيدا أمير أدرار

السيد حرمه بن سيد أمه

السيد ماء العينين

السيد محمد احمد ابن التقي

السيد احمد ابن الحراش

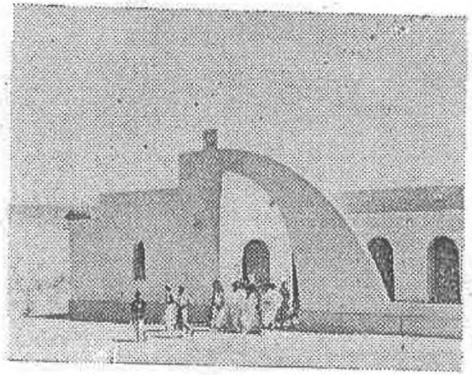

صورة جانبية (امامية) للمعهد الاسلامي في بوتيليميت

الشيخ احمد بن سيد

جريدتان : حكومية ومعارضة ..

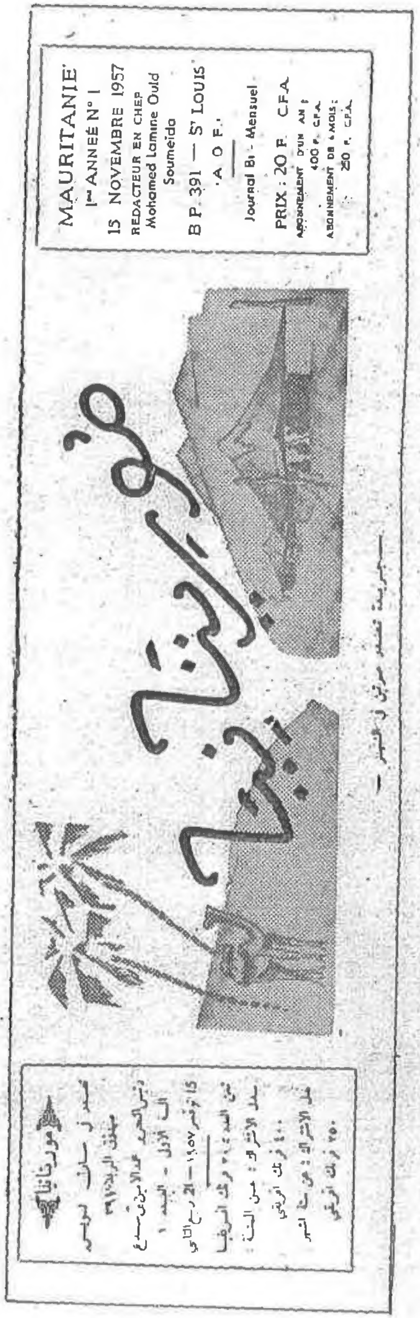

MAURITANIE
1re ANNÉE N° 1
15 NOVEMBRE 1957
REDACTEUR EN CHEF
Mohamed Lamine Ould Soumeïda
B.P. 391 — St LOUIS
A.O.F.
Journal Bi-Mensuel
PRIX : 20 F. C.F.A.
ABONNEMENT D'UN AN : 400 F. C.F.A.
ABONNEMENT DE 6 MOIS : 200 F. C.F.A.

صورة العدد الاول من جريدة « موريتانيا » الحكومية .. وتصدر في سان لويس

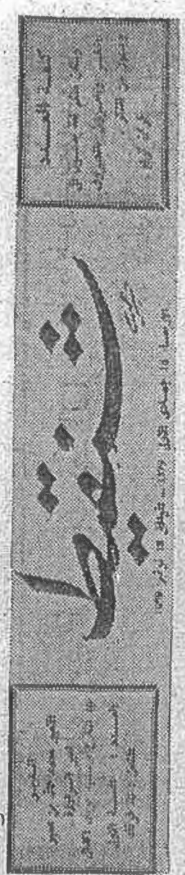

وصورة العدد الاول من جريدة « شنقيط » المعارضة وتصدر في الرباط ..!

حينما تقرر جعل نواكشوط عاصمة ..

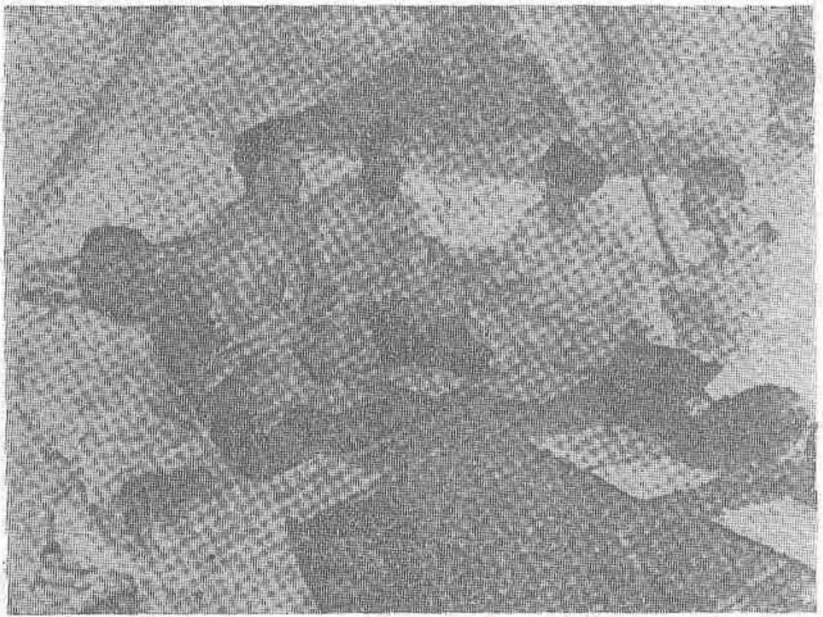

تحقيقاً لمشروع نقل العاصمة من سان لويس الى نواكشوط عقد مجلس الحكومة جلسة في الموضع
ر اختياره . ولفقدان اية بناية في ذلك الحين انعقدت الجلسة في خيمة شعر فرشت بالطنافس ..
يبدو في الصورة من اليمين الى الشمال : موراك (الحاكم الفرنسي) احمد سالم بن هيبة ، محمد
تار بن أباه ، المختار بن داده (رئيس الحكومة الحالي) ، إ . ص . جوم جاجين .

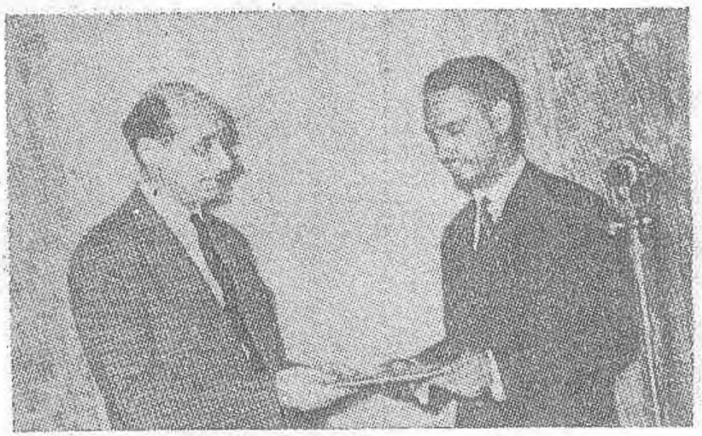

ر ما وراء البحار المسيو جاكي يسلم بن داده المرسوم القاضي بنقل العاصمة الى نواكشوط

موريتانية وراء (الدكتيلو) . . !

صاحبة هتين العينين الجميلتين والوجه القمري الممتلىء صحة وانوثة هي أم المؤمنين بنت الودّاد الكاتبة على (الدكتيلو) في البرلمان الموريتاني ، وهي بصحتها وجمالها ولباسها الوطني (الملفحة) ، وجذيلة شعرها المضفور بطريقتهم الخاصة ، تمثل (لعِلْيَة البيضانيه) الحرة أصدق تمثيل !

مقدّمة

موريتانيا ، اصبحت بعد اليوم كتاباً . .

وأيّما بلد في العالم ، محالٌ ان يصير بلداً إلا اذا صار كتابا . !

ان الأمم والأوطان والحضارات ، وكل ما على الأرض من قيم بشرية ومادية – جميعها لا تساوي شيئاً ولا يبقى منها شيء سرمدياً إلا اذا حضنَتْها الحروف ، وعرفت طريقها الى آلة الخلود ، الى المطبعة !

الكلمة ! وما ادراك ما الكلمة !

عنيت الكلمة المطبوعة ، ذات البقاء الدائم ، اذ البقاء لله وحده بعد فناء كل شيء ، ثم لها !!

لذلك ، اودعها الله سره الذي لم يعد سراً . . فعرفناه كما عرفناها ، فاذا هي إياه ، وهو اياها . تبارك الله !!

الوطن ذو الاسمين . .

موريتانيا ، اسم لم اختره أنا ، ولا اختاره اهلها ، وانما اختارته القوة الاستعمارية الاوروبية حين استعمرت الأقطار الافريقية ، ومنها « شنقيط » ، الاسم العربي الوضع ، الاسلامي الروح . . ولو خيرت ، او لو خُيِّر اهلُ هذا البلد ، لما استحلينا على الاسم القديم جديداً ، ولا ارتضينا به بديلا . .

ولكن الاستعمار هو الاستعمار . . لا يكتفي باحتلال الارض واستعباد السكان ،

بل يغمل على « استبدال » الشخصية التاريخية كلها للبلاد المحتلة ، باسماء من عنده ، واوضاع من صنعه ، ثم « يُجنّسها » شيئاً فشيئاً ، وموضوعاً فموضوعاً ، حتى تستحيل ـ والعياذ بالله ! ـ الى حقيقة غير حقيقتها وشخصية غير شخصيتها .. وبذلك ، إذا تم له ذلك ـ يستولي عليها استيلاءً كاملا وابدياً ؛ فتصبح وكأنها قطعة من أرضه لا يجدُ في اهلها ـ اصحاب العلاقة ـ من يجادله في مصيرها .. ولا غرابة حينئذ ؛ فمتى تمّ في تاريخ قوم الاستبدالُ ، انتهى الجدال .!

إلا أن عند بعض الامم « بمناعة » قوية ضد تلك الغايات الاستعمارية . فمهما بذلت الدولة المستعمرة من المحاولات واتخذت من الوسائط ، فانها تظل مهما قويت وطغت وبغت ، عاجزة عن بلوغ غاياتها اللعينة .!

ولا ريب ان الامة العربية ، هي بشواهد التاريخ العديدة ، البعيدة والقريبة ، أقوى أمم الارض مناعة ضد محاولات المستعمر المستميتة .. ولا ريب ان الاقطار الافريقية ـ العربية - هي اقوى البلاد الشقيقة ايمانا بقوميتها واشدها تمسكاً بتاريخها . لان ما تعرضت له من كوارث ومحن ومحاولات خبيثة يندر ان تتعرض له بلاد ، مهما تكن قوية المناعة ، وتبقى محتفظة بطابعها وقوميتها وتقاليدها العريقة .. ـ فالجزائر (وقصتها الدامية ما تزال في مسمع الدنيا الى هذه الساعة عبرة لكل معتبر) . والمغرب ، وتونس ، آية من اعجب آيات الصبر والبطولة والنضال ـ هذه البلاد بقيت مختلفة بطابعها دون ان يضعف ايمانها بشخصيتها التاريخية ، او تستكين وتستلين ، ولم تزدها الاحداث والمحن الا مضاءً .!!

فلطالما حاولت فرنسا وما تزال تحاول « فَرْنَسَة » هذه الاقطار ، وجُرّبت وما زالت تجرّب طمس تاريخ البلاد القديم ، واستبداله « بتاريخ » جديد .. دعوها .. دعوا فرنسا تحاول وتحاول وتحاول ، فلسوف يأتي اليومُ الذي لا نظنه بعدُ بعيداً فتتراجع خاسئة مدحورة ، ولسوف يلقنها « المحاربون الشجعان » دروساً تضيفها الى تاريخها (المجيد) ، ولسوف يعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون !!

* * *

قلت اني لم اختر هذا الاسم (موريتانيا) وانما اختارته وفرضته علي (وعلى العصر الحديث) القوة الاستعمارية لغايات سياسية واضحة القصد ، فكان لها من هذه الناحية ـ فقط ـ ما ارادت : وقلت أني لو خيرت لما اخترت اسما للكتاب وللبلاد غير « شنقيط » القرية العريقة القدم والعروبة والاسلام .. تبارك الاسم الذي كان علماً على قرية صغيرة ، فصار علما على بلاد كبيرة . تباركت القرية .. القرية التي طمرتها رمال الصحراء الكبرى مرات ومرات ، ثم عادت ونفضت عنها تراب الاندثار وقامت تتلو القرآن آيات فآيات !! القرية الطلل الذي كان « عيونا تشرب منه الخيل » ويردد أهله « بسم الله الرحمن الرحيم » اطرافَ النهار وآناء الليل .. القرية الهدى ، الذي تغلغل في أحشاء الصحراء أنسا وسروراً ، وفي ظلمات الغابات ووحشتها سراجاً منيراً !! القرية التي كان ركبها « ركب شنقيط » خليطاً أخوياً ـ من البيض والسود – يأتي كل عام مشياً على الاقدام ، حاجا إلى البيت العتيق ، مشتاقا إلى رؤية « الحشر » على الجبل ، واذكاء النحر وتقبيل « الحجر الاسود » والصلاة ما وسعه الوقت في فناء الحرم او داخل الكعبة .. ثم يعود بعد عام شديد المشقة حاملاً الى بلاده تراب « الارض المقدسة » وماء زمزم « واخبار بلاد العرب » ..

ذلك الركب ، « ركبُ شنقيط » الذي كان له من الشهرة ما كان ، والذي كان له في حمل الدعوة الاسلامية شأن أي شأن ، والذي بثّ روحانية المشرق في المغرب ، ووصل عواطف الاسيويين بقلوب الافريقيين ـ ذلك الركب العزيز المبارك اين هو الآن ؟

لقد ذهب خبره ، وطغت على حديثه احاديثُ السياسة في عصر السياسة ..

كأنْ لم يكن بين الحجون الى الصفا سمير ، ولم يسمر بمكة سامر !

موريتانيا ؟ كلا ، بل « شنقيط » .. ذلك هو واقع شعوري وعاطفتي بلا مواربة !

الوطنية ، العقيدة ، القومية الخ .. ما هي ؟ أليست كلها في واقعها النفسي المجرد « عاطفة » ؟

مُشْكلة . . حلَّها والله ابن الدُّمَيْنة ، حين قال :

من الناس ، إنسانان ؛ عيني عليهما مليَّان ، لو شاءا ، لقد قضَيَاني
خليليّ ، أمّا « أم عمْرو » فمنهما وأمّا عن الاخرى ، فلا تسَلاني !

منطق صحيح . . فلكل إنسان في هذه الدنيا « أم عمْره » ، وأنا « أم عمْري » هي شنقيط . . فاذا عرفتموها ، فلا تسألوني « عن الاخرى » . . إنها العروبة !

* * *

الآن صارت « موريتانيا » بلاداً ، لانها صارت كتابا . .

« موريتانيا » موضوع جديد قديم . . جديد في فحواه كلما اخترت منه مادة، قديم في عنوانه ، لأني عُرِفْت به وعُرف بي منذ نحو عشر سنين ، احمله الى صحف كل بلد عربي أحلّ به مقيماً ، أو انزل به ضيفاً، شأن المُبشِّر الذي يحمل رسالة بعينها، ليبثّها ، ويتحدث عنها، ليلفت اليها الانظار، ويجذب بها القلوب. . فهي عنده مطلب جدير ان يُشهَر ويُذاع . .

موضوع حمَلتْه الصحف الكبرى في بيروت ودمشق الى انحاء شاسعة من دنيا العرب بالخط العريض ، فتلقيت عشرات الرسائل تطلب المزيد . .[1]

موضوع « انفرد » به من غير تبجّح او ادعاء ، ولا أزعم اني عشته وحدي، او انفردت برؤيه عالمَه وعناصره وحدي . . فالذين عاشوه ورأوا عالمَه معي من المهاجرين العرب كثيرون ، ولكنهم جميعهم كانوا « تجاراً » إلا انا . . مع اني هاجرت مثلهم لأتاجر، فاشتغلوا هم بشيء، واشتغلت انا بشيء آخر . . (ادركتني حرفة الادب) . .!

ومضيت – معهم – انتقل واطوف افريقيا السوداء ، ولكن لهم بضاعتهم ، ولي « بضاعتي » . . هذه غير تلك ، وما انا بنادم . .!

وإذا كان كل من ينفرد بمادة نفيسة يهمه ان يطول أمد احتفاظه بهذا الانفراد، فاني على النقيض من ذلك : يهمني ان يشاركني عالمي العربي كله بما اعلم ، بل وان يكون هناك من ينافسني في الموضوع ، فيزيد ما يعلم عما اعلم . . فان اخبار « العرب البيض – البيضان – في افريقيا السوداء[1] امر بالغ الاهمية ، من أي ناحية طرقته!

ومن الخير كل الخير ، أن يعرف عالمنا العربي في الشرق اخبار « قطر عربي » ناء يكاد يكون عندنا مجهولاً تمام الجهل . هذا القطر يسمى « الموريتانيا » في التعريف الحديث ، و « شنقيط » في تعريف القدماء كما سيجيء ، واهل البلاد يعرفون بـ « البيضان » لانهم بيض ، في قارة سوداء . .!

الجماعة عرب . . عرب ، اكثر مني ومنك في لبنان والعراق والسعودية والجمهورية المتحدة . .

ليس عند القوم ما عندنا من مشاكل عنصرية : ففي لبنان – مثلا – يوجد م يقول نحن فينيقيون ، وفي العراق يوجد من يقول نحن اكراد ، وفي سوريا يوجد من يقول نحن شركس أو أتراك ، وفي مصر يوجد من يقول – وان لم يشهرها – نحن فراعنة . . وفي تونس والجزائر ومراكش يوجد من يقول ، نحن بربر الخ . .

اما في موريتانيا ، القطر العربي المجهول ، فلا يوجد من يقول : « لسنا عربا » مع العلم ، انهم ككل القوميات البشرية في التاريخ ، منحدرون من أرومات شت بعضها ليس عربيا .

لغة تغزو ديار الغزاة . .

ان العالم العربي في المشرق يجهل – من غير تجاهل – اخبار بلاد تضم حوا المليون عربي أصبحت منذ عامين جمهورية تسير مع مواكب الجمهوريا الافريقية المستقلة

والمكتبة العربية عندنا في المشرق ، لا تضم حتى الآن كتابا يختص بالبح تلك البلاد ، واهلها العرب الاقحاح ، رافعي لواء الضاد والعروبة عالياً في افريقي الغربية « الفرنسية » او التي كانت فرنسية قبل الحركة الاستقلالية الاخيرة المعلوم

---

[1] – نشرت بعض فصول هذا الكتاب على سبيل التعريف في مجلة « الرقات » السودانية » ومجلة « الجندي » الدمشقية واخيراً مجلة « العلوم » البيروتية ، وجميعها من الصحف الكبرى المعروفة .

[1] – اسم العنوان الذي كانت تضمه مجلة « العلوم » لبعض فصول هذا الكتاب .

فهذه اللغة العزيزة التي نحرص على تقدمها ، وتعزيزها ، ونشرها في الدنيا ، ما يزال سوادنا الاعظم يجهل تفاني اولئك العرب البدو في خدمتها ، ورفع شأنها حالياً ، رغم قطيعتها وغربتها « السوداء » ، ورغم إساليب الاستعمار الأوروبي المعادية لكل ما هو شرقي عربي اسلامي . !

أليس من دواعي الفخر والعزة أن نرى لغتنا العزيزة « غازية » ديار الغزاة انفسهم . . ؟ منبعثة منبثة في الديار الافريقية ، رغم انها لا تستمد — هناك — قوة من حكومة تحميهـا ، ولا سلطانا من دولة ذات بأس تفرضها على الناس . . ؟

انهم — اعني البيضان — يتعلمونهـا ويعلمونها تحت ظلال الشجر ، وتحت خيام الوبر ، وفي حالات الحلّ والسفر . .

انهم يخاطبون بها الاجنبي (سيد) البلاد الذي لا يفهمها . . يخاطبونه بها بلا خوف ، ولا وجل ، فيفرضون عليه سماعها ومعرفتها ، واعتبارها لغة البلاد ، قبل وبعد كل اعتبار . .

ويسألك سائل :

— كيف استطاعت اللغة العربية ان تتغلغل في افريقيا ؟

يجيبنـا على هذا السؤال الرحالتان الفرنسيان بيار ورنيه غوتيـه في كتابهما (افريقيا والافريقيون) بهذا القول :

« ان الدين الاسلامي استطاع ان ينتشر في القارة الافريقية بشكل يدعو الى الدهشة والخوف ، على عكس الدين المسيحي الذي لم يأخذ في الانتشار السريع إلا بعد دخول جيوش المستعمرين .

ويعقب الكاتبان الفرنسيان :

« ولكن الذي يخفف من خوف انتشار الدعوة الاسلامية في افريقيا ، هو ان الاسلام لم يفرض اللغـة العربية على الافريقيين ، وبذلك يمكن عزلهم عن تيار الجامعة العربية ، بينما استطاعت الارساليات المسيحية ان تفرض اللغتين الفرنسية والانكليزية على القبائل الافريقية ، وبذلك اصبح للحضارة الاوروبية تيار ضخم يقاوم في افريقيا ، وهو ما لا يتوفر لدول الجامعة العربية . . »

إن الكائن العربي لا يملك إلا أن يستاء فعلا من هذا الكلام ، او بالأحرى من هذا الواقع . . . !

إن المستعمرين الاوروبيين الذين استنهضوا هِمم العلماء والباحثين لوضع مجموعة دراسات تاريخية واجتماعية عن افريقيا ، حرصوا على ان يقيموا حواجز عالية من الدعاية المسمومة ليمنعوا افريقيا من استقبال الفكر العربي ولم يتورعوا من أن يروا في عدم فرض اللغة العربية على القبائل الافريقية الـتي دخلت في الاسلام ، الثغرة التي يمكنهم استغلالها لتثبيت الانفصال التام بين العروبة والاسلام .

والحقيقة الـتي ذكرها كثير من العلماء والباحثين الشرفاء ، امثال « هوبير ديشان » في كتابه عن الديانات في افريقيا ، و « بازيل ديفيدسن » في كتابـه « صحوة أفريقيا » هي ان الاسلام ، الذي هو في حقيقته التاريخية المعروفة مظهر من مظاهر العبقرية في الامة العربية ، لم يفرض نفسه على القارة الافريقية بالقوة والاغتصاب بل انتشر بالفكرة السلمية الهادئة السامية التي حملها معهم التجار العرب إلى قلب الغابات . .

لقد استطاعت الصحراء الكبرى أن تحمي افريقيا من انتشار الفتح الاسلامي بحد السيف ، ولكن هذه الصحراء — كما يقول « ديشان » :

« لم تكن من المنعة بحيث لا يمكن النفاذ اليها ، فطرق القوافل تخترق ارجاءها ، وحدودها الغربية البحرية اشبه ما تكون بجسر يربط بين مراكش وبلاد السنغال ، تغطيه المراعي الصالحة لرعي الماشية وحياة البدو » .

هكذا دخل الاسلام الى افريقيا ، افكار حملتها قوافل التجار !

وقد فعلت هذه الافكار فعلها في اعماق الغابات ، فقد حمل الاسلام الى قبائل افريقيا فكرة الثورة ضد الاقطاع وضد الاستغلال وضد السخرة . .

وامتع قصة تروى ، هي قصة دخول قبائل (الهوسا) في اعالي الكاميرون ، الدين الاسلامي ، في مطلع القرن التاسع عشر .

يقول « ديشان » في كتابه (الديانات الافريقية) :

« كانت قبائل (الهوسا) تخضع للملوك الوثنيين من قبائل (البامبارا) ، إلا

ان الدعاة المرابطين حرضوهم على الثورة ضد نظام الاقطاع ، وانتهت الدعوة على يد (عثمان دان فوريو) الى دخول قبائل (الهوسا) على يديه دين الاسلام . عندها دعا عثمان الى الجهاد ؛ فاجتمع له جيش كثيف من الفلاحين والرعاة من قبائل (الهوسا) و (البول) الهاربين من ارهاق الحكام الاقطاعيين . وفي عام ١٨٠٤ اعلن الجهاد بالفعل ، وهزمت جيوش الوثنيين ، وأسس امبراطورية عظيمة في شمال (نيجيريا) واتخذ له عاصمتين هما : سوكوتو وكانو ، واعلن نفسه اميراً للمؤمنين ، وقد انقسمت امبراطوريته بعد وفاته . الا أن قبائل (الهوسا) اعتنقت الاسلام واصبحت حصناً من اقوى حصونه ، انتشرت منه الدعوة الى جنوب افريقيا وغربيها » ..

هكذا دخل الاسلام افريقيا .. وكان العرب أمناء على ايصال فكرة الدين بصورة انسانية لا فرض نظام استعماري كما صنع الاوروبيون، الذين ربطوا فكرة الدين المسيحي بالغزو والاستعمار والقوة والاغتصاب !

ان الاغلبية المطلقة من سكان افريقيا هي أغلبية اسلامية ، هذه حقيقة تؤكدها الاحصاءات ، بينما لاتتجاوز نسبة الافريقيين الذين اعتنقوا الدين المسيحي نصف المسلمين ..

لماذا ..؟

السر ، هو ان الذين حملوا الدعوة المسيحية الى افريقيا كانوا مستعمرين تجار رقيق ، بينما الذين حملوا الدعوة الاسلامية كانوا رسل ثورة وخير وسلام ..

وفي (دكار) حيث يظهر الاسلام بكل مظاهر الابهة والعظمة والصلابة المغربية تبذل جهود فرنسية ضخمة لانتزاع العمة من فوق راس الاسلام السنغالي واستبدالها بالقبعة الافريقية (الكَسْك) ..!

لقد اقتنعت فرنسا واقتنعت معها اوروبا ، ان الصحراء الكبرى التي كانت تفصل العرب في آسيا والعرب في شمال افريقيا عن الافريقيين ، لم تعد تشكل عقبة في عصر الطائرات والراديو والصحف ، ولذلك فهم يحاولون الدم عزل الفكر العربي عن شعوب افريقيا بالدس والكذب والتزوير على الحقيقة والتاريخ !

لقد قال لي ، احد كبار الشخصيات السنغالية مرة بدكار :

« لم يحدث في التاريخ ان استطاعت قوة بشرية ان توقف المدّ التاريخي عندما يبدأ ... ففي الماضي ، عندما بدأ المد التاريخي الديني من اقصى الشرق حتى وصل الى الغرب ، فحملوا رسالة هذا المد الى افريقيا ، تفتحت لهم قلوب سكان الغابات .. وها هو المدّ القومي يبدأ اليوم من اقصى الشرق ويصل الى العرب في موريتانيا !! » .

« دكار » آية الفتح الابيض ـ العربي :

هناك ، في البقعة الممتدة على شاطيء الاطلنطي من مراكش السفلى حتى خط الاستواء ومن (ساحل الرقيق) حتى اعماق الصحراء الكبرى ، يتكاثف الذكاء الابيض الفياض والحيوية السوداء المكنوزة منذ قرون ، على خلق موئل جديد للمدنية يرفع قيمة الانسان وقيمة الحياة البشرية في عالمنا الحديث !

إننا حين نستعرض آيات الفتح الابيض في افريقية ، وما فعلت الحيوية البيضاء في القارة السوداء ، لا يسعنا إلا ان نشعر شعوراً مليئاً بكل بواعث الفخر والاعتزاز ، لما في تلك الآيات والآثار القائمة الماثلة شهوداً حية ، من مساهمة كبرى للمهاجرين العرب من اخواننا ومواطنينا اللبنانيين ، وخصوصاً في بناء مدينة (دكار) ، الدُّرة الوهّاجة على شاطىء الاطلنطي .

كانوا يقولون قديماً ، إن افريقيا تبدأ بدكار ، اما اليوم فانا اقول : « ان افريقيا تنتهي على بعد عشرين كيلومتراً من (دكار) .. لأن دكار اصبحت مزيجاً شديداً من المدنية الاوروبية ، وخصوصاً بعد ان تمت عملية (جلاء) البيوت الافريقية (الاكواخ) من داخل المدينة الى (تللين) وما وراء (تللين) ..

شيء اغرب من الخيال كيف تطورت مدينة دكار منذ خمسين سنة حتى اليوم .!

لقد كان تطورها سريعاً كما لو كنت تشهد فيلماً في السينما ، او تقرأ حكاية (مدينة النحاس) في اساطير الف ليلة وليلة ..!

ان (دكار)[1] اصبحت قطعة صافية من اوروبا تركض فيها المدنية بسرعة الصاروخ !

من كان يقول او يصدّق ، ان تلك الشواطيء البحرية والرمليـــة المحرقة ، والماهولة بسكان الاطيان والاكواخ (والبرّاكات) ـ التوتيا والخشب ـ ستصبح كما هـــي اليوم : مقاصنف ودور سيـــنما ، ومصارف ، ومخازن ، وحدائق ، ومستشفيات الى ما لا نهاية . . ؟

تلك هي دكار (باب) افريقيا كلها الى قاصيها ودانيها اوردناهـــا في ايجاز عابر ، في طريقنا الى شنقيط او الموريتانيا ، غرضنا الأساسي والعام في الآتي من هذه الفصول ، ليلم القاريء باوصاف (الممر) الذي لا بد له ان يمر منه كل قادم الى تلك الدنيا العربية المجهولة في افريقيا الغربية . .

اوروبا خلفت الاسلام في حكم البلاد

ومما يذكر ، ان الاسلام غزا هذه الديار الافريقيـــة الغربية السوداء من شمالي افريقيا في موجته النورانية المعروفة خلال القرن العاشر ، وان الاوروبيين خلفوا الاسلام في حكمها السياسي منذ القرن الرابع عشر ، وقد مكثوا في تطاحن اشترك به البرتغاليون ، ثم الفرنسيون والبريطانيون ، حتى استوت حـــدود النفوذ كما هي الآن بين الدولتين الاخيرتين منذ اواخر القرن التاسع عشر . « صار من المحتمل ان يطرأ تعديل على حدود الاقاليم ، بعد الحركات الاستقلالية التي حدثت مؤخراً في المقاطعات الفرنسية » .

وبين هذه الخطوط الكبرى من تاريخ البلاد السياسي ، تفاصيل واسعة لا سبيل الى الجزم باكثرها . ولكن المتيقن دون شك ، ان آثار هـــذه البلاد الدائرة والمسطورة ، كما اشار اليه المؤرخون القدماء ، وممـــا عرض له الرحالة المحدثون ، هو ان هذه (الظلمة) الأزلية كانت مطبقة على هذه الربوع في اختلاف ادوارها ، اذا استثنينا الدور الاسلامي ، فهو من بين كل الادوار دور مؤثر بالزنوج اثراً بعيداً .

إن تاريخ الشعوب الافريقية السوداء هذه ، لم يظفر في فترة ما من فتراتـــه بحضارة او نهضة تنبـــع من اوساطها ، مستندة الى دين او فلسفة او ثورة من ثورات الفكر في جانب من جوانب الحياة .

وهذا ما اريد لك ان تعرف من تاريخ بلاد ما تزال بادئة الوجود ، مر على سجيتها زمن مديد وهي بين مجموعة من الخصائص البشرية الفطرية ، التي وان لم تهذب بعد التهذيب الكافي ، فانهـــا بلا ريب على جانب عظيم من الاستعداد والقابلية والذكاء !

وعلى هـــذا ، فان القول ان الابيض ـ نوع الابيض ـ متفوق بطبيعته على الاسود ، قول فيه كثير من الظلم والباطل !

نعرات عنصرية تلقى مصيرها . .

وهنا تلعب (الروح العنصرية) دورها عند الابيض ، الأوروبي بنوع خاص . . فهو يبني على هذا الاساس مجمل سلوكه وتعامله مع الاسود ، او الملون . .

وهنا ايضاً ، يأتي دور الابيض الأسيوي ـ العربي المهاجر ـ فاذا به يبني مجمل

---

[1] ١ ـ تعتبر دكار لا عاصمة السنغال فحسب ، بل عاصمة افريقية الغربية كلها من حيث اهميتهـــا البحريه والجغرافية ، وهي تضاهي في عمرانها وجمالها احدث المدن الاوروبية اطلاقا . ويعزى الفضل الاكبر في تطورها المتواصل الى المهاجرين اللبنانيين وعددهم بها يناهز الـ ١٥ الف مهاجر . امـــا عدد سكانها من سود وبيض فيناهز النصف مليون .

ومرفأ دكار هو اكبر مرفأ على ساحل الاطلنطي تبلغ مساحته ٢٠٧٠ متراً مربعاً . ويمكن ان ترسو امام الرصيف الجديد بواخر حمولتها ٤٠ الف طن . هذا عدا المرفأ الجديـــد الممتد في اتجاه (غوريه) الجزيرة السياحية المعروفة قرب المرفأ .

كما ان دكار قاعدة بحرية ضخمة للمواصلات بين اوروبا وافريقيا الجنوبية والشمالية (مراكش) ، واميركا الجنوبية الارجنتين ، (البرازيل الخ . .) . موقعها من الناحية الاستراتيجية العسكرية هام جداً ، يحميها من الجنوب جزيرة غوريه ، ومن الشمال (الرأس الاخضر) . .

بنى الفرنسيون مرفأ دكار بين سنة ١٨٦٢ـ١٨٦٨ . وفي دكار ايضاً مرفأ حربي ، ومطار دولي كبير يضاهي مطار بيروت . وتعد دكار من حيث اعتدال المناخ قطعة من قلب اوروبا . وليس لها نظير في كل مدن افريقيا سوى مدينة سان لويس . وكانت في الحرب الاخيرة مطمح انظار جميع المتحاربين وخاصة اميركا . .

سلوكه وتعامله مع الاخرين (كانسان) .. لا يهمه منه لونه او بيئته او ظروفه ..

ومن هنا ايضاً تلحظ (الايثار) النفساني عند ابناء البلاد للابيض العربي ، على الابيض الاوروبي ، ويتسع هذا الايثار ويتمادى حتى يشمل الكثير من حالات القوم الفكرية والسياسية . وصفوة القول في معرض الكلام التاريخي والتحليلي لافريقيا السوداء هو ان الاوروبي الذي جاء يستعمر ويستثمر — والعربي المهاجر الذي جاء يفيد ويثري ، قد القيا على الأسود — والبيضاني ايضاً — الغائص في حياته الفطرية دروساً بليغة في الحياة الحديثة .. ففتحا عينيه على النور ، واضرما في نفسه شعلة النهضة والحرية ...

وهكذا .. كانت هذه (الغزوة) شوكة في جانب السوداني والبيضاني العربي ، تخزه فتوقظه ، وتدفعه في طريق الحضارة دفعاً قوياً حثيثاً ..!

إن الاسود وعى .. فتذكر انه كان (عبدا) وصار اليوم (سيدا) .. ولكنه ، وهو في فورة وعيه على الحرية لا يقدر مقتضيات الانسانية حق قدرها ، وان حياة الانسان الحديث اصبحت (عالمية) إلى حد بعيد بفضل العلم وتشابك المصالح بين جميع الاسرة البشرية من بيض وسود ، .. وبالتالي بفضل وسائل المواصلات التي الغت المسافات والحدود بين القارات والاقطار ..

ان العنصرية في افريقيا وآسيا وغيرهما في العصر الحديث قبيحة أشد القبح عن اية جهة صدرت ، ويستوي في أمرها الاحمق ، والابيض والاسود ..

وان الاستعمار ، مع الاحتفاظ بروح العنصرية لا يمكن ان يقود إلا إلى الخراب والارهاب (اضطرابات جنوب افريقيا في مطلع سنة ١٩٦٠ الحالية ما تزال طرية في الاذهان !) .

وبالنتيجة إلى الحط من شان كل ما له علاقة بهما ، وتخريب كل تعاون بشري بنّاء ، يتحتم على القادة الذين في يدهم مفاتيح معظم المشاكل السياسية في العالم ، ان يعيدوا النظر بخططهم واساليبهم في سياسة الشعوب الاخرى ، ليخففوا على الاقل — من المشاعر المعادية لهم .

إنه لم يعد بالامكان قبول تصنيف الأمم فى المعجمية السياسية المعاصرة ، بحيث توصف بعضها بـ (الامم الثانوية) ..

حوافز الانبعاث والنهوض في افريقيا :

افريقيا الغربية .. عالم الملونين ، الذي كان حتى الأمس القريب غارقاً في العدَمية والمجهول ، لا يردُ له اسم يذكر في انباء النشاط البشري ، والطموح الحضاري والسياسي — عالم الملونين هذا ، هو اليوم قبلة أنظار الدنيا ، ومطلب موجات الأثير في هبوبه العنيف الرائع ، نحو قطار الزمن المتسارع ، بعد ذلك السبات الطويل !!

فالحركات السياسية ، والانتفاضات القومية ، وغيرها من علامات الانبعاث والنهوض ، كلها شواهد حسية على ان شعوب تلك البلاد بدأت تنفض عنها غبار العدمية والمجهول ، والانعتاق من اغلال الماضي والتطلع الى الحرية .. وحركتها اذن ، ليست بالحركة العادية التي تفرضها نواميس التطور ، بمقياس معين ونسبة ما عند اصحابها من استعداد ومؤهلات انما هي انتفاضة نَمِرٍ قوي مغلول ، وهو في احسن حالات القدرة والحيوية ، ومواهب الاستطاعة على الوثوب .!

فالشعوب الافريقية — السوداء والبيضاء — لم تكن قط نائمة نوم العاجز المضمحلّ القوى ، الراكن الى الكسل والدعة ، و (التنبلة) المميتة .. وانما كانت شعوباً مغلوبة على امرها لاسباب اقتصادية واجتماعية وظرفية ..

وكان الابيض — الاوروبي — هو وحده القابض على زمام الحياة الافريقية ، لا تسقط شعرة من رأس أحد فيها الا بعلمه ..!

اجل في بلاد الملونين — افريقيا — حيث يتكاثف الذكاء الاسود ، ويتفاعل مع الحضارة البيضاء عبر قرون ؛ على ساحل بحر الظلمات ، وحيث ينفتح المستقبل القريب على اكبر نهضة — قومية سياسية ، وحضارية — يأمل منها كل خير للبشرية جمعاء .. اجل . في تلك البلاد نسمع اليوم وقع خطىً تقرع الاسماع بقوة ، إنها مركبة التطور والحرية ، آتية لا ريب فيها !!

وبذلك — بهذه النهضة — ينتفي القول الى الابد ، ان عبء المدنية قائم على اكتاف البيض وحدهم ..

ان البحث عن عوامل انحطاط افريقيا طويل ومعقد ، ومع ذلك فان الاسباب الحديثة لذلك الانحطاط واضحة إلى أبعد الحدود .. لقد تخلفت افريقيا في مجال التكنيك ، فاذا باوروبا – التي كانت هي الأخرى متأخرة في كثير من النواحي تتقدم موكب التكنيك هذا ، وخلفه كانت روح العلم ناشطة ، روح تجلت في كثير من ضروب النشاط في رحلات استكشافية مغامرة في أنحاء آسيا وافريقيا . والواقع ان المعرفة الصناعية الآلية الحديثة منحت بلدان اوروبا الغربية قوة عسكرية متفوقة ، سهلت لها السيطرة على البلاد المتخلفة في آسيا وافريقيا . وأن أي شيء كانت له القدرة على صياغة مئات الاجيال وقوْلَبتها في غير انقطاع ، لا بد وان يكون قد استمد حيويته السرمدية من بئر عميقة يمكن ان تدعوها بئر القوة . !

إن التاريخ يسطّره دائماً الفاتحون والمغلوبون . وهو يقدم وجهة النظر الخاصة بكل من الفريقين .. ولكن اقوال الفاتحين هي التي تحظى بالشهرة وتثبت في الميدان على أي حال ..

يقول زعيم الهند نهرو ، احد اساطين الفكر السياسي « : ان العالم الحر يضم فيمن يضم ، عبيداً .. إن عالماً حراً حقيقياً لا يمكن ان يقوم على تجاهل أماني الآخرين ، ودَوس المقومات الاساسية لوجودهم » .

ان الشعب الموريتاني لم يطلب من فرنسا أن تتفضل عليه فتمنحه جمهورية إسلامية أو غير إسلامية .. هو لا يطلب منها إلا شيئاً واحداً فقط : ان تتخلى له عن ارضه ، وان تسحب منها جيوشها ، وان تتركه يختار لنفسه نظام الحكم الذي يريد .. لقد كبر وترعرع ، واصبح يكره ان يظل تحت الوصاية .. وكذلك القول في الشعوب التي بلغت سن الرشد ، بالرغم من عدم اعتراف « الاوصياء » بذلك .. !

ترى .. متى كانت الحقائق تمحى وتزول بسبب تجاهلها .. ؟ وعندما تفرض الشعوبُ الانتباهَ اليها يكون هناك شعور بالسخط والاشمئزاز لما يحدث بصورة غير متوقعة ، كأنها تسببت بذلك خدعة ما . !

موريتانيا والتجاذب السياسي :

والخدعة ، بل ضروب الخداع السياسية ، هي القول في معرض الدعاية والتضليل : « إن موريتانيا لا تنوي الخروج ابداً من سيطرة فرنسا ، لأنها منطقة قاحلة اهلها جهلة وفقراء .. وفرنسا وحدها هي التي يمكن ان تحقق مستقبلا زاهراً للبلاد .. وان حكومة الاستقلال (الفرنسية) قامت باعمال جبارة لمساعدة الشعب كبناء السدود وتزويد الفلاحين بآلات الري بدون مقابل ، وانها فتحت عدة كليات (كذا !) ومدارس حتى صارت نسبة التعليم تجاوز ١٠ بالمئة .. وان ما يسمى دعوى المغرب في موريتانيا ، كانت مجرد خرافة ، قام بها بعض الزعماء المغاربة أمام الجماهير وانتهت بنزوله عن المنصة .. وان المراد بالدعوى هو ايجاد العمل للعاطلين المغاربة باتخاذهم في جيش التحرير .. وان الامر بلغ عند الشعب المغربي منتهى عدم الاكتراث بالمسألة الموريتانية ، على حد زعم القائل ، لدرجة أن احد زعماء المغرب صرح لجريدة افريقيا الجديدة (افريك نوفل) بان موقف المغرب من موريتانيا ، كموقفه من الكامرون » ...

هذا ملخص ما صرّح به في العام الماضي للاذاعة الفرنسية بباريس عبدالوهاب الشيكر مدير مصلحة الانباء والاذاعة الموريتانية ، وهو مايزال قائماً في بعض الاذهان المخدوعة .. والواقع ان (الدعاية) شيء والحقيقة شيء اخر . فمن اسهل الامور ان نستجوب اشخاصاً (موظفين) لا صلة لهم اطلاقا بالشعب ونستحكيهم ما نحب ان يحكوا .. ولكنّ ما أوهنها من وسيلة! فمسئلة موريتانيا ليست مسألة افراد ، حكوميين او معارضين ، وانما هي فمسألة شعب يكافح ليتخلص من براثن الاستعمار وعملائه واذنابه !

نحن نعرف ان التجاذب السياسي لبلد يُقصد جرّه لهذه الجهة أو تلك ، يفترض اغراقه بالوان الدعاية المشوّقة والمخيفة – بحسب المقتضى . ونحن نعرف ايضاً ان من الناس من (يتأثر) احياناً بالدعاية الموجّهة ، ولكن الى حين ..

***

من بين كل ما يقال في معرض الترغيب والترهيب ، اجب ان أرد على نقطة واحدة جوهرية واجلو ملابساتها هي نقطة (المصير السياسي) لموريتانيا ، هل الافضل له ان يكون مع الجامعة الفرنسية ، او مع الاتحاد المغربي ؟

مما لا ريب فيه ان موريتانيا لا تستطيع الاستغناء عن مصير سياسي مشترك ما . فاما الاتحاد مع مالي فانه غير ذي موضوع ، لان بلاداً كمالي تنوء بمطالب استقلال حديث، لا تستطيع ان تضمن أية معونة اقتصادية أو عسكرية لبلد آخر ، هذا عدا عما بين موريتانيا ومالي من فوارق اخرى اعمق من ذلك يعرفها اصحاب العلاقة انفسهم . . وأما الاتحاد مع الجامعة الفرنسية فانه يكلف موريتانيا حريتها كبلاد تحاول أن يكون لها (كيان) وتريد ان تكون مستقلة استقلالاً حقيقياً . هذا عدا خسرانها شخصيتها التاريخية كدولة عربية اسلامية وهي لا تشعر . . وفرنسا لا تطمع بالارض ولا بالقواعد العسكرية بقدر ما تطمع (بالقواعد العقلية) تتخذها لنسف الصلات مع المشرق (والمغرب) العربي الاسلامي ، باعتبار موريتانيا حالياً (قاعدة) فكرية عظيمة الأهمية للعرب الاسيويين ، قائمة في قلب افريقيا السوداء ! ثم ان فرنسا تريد — باي ثمن كان — أن تعمل على تفتيت الوحدة الجغرافية وكل ما يؤول الى تقوية العلاقات بين اجزاء المغرب العربي الكبير (مراكش ، تونس ، الجزائر) ، والحيلولة دون زوال الحدود المصطنعة ، بحيث اذا زالت — تصبح دولة واحدة ذات علم واحد وبوليس واحد وجيش واحد . .

صحيح ان الانفصال المزمن بين هذه الاقطار العربية قد احدث اتجاهات مختلفة ومصالح متعارضة على مر الايام ؛ الا ان السير البصير خطوة فخطوة سيعمل على إعادة الامور والبلاد الى طبيعتها من غير وقوع امتعاض او خشية من فرض السيطرة والهيمنة ، والنتائج متوقفة على طبيعة السير الزمني وحركة التطور . .

اما الاتحاد مع المغرب فان له كل ما يبرره من تجانس وموجبات ؛ ومتن هذا الكتاب غني بالشواهد القوية على ذلك . وكم نود ان يحمل اخواننا في نواكشوط هذا الرأي على محمل الاخلاص ، لا على محمل الظن السيء من انه (خدمة مأجورة) لدعاة الاتحاد مع المغرب اخواننا المقيمين في الرباط . . ان الحق احق ان يتبع :

فموريتانيا اليوم لا خيرة لها في الامر الواقع . . انها في حصار سياسي ، والتحرر الافريقي يجرفها في تياره . فالموريتانيون يكونون سوداً زنوجاً اذا اتتهم الحرية من الشمال ، وعرباً بيضاً اذا اتتهم من الجنوب ، وحتم عليهم ان يختاروا احد المصيرين . . ؟

يمينا ، لولا اننا نعلم علم اليقين بان المغرب قادر كل القدرة على ان يمول المشاريع الموريتانيه الحيوية ويحل محل فرنسا بتقديم المساعدات المطلوبة ، لقلنا لاخواننا في موريتانيا اياكم والخروج من الجامعة الفرنسية . . فانا — شخصياً — في عداد من يعلمون ان موريتانيا مفتقرة كل الافتقار الى مساعدات كبيرة مختلفة ، وانها في طليعة البلدان المتخلفة إقتصاديا وصناعياً وثقافياً ، وان ميزانيتها — قبل الاستقلال الحالي — كانت تسدد عجزها من ميزانية مجموعة الدول الافريقية الفرنسية . . وانها بعدما تفرق الشمل ، ليس لها إلا المعونة الفرنسية . .

ولكن لماذا البحث عن الظهر؛ الساعة الثانية عشرة كما يقولون . . ؟ ان المغرب قادر على ان يحل محل فرنسا من هذه الناحية بايسر سبيل ، اذا خلصت النيات وعرف المسؤولون في نواكشوط كيف تساس الأمور . .

ليعلم السيد الرئيس ابن داده — ولعله لا يجهل — ان الشاة التي تترك قطيعها سيأكلها الذئب . . والذئاب السياسية كثيرة في هذه الايام يا سيدي . ! أفلا ترون انه من الافضل لكم في افريقيا — السوداء والبيضاء — ان يكون كل قطيع مع قطيعه ، ثم تعيشون بنعمة الله وصلات الدين والجوار اخوانا . . ؟

نحن نعلم يا سيادة الرئيس ان الحالة بينكم وبين مالي سيئة . . واذا كانت الحالة اليومْ هكذا وانتم في بداية الشوط ، فما لا ريب فيه انها ستكون غداً أعظم سوءاً واتعس منقلباً . .

أشوقاً ، ولما يمض لي غير ليلة   فكيف اذا سار المطيُّ بنا عشرا ؟؟

وانك والله لتعلم مثل ما نعلم ، بل وقبل كل من يعلم ، ان الشعب الموريتاني لا يتطلع الى المغرب لان فيه ملكه المرتجى فحسب ، بل لان جلالة الملك محمد الخامس يمثل في اذهان البيضان وارواحهم « امام » المسلمين الشرعي ، ومنزلة

« امير المؤمنين » الفعلية . . وحين تفسح السياسةُ المجال لهذه الزعامة الروحية لكي تحتل مكانها على شاطيء نهر السنغال ، فانكم ستزدادون بذلك حظاً عظيماً تصغر حياله عظائم الحظوظ ، وسيكون سعيكم ــ إذا فعلتم ــ بمثابة «فتح جديد» للاسلام أين منه الفتح الاول . !

أفلا يسرك يا سيدي ــ كما يسرنا ــ ان تقوم بعمل يخـلدك مع الخالدين ، فتكون « عقبة » الفتح الثاني لافريقيا و « رسول » امير المؤمنين الى المؤمنـين في اواخر هذا القرن العشرين ؟؟

لست ادري ما سيكون « صدى » هذا القول المخلص في نفسك ونفوس الجماعة الحافين من حولك ، هل هو الاستجباب ام الارتياب ام غير ذلك . . ؟

ولكني والله الى الظن الخيّر فيك ، أدناني منه الى سوئه . . ان لك يا سيدي في الرباط اخوان صدق مخلصين ــ رغم المعارضة الوطنية ــ ونصيحتنا اليك اذا كنت ممن يسمع القول فيتبع احسنه ، ان تتخذهم (سفراءك) الامناء لهذا الامر المشار اليه فتفاوضهم فيه ، فنعم الامر والله هو . . « وقُل الحقُّ من ربِّكم ، فمن شاء فليؤْمن ومن شاء فليكفُرْ » . . « انكم ترونه بعيداً ونراه قريباً » . .

هذا الكتاب :

لهذا الكتاب شهرة في المشرق ــ وحتى في المغرب ــ قبـل صدوره . . ذلك ان الفصول التي نشرتها بعنوان « العرب البيض في افريقيا السوداء » قد ساهمت في لفت الانظار الى موضوعه ، وكانت مادته في باديء الأمر أدبية خالصة : فانا قد تأثرت أول ما تأثرت في موريتانيا بهذه الناحية ، واردت ان يكون كتاباً (جامعاً) لطرائف من شعرهم وآدابهم ، لا أتعداهـا إلا الى ذكر عروبتهم وشيء من تاريخهم . ولم تكن السياسة عندي فكرة واردة بعد . فلما بدت التطورات السياسية في افريقيا سنة ١٩٥٦ ــ ١٩٥٧ وكان لموريتانيا حظ منها ، أخذت فكرة وضع كتاب عنها تراودني . وكانت الاعوام التالية مشجعة على تحقيق هـذه الفكرة ، وارجاء الكتاب الادبي[1] الى ما بعد صدور هذا الكتاب بشكله الحالي .

---

١ ــ اسمه (شعراء الصحراء) وهو ماثل للطبع .

ولما قام الملك محمد الخامس بزيارته الى المشرق في مطلع العام الحالي ، بدأت اخبار موريتانيا تظهر في صحف العـالم العربي لاول مرة كقضية ذات ملابسات عديدة ، فقويت الحاجة الى وضع كتاب يعرف الرأي العـام الخارجي عن هذه البلاد التي كانت حتى الامس القريب نكرة تامة ، كأنها ليست في الدنيا . . !

وقد حرصت في هذا الكتاب على ابراز ثلاث صفات لموريتانيا :

١ ــ شخصيتها التاريخية ومراحل تكوينها، ومدى تفاعلها مع الزمن في مجرى التاريخ العربي والاسلامي وتأثرها بالفتح ونشوء قوميتها.

٢ ــ اوضاعها الداخلية الخاصة ، والاقليمية العامة المجاورة لدول افريقيـة سوداء كانت حتى عهد غير بعيد ــ بما فيها موريتانيا ــ مستعمرات فرنسية، حتى اعلان (الجمهورية الاسلامية الموريتانية) . .

٣ ــ اثبات (جنسيتها) القومية بشواهد التاريخ وواقعها البشري والاقليمي. فختمت الكتاب بدراسة قومية توضح للمتشككين من الجيل الجديد ــ المثقف ــ حقيقتهم وترسخ ثقتهم الفكرية بعرقهم . . كما اوردت آخر انباء البلاد الداخليـة السياسية والاقليمية، ولم اقتصر على انباء الطرف (الشنقيطي ــ المغربي) المعارض، ولا على انباء الطرف (الموريتاني ــ الحكومي) الموالي لفرنسا . . وبذلك يستطيع ابن المشرق وغيره ، الذي لا يعلم عن هذه البلاد شيئاً ، ان يعلم كل شيء . .

ولست ادعي اني استكملت فيه كل ما ينبغي ، او اني أمنت الزلل ، فالكمال والعصمة لله. ولمن يحبون الاطلاع على ما في الافئدة اقول ولا أجمجم: اني قصدت في هذا الكتاب شيئاً واحداً هو ، خدمـة قضية عربية وخدمة شعب عربي ــ هم قومُنا ــ يعصف بمصيره الضلال المبين، لا خدمة أشخاص زائلين !

محمد يوسف مقلد

بيروت

الفصل الأول

أفريقيا في مجرى التاريخ العربي - الإسلامي

معلومات أولية عن موريتانيا

تبلغ مساحة موريتانيا ١،٠٨٥،٨٠٥ كيلو متر مربع صحراوية المناخ أينما ضربت في أرجائها ، ولا عجب فهي قطعة من صميم الصحراء الافريقية الكبرى، وليست أرضها كلها صحراء كما يتوهم البعض بل ان فيها عدة غابات مهولة ، شاهدت بعضها في نواحي سليبابي .

●

عدد سكانها زهاء المليون ، منهم حوالي مئة الف زنوج وحراطنة (بيضان من اصل اسود وبالعكس) . وتسكن هذه الاقلية — الملونة — على شواطيء نهر السنغال ، ومعظمها من التوكلور والبمبرا والسراخوللي . ويتراوح عدد سكان الريف الموريتاني (على شاطيء نهر السنغال) بين التسعين والمئة الف .

●

إطلق الاسبان اسم (لوس موروس) على العرب من جيش القائد عقبة بن نافع ، الذي فتح المغرب في مطلع العهد الأموي ، وعلى إخوانهم البربر الذين عبروا واياهم مضيق جبل طارق ، وفتحوا الاندلس بقيادة القائد الخالد طارق بن زياد. وكلمة (مورو) تعني باللغة الاسبانية (اسمر) فيقال (موروس) لمجموعة من السمر . وكلمة (مور) تعني بالفرنسية عرب موريتانيا — شنقيط — وهو اسم كان يطلق قديما على جميع سكان شمال افريقيا . ولما احتلت إسبانيا بلاد شنقيط اطلقت على هذا الجزء من المغرب العربي اسم (موريتانيا) ولا تزال تعرف به الى اليوم . ومما هو جدير بالذكر ، ان موريتانيا هي المقطع الفاصل الوحيد الذي يفصل جغرافياً بين افريقيا الشمالية وافريقيا الغربية (الفرنسية) . وباقتطاع هذا الجزء — موريتانيا — من التراب المغربي ادخل في افريقيا السوداء لمقاصد سياسية

أهمها تقطيع اوصال (عالم عربي افريقي) موحد أرضاً وديناً ولغة ، فنشأ من ذلك وضع جغرافي (انفصالي) لا يزال حتى الآن منبعاً للمتاعب ..

ضمت فرنسا موريتانيا إلى حكمها في السنغال ١٩٠٣ ، أي بعد احتلال السودان ، وقد لاقت في احتلالها مصاعب شديدة ، لأن اهلها متمردون على الحكم الاجنبي ، ويتعشقون الحرية .. وعندما اعلن ديغول إنشاء الاتحاد الفرنسي سنة ١٩٥٨ ، تحولت موريتانيا الى جمهورية سميت (الجمهورية الاسلامية الموريتانية) ضمن الاتحاد الفرنسي ـ الأفريقي (الكومنولث) .

◆

رئيس حكومة هذه الجمهورية الناشئة الحالي، **محمد المختار بن داده** ، وهو شاب عمره ٣٦ سنة، ذو ثقافة فرنسية عالية ـ دكتوراه حقوق ـ وسياسته « الاستقلال مع البقاء ضمن الكومنولث الفرنسي » . وهي سياسة يناهضها كبار زعماء البلاد المبعدين امثال محمد المختار بن اباه ، وحُرمَة بن بابانا العلوي ، وامير الترارزة ابن عمّيّر . وسياسة هؤلاء « رفض كل صورة من صور البقاء لفرنسا في موريتانيا والاستقلال مع اتحاد فدرالي مع المغرب العربي » . وهذه السياسة هي فكرة معظم الشعب الموريتاني .

◆

اصبحت اللغة العربية في موريتانيا لغة البلاد الرسمية مع اللغة الفرنسية باعتبارها لغة الحاكمين . وكانت فرنسا في السابق تحارب انتشار لغة القرآن في افريقيا بجميع الوسائل الظاهرة والخفية .. ولكن البيضان ، وهم عرب مسلمون استطاعوا بقوة ايمانهم التغلب على ارادة المستعمر الخبيثة ، والمحافظة على اللغة العربية ونشرها في عدة أقطار افريقية اخرى ، وخاصة في السنغال والسودان .. ولاهل البلاد لغة اقليمية هي (الحسانية) يتكلمونها في حياتهم اليومية العادية ، وهذه اللغه العامية ليست غريبة عن العربية الفصحى .

◆

---

[1] نصت المادة ٣ ـ الفصل الأول ـ من الدستور الموريتاني على ما يلي : « اللغة الوطنية في موريتانيا هي العربية . واللغة الرسمية هي الفرنسية »

اصبح يوجد في موريتانيا اليوم إذاعة حكومية ، هي (صوت موريتانيا) وجريدة حكومية تسمى « موريتانيا »[1] . كما يوجد « معهد اسلامي » في بوتيليميت يشرف عليه الشيخ عبد الله بن الشيخ سيديا ، رئيس جمعية ترقية الثقافة الاسلامية . ومن بين اساتذة هذا المعهد المختار الحامد استاذ التاريخ المشهور .

◆

عاصمة موريتانيا الجديدة، مدينة ما تزال في طور الانشاء تسمى « نواكشوط » ولها مستقبل عمراني عظيم ، ومناخها معتدل يشبه مناخ سان لويس التي كانت في السابق مقر الادارة الموريتانية ابان الاستعمار الفرنسي . وهي تقع على شاطىء البحر الأطلسي ، وعندها كل الامكانيات الطبيعية لكي يكون لها اكبر مرفأ في افريقيا يضاهي مرفأ دكار .

◆

كانت مدينة « سانت ـ تيان Saint-Etiènne » عاصمة موريتانيا قديماً ، وهي الآن مرفأها الوحيد ، ويشتغل معظم سكانها بصيد السمك . ويشرع الآن بانشاء سكة حديد بين Port Gourand وبور إتيان لنقل الحديد من محل استخراجه الى الشواطىء البحرية ، كما يشرع بتوسيع مرفأ إتيان ، لتصبح صالحة لاستيعاب عدة بواخر بوقت واحد .

◆

يعرف اهل موريتانيا في افريقيا الغربية بـ (البيضان) ، تمييزاً لهم عن السودان وهم يشبهون الى حد كبير عرب اليمن والكويت والبحرين والسعودية .. وهم شديدو المحافظة على كل ما له صفة العروبة والاسلام ، في جميع مظاهرهم وعاداتهم الاجتماعية والفكرية ..

والبيضان تغلب على اكثرهم صفة (اهل بادية) في مظاهر حياتهم وتقاليدهم ،

---

[1] ـ صدر العدد الاول منها في ١٥ تشرين الثاني (نوفبر) سنة ١٩٥٧ وكانت تصدر مرتين في الشهر وكان رئيس تحريرها محمد الامين بن سميدع ، ثم استبعد وجيء بعبد الوهاب الشيكر لاسباب سياسية . والجدير بالذكر ان مكتب الجريدة ومطبعتها في مدينة سان لويس السنغالية وليس في موريتانيا .

الا الذين منهم نشأوا في وسط عصري ـ اوروبي كمدينة سان لويس ودكار وكولخ وامثالها من مدن افريقيا (الاوروبية) التقاليد والحياة، فتحضروا، وهؤلاء يسمونهم (اهل حضر) . وكل مظهر اوروبي عندهم ، سواء من حيث اللباس او اللغة أو التخلق ، يسمى (نصراني) . . وهي كلمة تعني عندهم (اوروبي) . .

◆

الاسم العربي القديم لموريتانيا : (شنقيط) . وكانت فى العصر الاول تكتب بالجيم المصرية (شنجيط) وكذلك وردت في الصكوك القديمة ، وما تزال ترد في كلام اهل المغرب وكتاباتهم على هذا النحو . ففي البراءة التي كتبها الملك محمد الخامس ـ كما رأيت ـ لمجلة (شنقيط) التي تصدر بالمغرب حالياً ، وردت بالجيم (شنجيط) . وشنقيط تعني عندهم عيون الخيل . وهذا الاسم يطلق في الاصل على مدينة من مدن آدرار ، واقعة فوق جبل من جهة غرب الصحراء الكبرى ، ثم سمي به القطر كله من باب تسمية العموم باسم بعضه .

◆

موريتانيا فقيرة في مواردها الطبيعية يعيش اهلها من تصدير المواشي والصمغ العربي والملح وبعض الحبوب . وقد اكتشفوا فيها مؤخراً النحاس والحديد في منطقة (فوركورو) وافد يرك ويقال ان ارضها ـ وهي صحراوية ـ غنية بمادة البترول اذا اتيح له من يستخرجه . وقد حصل الرئيس بن داده مؤخراً على قرض مالي من البنك الدولي ٦٥ مليون دولار لشركة مفرما التي تعهدت باستخراج المعادن الموريتانية واستثمارها لصالح البلاد . ويقول العارفون والخبراء : إن معادن موريتانيا إذا استخرجت كما ينبغي فستصبح أضخم منجم عرفه العالم .

◆

غالبية السكان في موريتانيا تتألف من القبائل الرحل التي تنتجع الكلأ وخاصة الزناكة ـ حول هضبات اوران والعيون وسهول السنغال وصحراء الجوف وهذه القبائل هي التي كان لها الفضل الاكبر في حمل رسالة الاسلام والعروبة إلى

الوثنيين عند احواض السنغال والنيجر وعلى امتداد المحيط الاطلسي .

◆

البيضان ، هم احفاد الزناكة (١) الذين اسسوا مملكة ، المرابطين الكبرى في القرن الحادي عشر . وهم مزيج من القبائل العربية اصلا ، والبربر المستعربين . واشهر قبائلهم : الترارزة ، والبراكنة وحسان . وقد خرجت حركة المرابطين من موريتانيا لما انطلقوا عام ١٠٥٣ ، بزعامة قائدهم يحيي بن عمر الى احتلال جنوبي المغرب من جهة ، وافريقيا الغربية من جهة ثانية . واستلم قيادتهم يوسف بن تاشفين ، فاتح مراكش ، سنة ١٠٦١

◆

تملك موريتانية اكبر ثروة حيوانية بالنسبة لعدد سكانها . ففيها ما ينوف عن سبعة ملايين رأس غنم ، ومليون رأس بقر ، وحوالي المليون ايضاً من الابل ، وفيها عدد غير قليل من الماعز ايضاً .

◆

القسم الشرقي من البلاد صحراوي للغاية، ومناخه كالسودان من حيث الجفاف والحرارة . وتهطل الامطار في مناطق الهضبات ، ولكنها غالباً ما تكون قليلة لا تكفي لري الارض .

◆

دين موريتانيا الاسلام ـ المذهب المالكي ـ وكذلك بقية الشعوب الافريقية الاسلامية الأخرى .

الصفات العربية صفات بارزة جداً عند الموريتانيين ، فالكرم ، والشجاعة ، ونبل المحتد، والشهامة الخ . من الصفات التي تغنى بها الشعراء العرب في جاهليتهم واسلامهم ـ كل ذلك من مميزات العربي الابيض في افريقيا .

يسكن معظم البيضان في موريتانيا وطنهم الاصلي اليوم . الا انهم بحكم تنقلهم

---

١ ـ كذا ، زناكة ، تلفظ كالكاف الفارسية ، وهي كاف مغربية يكتب عليها ثلاث نقط من فوق . وهي واردة في كتب التاريخ : (زناتة) .

للتجارة وبث الدعوة الاسلاميه ونشر اللغة العربية ، اصبحت لهم كثافة كبيرة في عدد من المدن الافريقية الكبيرة ، كدكار ، وتياس ، وكولخ ، وسان لويس ، واللوغا ، وبودور ، ودجربل الخ .. وكذلك في السودان (الفرنسي سابقاً) ، كالخاي ، وبمكوه .

حدود القطر الجغرافية كما يلي :

شمالا : الساقية الحمراء او وادي الذهب (ما تزال في يد إسبانيا وهي الآن موقع خلاف بين البلدين لانها مغربية الأصل) .

جنوباً : قاع بن هيب .

شرقاً : ولاتة النُّعْمَة .

غرباً : السنغال (النهر والبلاد) .

◆

الموريتانيون من حيث التقسيم العنصري (الاصل) ثلاثة اقسام : حسان ، والزوايا ، واللحمة . فالأول كان يتوغل في البلاد وينشر الاسلام وهم «المجاهدون» والثاني اشتغل باحياء العلوم ، وهم الزوايا ، والثالث يشتغل باصلاح الاموال والمرافق وهم « اللحمة » .

◆

في موريتانيا الحديثة ــ اليوم ــ حركة نقابية ناشطة في صفوف العمال واصحاب الحرف ، تسير بخطى حثيثة نحو تبوء المركز اللائق بها بين النقابات الناهضة ، رغم ما يوضع في طريقها من عراقيل من قبل السلطات المحلية ، واشهر هذه الهيئات النقابية هيئة (الاتحاد النقابي في موريتانيا) . وفيها حزبان : (حزب التجمع) وهو حزب الحكومة الحالية ، وحزب النهضة المعارض ، القائل بوجوب الاستقلال التام عن فرنسا واعلان سياسة الاتحاد مع المغرب .

◆

هناك خطأ شائع عند كثرة من الناس ، بينهم كتاب ومؤلفون ، اذ يسمون مراكش بالمغرب الاقصى ، مع انها تسمى بالمغرب الاوسط من حيث وقوعها الجغرافي وتقسيمات افريقيا الشمالية عند علماء التاريخ كابن خلدون . اما (المغرب الاقصى) ، فهو موريتانيا بالذات لانها تقع في اقصى الصحراء المغربية مما يلي جمهورية اتحاد مالي (السنغال والسوذان) . ويرجع شيوع هذا الخطأ الى غرق موريتانيا في عالم المجهول واللاحسبان قبل اليوم ..!

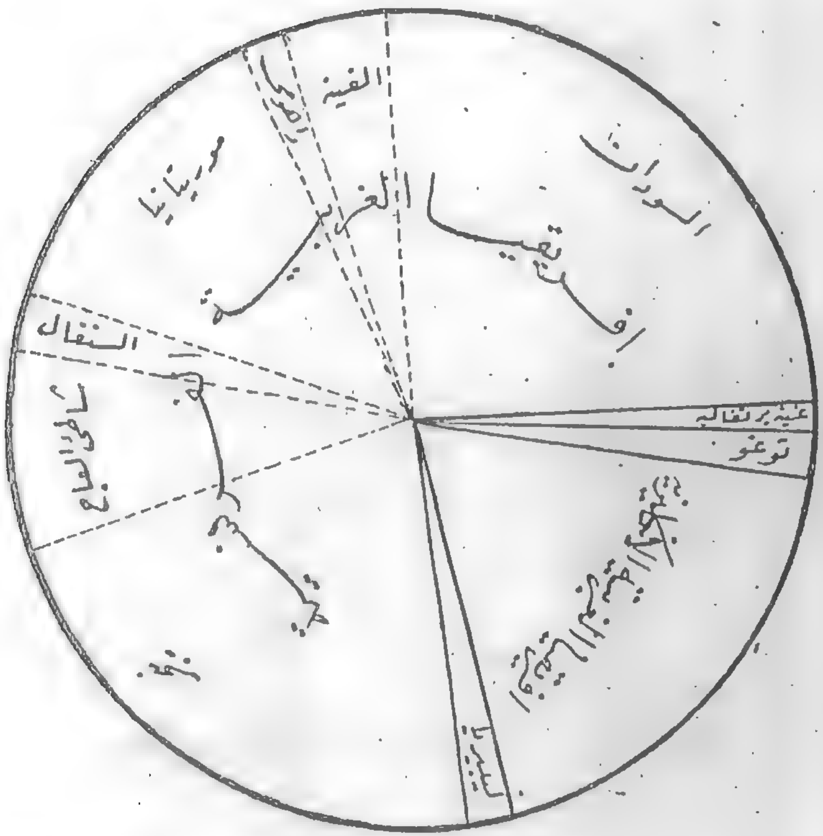

مقابلة رمزية بين مساحة الاقطار الافريقية (الغربية) وتبدو موريتانيا بينها

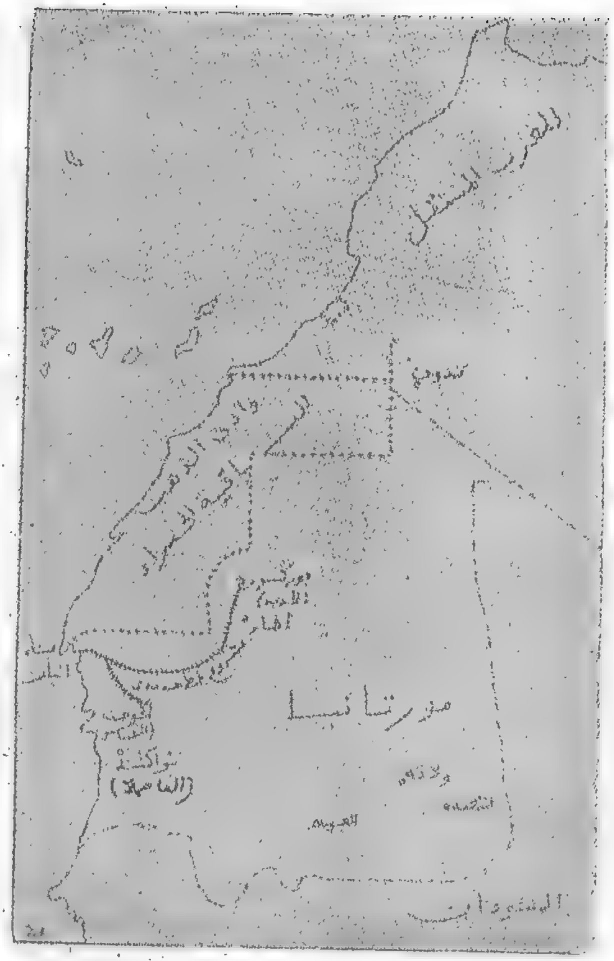

خريطة صناعية تبين مواقع مناجم الحديد والنحاس في موريتانيا كما وضعتها شركة مفرما الفرنسية بالاشتراك مع البنك الدولي للانشاء والتعمير . والخريطة تبين أيضاً صحراء المغرب بمعناها الواسع من الشمال الى الجنوب بين وادي درعة ونهر السنغال ، ومن المغرب الى الشرق بين المحيط الاطلسي وصحراء الجزائر وصحراء « مالي » .. وتلاحظ ايضاً على الخريطة الحدود الداخلية في منطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب الواقعتين تحت النفوذ الاسباني حالياً ، ثم مناطق اخرى كانت فرنسا قد اقتطعتها لنفسها وضمتها بمقتضى عمل انفرادي الى الصحراء الجزائرية املا باستبقائها لها . .

جنسيّة موريتانيا التاريخيّة

اجمعت جميع النصوص التاريخية المعتبرة ، على ان موريتانيا وحدة جغرافية وبشرية من المغرب .. وهي حقيقة — نسوق الادلة الساطعة عليها فيما يلي — لا ياتيها الباطل من خلفها ولا من أمامها ، ولا عن يمينها ولا عن شمالها ...

والتاريخ محكمة قديمة خالدة نزيهة ، وجدت قبل ظهور الغايات السياسية ، والاهداف الشخصية التي تريد ان تجعل للأوطان المختلف عليها مصيراً غير مصيرها المكوّن قبل مئات السنين .. وفي هذه المحكمة التاريخية (اضبارة) كبيرة تنص على تبعية هذا البلد العربي الافريقي ، على حقائق دوّنها مؤرخ كبير معروف هو ابن خلدون المغربي نشأة ووطنا (واهل مكة ادرى بشعابها ..) وغيره من المؤرخين المعتمدين :

كل الاوطان ، اذا حققت ، تجد انها كانت في الماضي السحيق من الأيام ، لغير اصحابها الحاليين ، فمثلا : هل يستطيع الفرنسي والانكليزي والاميركي ، ان يقول ان بلاده كانت طيلة تاريخها أرضاً فرنسية او انكليزية او اميركية (الاصل..)؟

اذن ، فان عوامل (التجنيس) للاوطان هي الموجات البشرية الفاتحة التي تتفاعل وتتوالد وتقوى على حفظ وجودها في بقعة من البقاع ، وتنشيء فيها حضارة وعمرانا ، وتكون لها حياة عملية ، وعادات اجتماعية خاصة ، وتطبعها بطابعها الخاص ، بحيث تصبح (ملكيتها السياسية) امراً لا يجادل ...

ونحن حين نقول ان موريتانيا بلاد مغربية لا نقول شيئاً جديداً .. إلا أننا لا بد ان نقرن هذا القول بنصوص مؤكدة ، لا لنقنع بها مرتابا او مغرضا ، بل لننير

سبيل بعض الجاهلين الطيبين ممن عندهم قابلية الاقتناع اذا انكشفت لهم الحقيقة فيتبعونها ..

◆

في سنة سبع عشرة وثلاثمئة والف (ﻫ) مرّ احمد بن الأمين الشنقيطي ــ صاحب الوسيط ــ بالمدينة المنورة فرأى احد الشناقطة مقيما هناك ، ويعيش من (وقف المغاربة العمومي) . وكان في المدينة جالية جزائرية صغيرة تعصبت على الشنقيطي ومنعته من اخذ حصته مدعية ان الشناقطة ليسوا من المغاربة ..

فلما قدم صاحب الوسيط الى المدينة ، وعلم بما جرى ، اجتمع بالجزائريين ، وقال لهم : « ان سيدي العربي السائح نص في كتاب (البغية) على ان الشناقطة من اقصى المغرب . وذكر انه رأى في دار كتب المرحوم عارف حكمت بك بالمدينة المنورة ، كتابا للسيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس بخط يده ، يعدد فيه اشياخه ويترجمهم . فذكر في جملتهم (عبد الرشيد الشنقيطي) ، وذكر انه مرّ عليهم بمصر متوجهاً الى فاس في قضية مماثلة (يقصد ثبوت دعوة الشناقطة بانهم مغاربة) ، فرجع الشاكي يومئذ الينا ، وقد صدق له السلطان بانهم من المغاربة(١) .

ونصت (النخبة الأزهرية) وهي من اوثق المصادر التاريخية ــ نصت على ان شنقيط من المغرب (٢) ، واورد ابن خلدون في معرض كلامه عن عرب المعقل من بطون الطبقة الرابعة ، ان هذا القبيل من اوفر قبائل العرب ، ومواطنهم بقفار المغرب الاقصى ، مجاورون لبني عامر من زغبة في مواطنهم بقبلة تلمسان ، وينتهون إلى البحر المحيط (الأطلسي) من جانب الغرب ، وهم ثلاثة بطون : ذوي عبد الله ، وذوي منصور ، وذوي حسان . والذي عليه القول هنا هم (حسان) ، لان موريتانيا تعرف ببلاد حسان لكثرة المنتسبين إلى هذا القبيل .

---

(١) ان ذلك السلطان هو سيدي محمد عبد الله ــ الوسيط ص ٤٢٣ .

(٢) قالت : « ومن الواحات الشهيرة فيها (يعني صحراء شنقيط) غربا الادرار ، وتسكنها قبائل الارواد ، وهم مغاربة مسلمون ، ومركزها واذان ، ومدنها شنقيط وتاغنت ، وتيشيت ، وولاته » الخ .. ص ١١٩ ، ج ٢٦ م ٦ .

وقد عين ابن خلدون مواطنهم عند درعة من البحر المحيط (الاطلسي) وقال ان شيوخهم ينزلون في بلدة نول ، قاعدة السوس ، فيستولون على السوس الاقصى . وما إليه ، وينتجعون كلهم في الرمال الى مواطن الملثمين من كدالة ومستوفة ولمتونة . وهذا الوصف ينطبق على موريتانيا والموريتانيين تمام الانطباق .. فهل بعد الحق إلا الضلال المبين .. ؟

كيف دخل العرب المغرب؟

ان المغرب ــ ومن ضمنه موريتانيا ــ لم يكن وطناً للعرب قبل الاسلام ، وانما انتقلوا اليه في أواسط المئة الخامسة بواسطة قبائل من بني هلال وسليم . واما آخر مواطن العرب ، فكانت برقة ــ كما سيأتي ــ وكان فيها بنو قُرّة بن هلال بن عامر.

كانت بطون هلال وسليم من مضر لم يزالوا بادين (اهل بادية) منذ الدولة العباسية ، وكانوا أحياء ناجعة بمجالاتهم في قفر الحجاز بنجد : فبنو سليم مما يلي المدينة ، وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف . وربما كانوا يطوفون رحلة الشتاء والصيف أطراف العراق والشام ــ لبنان كان من الشام ــ فيغيزون على الضواحي يفسدون السابلة ، وربما اغار بنو سليم على الحجيج ايام الموسم بمكة ، وايام الزيارة بالمدينة . .

ولما تغلبت شيعة بن عبدالله المهدي على مصر والشام ــ الجمهورية العربية المتحدة حالياً ــ وكان القرامطة قدموا على أمصار الشام ؛ فانتزعها العزيز منهم وغلبهم عليها وردهم على اعقابهم الى قرارهم بالبحرين ، ونقل اشياعهم من بني هلال وسليم ، فانزلهم بالصعيد ، وفي العدوة الشرقية من نهر النيل فأقاموا هناك .

ولما انساق ملك صنهاجة بالقيروان الى المعز بن باديس بن المنصور سنة ٤٠٨ ، قلدوا الظاهر لدين الله . امر الحكم على افريقيا . ثم هلك الظاهر سنة سبع وعشرين ، وولي المستنصر بالله معد الطويل أمر الخلافة .

وكانت أذن المعز بن باديس صاغية الى مذاهب اهل السنة ، وربما كانت شواهدها تظهر عليه ، وكبا به فرسه في أول ولايته لبعض مذاهبه ، فنادى مستغيثاً

بالشيخين (ابي بكر وعمر) ، وسمعته العامة ، فثاروا بالرافضة (يقصد الشيعة . .) فقتلوهم ، واعلنوا معتقدهم ، ونادوا بشعار الايمان ، وقطعوا من الاذان « حي على خير العمل (١) » . !!

وفي بعض الروايات ، أن الذي أدخل العرب إلى افريقيا ، إنما هو ابو القاسم الجُرجاني ، ولكن ابن خلدون ينفي ذلك ويقول ، بل هو المستنصر الذي بعث وزيره إلى سنة إحدى وأربعين إلى احياء هلال (من جشم والاثبج وزغبة ورياح وربيعة وعدي) ، وأجزل لامرائهم في العطاء ، ووصل عامتهم ببعير ودينار لكل واحد منهم ، واباح لهم اجازة النيل وقال لهم :

« قد اعطيتم المغرب وملك المعز ــ وفي رواية بن باديس ــ الصنهاجي العبد الآبق ، فلا تفتقرون » .

وكتب الوزير اليازوري ابو محمد الحسن الى المغرب :

« اما بعد ، فقد انفذنا إليكم خيولاً فحولاً ، وأرسلنا عليكم رجالاً كهولاً ، ليقضي الله امراً كان مفعولاً . » ! فطمعت العرب إذ ذاك ، واجازوا النيل الى برقة ، ونزلوا بها ، وفتحوا أمصارها واستباحوها ، وكتبوا لاخوانهم بشرقي النيل يرغبونهم في البلاد . . . »

◆

اقتسمت العرب بلاد افريقية سنة ست واربعين : فكان لزغبة طرابلس (ليبيا) وما يليها ، ولمرداس بن رياح باجة وما يليها . ثم اقتسموا البلاد ثانية : فكان لهلال (١) من تونس الى الغرب ، وهم : رباح و زغبة والمعقل وجشم وقرّه والاثبج وسفيان . وتصرم المُلك من يد المعز ، وتغلب عائذ بن ابي الغيث على مدينة تونس واستولى عليها .

---

١ ــ تاريخ ابن خلدون ص ٢٩ ج ٢٦ ، طبع دار الكتاب اللبناني في بيروت .

(١) قصة بني هلال (التغريبة) من اشهر قصص الادب الشعبي في المشرق ، **واحد أبطالها** « الزغبي » ــ نسبة الى زغبة ــ ما تزال شخصيته مرتسمة في أذهان قراء تلك القصة من الجيل القديم . . !

وصف ابن خلدون الزحف العربـي على افريقيا بقوله : إنه الجراد المنتشر .. لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه !!

وفي هذا الوصف ما يطبع التصوّر بقوة الفتح واهمية الحدث التاريخي الذي عرّب جزءاً كبيراً خصباً من القارة الافريقية وأدخله بشرياً وثقافيـاً في العائلة العربية عبر المحيط الاطلسي ، وربطه برباطين : الدين واللغة ، فلم تقو المحاولات الاستعمارية بشتى اساليبها الخبيثة ، على انتزاعه منها عبر الاحقاب !

كان اول من وصل الى افريقيـا الامير رياح مؤنس ، بن يحيى الصنْبَري ، فاستماله المعز واستخلصه لنفسه وأصْهَره إليه ، وفاوضه في استدعاء العرب من قاصيـة وطنـه للاستغلاظ على نواحي بني عمه ، فاستنفر القرى وأتى عليهم فاستدعاهم اليه ، فلبوا ، ونادوا بشعار الخليفـة المستنصر ، كما سرح اليهم من صنهاجة الأولياء (١) فانتفض المعز لكبره ، وشاط بغضبـه ، وتقبض على اخي يونس ، وعسكر بظاهر القيروان .

ارتحل المعز في اولئك النفر ومن لف لفهم من الاتباع والحشم والاوليـاء ، ومن في إيالتهم من بقايا عرب الفتح ، وتحيزوا للهلاليين للعصبية القديمة ، وخانته زناتة وصنهاجة ، وتمت الهزيمة على المعز ، والتجأ الى القيروان .

---

(١) معظم الموريتانيين ، ينتسبون من حيث الاصل التاريخي الى صنهاجة (اشهر قبائل البربر) .

البربر
او « الامة الثانية » من أهل المغرب
قبل الفتح الاسلامي وبعده

للبربر في موريتانيا والمغرب ، تاريخ حافل وشأن يذكر !

لقد كان ابن خلدون ــ وهو المغربي العالم الملم بكل شاردة وواردة من أحوال بلاده أرضاً وبشراً ــ كان على جق حين سمّاهم (الأمة الثانية) بعد العرب اهل البلاد الفاتحين من حيث الأهمية العددية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية الى ما هنالك من الصفات التي تؤلف مجتمعه (الكيان السياسي) لكل وطن يبحث عن كيان :.

هؤلاء البربر ، جيل عريق في القدم والبطولات ، ذو شعوب وقبائل اكثر من ان تحصى حسبما هو معروف في تاريخ الفتح بافريقيا والمغرب ، وفي اخبار ردّتهم وحروبهم فيها . فقد ارتدّوا بافريقيا المغرب اثنتي عشرة مرة ، وزحفوا في كلها للمسلمين ، ولم يثبت إسلامهم الا في ايام موسى بن نصير ، وقيل بعدها .

وقد حفل تاريخ تلك البلاد بما كان لهم في الصحراء والقفر من ذكر ، ومـا شيدوا من الحصون والآطام والأمصـار من سجلماسة ، وتجورارين ، وفيجيج ، ووارکل ، وبلاد ريغة ، والزاب ، ونفزاوة والحُمّة ، وغُدامس ، ثم كان لهم من الايام والوقائع والدول والممالك ، ثم ما كان بينهم وبين طوالع العرب من بني هلال في المئة الخامسة بافريقيا ، وما كان لهم مع دولة آل حماد بالقلعة ، ومع لمتونة بتلمسان من الموالاة والانحراف ، واقطاعهم مساحات واسعة من بلاد المغرب ،

وما تشبهه به الاخبار بأنهم جيل عزيز على الايام ، وانهم قوم مرهوب جانبهم ، شديد بأسهم ، كثير جمعهم ، مظاهرون لأمم العـــالم واجياله من العرب والفرس واليونان والرومان !!

نقل ابن ابي الرفيق ، ان موسى بن نصير لما فتح « سقوما » كتب الى الوليد ابن عبد الملك : « انه صار لك من سبي (سقوما) مئة الف رأس » ..! فكتب اليه الوليد بن عبد الملك :

« ويحك .! اني اظنها من بعض كذباتك !! فان كنت صادقـــاً ، فهذا محشر الأمة » !!

* * *

كان دين البربر المجوسية . شأن الأعاجم كلها بالمشرق والمغرب ، إلا في بعض الأحايين كانوا يدينون بدين من غلب عليهم من الأمم .. وبهذا التأثير (تمغربوا) حينما تغلب عليهم العرب ، وهزمهم عقبة بن نافع ..

ولما أسلموا وحسن اسلامهم استعربوا واصبحوا من غلاة العرب .. كذلك اصبحوا يتصفون بانبل الصفات الانسانية من كرم وشجاعـــة ونجدة وغيرة على الدين والوطن .. !

من مشاهيرهم الأمجـــاد : بلكّين[1] بن زيري الصنهاجي عامل افريقيـــا موريتانيا ـ للعبيديين ، ومحمد بن خزر ، وعروبة بن يوسف الكتامي القائم بدعوة عبد الله الشيعي ، ويوسف بن تاشفين ملك لمتونة بالمغرب ، وعبد المؤمن بن علي شيخ الموحدين وصاحب الامام المهدي .

وكان عظماؤهم من اهل الطبقة الثانية السابقين الى الراية ، بـــين يدي دولهم ، والماهدون لملكهم بالمغرب الأقصى (موريتانيـــا) ، والاوسط ، (مراكش) كبيرهم يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين .

وكان من المبرزين منهم ، يوسف بن تاشفين ، وعبـــد المؤمن بن علي ، عبدالحق وبنوهم . فقد كان لهم يد فضلى في الاهتمام بالعلم والجهاد وتشييدالمدارس واختطاط الزوايا والربط ، وسد الثغور وبذل النفس في سبيل الله والدين .

ذلك الجيل من الناس ـ البربر هم من سكان المغرب القديم ، ملأوا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره . كانوا يتخذون البيوت من الحجارة والطين (اللبن) ومن الخوص والشجر ، ومن الشعر والوبر . ويظعـــن اهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعي من الرحلة ، لا يجاوزون فيها الريف الى الصحراء والقفر الأملس ، ومكاسبهم الشاة والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتـــاج ، وربما كانت الابل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب ..

وكان معاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة ، ومعاش المعتزين أهل الانتجاع والأظعان في نتاج الابل وظلال الرماح وقطع السابلة .. ولباسهم أكثر اثاثهم من الصنوف يشتملون الصماء بالاكسية المعلمة ، ويفرغون عليها البرانس الكحل ورؤوسهم في الغالب حاسرة .. وربما يتعاهدونهـــا بالحق . ولغتهم من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها ، وهي التي اختصوا من اجلها بهذا الاسم ..

هذه الصفات (التاريخيـــة) المدونة في كتب التاريخ ، هي عـــين الصفات والأحوال التي نراها في موريتانيا والمغرب اليوم .. وهي التي يمكنها ان تجمع بين البلدين المنفصلين ـ سياسيا ـ بعرى لا تنفصم برغم كل سياسة ومكابرة .. !

●

قد يسأل سائل : كيف ربح العربُ البربرَ في المغربين الأقصى والأوسط ؟ وكيف نزلت هذه الامة القوية الشكيمة ، الامة البربرية على حكم المصير العربي المشترك ، وجعلت عرش المغرب إماما لها وملاذاً ؟

ليست القوة التي فعلت هذه المعجزة ، فما كانت امة البربر من الامم الواهنة المتهافتة التي تخضع للقوة وهي التي كانت قوة كل قوة .. وانما صنع هذه المعجزة ـ عملية الاستعراب ـ صفات الاسلام الاخلاقية والروحية ...

لقد كان للمعامـــلة الحسنة التي عامل بها المسلمون البربر ابان الفتح المظفر في افريقيا ، اذ اشركوهم في الخير والشر ، وساووهم بانفسهم ، كان لذلك اثر كبير في حمل العدد الكبير منهم على اعتناق الاسلام ..

---

[1] (١) وكذا : بلقين اوردها ابن خلدون .

وكان البربر لا يملكون لغة مكتوبة يستطيعون التخاطب بها واستعمالها ، فوجدوا في اللغة العربية ضالتهم المنشودة ، فقبلوها ، وقبلوا معها كتابها الكريم .

وهكذا .. تم للعرب ان يجعلوا من افريقيا (قطراً عربياً) مسلما ، نفض عنه غبار البربرية ، واقبل أهله على الحضارة الاسلامية يعبون منها ، فتكونت لتلك البلاد شخصيتها التي لا تزال تتمتع بها الى الآن .

أخبار المرابطين والموحدين

أفل نجم العرب في الاندلس ، وأضاء في افريقيا ، وما يزال !

تلك حقيقة مشهورة ولكن من جانب واحد : عنيت الاقطار العربية الثلاثة في افريقيا الشمالية . فالمشهور عندنا في المشرق ، والقائم في اذهان الخاصة والعامة عندما نقول : « عرب افريقيا » هو انما نعني مراكش وتونس والجزائر ، وانتهى الامر ..

ولكن الامر لم ينته .. فالجانب الاخر المغمور من الحقيقة ، هو موريتانيا ، القطر العربي العريق المناضل الصابر النائي !.

والموريتانيون هم ـ في الحقيقة ـ احفاد المرابطين والموحدين الاول الذين بسطوا سلطان العرب على ارض الاندلس ، وساهموا في نشر الدعوة الاسلامية واللغة العربية في اصقاع واسعة من الافريقيتين : السوداء والبيضاء !

إن الذين يعرفون موريتانيا أرضاً وشعباً ـ مثلي ـ يعرفون كم هي شديدة ومتينة ومحفوظة روابط التاريخ بين الأجداد الماضين ، والأحفاد الحاضرين !

ولا كالبيضان شعب في الدنيا احرص على الروابط القومية والتقاليد العنصرية والدينية ، واشد تمسكا (بالشخصية) التاريخية منهم !

فالتاريخ ، الاسلامي والعربي ، عندهم جزء من روحهم وكيانهم السياسي والاجتماعي لا يتجزأ .. ولذا نرى من واجبنا ان نعرض الصلات التاريخية التي تنير الطريق امام الجيل الموريتاني الجديد ، فيسير على هدى ماضيه وحاضره ، فلا يتعثر ولا يضل ..

***

ان الموجة النُّورآنية التي رافقت الفتح عبر افريقيا الشمالية الى

صحراء موريتانيا لا تستعصي اخبارها على كـل باحث او مؤرخ .. وأياً كان الباحث ـ مسلما أو غير مسلم ، عربياً أو غير عربي ـ فانه حين يقرأ تاريخ الفتح الاسلامي لافريقيا ، لا بد وان يصل الى موريتانيا ويتوغل حتـى يصل الى نهر النيجر ونهر السنغال ..!

على ان هذين النهرين الافريقيين ليسا حداً فاصلا (للاسلام) ، ولكنهما حد فاصل بين (قوميتين) آخى بينهما الدين إخاءروحياً مع حسن تفهم للواقع السلالي والتاريخي ، وحسن جوار .. وهذا موضوع آخر طويل ، ليس هنا مجال البحث فيه وسيأتي الكلام عليه .

نريد هنا ان نلم بطرف قليل من اخبار المرابطين والموحدين ، ونتحدث عن اللمتونيين ، لما لهم من كرامة ومعزة عند أحفادهم من الإفريقيين الموريتانيين :

في سنة ١٠٧٩ م ، اعلن ألفونسو الحرب على طليطـلة (الغوط القديمة) ، وكان الأمير القادر بالله ـ قبل ان يبدأ الفونسو بمحاربتها ـ قد اضطر الى مغادرة المدينة فراراً من عواقب ثورة قامت بها .

دخل الفونسو السادس طليطلة (العاصمة) في السابع والعشرين من محرم سنة ٤٧٨هـ الموافق ٢٥ ايار (مايو) سنة ١٠٨٥م . وهكذا عادت الغوط القديمـة الى حظيرة النصرانية بعد ان حكمها المسلمون ثلاثمائة وسبعين عاما ، واتخذهـا ملك قشتالة ، حاضرة ملكه في ذلك الحين ، وغدت بعد ذلك عاصمة النصرانيـة . ولم يمض قليل حتى عاد اسقف طليطلة الى تبوّء منصبه كرئيس للكنيسة الاسبانيـة ، كما كان الشأن ايام المملكة القوطية .

ولما كانت طليطلة دائماً مستوطن كثير من النصارى واليهود، فقد تناقص عدد سكانها من المسلمين بسرعة . ذلك أن كثيراً من النصارى هرعوا اليها عندئذ من انحاء قشتالة وليون ومن جهات اخرى . وتحت هذا الضغط الصليبي هجرها كثير من المسلمين ممن تبعوا أميرهم القادر بالله الى بلنسية (بالاندلس) التي منحت ولايتها اليه ، بمعاونة الفونسو نفسه، وكان ذلك من عوامل امتداد الاسلام باتجاه الصحراء المغربية (موريتانيا) وهكذا اختتمت دولة بني النون في طليطلة

عبد الله بن ياسين

داعية الاسلام

كان اللمتونيون الذين اشتق اسمهم من ثوبهم البسيط (اللمت) ، يرجعون أصلهم مثل اقربائهم من بني كُدالة ومسطاسة[1] الى قبيلة صنهاجة التي نزحت الى بلاد العرب (المغرب) . وكانوا من البدو الرحل يتنقلون في صحارى افريقيا من واحة الى اخرى ، حتى انفصلوا في النهاية عن باقي القبائل ، ونزلوا في ناحية غربي افريقيا — الموريتانيا حالياً — على مقربة من المحيط الاطلنطي (الاطلسي) .

وكانوا يجهلون العلوم والفنون والكتابة ، ويجهلون تعاليم الاسلام بالرغم من مجاورتهم للامم الاسلامية . وكان دينهم (المجوسية) ، وقد حرموا تذوق الرفاهية التي تخلقها حضارة الانسان ، ولكنهم كانوا ايضاً بمنجاة من الرذائل التي تترتب على ارتفاع مستوى الحياة البشرية . .

وفي أواسط القرن الحادي عشر الميلادي ، خرج يحيى بنُ ابراهيم اللمتوني لتحصيل المعارف التي تنقص قومه في البلدان الاخرى ، فتجول في بلاد المغرب ، ورحل الى بلاد العرب . ووقف على مبادىء الاسلام ، وكذا على العلوم والمعارف التي كانت ذائعة في العالم الاسلامي . وكان يحز في نفسه ما يراه من شدة تأخر قومه عن الامم المتمدنة ؛ فعقد العزم على ألاّ يدّخر وسعاً في تثقيف اللمتونيين في صحاريهم بعلوم الاسلام ، وتعريفهم بمزايا المدنية : وكان يحتاج الى عالم مسلم ، فوقع على بغيته بالقيروان ، على يد فقيه من معارفه ، والفى طلبته في رجل يضطرم غيرة لتلك المهمة الشاقة ، هو عبد الله بن ياسين الكزولي او (الجزولي) .

وكانت قبائل لمتونة وكدالة ومسطاسة تعرف باسم مشترك هو (الملثمون) او المقنعون ، وذلك إما لانهم كانوا يتخذون في أعراسهم نوعاً خاصاً من الحجاب ؛ او لانه حدث ذات مرة في بعض حروبهم ، ان نساءهم كن يقاتلن معهم بحجاب حتى يحسبن في عداد الرجال . .

واستقبل (الملثمون) الرسول الجديد عبد الله بفتور بادىء ذي بدء ، ولكن دروسه ما لبثت ان نفذت الى قلوب البدو ، وما لبث ان رفعه اولئك المسلمون الجدد الى اعظم مقام ، واتخذوه سيدهم وحاكمهم ، ثم دانت معظم قبائل الصحراء لعبد الله ، تارة بالاقناع ، وتارة بالسيف . .

واعلن زعيم الملثمين نفسه ابو زكريا بن يحيى بن عمران تلميذه وتابعه ، وقنع من الزعامة بقيادة المجاهدين (في سبيل الله) الى ميدان الحرب ، فاختاره عبد الله وهو الامام وصاحب الامر ، اميراً وقائداً ، وأطلق على الملثمين اسماً جديداً هو (المرابطون) ، أي الذين يتعاهدون على ان يخصصوا انفسهم لخدمة الله بمعنى آخر مشتق من كلمة (الرابطة) . وبمعنى أدق واوضح : الذين تجمعهم رابطة الدين والعبادة حتى الانقطاع عن الناس . واصل معنى الرباط والارتباط : الخيل بازاء العدو في الثغور ، ومنه (المرابط) ، وهو من لازم الثغر لدفع العدو ، أخذاً من قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا ، اصبروا ، وصابروا ، و (رابطوا) ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » . . .

وبث الدين الجديد في اهل الصحراء حماسة واضطراماً ، ودفعهم وزعماءهم الى الفتح ، فسارعوا من نصر الى نصر . وكان المغرب الاقصى (موريتانيا) قد استقل عن اسبانيا المسلمة في أوائل القرن الحادي عشر ، وبسط آل زيري ، من قبيلة زناته (ازناكه) ، سلطانهم على معظم أرجائه ، فغمرته جيوش المرابطين الضخمة ، وكانت تتألف من فرسان مهرة ، وتضم بالاخص صفوفاً من المشاة

---

[1] ١ — وورد لها اسم محرف (مسطانة) . وهنالك قبيله اخرى من قبائل صنهاجة تسمى (مسوفة) ولكن الارجح انه قصد الاولى . وكدالة ، وردت ايضاً (جدالة) . — راجع روض القرطاس طبع اوروبا ص ٧٥ وابن خلدون ج ٦ ص ١٤٤ ، والاستقصاء في اخبار المغرب الاقصى للسلاوي ٢ ص ٩٨ ، وابو الفداء ، ص ١٧٤ .

البارعين في فنون القتال .

كان مؤسس الدولة المرابطية يضطرم بتعصب مغرق استطاع ان يبثه في قبائل الصحراء . وكان يرى سحق جميع الذين لا يتلقون تعاليمه كلها دون قيد او شرط .. وكان شديد التقشف في مأكله ومشربه ، وكان خطيباً موهوباً ، قوي الاقناع والتأثير ، واسع العلم والمعرفة ، يرى فيه البدو البسطاء مخلوقاً فوق البشر .. حتى لقد بلغ من نفوذه لدى هذه الجموع البدائية ، ان استطاع ان يقودها لفتح المغرب والقبائل البربرية ... وكانت تعاليمه غاية في البساطة تسير جنباً الى جنب مع نظم الدولة البسيطة .

وكانت اخص واجبات المرابط ، الورع ، تنحصر في الصلاة والزكاة وأداء العشر . وكانت الغنائم التي تحصل في الحرب ، بعد ان يفرز منها خمس الامام ، توزع على المجاهدين ، فتحفزهم بذلك الى الغزو ، والظفر من جديد ..

في مراكش :

لما توفي عبدالله بن ياسين ، قبض ابو بكر بن عمر على زمام الحكم دون شريك ، ولم يكن قبل ذلك سوى قائد للامام . ولما كبر مقامه وعظم شأنه ، رأى ان يختار موقعاً يبتني فيه عاصمة جديدة لمملكته ـ الموريتانيا والمروك ـ وسرعان ما ظفر بهذا الموقع في بسيط حافل بالزرع والماء ، واقيمت به غير بعيد قصور ومنازل عديدة ، وسميت المدينة الجديدة باسم (مراكش) . ومع ان أبا بكر لم يشرف على بنائها ، بل اشرف عليه خلفه ، فانه يجب ان يعتبر مؤسس هذه المدينة الشهيرة ، وكان تأسيسها على الارجح في أوائل سنة ٤٥٤ هـ ـ ١٠٦٢ م[١] .

ذلك ان أبا بكر كان مشغولا باختطاط عاصمته الجديدة ، اذ نشبت حرب اهليه بين قبيلتي كدالة ولمتونة ، فهرع الى الصحراء ـ الموريتانيا ـ لكي يحول بتدخله دون ان تبطش احدى القبيلتين بالاخرى ، وكانت كلتاهما تقاتل الاخرى

---

[١] ـ تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين للمؤرخ الالماني يوسف اشباخ ترجمة محمد عبد الله عنان .

بمنتهى النكال والشدة ، دون ان تتضح اسباب هذه الخصومة . ولما تعذر اقناع القادة من الفريقين بعقد الصلح ، بادر الامير الى نجدة لمتونة في خيرة جنده ، نصرة لها على خصومها ، واستخلف ابن عمه يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن ترتوت من قبيلة صنهاجة على العاصمة الجديدة ، وامره ان يتم تخطيطها وبناءها[١] .

وبينما كان ابو بكر يقاتل كدالة في الصحراء ، عمد يوسف بن تاشفين الى توطيد سلطانه في المغرب الأقصى . وكان هذا الرجل الذي خلق للزعامة يجمع بين جمال الطلعة والجسم ، وبين ابدع المواهب العقلية . وكان يتمتع بأوفر قسط من الذكاء والرأي الثاقب والشجاعة وبعد النظر ، وهي اخص صفات الزعامة . وكانت شهامته وشغفه بالحرب موضع تندر كالخيال ، وكان يقودها بفطنة وحسن طالع ، يسبغان عليه خلال الفروسية . وكان جوده وولاؤه واحتقاره لمظاهر الترف في الملبس والمسكن تكسبه محبة شعبه . وتقوي في نفوسهم من جهة أخرى عواطف التوقير والشرف التي وطدتها صرامته وعدالته . وقد بلغ من اعتداله وتقشفه ، انه لم يكن يأكل سوى خبز الشعير ولحم الابل ، ولا يشرب سوى لبن الابل .. وإلى هذا الاعتدال والتقشف يرجع الفضل فيما كان يتمتع به من صحة بديعة وقوة ، كونه عاش مئة عام ، وهو عمر نادر البلوغ[٢] .

وابتنى يوسف في مراكش مسجداً بديعاً ، وقصراً حصيناً . وعدة أبنية أخرى (سنة ٤٦٣ هـ . ١٠٧٠ م) بيد انه لم يهمل شأن الحرب ، وكان لديه فضلا عن حرسه الخاص المؤلف من ألفي عبد اشتراهم من ساحل غيانة ، وفضلا عن قوة أخرى تسهر على شخصه مؤلفة من بضع مئين من الصقالبة النصارى من أسبانيا ، يحذقون فنون القتال ، جيش ضخم يضم زهاء مئة الف مقاتل ، وينقسم الى خمسة جيوش ، فاذا دقت الطبول سارت الجيوش المختلفة تحت اعلامها الخاصة لمقاتلة (العدو) في اكمل نظام .

---

[١] ـ باجماع مختلف النصوص التاريخية في روض القرطاس ص ٨٩ ، وابن خلدون ٦ ص ١٨٤ ، والاستقصاء ١ ص ١٠٧ .

[٢] ـ كان مولد يوسف بن تاشفين سنة اربعمئة هجرية ووفاته كانت سنة خمسمئة (روض القرطاس ص ٨٧ وما بعدها وابن خلدون ٦ ص ١٨٤ طبع دار الكتاب اللبناني) .

هذه الجيوش ، قادها يوسف ببراعة ، فغلبت على انحاء موريتانيا ـ المغرب الاقصى ـ كلها ، وافتتحت مدينة فاس الحصينة . وملأ يوسف خزائنه بالمـــال ، وبالاخص مما انتزع من اليهود الذين كانوا يقطنون المغرب يومئذ بكثرة ، وكان يشتد في مطاردتهم .

أما ابو بكر ، فبعد ان أتم حربه ضد كدالة ، وفاز بالنصر عليها ، وقاد جيشه المظفر حتى قلب بلاد السودان (الفرنسي سابقاً) ، قفل راجعاً الى مراكش (سنة ٤٦٦ هـ ـ ١٠٧٣ م) .

كان يوسف بن تاشفين يبسط سلطانه يومئذ في شمال غربي افريقيا على مملكة تمتد من حدود غيانه خلال الصحراء وخـــلال موريتانيا ـ مراكش حتى البحر الابيض المتوسط ، ويحدها المحيط الاطلنطي من الغرب . ويحدها من الشرق ولاية قرطاجنة (تونس) التي كانت تنطوي يومئذ تحت لواء خلفاء مصر الفاطميين . .

وفي سنة ١٠٧٠م ، سقطت في يده طنجة ، وكانت في يد الأدارسة الذين اخرجوا من مالقة ، وعاونه في أخذها المعتمد ابن عباد امير اشبيلية نكاية باعدائه . .

ولما امتد سلطان المرابطين نحو المشرق بافتتاح تونس (سنة ٤٧٢ هـ ـ ١٠٨٠م) سقطت سبتة كذلك في ايديهم بعد حصار طويل (سنة ١٠٨٤) . وهنا بدت شبه الجزيرة الاسبانية لهذا الامير المطبوع على الظفر فتحاً يسير المنال ، لا سيما وقـــد دعاه اهلها المسلمون لنجدتهم ضد النصارى .

كانت موريتانيا ـ عندما كانت تحت سلطان آل زيري الزناتي ـ هدفاً لفرق المرابطين تحت قيادة ابي زكريا الذي قتل في معركة حامية . .

وجملة القول ، فقد اصبحت الاندلس من جنوبها الى تخوم شمالها تحت سلطان المرابطين الذين حكموا غرناطة ومالقة وجيان وقرطبة واشبيلية والمريه .

وهكذا فان سلطان الاسلام الذي كان على وشك الانهيار بتلك الديار ، امتد على أيدي المرابطين والموحدين وغيرهم من ملوك المغرب اربعمئة سنة اخرى . . دام سلطان المرابطين منها في بلاد الاندلس من ٥٣٩ ـ ٥٥٢ هـ .

عقبة بن نافع
على شاطئ الأطلسي

يكفي ان نقول (عقبة) ، فيفهم الناس في أقطـــار إفريقيا كلها من بيض وسود أن المقصود هو عقبة بن نافع الفهري !

لست مبالغاً إذا قلت أن لهذا الاسم من الحب والاكبار والتقديس في نفوس الافريقيين المسلمين ما ليس لسواه من القديسين . . فهو يمثل عندهم المثل الأعلى للايمان العظيم ، والرمز الأسمى للبطولة الفاتحة !

حتى إن طائفة من الافارقة السود ، يعلنون بفخر واعتزاز انتسابهم الى هذا الفـــاتح العظيم ، ويُدِلون على اخوانهم الآخرين بـــه ممن ليست لهم أنساب تكسبُ الفخر . . !

عقبة بن نافع ـ اكرم وأعظم بهذا الاسم ـ هو من وقف بجواده عند شاطيء المحيط الاطلسي في سنة ٦٨٢ ميلادية ، وقال كلمته المشهورة :

« يارب ! لولا هذا البحر المحيط ، لمضيت في البلاد مدافعاً عن دينك ، ومقاتلا من كفر بك » ! عقبة ، هو من حمل رسالة الايمان الكبرى إلى المغرب فنفخت في روحه روحاً كالشعلة المضيئة المطيفة ، انارت شواطيء (بحر الظلمات) حـــين كانت غائصة في الحيـــاة الوثنية والتقاليد البدائية ، ورسمت للانسان الافريقي صورة الانسانية المحترمة ، كما املتها تعاليم الاسلام !

عقبة هذا ، ولد قبل وفاة النبي بسنة واحدة . قال إبراهيم بن القاسم : وصل عقبة بن نافع إلى إفريقيا في عشرة آلاف من المسلمين فافتتحها ودخلهـــا وقال : « إن افريقيا إذا دخلها إمام اجابوه للاسلام ، فاذا تركها رجع من كان أجاب

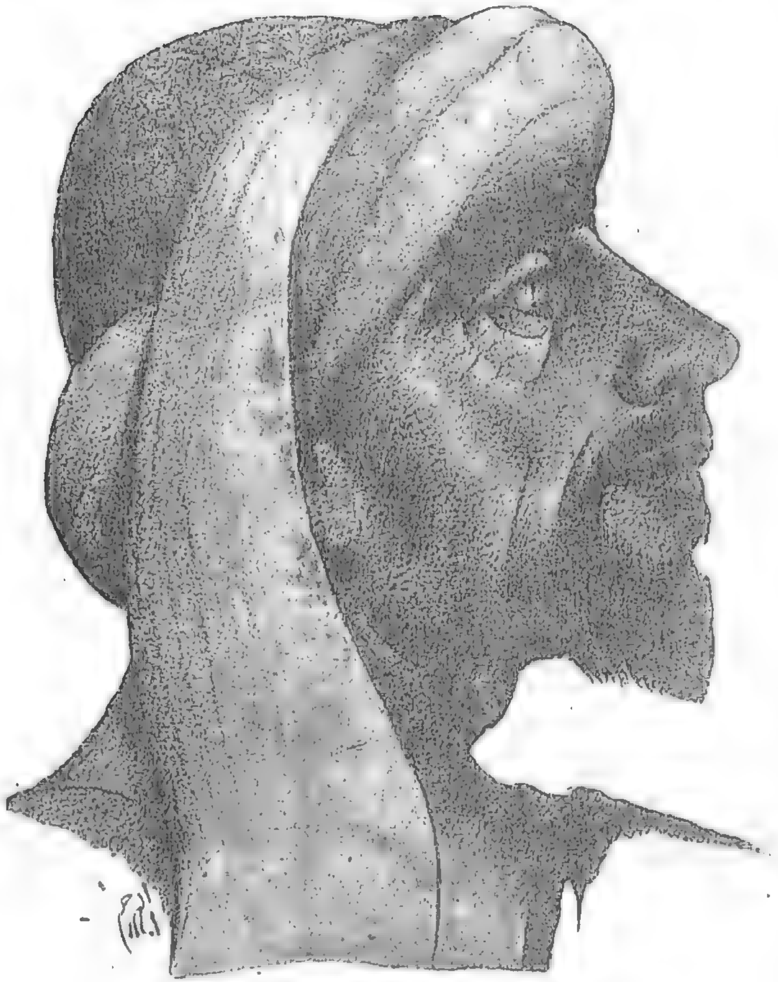

عقبة . . كما تخيله المؤلف . .

منهم لدين الله إلى الكفر . . فارى لكم يا معشر المسلمين ان تتخذوا (مدينة)(١) ، تكون عزاً للاسلام الى آخر الدهر(٢) .

---

(١) مدينة : اسم يطلق على بلدة إفريقية تقع على بعد ٣ ك م من دكار القديمة . والوصف التاريخي الوارد ينطبق عليها اشد انطباق . .

(٢) البيان المغرب في اخبار المغرب لابن عذارى المراكشي .

فاتفق الناس على ذلك ، وان يكون اهلها (مرابطين) قرب البحر ، ليتم لهم الجهاد والرباط . . فقال عقبة : « إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية ويملكها ، ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركها معه صاحب البحر » . واذا كان بينها وبين البحر ما لا يجب فيه التقصير للصلاة ، فهم (مرابطون) . . فلما تم رأيهم على ذلك قال :

« قربوها من السّبخة، فان دوابكم الابل وهي تحمل اثقالكم ، فاذا كمل بناؤها – يقصد المدينة – لم يبق لهم بد من الغزو والجهاد حتى يفتح الله لنا منها الاول فالاول (يقصد افريقيا) وتكون ابلنا في مراعيها آمنة عادية البربر والنصارى » .

قال الإشبيلي في مسالكه : إن البربر لما دخلوا المغرب وجدوا الافرنج قد سبقوهم اليه ، فاجلوهم حتى اصطلحوا على ان يسكنوا الجبال ، ويسكن الافرنج الاوطئة ، فبنوا المدائن بها .

وفي سنة ٥١ ، شرع عقبة في ابتداء بناء القيروان ، واجابه العرب الى ذلك ثم قالوا له : إنك امرتنا بالبناء في شعار وغياض لا ترام ، ونحن نخاف من الحيات والسباع وغير ذلك . وكان في عسكره ثمانية عشر رجلاً من اصحاب رسول الله ﷺ وسائرهم من التابعين، فدعا الله عز وجل وجعل اصحابه يؤمنون على دعائه، ومضى الى السبخة وواديها ونادى :

« أيتها الحيات والسباع، نحن اصحاب رسول الله ، فارحلوا عنا فانا نازلون، ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه ! » .

ونظر الناس بعد ذلك الى أمر عجيب . . فالسباع تخرج من الشعار تحمل أشبالها والذئب يحمل جروه والحيات تحمل أولادها . . ونادى في الناس : « كفوا عنهم حتى يرتحلوا عنا » !

فلما خرج ما فيها من الوحش والهوام وهم ينظرون اليها ، نزل عقبة الوادي ، وأمرهم ان يقطعوا الشجر ، فأقام أهل افريقية بعد ذلك اربعين سنة لا يرون فيها عقرباً ولا سبعاً ! واختط عقبة دار الامارة والمسجد الاعظم ولم يحدث فيه بناء ،

وكان يصلي فيه وهو كذلك . فاختلف الناس في القبلة وقالوا : ان أهــل الغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد ، فاجهد نفسك في امرهــا (أي أمر البحث عن القبلة) .

فأقاموا مدة ينظرون الى مطالع الشتاء والصيف من النجوم ومشارق الشمس. فلما رأى امرهم قد اختلف بات مغموماً : فدعا الله عز وجل ان يفرج عنه . فأتاه آت في منامه فقال له :

« اذا اصبحت ، فخذ اللواء في يدك ، فاجعله على عنقك ، فانك تسمع بين يديك تكبيراً لا يسمعه أحد من المسلمين غيرك ، فانظر الموضع الذي ينقطع عنك فيه التكبير فهو قبلتك ومحرابك ، وقد رضي الله لك أمر هذا العسكر وهذه المدينة وهذا المسجد ، وسوف يعز الله دينه بها ويذل من كفر » .

فاستيقظ من منامه ، وجزع جزعاً عظيماً ، فتوضأ واخذ في الصلاة وهو في المسجد ومعه اشراف الناس . فلما انفجر الصبح وصلى ركعتين ، سمع التكبير بين يديه فقال لمن حوله : ألا تسمعون ما اسمع ، قالوا : لا !! فعلم ان الأمر من عند الله . وأخذ اللواء فوضعه في عنقه ، واقبل يتبع التكبير حتى وصل المحراب الذي في المسجد الجامع فانقطع التكبير ، فركز اللواء ، وقال : هذا محرابكم ، فاقتدى به سائر مساجد المدينة ..!

ثم أخذ في بناء السور والمساجد والمساكن، وشد الناس المطايا من كل بلد اليها وعظم قدرها . وكان دورها ثلاثة عشر الف وستمائة ذراع ، حتى استوى امرها، وكان عقبة خير والٍ ، وخير امير مستجاب الدعوة .

وفي سنة ٥٥ ، استعمل معاوية بن أبي سفيــان على مصر وافريقية مسلمة الانصاري ، وعزل معاوية بن خديج عن مصر، وعزل عقبة بن نافع عن افريقية . فكانت ولايته اربعة أعوام . وكان معاوية قد ولى مسلمة مصر ، فلــما ولى مسلمة – بعد مصر – افريقيا عزل عقبــة عنها كما تقدم ، وولى عليها مولاه ديناراً أبا المهاجرين ، وبقي على مصر .

جمع ذلك كله معاوية من اطرابلس[1] الى طنجة ، وهو أول من جمع ذلك كله، ولم يزل والياً عليه حتى هلك معاوية بن ابي سفيان .

وفي ذلك دليل ساطع على ان الاسلام قدر له في خلافــة معاوية من التوسع والفتوحات ما لم يقدر للخلفاء السابقين .. كلمة انصاف ينبغي ان تقال في اعظم رجل عرفه الاسلام !

---

[1] – اطرابلس – بالالف المهموزة – عاصمة ليبيا ، وتكتب كذلك تمييزاً لهــا عن طرابلس اللبنانية ، ويسمونها هناك (طرابلس الشام) ..

برقة والقيروان

أوجه شبه

يبلغ عدد سكان برقة نحو نصف مليون على أوسع تقدير . ومن مجموع السكان يوجد نحو خمسة الاف غرباء غير عرب (يهود ويونان ، وانكليز ومالطيون) ، واكثرهم يعملون في الادارة والتجارة وصيد السمك .

واذا استثنينا هؤلاء الاجانب الذين يعتنقون النصرانية أو اليهودية ، فجميع سكان برقة مسلمون . ويغلب هناك المذهب المالكي الذي يتمذهب به نفسه سكان موريتانيا . .

ووجوه الشبه بين البرقاويين والموريتانيين ـ غير المذهب ـ عديدة : فالحياة الفطرية (البدوية) هي طابعهم المميز : أي انهم يعنون بالزراعة قليلا ، ولكنهم يعتمدون على تربية المواشي العربية : الغنم والابل والخيول . . ومن ثم فان عنايتهم تتجه الى تأمين المراعي . ولذلك فانهم يتنقلون تبعاً لوجود الكلأ والماء ، تماماً كما يفعل عرب الموريتانيا . .

والقبائل العربية في برقة تقسم الى قسمين رئيسيين ، يعرف الواحد منهما باسم القبائل السعدية . ويعرف الثاني بالمرابطين .

والقبائل السعدية على العموم هم في اعلى السلم الاجتماعي مقاماً ، الا حيث يكون المرابطون اقوياء بحيث لا يمكن التجني عليهم .

فالسعديون هم الذين يملكون الارض والماء ، والمرابطون انما يستغلون الارض ويستفيدون منها ، لأن السعديين لا يسمحون لهم . وهذا ينطبق بشكل خاص على منطقة الهضبة ، حيث المرابطين قبائل وعشائر صغيرة ، لا منعة لها ولا قوة .

اما في المناطق التي يكون فيها لهم منعة وقوة ، فان وضعهم وضع المستقل تماماً والمرهوب الجانب . .

والمرابطون ، في برقة يقسمون الى نوعين ، الاول يشمل مرابطي العصا (لانهم يمكن ان توقع فيهم عقوبة الضرب بالعصا) ومرابطي الزبال ، لانهم معتبرون في وضع اجتماعي منحط ، ومرابطي الصدقة ، لانهم يدفعون « الخوّة » للسعديين ليمكنوهم من استعمال الارض وورود الماء . .

اما النوع الثاني من المرابطين فهم « المرابطون بالفاتحة او البركة » ، وهؤلاء يدعون نسباً شريفاً . وهؤلاء يشعرون انهم دون السعديين اصالة في العروبة او النسب . .

والحياة القبلية في برقة لا تختلف بشيء البتة عن الحياة القبلية في الموريتانيا ، بل قل ان القبيلة العربية هي هي في تركيبها الاجتماعي حيث كانت . . فهي مكونة من عشائر وبطون وأفخاذ ، وكل فرع منها ، يمثل في بنائه القبيلة نفسها . . وللقبيلة (وطن) أي أرض تنتقل فيها وتملكها ، وفي نطاق هذا (الوطن) تكون (اوطان) أصغر ، خاصة بالعشائر والبطون والافخاذ . . وأفراد القبيلة ، أو أي فرع من فروعها ، متضامنون متكافلون فيما عليهم من واجبات وما لهم من حقوق . والواجب الأول الذي يشترك فيه الجميع هو الأخذ بالثأر ، أو دفع الدية للمغدور . . ومثل ذلك يمكن ان يعتبر كل فرد من أفراد القبيلة أو فروعها ، هدفاً للقتل ثأراً للمغدور من قبيلة اخرى .

الاسلام عنصر « تعريب » الجماعات

مما هو جدير بالذكر ان دخول الاسلام وانتشاره في برقة وشمال افريقيا ، كان عاملا هاما في (تعريب) الجماعات التي تقطن تلك الانحاء امتداداً مع صحراء الموريتانيا . .

وانتشار الاسلام في افريقيا ظهر مبكراً . فالقيروان ، هي وسط جغرافي هام لبلاد متقاربة اتخذت الاسلام ديناً ، والعروبة قومية ـ القيروان هذه ، لم تلبث ان

اصبحت منذ أواخر القرن الاول للهجرة مركزاً هاماً للثقافة الاسلامية والعربية ، يتلقى فيها الناس مبادىء الدين الحنيف واسسه ، ويدرسون الأدب العربي واللغة العربية ، ثم يخرجون الى جماعات البربر المختلفة فيعلمونهم الاسلام ، ويقرؤونهم القرآن الكريم ، وينشرون بينهم اللغة العربية .. تلك هي لعمري مهمة البيضان في افريقيا الغربية مع السودان ..

اجل ان هذه المهمة النبيلة ، هي حتى يومنا هذا تقليد موروث مشهور من تقاليد البيضان في موريتانيا ، ما تخلوا ولن يتخلوا عنها ، ولهم فيها آيات بينات أمام سمع المستعمر وبصره !

***

في سنة ٦٤، دخل كسيلة البرنسي مدينة القيروان وانتزعها من المسلمين في محرم. فعظم البلاء على المسلمين ، فقام زهير بن قيس خطيباً في الناس فقال :

يا معشر المسلمين !

إن أصحابكم قد دخلوا الجنة ، وقد منّ الله عليهم بالشهادة ، فاسلكوا سبيلهم ، ويفتح الله لكم دون ذلك !

وفي سنة ٦٥ ولي عبدالملك بن مروان، فلما اشتد سلطانه واجتمع اكابر المسلمين عليه ، سألوه تخليص افريقية ومن بها من يد كسيلة اللعين . فقال: لا يصلح لطلب دم عقبة من الروم والبربر الا من هو مثله ديناً وعقلا . فاجتمع رأيهم على تقديم زهير بن قيس البلوي ، وقالوا : هذا صاحب عقبة ، واعلم الناس بسيرته وتدبيره وأولاهم بطلب دمه. فوجه عبدالملك بن مروان الى زهير وهو ببرقة يأمره بالخروج على أعنة الخيل الى افريقيا ليستنقذوا من في القيروان .

وفي سنة ٦٩ اقبل زهير بن قيس البلوي في عسكر عظيم الى افريقيا ، فخشيه كسيلة ، فدعا اشراف البربر وقال لهم : اني رأيت ان أرتحل عن هذه المدينة فان بها قوماً من المسلمين لهم علينا عهود. ونحن نخاف ان أخذنا القتال معهم ان يكونوا علينا ، ولكن ننزل على موضع مسيرهم على الماء ، فان هزمناهم الى اطرابلس

قطعنا آثارهم فيكون لنا المغرب ، الدهر ، وان هزمونا كان الجبل منا قريباً والصحراء ، نتحصن بهما .

غير انه بعد قتال ثلاثة ايام ، تم النصر لزهير ، فرأى في افريقيا ملكاً عظيماً فقال: اني ما قدمت الا للجهاد وأخاف ان تميل بي النفس الى حب الدنيا فاهلك. وكان رحمه الله من رؤساء العابدين وكبراء الزاهدين ؛ فترك القيروان آمنة وانصرف عنها عائداً الى المشرق . ولكنه ما ان خرج منها ؛ حتى عاد الروم فأغاروا على برقة بعدد كثير ومعدات ضخمة، فرجع زهير والتحم معهم في معركة ضارية استشهد فيها رحمه الله .

عَرَبُ المَعْقِل

عرب المعقل ، من أعرق الاصول التي ينتمي اليها عرب الموريتانيا الحاليين ، كما ان لهم فضلا كبيراً في فتح ذلك القطر الافريقي النائي ، وتعريبه ..

صنف ابن خلدون العرب في « تاريخه » الى طبقات ، وسمى عرب المعقل ، من « اهل الطبقة الرابعة » ..

وعرب المعقل – كقبائل – من اوفر قبائل العرب عدداً وأصحهم نسباً . وهم بموطنهم مجاورون لبني عامر من زغبة المستوطنين قبلة تلمسان ؛ وينتهون الى البحر المحيط ، من جانب الغرب ، ثلاثـــة بطون : ذوي عبد الله ، وذوي منصور ، وذوي حسّان ، والى هؤلاء ينتمي معظم الموريتانيين .

فذوي عبد الله مواطنهم بين تلمسان وتاوريرت في التل وما يواجهها من القبلة ومواطن ذوي منصور من تاوريت الى درعة ، فيستولون على (ملوية) كلها الى سجلماسة وعلى درمة وما يحاذيها من التل مثل تازي وغسّاسة ومكناسة وفاس ، وبلاد تادلا والمقدر ..

ومواطن ذوي حسان من درعـــة الى البحر المحيط ، وينزل شيوخهم في بلد نول ، قاعدة السوس (سوس المغرب) ، فيستولون على السوس الأقصى ومـــا اليه ، وينتجعون كلهم في الرمال الى مواطن المسلمين من كدالة ومشرفة ولمتونة .

وكان دخولهم الى المغرب مع الهلاليين في عدد قليل – يقال انه لم يبلغ المئتين . واعترضهم بنو سليم فأعجزوهم وتحيزوا الى الهلاليين منذ عهـــد قديم ، ونزلوا بآخر مواطنهم مما يلي ملوية ورمال تافيلالت ، وجاوروا زناتة في القفار الغربية ، فعفوا وتكاثروا وانبثوا في صحارى المغرب الأقصى – القطر الموريتاني الحالي – فعمروا رماله ، وتغلبوا في فيافيه .

وبقي منهم بافريقية ، جمع غير قليل . اندرجوا في جملة بني كعب بن سليم ، وداخلوهم حتى كانوا وزراء لهم في الاستخدام للسلطان ، واستئلاف العرب .

فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ، ودخلوا الأمصار والمدن ، قام هؤلاء المعقل في القفار ، وتفردوا في البيداء فنموا نمو الاكفاء له ، وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا ثم توات ، ثم بودة ، ثم تامنطيت ، ثم داركلان ، ثم تاسبيت ، ثم تيكو رارين شرقا . فجاز عرب المعقل هذه المواطن ووضعوا عليها الاتاوات والضرائب وصارت لهم جباية يعتبرون فيها ملكا .

وكانوا من تلك الأمة السالفة يعطون الصداقات لملاك زناتة ، ويأخذونهم بالدماء والطوائل ويسمونها حمل الرحيل .

ولم يكن هؤلاء العرب – المعقل – يستبيحون من اطراف المغرب وتلوله حمى ، ولا يعرضون لسابلة سجلماسة ولا غيرها من بلاد السودان بأذية أو مكروه .

وأما انساب عرب المعقل عند المؤرخين وفي طليعتهم ابن خلدون ، فخفيـــة مجهولة . فمنهم من يعدهم من بطون هلال ، ومنهم من يزعم أن نسبهم في أهل البيت الى جعفر بن أبي طالب ، ويدلل على ذلك بان الطالبين لم يكونوا أهل بادية ونجعة ، ومنهم من يقول انهم متحدرون من عرب اليمن ، لان فيهم بطنين يسمى كل واحد منهم بـ (المعقل) ذكرهما ابن الكلبي وغيره ، فأحدهما من قضاعة بن مالك بن حمير ، وهو مغقل ابن بكر بن غليم بن خبـــاب بن هبل بن عبدالله بن كنـــانة . والآخرين بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج . والأنسب ان يكونوا من هذا البطن الآخر الذي هو مذحج .. وكان اسمه ربيعة . وقد عده الاخباريون من في بطون هلال الداخلين الى افريقيا ، لأن مواطن بني الحارث بن كعب كانت قريبة من البحرين حيث كان هؤلاء العرب مع القرامطة قبل دخولهم الى افريقيا .

ومن املاء نسابتهم : ان معقل جدهم له من الولد : سحير ومحمد ؛ فولدسحير

عبيد الله وثعلب ، وولد محمد : مختار ومنصور وجلال وسالم وعثمان . فولد مختار ابن محمد : حسان وشُبانة . فمن حسان : ذوي حسان البطن المذكور : (اهل السوس الاقصى والموريتانيا) . ومن شبانة الشبانات جيرانهم هناك . ومنهم بطنان : بنو ثابت وموطنهم تحت جبل السكسيوى من جبال ادرن .

والبطن الآخر آل علي ، وموطنهم برية هنكيسة تحت جبل كزولة . ومن جلال وسالم وعثمان الرقيطات بادية لذوي حسان ينتجعون معهم الخ ..[1]

---

[1] – تاريخ ابن خلدون ٦ ، ٢٦ طبع دار الكتاب اللبناني ، بيروت

أخبار صنهاجة

يرجع الموريتانيون في أعراقهم الى عرقين : صنهاجة والعرب ، وهو ما اتفق عليه المؤرخون البيضان انفسهم ، ومنهم المختار الحامد البوتيليميتي المؤرخ المعاصر المعروف .

لصنهاجة – بربر استعربوا – تاريخ مجد طويل حافل بالفتوحات والمآثر نكتفي منه بهذا الموجز الذي يفي بغرضنا ، وهو علاقات الموريتانيين القديمة الوثيقة بالعرب :

لما خرّب ابو الفتوح يوسف بن زيري الصنهاجي أمير افريقيا مدينة البصرة[1] رجل بعسا كره الى بلد برغواطة. وكان ملكهم صالح بن عيسى بن أبي الانصار، وكان فصيحاً شاعراً ، فأطاعوه حتى جعلوه نبياً ، وشرح لهم شريعة فاتبعوه ، فضل وأضلهم .

فغزاهم ابو الفتوح، وانتصر عليهم في حرب آكلة. وارسل ابو الفتوح سبيهم الى افريقيا ، فلقيهم عامله عبد الله الكاتب مع أهل القيروان والمنصورية .

وملك ابو الفتوح بلاد الغرب ، فكانت السجلات ترد عليه من مصر ، فتصله على البريد في فاس وغيرها ثم يرجع بها الى عامل افريقيا فتقرأ بعد مدة من تاريخها.

واقام ابو الفتوح في بلاد الغرب وقد ملكها ، واهل سبتة منه خائفون وزناتة مشردون ، وذلك من سنة ٣٦٨ الى سنة ٣٧٣ .

---

[1] – خراب البصرة ، حادث تاريخي يضرب به المثل ، فيقال : جاءنا بعد خراب البصرة .. يقال للشيء يأتي متأخراً عن غاية غالية ..

وفي سنة ٣٧٠ ، صرف العزيز بالله كبّاباً و مغنّيناً ابني زيري الى ابو الفتوح يوسف بن زيري امير افريقيا وأمر ان يعفو عنهما ولا يتعرض لها ، ففعل ذلك .

وفي سنة ٣٧١ ، دخل سبي البرغواطيين الى المنصورية يوم السبت لثمان خلون من ربيع الاول، فرأى اهل افريقيا من السبي ما لم يره احد منهم لكثرته، وطيف بهم في المنصورية والقيروان ..

وفي هذه السنة وصل باديس بن زيري من مصر برسالة الى أبي الفتوح يأمره بتخير الف فارس من اخوته ابطان صنهاجة ، منهم : حبوس ، وماكسن ، وزاوي وحمامة ، الخ .. فكتب اليه من بلاد الغرب ، يعرفه بتغلب بني امية امراء الاندلس على بلاد الغرب ، وان الدعاء لهم فيه على المنابر ، وأنه وأنه .. فلم يُعد اليه جوابا فيهم ..

وفي سنة ٣٧٢ اشترى عبد الله بن محمد الكاتب عامل افريقيا العبيد السودان ، وجعل لكل عامل من ثلاثين عبداً الى ما دون ذلك ، فاجتمع له منهم ألوف ، واسكنهم بالمنصورية ..

ولما تغلب آل عبيد الله على مصر ، وأراد معد بن اسماعيل الرحيل الى افريقيا ، دعا زيري بن مناد ، وكان له عشرة أولاد فقال له : ادع لي بنيك ، فقد علمت رأيي فيهم وفيك . وكان أصغرهم سناً بلقيّن . فدعا اولاده جميعهم ما عداه ، والقدر لا يريد سواه .

وكانت عند معد بن اسماعيل أثارة من علم الحدثان قد عرف بها بصائر أحواله ، وأهل الغناء من أعيان رجاله .

وكانت عنده لخليفته على افريقيا والمغرب اذا صار اليه ملك مصر (ملامة) . فنظر في وجوه بني زيري فلم يرها .. فقال لزيري : هل غادرت من بنيك أحد ؟ فقال له : غلاماً صغيراً .. فقال المعز : لا أراك حتى أراه ، فلست اريد سواه .

فلما رآه عرفه ، وفوض اليه من حينه ، واستخلف . فاستولى من وقته على الأمور ، وزاحمت مهابته الأهواء في الصدور ، وبعدت اسفاره ، واشتهرت اخباره ، وبلغ بمرواته سببه في خبر طويل . وهكذا بدأت دولة صنهاجة ..

لم يكن احد في زمانه ـ يعني ابن زيري هذا ـ أشد بأساً في الملاحم ، ولا اطول يداً بالمكارم ، ولا اغنى بلسان العرب ولا أحنى على الأدب !

ذكر ابو الحسن الخولاني المعروف « بالحداد » فقال :

اشتملت على كثير من أيامه ووقائعه وصفة حاله في خروجه من القيروان وتسليمه للعرب معظم ملكه ، في قصيدة اولها :

سرت تتهادى بعد ما رحل الركبُ
وقد قلّدت جيد الدجى الأنجم الشهبُ !

ومنها :

وان خانني صبري على ثقتي به
فقد خان مولانا العشائر والصحب
ولو شاء تأليف الجنود وجمعها
لجاءته من اقطارها العجم والعرب !
ولكنه اغضى الجفون لعلمه
بما سطّرت فيه الملاحم والكتب !

ولم يمكث بالمهدية الا نحو سنتين ، وانقضت أيامه ووافاه حمامه ، فتوفي يوم السبت لخمس بقين من شعبان سنة ٤٥٤ .

اولاده : تميم ، ونزار ، وعبد الله ، وعلي ، وحماد ، وبلقيّن ، وحمامة ، والمنصور .

الملثمون أيضاً ـ اوصاف واوضاع تاريخية

- هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب – بموريتانيا ـ ابعدوا في المجالات هنالك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها ، فاصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد ، وهجروا التلول وجفوها واعتاضوا منها بألبان الانعام ولحومها ، انتباذاً عن العمران ، واستئناساً بالانفراد ،

وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر، وهذه هي طبائع عرب الصحراء منذ القدم حتى يومنا هذا . .

وهناك نزلوا من ريف الحبشة جواراً ، وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزاً ، واتخذوا اللثام خطاطاً تميزوا بشعاره بين الأمم ، فسموا « الملثمين » . وعفوا في تلك البلاد وكثروا ، وتعددت قبائلهم من كذالة (بالذال وقيل كدالة بالدال) فلمتونة ، فمسوفة فوتريكة ، فناوكا ، فزغاوة ثم لمطة اخوة صنهاجة ، كلهم ما بين البحر المحيط (الاطلسي) بالمغرب الى غدامس من قبلة اطرابلس وبرقة .

ويفخر اللمتونيون والملثمون ـ قبائل صنهاجة ـ بنسبهم فيقول بعض شعرائهم المتقدمين :

قومٌ لهم شرف العلى من حِمْيَرِ
واذا دعوا (لمتونة) فهمو همو !
لما حووا علياء كل فضيلة
غلب الحياء عليهمو ، فتلثموا . . !

جميل هذا المُبَرِّر والله (ياجويته) . . !

وللمتونة فيهم بطون كثيرة منهم: بنو ورتنطق وبنو زمال، وبنو خولان، وبنو ناسجة. وكان موطنهم من بلادالصحراء يعرف كاكدم. وكان دينهم جميعاً المجوسية شأن برابرةالمغرب . ولم يزالوا مستقرين بتلكالمجالات حتى كان اسلامهم بعد فتح الأندلس ، وكانت الرياسة فيهم للمتونة . واستوسق لهم ملك ضخم منذ دولة عبد الرحمن بن معاوية الداخل ، توارثه ملوك منهم : تلاكاكين ، وورتكا ، واوراكن جد أبي بكر ابن عمر امير لمتونة في مبتدأ دولتهم . وطالت اعمارهم فيها الى الثمانين ونحوها . ودوخوا تلك البلاد الصحراوية ، وجاهدوا من بها من امم السودان ، وحملوهم على الاسلام ، فدان به كثيرهم ، واتقاهم آخرون بالجزية فقبلوها منهم ، وملك عليهم بعد تلاكاكين المذكور تيولوتان .

قال ابن ابي زرع : اول من ملك الصحراء من لمتونة تيولوتان ، فدوخ بلاد الصحراء واقتضى مغارم السودان . وكان يركب في مئة الف نجيب وتوفي سنة اثنتين وعشرين ومئتين .

وقال غيره : كان من اشهرهم تينزوا بن وانشيق بن يزّار ملك الصحراء باسرها على عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر في المئة الرابعة ، وفي عهد عبيد الله وابنه أبي القاسم من خلفاء الشيعة . كان يركب في مئة الف نجيب وعمله مسيرة شهرين في مثلها . ودان له عشرون ملكاً من ملوك السودان يعطونه الجزية .

وكان لهذه الطبقة ـ صنهاجة ـ ملك ضخم بالمغرب والأندلس معاً ، وبافريقيا بعده :

موسى بن نصير
فاتح المغرب

شخصية تاريخية مشهورة في موريتانيا وافريقيـا السوداء ، تضاهي شخصية عقبة بن نافع ...

خرج غازيا من افريقيا الى طنجة ، فوجد البربر قد خرجوا الى الغرب خوفاً من العرب ، فتبعهم وقتلهم قتلا ذريعاً ، وسبى منهم كثيراً حتى بلـغ السوس الادنى وهو بلاد درعة ...

فلما رأى البربر ما نزل بهم ، استأمنوا واطاعوه ، فولّى عليهم واليـاً ، واستعمل مولاه طارقاً على طنجة وما والاها في سبعة عشر الفـاً من العرب ، واثني عشر الفاً من البربر . وامر العرب ان يعلّموا البربر القرآن ، وان يفقهوهم في الدين ، ثم مضى موسى قافلا الى افريقيا .

قال ابن القطان : وذكر ان موسى بن نصير بعث اثر بيعته للوليد ، زرعـة ابن ابي مدرك الى قبائل البزبر ، فلم يلق حرباً منهم ، فرغبوا في الصلـح منه : فوجه رؤساءهم الى موسى بن نصير ، فقبض رهونهم . ثم عقد لعياش بن اخيل على مراكب افريقيا ، فشى في البحر الى صقلية ، فاصاب مدينة يقال لها سرقوسة فغنمها وجميع ما بها وقفل سالماً غانماً .

ولما حمل ابو مدرك زرعة بن ابي مدرك رهائن المصادمة ، جمعهم موسى مع رهائن البربر الذين اخذهم من افريقيا والمغرب وكانوا على طنجة ، وجعل عليهم مولاه طارقاً ، وحمل بهم بجزيرة الاندلس .

وترك موسى بن نصير سبعة عشر رجـلا من العرب ، يعلمونهم القرآن

وشرائع الاسلام ، وقبله فعل الشيء عينه عقبة بن نافع ..

ولم يدخل المغرب الاقصى احد من ولاة خلفاء بني امية بالمشرق الا عقبة بن نافع الفهري ، ولم يعرف المصامدة غيره . وقيل ان اكثرهم اسلموا طوعـاً على يديه ، ووصل موسى بن نصير بعده .

وفي سنة ٩٢ من الهجرة خرج طارق الى الاندلس وافتتحها بمن كان معه من العرب والبربر ، ورهائنهم الذين تركهم موسى عنده ، والذين اخذهم حسان من المغرب الاوسط قبله .

وكانت ولاية طارق على طنجة والمغرب في سنة ٨٥. وفي هذا التاريخ تم اسلام اهل المغرب الاقصى (موريتانيا) وحولوا المساجد التي كان المشركون قد بنوها الى القبلة ، وجعلوا المنابر في مساجد الجماعات ، وفيها صنع مسجد اغمات هيلانة.

نسب طارق

هو طارق بن زياد بن عبدالله بن ولغو بن ورفحوم بن نبرغاسن ، بن ولهاص ، ابن يطومت ، من نفزاو ، فهو نفزي. ذكر انه من سبي البربر ، وكان مولى موسى ابن نصير ..

وفي سنـة ٩٣ جاز موسى بن نصير الى الاندلس ، فعبر البحر غاضبـاً على طارق ، ومشى على غير طريقه ، وفتح فتوحاً كثيرة . وفيها — اي في سنة ٩٣ — ولي عبدالله بن موسى افريقيا عوضاً عن ابيه ، حين توجه الى الاندلس ، الى ان وصل ابوه منها متوجهاً الى المشرق ، فقدم مدينة القيروان في اواخر سنة ٩٥ .

وفي هذه السنة انصرف موسى من الاندلس الى افريقيا بما افاء الله عليـه ، فاجاز الاموال من الذهب والفضة والجوهر في المراكب الى طنجة ، ثم حملها على العجلات (عربات الخيل) .

قال الرقيق : كانت وستين مئة واربع عشرة عجلة وكانت المائدة من ذهب ، يشوبه شيء من فضة ، مطوقة بثلاثة اطواق : طوق ياقوت ، وطوق زبرجد ،

وطوق لؤلؤ . . وحملت يوماً على بغل عظيم أفرّه واقوى ما وجد ، فما بلغ المرحلة حتى تفتحت قوائمه !!

قال الليث بن سعد : لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الاسلام !

ولما قدم عليه ابنه من السوس خرج للقائه مع وجوه الناس ، فلما التقيا ، قال مروان بن موسى لرجاله : مروا كل من خرج مع والدي بوصيف او وصيفة . وقال موسى : مروا انتم لهم من عندي بمثل ذلك فرجع الناس كلهم بوصيف او وصيفة . . .

ومن اخبار موسى بن نصير ايضاً :

لما انصرف من الاندلس ولى عليها ابنه عبد العزيز ، وشخص قافلا الى افريقيا . فقدم القيروان في آخر سنة ٩٥ فلم يدخلها ، ونزل بقصر الماء . ثم قعد في مجلسه وجاءته جيوش العرب من القيروان ، فمنهم من سافر معه ، ومنهم من تخلف مع ابنه عبدالله بافريقيا . فقال لأصحابه : اصبحت اليوم في ثلاث نعم : منها كتاب امير المؤمنين بالشكر والثناء ، ثم وصف ما اجرى الله على يديه من الفتوحات ، وكتاب ابني عبد العزيز يصف ما فتح الله عليه في الاندلس بحمد الله — فقاموا اليه فهنأوه — واما الثالثة فانا اريكموها :

وقام ، فأمر برفع ستر ، فاذا فيه جوار مختلفات ، كأنهن البدور الطوالع ، عليهن الحلى والحلل ، فهنيء ايضاً بذلك . .

ثم رحل الى المشرق ، وخلف على افريقيا ابنه عبدالله ، وعلى الاندلس ابنه عبد العزيز ، وعلى طنجة ابنه عبد الملك .

وكان مولد موسى بن نصير سنة ١٩ ، ووفاته سنة ٩٨ ، فكان عمره تسعاً وسبعين سنة ، ولي سنة ٨٨ افريقيا ، فاقام عليها اميراً وعلى الاندلس كله والمغرب كله نحو ثماني عشرة سنة ، الى ان مات .

ومما ذكر في وفاته ، انه حج مع سليمان ، فلما وصلا المدينة قال موسى بن نصير لاصحابه :

ليموتن بعد غد رجل قد ملأ ذكره المشرق والمغرب ، وكان يعني نفسه !

في بدء الدعوة الاسلامية :

يحيى بن ابراهيم

معلم الاسلام الصحيح في افريقيا السوداء

تفصل الصحراء الكبرى ، افريقيا الشمالية عن افريقيا الوسطى الغربية . وليست هذه الصحراء خالية من البشر كما يتوهم الكثيرون ، بل تقطنها قبائل عديدة تؤلف صلة الوصل بين شمال افريقيا وغربها .

لما انتشر الاسلام بين الشعوب الافريقية الشمالية في القرن التاسع ، واعتنقته بعض قبائل البربر الرحل وحملته الى الصحراء ، الى منطقة الموريتانيا اولا ، فضفاف نهر السنغال ثانياً . وظل الاسلام سائداً في البدء بين المسلمين وقبائل الوثنية الزنجية . ولكن هذا الهدوء كان يخفي تحته غلياناً شديداً ، ذلك ان معظم المسلمين كانوا من العناصر البيضاء السامية الاصل ، التي تعيش عيشة البداوة والفطرة بين الزنوج ، وتتعشق الحرية الدائمة ، فلم يعد يطيب لها بعد الاسلام ان تظل عائشة تحت السيادة الزنجية ، ولم تلبث ان هبت لبسط سيادتها على السود بمعونة المرابطين .

وفي النصف الاول من القرن الحادي عشر ، كان الدين الاسلامي ما يزال محصوراً في افريقيا الغربية بين بلاد البربر وكثبان الموريتانيا .

وفي سنة ١٠٣٣ سافر الامير يحيى بن ابراهيم امير البرابرة المقنعين في تاغنت (من اعمال الموريتانيا) الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج . وكان يحيى شديد التقى والورع . فوجد ان تعاليم الاسلام

الصحيحة غيرما تمارسه الشعوب المسلمة في بلاده، فقرر ان يبث فيها زوحاً جديدة ترفع مستوى ايمانها الديني . واستعان ببعض علماء مكة المكرمة على تفهم الدين الصحيح .

ولما عاد الى بلاده الموريتانيا . اصطحب معه العالم البربري عبد الله بن ياسين ليساعده على تنفيذ مهمته . (قدمنا تفاصيل ذلك في كلام سابق عن عبد الله بن ياسين) .

وفي الحال بدأ الرجلان حملة واسعة لتطهير الاعتقاد الديني من الخرافات ، وفرض القيود الاخلاقية المسلمة على المحيط . ولكنهما اصطدما بمعارضة شديدة من الاهلين ، فدب اليهما اليأس وهجرا البلاد الى جزيرة صغيرة في جنوب السنغال حيث قرزا اعتزال الناس الى ان يوافيهما الاجل . . ولكن اعتكافهما جاء بنتيجة معكوسة ، فبدلا من ان ينساهما الناس شعروا انهم اخطأوا نحوهما ، فتهافتوا عليهما في المنسك الجديد ، أو « الرباط » ، وانضووا تحت لوائهما . ولم تمر مدة وجيزة حتى تكوّن حول الامير يحيى والشيخ عبد الله كتلة قوية من المؤمنين والمهتدين . . وعلى الاثر غادرا رباطهما مع انصارهما ، واندفعا في افريقيا ينشران الدعوة الاسلامية . وهكذا بدأت « دولة المرابطين » .

وانقسم المرابطون الى قسمين ، قسم اتجه شمالا واسس مملكة المرابطين الشهيرة التي بلغت حدودها في القرن الثاني عشر الجزائر شرقاً ونهر الايبر في اسبانيا شمالاً . وقسم آخر ظل في المحيط الذي نشأت فيه الدولة ، وانصرف الى نشر الاسلام في المناطق الزنجية الوثنية .

وقد استولى المرابطون على مملكة « غانة » وادخلوها في الاسلام — كما ادخلوا فيه شعوب التكلور والسرخللي والديولا والمادنغا .

بيد ان عهد المرابطين لم يطل في افريقيا الغربية لانهم وجهوا جل اهتمامهم الى مملكتهم في افريقيا الشمالية واسبانيا ، فزال حكمهم بسهولة من الصحراء . وظل الاسلام ينتشر على ايدي الزنوج الداخلين حديثاً في دين الله . وهكذا لم ينته القرن الحادي عشر حتى كان الاسلام قد عمّ السودان كله . فهدم مملكة غانة وسادها .

وساد ملحقاتها . . ثم دخل فيه ملوك المادنغا اسياد المناطق الواقعة بين السنغال الاعلى والنيجر الاعلى ، ثم شعوب وادي السنغال ثم امراء الولايات الواقعة في اواسط النيجر وماسينا والساحل ثم امبراطورية غوا .

ثم بلغ بحيرة تشاد وانتشر في ممالك بورنو والهوسا . ثم حملته قبائل الديولا الى الغوطة وغابات الغينة وسيراليون وليبيريا وشمالي شاطيء العاج وشاطيء الذهب ، اي انه بخلال خمسين سنة ، عم الاسلام افريقيا الغربية كلها . ولا يزال كذلك حتى الان !

وقد اختلط البيضان بالزنوج بالتزاوج ، فنشأ عن ذلك تنوع في هيئاتهم . ومع ذلك يمكن معرفة البيضاني للوهلة الاولى ، فهو شبيه بالبدوي الغربي ، لونه اسمر داكن ، وجهه بيضوي الشكل ، انفه رفيع دقيق ، عيناه تشعّان بالحيوية والذكاء شعره كثيف مجعّد ، لحيته — غالباً — رقيقة في اسفل ذقنه . جسمه رقيق نحيل ، ولكنه طاقة من الزخم وقوة الاعصاب .

اما الطوارقي فانه ينتمي الى البرابرة في شمال افريقيا وهو يعيش عيشة البداوة في الصحراء السودانية ، وفي حوض بحيرة تشاد وتشاري . ويقول الخبراء في الطباع الافريقية ، ان الطوارقي بدوي بدافع الضرورة لا الرغبة ، واذا استطاع الاستقرار فانه يصبح نصف مزارع بسهولة . .

أخبار زناته ونسبهم

التاء الاولى في اسم زناتة تلفظ « كافا » مصرية أو مغربيّة في موريتانيا . ولكي نجدد لفظها المشهور نكتبها بالحروف الافرنجية : Eznagah أي ان الـ « gah » هذه التي تلفظ ولا تكتب ، هي بالعربية « تاء » . وهكذا اصطلح عليها في جميع كتب التاريخ التي اوردت اخبار زناتة ، وخصوصاً ابن خلدون .

وزناته ، هم قبائل عربية حرة النسب في موريتانيا ، ويسمون هناك « العرب الرحاحلة » أي الكثيرو الرحيل. وليس لهم سوى تربية المواشي وانتجاع الكلأ . يضربون اليه المسافات الطويلة ولو طال السّرى .

قال أبو المجد المغيلي ّ وعلي بن حزم وغيرهما :

ان زناتة هم اولاد جانا بن يحيى ، بن صولات ، بن وزناج ، بن ضرى ، بن سفكو ، بن قيد مراد ، بن كعبلا ، بن مادغيس ، بن هدك ، بن هرسق ابن كداد ، بن مازيغ .

وذكروا ان ضرى هو ابن وزجيج بن مادغيس ، بن يرمولد ، بن برنوس ، وولد برنوس كتامة ، ومصمودة ، واوربة ووزداجة ، واوريقة ، فولد اوريقة هوارة . ومن قبيل هوارة بنو كسلان ومليلة ، وولد يحيى جذانا وسمجان وورسطيف ، وولد جذانا ورسيج ، وولد ورسيج مرين ، وولد مرين نجدة ونمالة ، وولد ورسيطيف اركونة ومكناسة ، وولد ضرى ايضاً تمزيت ، وولد تمزيت مطاطة ، وموغرة ، وصدينة ، ومغيلة ، وملزوزة ، ومديونة ، وولد زجيج لاوى الكبير ، وهذا ولد لاوى الصغير ، ومغراوة وايفرن ، وولد لاوى الصغير نفزاو ، وولد نفزاو يطوفت الخ ... حتى سدراته واخوان بني مغراوة لامهم . وكان اولاد مغراوة وبني يفرن من أعظم بطون زناتة .

قال « رجار » في كتابه :

كان بنو مرين ـ وهم اكرم اعراق العرب ـ يسكنون وراء تلمسان وهم من زناتة ، من ولد جذانا بن يحيى بن ضريس بن لوا ، بن نفزاو ، بن بتر ، بن قيس غيلان ، بن الياس بن مضر . وقال : وبنو مرين هم العرب « الصرحاء » . (١)

* * *

وفي سنة ١٣٦ ، كان ابتداء ابي العباس السفاح بمحاولة الغدر بابي مسلم وظفر ابي مسلم بمن حاول ذلك ، وقتله لهم وذلك في خبر طويل .

وقيل بل كان ابتداء تلك المحاولة في سنة ١٣٥ قبلها . وقدم أبو مسلم في هذه السنة على ابي العباس مستأذنا في الحج ، فهم أبو العباس بقتله ، ثم انثنى عن ذلك . وحج أبو مسلم وأبو جعفر .

وفيها ـ ١٣٥ ـ توفي أبو العباس السفاح في ذي الحجة ، بعد ان ولي العهد لأخيه ابي جعفر المنصور ، فاستوسقت له الامور ، وبايعه الجمهور .

وفي سنة ١٣٧ ، كان قدوم ابي جعفر المنصور وتتميم بيعته ، فدخل ابو جعفر الكوفة وصلى الجمعة ، مع اصحاب ابي مسلم بالحيرة ، ثم شخص ابو مسلم الى الاتبار الخ ... وهو سرد تاريخي يطول في اخبار المشرق والمغرب ، وتتابع الايام والأعوام المجيدة من تاريخ الفتح الاسلامي لافريقيا . وانها سلسلة مترابطة الحلقات تؤكد تاريخيا ارتباط موريتانيا عنصريا واسلاميا بالعالم العربي من المحيط الاطلسي حتى الخليج الفارسي .

---

[1] ـ البيان المغرب ص ٧٣-٧٤ م ا لابن عذارى المراكشي .

الفصل الثاني
حديث البلاد المتاخمة
السنغال - السودان - المغرب

لمحة تاريخية عامة

يخطىء من يتوهم ان تاريخ افريقيا الغربية يبتدىء بابتداء الاستعمار الاوروبي. فقد شرع الاوروبيون في اكتشافها واستعمار شواطئها منذ القرن الرابع عشر فقط، وكان لها قبل ذلك العهد تاريخ عريق، وكانت فيها ممالك كبيرة، وحياة دولية مناسبة للبيئة.

ولا يعرف المؤرخون شيئاً عن تاريخ افريقيا في العهود القديمة، لان سكانها الاول لم يتركوا وثائق او سجلات او آثاراً تدل عليهم؛ لذلك زال ذكرهم بزوالهم. ومع ذلك يعتقد بعض المؤرخين، وفي مقدمتهم العلامة الفرنسي موريس دولافوس، ان سكان افريقيا القدماء كانوا من الاقزام او النغريل الذين اتى على ذكرهم المؤرخ اليوناني هيرودوتس (٤٢٥ _ ٤٨٤ قبل المسيح) ولا تزال بقاياهم موجودة في المناطق الاستوائية.

واجمع المؤرخون على انه وفدت على افريقيا قبائل سوداء مهاجرة من الجزر الاوقيانوسية (استراليا) تلقب باسم قبائل البانتوس. وقد تدفقت في موجتين متتابعتين، وامتزجت بالاقزام، وببعض عناصر البرابرة في شمالي افريقيا،

فنشأت عن هذا الامتزاج الاجناس السوداء الموجودة حالياً في افريقيا الغربية .

وليس بالامكان تحديد تاريخ الهجرة الاوقيانوسية او وصف تطورها لاندثار آثارها . وكل ما نقل المؤرخون انه تأسست في القرن الرابع للميلاد مملكة زنجية كبيرة ، ضمت اعالي السنغال واعالي النيجر . وكانت تعرف باسم مملكة غانة نسبة الى اللقب الذي كان يحمله ملكها ، وكانت عاصمتها مدينة « كومبي » الواقعة قرب ساكو (في السودان الأفريقي) على موازاة تومبكتو . وقد درست اليوم .

وازدهرت مملكة غانة عقب تاسيسها ، وانصرف ملوكها الى الغزو والفتح ، فسادوا بقية الامارات الزنجية مثل امارات لمتونة في تاغنت ، والتكلور في الفوطه ، والمادنغا في كنغابا ، والسنغوى في اعالي النيجر ، وغوا .. وكان يحكمها في البدء امراء من البيض الساميين ، ثم انتقل الحكم الى امراء سود .

وتعاقبت على غانة اجيال كثيرة مجهولة الاخبار ، وظلت الحالة كذلك حتى دخل الاسلام افريقيا في القرن العاشر . فاتخذ تاريخ افريقية الغربية اتجاهاً جديداً ، يعرف المؤرخون تفاصيله من مخلفات ذلك العهد ، ومن روايات المؤرخين والرحالين العرب ، وفي مقدمتهم ابن بطوطة (١٣٠٤ ـ ١٣٧٨ ميلادية) .

١ ـ السنغال :

من المعلوم ان القطر المتاخم لموريتانيا والاكثر مساساً وامتزاجاً بحياة أهلها ، هو السنغال . ولذا رأينا من المناسب ان نخصه ببعض الذكر . وخصوصاً من الوجهة التاريخية .

يعود اكتشاف السنغال الى القرن الثالث عشر ، أي القرن الذي بدأ فيه الغزو الاوروبي لافريقيا السوداء . الا ان النصوص التاريخية لا تعتبر هذا القرن بداية فعالة للدخول الاوروبيين الى افريقية ، بل تبدأ من سنة ١٦٥٩ حين أسس الفرنسيون مدينة سان لويس (ندر) اول مدينة استولوا عليها . وبعد عشرين سنة طردوا الهولنديين من جنوب الرأس الاخضر (دكار وتوابعها) واصبحت كل شواطىء المستعمرة بأيديهم . وقد ظل الانكليز ينازعونهم السيادة عليها طوال الحروب التي نشبت بين البلادين خلال قرنين متواصلين .

واخيراً اعترفت الدول لفرنسا في معاهدة ١٨١٤ بحق السيادة على السنغال في عهد ومنذ ذلك الحين انتهى كل تدخل اوروبي في امور المستعمرة .

ومما يجب ذكره انه كانت توجد الى جانب مملكة غانه ممالك الهوسا في شمالي نيجيريا ، وهي لا تزال قائمة حتى اليوم .

وفي سنة ١٦٧٩ ، فتحوا ريفسك (مدينة متاخمة لدكار كانت هي العاصمة في السابق) وأكرهوا ملوك تلك الناحية على قبول الشروط التي أملوها عليهم .

وعلى اثر ذلك اصبحت الارض الخاضعة للفرنسيين تمتد من الرأس الاخضر (دكار وتوابعها) الى غامبيا مما يلي نيورو ريب[١] .

وكانت منطقة نيورو هذه بإمرة آل (با) الذين ما لبثوا ان خضعوا تحت شروط أهمها ابقاء الإمارة ـ المشيخة على البلاد ـ فيهم . ولا يزال حتى الآن مدير ناحية نيورو (شيف دي سركل اوكنتون) من آل با ، الى اليوم ، وكان اسمه إليمان با (يعني سليمان)[٢] .

وفي سنة ١٦٩٦ ، توغل الفرنسيون قليلا في السنغال . وكذلك سنة ١٧٠٠ ، وهكذا اخذت فتوحاتهم تتوالى في تلك البلاد . وكانوا تارة يأخذون ملوكها وسكانها باللين . وطوراً بالعنف والشدة ، ويستولون على المقاطعة تلو الاخرى الى ١٧٥٩ .

وكانت السنغال قبل فيدهرب[٣] متفرقة المناطق متقطعة الاوصال . وكانت الحكومة الفرنسية تدفع لأمرائها وزعمائها العديدين اموالا طائلة بقصد استمالتهم اليها . الا ان محافظة هؤلاء الزعماء والامراء على العهود لم تكن كما تشتهي فرنسا ، وخصوصاً من جهة الأمن الذي كان مفقوداً في تلك الجهات . فعندما جاء فيدهرب كان همه الاول ان يوطد دعائم الامن في تلك البلاد البدائية ، فراح

---

[١] ـ أقمت في هذه البلدة بدة اربع سنوات في آخر حياتي المهجرية ومنها عدت الى الوطن عام ١٩٥٠ .

[٢] ـ كان هذا هو شيخ المحافظة يومئذ ايام عهدي بنيورو (٥٦ ـ ١٩٥٠) .

[٣] ـ جنرال فرنسي قتل في السنغال وهو ذاهب لفتح السودان .

يحارب الوالو ، والمور (البيضان) الذين كانوا بقيادة جم بسوب ، ومحمد الحبيب فما عتم ان اخضع الاولين ، وقسم بلادهم الى خمس مناطق ، اقام على رأس كل منها زعيما وطنياً من قبله . واما البيضان فقد قاوموا مدة اربع سنوات متوالية ثم خضعوا . وكان خضوعهم على يد الشيخ سيدي الكبير وغيره من مشايخ البلاد سنة ١٨٥٤ ، وانتهت هذه المقاومة بمعاهدة اكرهوا على قبولها . وفي تلك الفترة من المقاومة يقول شاعرهم :

حُماة الدين ، ان الدين صارا
أسيراً للغزاة من النصارى
فهبّوا من معاقلكم ، وصدّوا
جموعَهمُ الى اقصى الصحارى !

وكلمة « النصارى » تعني عندهم كل أبيض أوروبي إطلاقاً ، وبصورة اشمل : كل أبيض أجنبي غير عربي ولا مسلم .. سواء أكان اوروبياً أو اسيوياً . أو غير ذلك ..

ومن الاخصام الاشداء الذين نازلهم فيدهرب في أثناء حكمه رجل يعرف بالحاج عمر سيدو . ولد هذا الرجل في بودور سنة ١٧٩٧ ، وحج الى مكة المكرمة سنة ١٨٢٠ ثم بعد عشرين سنة عاد الى بلاده وجمع ثروة كبرى من تجارة الكهانة وبيع الطلاسم والتعاويذ ، وغيرها من الاشياء التي أعطاها صفة التقديس ، والتي كان يزعم انه اتى بها من مكة المكرمة . ولا غرو ، فهذا الضرب من النشاط عمل شائع في البلاد المتأخرة كافريقيا .

وما زال الحاج عمر ينتقل ببضائعه وقدسياته ، ويؤلب الناس على مقاومة فيدهرب ، حتى تمكن من حشد قوة هائلة في نواحي بودور Podor (١) وباكل على ضفاف نهر السنغال . ولكن مقاومته في باكل كانت أطول وأمنع لوجود الحصون الحربية التي لا تزال آثارها الى اليوم قائمة تشهد بقوتها ومناعتها . حتى ان مركز الحكومة (الريزيدنس) في باكل هو عبارة عن قلعة حربية منيعة البنيان ، وفي جدرانها ثقوب (رمّايات) من الجهات الاربع . وهي بالاضافة الى موقعها الحربي الممتاز ، ذات موقع جميل للغاية فوق كتف النهر كابدع ما يكون ! وفي باكل – عدا الريزيدنس – حصون صغيرة أخرى في شمالي البلدة وشرقها ، تشبه البراميل الكبيرة ، أو « آزانات » البترول .. ولها قوة دفاعية ولكن بالنسبة لفنون الحروب القديمة ، وزمن البندقية .. أما اليوم فان أصغر مدفع كفيل بان يقلع البلدة من أعماق أساساتها بكل ما عليها من قلاع وحصون ..

قلنا ان الحاج عمر قاوم جيش الفاتحين مدة لكثرة ما حشد من رجال ، لكن مقاومته ما عتمت ان انهارت تجاه فنون الغازي المدرب فخضع واستتب حكم البلاد لفيدهرب .

* * *

بقي بين الانكليز والفرنسيين خلاف على حدود السنغال من جهة غامبيا ، فعقد الجانبان في سنة ١٩٠٤ معاهدة سوى بموجبها الخلاف ، فتنازل الانكليز للفرنسيين عن جزيرة غوزيه ، وتنازل هؤلاء عن منطقة واسعة على جانبي نهر غامبيا . وهكذا تحدد مستقبل مستعمرة السنغال نهائياً يومئذ .

واكبر عنصر بين سكان السنغال هم « الولوف » الذين يؤلفون الاكثرية الاولى عدداً ، والاهمية الاولى سياسياً . ويأتي بعدهم : السيّرير ، والفلا ، والتوكلور ، والديولا ، والمادنغا .

اما المدن ذات الاهمية التجارية والبشرية بعد دكار ، فهي : سان لويس ، كولخ ، تياس ، ديوربيل وغيرها ..

حدود ونهر

يحد نهر السنغال هذه البلاد من الشمال ، ويفصلها عن موريتانيا ويحدها من الشرق السودان . ومن الجنوب الغينة البرتغالية والفرنسية ، ومن الغرب المحيط الاتلانطيكي . وتدخل غامبيا الانكليزية في غرب السنغال كالوتد ..

---

[١] – عرفت اثناء هجرتي هذين البلدين فقد اقمت في الأولى نحواً من ٤ سنوات ، وفي الثانية بضعة شهور .

صورة نادرة لجسر فيدهرب في سان لويس اثناء فتحه لعبور باخرة عبر نهر السنغال الى البحر

وتبلغ مساحة السنغال ٢٠١,٣٧٥ كيلو متراً مربعاً، واراضيها مستوية مسطحة. والاقسام الواقعة بين نهر السنغال ونهر غامبيا رملية ، ولكنها خصبة ، تكسوها بعض الاشجار العديمة الفائدة ، كما ان النبات يكثر في جنوب نهر غامبيا لسبب وفرة الامطار .

ونهر السنغال من اهم انهار افريقيه الغربية ، طوله ١٧٠٠ كيلو متر اكتشفه البحارة الفرنسيون في سنة ١٣٤٦ . وهو يتألف من نهري بافنغ وباكوي اللذين ينبعان من جبال الفوطة في الغينه، ويتحدان في « باكل » اول قرية سنغالية حطيت ركابي بها عندما وصلت الى المهجر الافريقي .. رحم الله علي شعيتو ، واطال في عمر أبو ابراهيم(١) ..!

وفي خلال شهر آب وايلول تستطيع البواخر النهرية الصعود في نهر السنغال حتى مدينة الخاي في السودان .

وهناك ايضاً نهر الكازامانس الذي يروي القسم الجنوبي من السنغال . وعلى بعد سبعين كيلو متراً من مصبه ، تقع مدينة « زيكنشور » قاعدة الكازامانس .

---

١ – هما قريبان عزيزان لي وصلت اول ما وصلت افريقيا لعندهما . الأول كان في سيلبابي ، والثاني في باكل ، ولي في تينك القريتين ذكريات افريقيه لا تنسى .

٢ – السودان الفرنسي :

يتألف السودان الفرنسي من الاراضي الواسعة الواقعة فيما وراء البلاد الساحلية أي فيما وراء السنغال والغينه وشاطيء العاج .

ويحده شمالا الجزائر ، وغربا الموريتانيا والغينه ، وجنوبا شاطيء العاج، وشرقا النيجر . وتبلغ مساحته ١,٤٦٤,٠٠٠ كيلو متر مربع منها ٩٢٣٠٠٠ كيلو متر مربع ماهولة والبقية صحراوية خالية . ويروي نهر السنغال القسم الغربي من البلاد، ونهر النيجر القسم الشرقي .

وتختلف طبيعة الارض بين الشمال والجنوب ، فالاراضي الواقعة على ضفة نهر النيجر اليمنى ونهر الباني – الذي ينضم اليه – هي عبارة عن سهول واسعة صالحة للزراعة ، يقطنها سكان نشيطون . ولكن الاراضي فيما وراء الضفة الاخرى تتحول الى صحارى وكثبان رملية، تغطيها الحشائش والاشواك . والسكان قليلون في هذه المنطقة ومعظمهم من القبائل الرُّحل التي تشتغل في تربية المواشي .

اكواخ افريقية (زنجية) في الغابة

لمحة تاريخية :

احتل الفرنسيون السودان في الربع الاخير من القرن التاسع عشر . ولكن

الاضطرابات والحروب ظلت متواصلة وفي سنة ١٨٩٣ جهزوا حملة كبيرة قضت على كل مقاومة واحتلت تمبكتو في آخر السنة نفسها . وعاصمة السودان « بمكو » ويأتي بعدها بالاهمية : الخاي، سيكاسو، تمبكتو ، موبتي ، نيورو (غير نيورو السنغال).

الممالك الزنجية بعد دخول الاسلام :

يطول بي البحث اذا أردت ان احدث القراء بالتفصيل عن تطور الممالك في افريقية الغربية بعد دخول الاسلام اليها . ولكنني اذكر بايجاز انه بعد زوال المرابطين ، عاد الغانيون فاسسوا ملكاً جديداً على انقاض مملكة غانة القديمة ، موزعاً بين ثلاث امارات. غير ان ملوك المادنغا هاجموهم، واحتلوا في سنة ١٢٤٠ عاصمتهم « كومبي » ودمروها واصبحوا اسياد البلاد . وفي القرن الرابع عشر نازعهم ملوك السونغوى السيادة وتغلبوا عليهم .

وفي سنة ١٥٩٠ وقع نزاع بين ملك « غوا » وسلطان مراكش على ملكية مناجم الملح في « تغازه » فارسل السلطان حملة من المتطوعين المراكشيين والاسبان تحت قيادة القائد جودر ، فاحتلت في السنة نفسها وهزمت جيوش السونغوى ومدت نفوذ السلطنة المراكشية حتى اعالي النيجر.

بيد ان العهد المراكشي لم يطل بسبب سوء الادارة والاهمال، فزال في سنة ١٦٦٠ واستعاد ملوك المادنغا سيادتهم السابقة. ولكن في الوقت نفسه استفادت قبائل البمبرا الوثنية من الفوضى، فتحررت من السيادة الاسلامية وحاولت ان تسود بدورها. وقد استطاعت فعلا ان تبسط سيادتها على قسم كبير من البلاد . فوقفت قبائل « البول » في طريقها ومنعتها من التقدم شمالا ، واسس البول بدورهم مملكة اسلامية جديدة في مقاطعات ماسينا من السودان ، وجعلوا عاصمتها تمبكتو .

ولم يطل العهد بسيادة البمبرا ، اذ ظهر في منطقة الفوطة (الغينه) زعيم جديد اسمه الحاج عمر ، فبث في جماعته روحاً جديدة ودعاهم الى تهديم مملكة البمبرا الوثنية . وفي سنة ١٨٥٠ الف اسلام الفوطة جيشاً كبيراً تحت قيادة الحاج عمر ، وزحفوا شمالا ، فهدموا الممالك الوثنية كلها ، واعادوا نشر الاسلام في كل افريقيا الغربية ، وظلوا اسياد البلاد حتى الفتح الفرنسي .

ممالك اخرى غير الممالك السودانية :

يتضح مما ذكرته اعلاه ان منطقة السودان وحدها كانت ميدان التطاحن السياسي بين ممالك افريقية الغربية . على ان هنالك ممالك اخرى نشأت في غير السودان ، وظلت بمعزل عن الحروب السودانية المتواصلة . ومنها ممالك الولف والسريري في سهول السنغال ، وامارات البول في الفوطة ، ومملكة الأبرون في بوندوكو في شاطيء العاج ، ومملكة الاشانتي في شاطيء الذهب ، ومملكة الداهومي ، ومملكة بانان ، ودول السونوفو ، ومملكة الموسي الكبيرة التي حافظت على وثنيتها واستقلالها رغم كل التطورات التي طرأت على الدول المجاورة لها !

والى شرق نهر النيجر نشأت ايضاً ممالك قديمة ، مثل مملكة « الباغيرمي » في

نموذج من القبائل الزنجية (الغوليبيه) التي دخلت الاسلام باسم الثورة على الاقطاع . يظهرون بمظهر « الملثمين » .

القرن السابع عشر والدوفورفي في القرن الثامن عشر.

وفي القرن التاسع عشر دخلت قبائل الهوسا في الدين الاسلامي بفضل الحاج عثمان دْيَنْ فوديو الفُلاّني ، فتاسست على الاثر مملكة سوكوتو الكبيرة القائمةفي شمال نيجيريا حتى اليوم.

٣ ــ المغرب العربي :

تكلمنا عن اوضاع تاريخية لاحوال بلدين افريقيين ــ هما الآن يشكلان جمهورية مالي ــ متاخمين لموريتانيا، وقصدنا ــ بايجاز ــ تبيان بعض الصفات القديمة الثابتة، مع حفظ الرغبة في الكلام عن اوضاع هذين البلدين السياسية الحديثة ، بالنسبة لقطر عربي صغير مجاور ، يلتقي معهما بالدين فقط ، ويختلف عنهما في جميع الحالات الاخرى .

ونتكلم الآن عن قطر متاخم ثالث ــ ابيض ــ يلتقي مع موريتانيا في كل شيء على الاطلاق .. في اللون، في الدين ، في التقاليد ، في جميع الصفات التاريخية الثابتة الاخرى ..

نتكلم عنه ــ عن المغرب ــ بادىء ذي بدء من ناحية الوضع التاريخي : الحدود ، العرق ، المزايا البيولوجية الخ ..

ونأمل ان لا ينفذ صبر القارىء من هذا العرض التاريخي كله، فسيصل فيما بعد الى القصد منه .. ان بلداً هو الآن في بداية عهده بالحرية واعطائه ــ الى حد ما ــ حق تقرير المصير، واختيار المستقبل الدائم بجميع صفاته السياسية وغير السياسية ، ان بلداً هذا وضعه ، يستحيل عليه ان يعرف ما هو الاصلح والاثبت . والافضل له ، قبل الرجوع الى « تاريخه » الخاص عبر السنين والدهور ..

ان المتاخمة المتجاورة لا تكفي وحدها لتقرير المصير المشترك ، ولا بد ان تشترك عدة مزايا اخرى لا نراها متوفرة بالنسبة لموريتانيا الا في المملكة المغربية .

ان حدود السودان والسنغال ــ دولة اتحاد مالي الآن ــ واسبانيا ، اقرب كثيراً من حيث المسافة الى موريتانيا منها الى المغرب. ولكن هذا القرب الجغرافي يصبح عديم الاهمية بالنسبه لفقدان المزايا العديدة الاخرى التي لا بد منها .. وعلى هذا

الاساس يستطيع الموريتاني ان ينظر ــ بصورة موضوعية علمية خالصة لا بصورة عاطفية ــ الى مسألة المصير المشترك ، فيقرر وهو مرتاح ، ودون اي ارتباك ماذا ينبغي ان يفعل ..

والان لنتكلم عن « جغرافية » المغرب كما اوردها ابن خلدون ، لانها اكثر النصوص التاريخية اصالة وشمولا وتحقيقاً .

« حدّ المغرب من جهة الغرب البحر المحيط الاطلسي ، وعليه كثير من مدنه مثل طنجة وسلا وازمور وانفى واسفى، وهي من مدن المغرب وحواضره. وعليه ايضاً مسجد ماسة وبلدتا كاوصت ونول من بلاد السوس، وهي كلها من مساكن البربر وحواضرهم . وتنتهي المراكب الى وراء ساحل نول ولا تجاوزه الا على خطر . واما حدّه من جهة الشمال ، فالبحر الرومي . والمتفرع من هذا البحر المحيط يخرج في خليج متضايق بين طنجة من بلاد المغرب وطريف من بلاد الاندلس ، ويسمى هذا الخليج الزقاق ، وعرضه ثمانية اميال فما فوقها . وكانت عليه قنطرة ركبها ماء البحر .

واما حده من جهة القبلة والجنوب فالرمال المُتَهيِّلَة الماثلة حجزاً بين بلاد السودان وبلاد البربر . وتعرف عند العرب الرحالة البادية بالعرق ، وهذا العرق سياج على المغرب من جهة الجنوب مبتدىء من البحر المحيط وذاهب في جهة الشرق على سَمْت واحد الى ان يعترضه النيل الهابط من الجنوب الى مصر . فهنالك ينقطع ، وعرضه ثلاث مراحل وازيد ويعترضه من جهة المغرب الاوسط ارض محجرة تسمى عند العرب الحمادة من دوين مصاب الى بلاد ريغ ، ووراءه من جهة الجنوب بعض بلاد الجريدية ذات نخيل ، وانهار معدودة في جملة بلاد المغرب ، مثل بلاد بودة وتمنطيت في قبلة المغرب الاقصى وتسابيت وتيكورارين في قبلة المغرب الاوسط وغُدامس وفزان وودان في قبلة طرابلس . كل واحد من هذه اقاليم يشتمل على بلدان عامرة ذات قرى ونخيل وانهار ، ينتهي عدد كل واحد منها الى المائة فأكثر ..

« والى هذه العُدوة الجنوبية من هذا العرق ينتهي في بعض السنين مجالات

اهل الشام من صنهاجة ومتقلبهم الجائلون هنـــاك الى بلاد السودان . وفي العدوة الشمالية منه مجالات البادية من الاعراب الظواعن بالمغرب . وكانت قبلهم مجالات للبربر خدّ المغرب من جهة الجنوب . ومن دون هذا العرق سياج اخر على المغرب مما يلي التلول منه . وهي الجبال التي هي تخوم تلك التـــلول الممتدة من لدن البحر المحيط في الغرب الى برنيق من بلاد برقة . وهنالك تنقطع هذه الجبال . ويسمى مبدؤها من المغرب جبال ذرن . وما بين هذه الجبال المحيطة بالتلول ، وبين العرق الذي وصفناه آنفا بسائط وقفار اكثر نباتها الشجر ، وفيما يلي التلول ومنها ويقاربها بلاد الجريد ذات نخل وانهار .

« ففي ارض السوس قبلة مراكش ، بلاد ذات نخل وانهـــار ومزارع متعددة عامرة . وفي قبلة فاس سجلماسة وقراها ، وذرعة ايضاً ، وهي معروفة ، وفي قبلة تلمسان قصور متعددة ذات نخل وانهار . وفي قبلة تاهرت القصور ايضاً بلاد متتالية على سطر من المشرق الى المغرب اقرب ما اليها جبل راشد وهي ذات نخل ومزارع وانهار . ثم قصور معينات تناهز المائة وأكثر ، قبلة الجزائر ، ذات نخل وانهار . ثم بلد واركلي قبلة بجاية بلد واحد مستبحر العمران كثير النخل ، وفي سَمْتَهَ الى جهة التلول بلاد ريغ تناهز الثلثمائة ، منتظمة على حفافي واد ينحدر من المغرب الى المشرق يناهز مائة من البلاد فأكثر ، قاعدتهـــا « ابسكرة » من كبار الامصار بالمغرب . وتشتمل كلها على النخل والانهار والفدن والقرى والمزارع .

« ثم بلاد الجريد قبلة تونس وهـــي : نفطة وتوزر وقفصة وبلاد نفزاوة ، وتسمى كلها بلاد فسطيلة مستبحرة العمران مستحكمة الحضارة مشتملة على النخل والانهار . ثم قابس قبلة سوسة وهي حاضرة البحر من اعظم امصار افريقيـــة ، وكانت دار ملك لابن غانية كما نذكره بعد . وتشتمل على النخل والانهار والمزارع . ثم فزان وودان قبلة طرابلس قصور متعددة ذات نخل وانهار ، وهي اول ما افتتح المسلمون من ارض افريقية لما غزاها عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص . ثم الواحات قبلة برقة . ذكرها المسعودي في كتابه . وما وراء هذه كلها في جهة الجنوب ، فقفار ورمال لا تنبت زرعاً ولا مرعى ! .. الى ان تنتهي الى العرق الذي ذكرناه .

« ومن ورائه مجالات الملثمين كما قلناه مفاور(١) معطّشة الى بلاد السودان . وما بين بلاد هذه الجبـــال التي هي سياج التلول بسائط متلون مزاجها تارة بمزاج التلول ، وتارة بمزاج الصحراء بهوائها ومياهها ومنابتها وفيها القيروان ، وجبل اوراس معترض وسطها . وبـــلاد الحضنة حيث كانت طبنة ما بين الزّاب والتل . وفيها مقرّة والمسيلة ، وفيها السرسو قبلة تلمسان حيث تاهرت فيها جبل ديرو وقبلة فاس معترض في تلك البسائط . هذا خد المغرب من جهة القبلة والجنوب » .

الحدود الشرقية :

واما من جهة الشرق فيختلف باختلاف الاصطلاحات . فعرف اهـــل الجغرافيا انه بحر اهـــل القلزم المنفجر من بحر اليمن ، هابط على سمت الشمال وبانحراف يسير الى المغرب حتى ينتهي الى القَلْزمَ والسويس ، ويبقى بينهم من هنالك ، وبين سَمتة من البحر الرومي مسيرة يومين . وينقطـــع عند السويس والقلزم . وبعده عن مصر في جهة الشرق ثلاثة ايام . هذا آخر المغرب عندهم ، ويدخل فيه اقليم مصر وبرقة .

وكان المغرب عندهم جزيرة احاطت بها البحار من ثلاث جهاتها . وامـــا العرف الجاري لهذا العهد بين سكان هذه الاقاليم فـــلا يدخل فيه اقليم مصر ولا برقة ، وانما يختص بطرابلس وما وراءها الى جهة المغرب في هذا العرف لهـــذا العهد . وهذا الذي كان في القديم ديار البربر ومواطنهم . فاما المغرب الاقصى منه ، وهو ما بين وادي ملوية من جهة الشرق الى اسفي حاضرة البحر المحيط . وجبـــال درن من جهة الغرب فهي في الاغلب ديار المصامدة من اهـــل درن وبرغواطة وغمارة ، وآخر غمـــارة بطوية مما يلي غساسة ، ومعهم عوالم من صنهاجة ومطغره واوروبة وغيرهم ، يحيط به البحر الكبير من غربية ، والرومي من شماليه ، والجبال الصاعدة المتكاثفة مثل درن من جانب القبـــلة وجبال تازي من جهة الشرق . لان الجبال اكثر ما هي واكثف قرب البحار بمـــا اقتضاه

---

١ ـ جمع مفارة ؛ حيث يفور النبع ـ مجازاً ـ والقصد الفوران ، أي الكثير جداً .

التكوين من ممانعة البحار بها . فكانت جبال المغرب لذلك اكثر ، وساكنها من المصامدة في الاغلب وقيل من صنهاجة . وبقيت البسائط من الغرب مثل ازغاو وتامستا وتادلا ودكالة . واعتمرها الظواعن من البربر الطارئين عليــه من جشم ورياح ، فغص المغرب بسكان من أمم لا تحصى ، وصار كانه جزيرة وبلد واحد أحاطت به الجبال والبحار . وكانت قاعدة ملكه فاس ، وهي الآن الرباط .

ويمر فيه النهر العظيم المعروف بوادي ام ربيع ، وهو نهر عظيم يتمنع عبوره ايام الامطــار لاتساعه ، ويعظم مدّه الى البحر فينتهي الى سبعين ميــلا او ما يقاربها . ومصبه في البحر الكبير عند ازبور . ومنبعه من جبــال درن من فوهة كبيرة ينبع منها هذا النهر ويتساهل الى بسيط المغرب. وينبع منها ايضاً نهر آخر ، وينحدر الى القبلة . ويمر ببلاد درعة ذات النخل المخصوصة بنبات النيلج . وصناعة استخراجه من شجره ، وهي قصور ذات نخل موضوعة في سفح جبال درن من آخره . وبها يسمى هذا النهر ، ويجاورها الى ان يغوص في الرمل قبــلة بلاد السوس .

واما نهر ملوية آخر المغرب الاقصى فهو نهر عظيم منبعه من فوهة في جبال قبلة تازي ، ويصب في البحر الرومي عند غساسة . وعليه كانت ديار مكناسة المعروفة بهم في القديم ، وقد كان يسكنها ايضاً أمم اخرى من زناتة في قصور منتظمة الى اعلى النهر يعرفون بوطاط ، ويجاورهم هنالك وفي ســائر نواحيه امم من البربر اشهر من فيهم بطالسة اخوة مكناسة . وينبع مع هذا النهر من فوهتــه نهر كبير ينحدر ذاهباً الى القبلة مشرقاً بعض الشيء ، ويقطع العرق على سمته الى ان ينتهي الى بودة ثم بعدها الى تمنطيت ويسمى « كير » ، وعليه قصورها . ثم يمر الى ان يصب في القفار ويروغ في قفارها ويغور في رمالها وهو موضع مغامه، قصور ذات نخل تسمى وركلان . وفي شرقي بوده مما وراء العرق قصور تسابيت من قصور الصحراء . وفي شرقي تسابيت الى ما يلي الجنوب قصور تيكورارين ، تنتهي الى ثلاثمائة او اكثر في واد واحد فينحدر من المغرب الى المشرق، وفيها امم من قبائل زناتة (الزناكه) .

واما المغرب الاوسط فهو في الاغلب ديار زناته . كـان لمغراوة وبني يفرن . وكان معهم مديونه ومغيلة وكومية ومطغرة ومطماطة . ثم صــار من بعدهم لبني ومانوا وبني يلومي . ثم صــار لبني عبد الواد وتوجين من بني مادين ، وكانت قاعدته تلمسان ، وهي دار ملكه ويجاوره من جهــة المشرق بلاد صنهاجة من الجزائر، ومتيجة ، والمرية وما يليها الى بجاية ، وقبائله كلهم كانوا مغلوبين للعرب من زغبة . ويمر في وادي شلف بني واطيل النهر الاعظم منبعه من بلد راشــد في بلاد الصحراء . ويدخل الى التل من بلاد حصين لهذا العهد. ثم يمر مغرباً ويجتمع فيه سائر اودية المغرب الاوسط مثل مينا وغيره الى ان يصب في البحر الرومي ما بين كلميتوا ومستغانم . وينبع من فوهته نهر آخر يذهب مشرقاً من جبل راشد ، ويمر بالزاب الى ان يصب في سبخة ما بين توزر ونفزاوة معروفة هنالك، ويسمى هذا النهر وادي شدّى .

واما بلاد بجاية وقسنطينة فهي دار زواوة وكتامة وعجيسه وهوارة ، وهي اليوم ديار للعرب الا ممتنع الجبال، وفيها بقاياهم . واما افريقية كلها الى طرابلس فبسائط فيح كانت دياراً لنفزاوة وبني يفرن ، ونفوسة ومن لا يحصى من قبـائل البربر . وكانت قاعدتها القيروان ، كما كانت مجالات للعرب من سُليم وبني يفرن وهوارة مغلوبون تحت ايديهم . وقد تبدوا معهم، ونسوا رطانة الاعاجم وتكلموا بلغات العرب وتحلوا بشعارهم في جميع احوالهم . وكانت قاعدتها تونس ، وهي دار ملكها ، ويمر فيها النهر الاعظم المعروف بوادي مجردة يجتمع فيه سائر الاودية بها ، ويصب في البحر الرومي (المتوسط) على مرحلة من غربي تونس بموضــع يعرف ببنزرت(١). واما برقة فدرست معالمها وخربت امصارها وانقرض امرها. وعادت مجالات للعرب بعد ان كانت دارا للواتة وهوارة وغيرهــم من البربر . وكانت بها الامصار المستبحرة مثل لبدة وزويلة وبرقة وقصر حسان وامثالها .

---

١ ــ ميناء بنزرت صار لها اليوم شهرة سياسية كبيرة بسبب الخلاف القائم على موعد الجلاء عنها بين فرنسا والجمهورية التونسية .

اشتات افريقية سياسية

حديث الاقطار الافريقية ، البيضاء والسوداء ، كان طيلة هذا العام مستأثراً باهتمام كبار المعلقين السياسيين ، ومحتفظاً ـ كذلك ـ بمكانة الصدارة على الصفحات الاولى كابرز خبر ، وابرز موضوع في جميع صحف العالم ، وخصوصاً صحف العالم العربي . ذلك ان اخبار واحداث تلك الاقطار النائية : رحلة الملك محمد الخامس ، سياسة الرئيس الحبيب بورقيبة البناءة ، تطورات الموقف في الجزائر ، زلزال اغادير ، الحركات الأستقلالية في مالي ، الاضطرابات العنصرية الدامية في جنوب افريقيا الخ الخ . . كل ذلك جعل وما يزال جاعلا لاخبار القارة الافريقية اهمية خاصة عند كل قاريء وباحث ومعلق في كل بلد وفي كل لغة !

وبالنظر لوجود موريتانيا ـ موضوع هذا الكتاب في عداد اقطار القارة ، وتأثير ماجريات الاحداث عليها بصورة وبأخرى مباشرة وغير مباشرة ، راينا ان نفرد لتلك الاقطار هذه الصفحات القليلة لاهم الاحداث البارزة في ختام هذا الفصل ، ليكون القاريء « الموريتاني » المنقطع عن العالم الخارجي في قلب صحرائه ، ملما ببعض شؤون وشجون اقرب بلاد الدنيا اليه على الاقل . . . !

المغرب او « البلاد المباركة »

لمناسبة زيارة الملك محمد الخامس ، ملك المغرب ، الى البلاد العربية في مطلع العام الحالي ، اشتد اهتمام عرب المشرق بتلك الاقطار التي تبعد عنا الوف الكيلومترات ، وخصوصاً موضوع « موريتانيا » الذي برز اثناء الرحلة وبعدها بروزاً قوياً وما يزال . .

انه لمن اولى واجباتنا في هذا الكتاب بعد ان تركت الزيارة الملكية في نفوسنا من جميل الاثر ما تركت ، ان نعلم ، وان نجعل غيرنا يعلم ـ وخصوصاً الكائن الموريتاني الحديث الذي تتلاعب الاهواء السياسية بعواطفه لتفسدها ـ ما هو المغرب اليوم !

انه « البلاد المباركة » التي حفظت التراث العربي في كل مسجد وزاوية ودار . . وجمعت جمال الطبيعة ، وثروة الارض ، ومجد التاريخ !

بلاد عجيبة ، جميلة رائعة تشبه لبنان من وجوه عديدة . . دخل اليها العرب يحملون ديناً قوياً ، وسياسة سمحاء كروح دينهم[1] ، فاصبحوا شعباً عربياً متجانسا .

منها خرج صقر قريش ، بل صقر دمشق ـ عبد الرحمن الداخل ـ (الغافقي) الى الاندلس فاسس مملكة « الفردوس المفقود » .

وفيها مشت مواكب المجد والحضارة على ايدي « الادارسة » و « الموحدين » و « بني مزين » و « السعديين » .

بلاد مباركة آوى اليها العلماء ، واخرجت العلماء .

فيها انتشر مذهب مالك ، وعرف اهل الطرق التيجانية[2] . . وفيها ظهر القاضي عياض ، وابن عذاري ، وعبد الواحد المراكشي ، وغيرهم كثيرون .

يبلغ عدد السكان في المغرب نحو عشرة ملايين (ما عدا سكان موريتانيا طبعاً) .

---

[1] ـ اشارة الى قول الرسول العظيم (صلعم) : اتيتكم بالشريعة السمحاء .

[2] ـ مؤسس الطريقة التيجانية ، هو أحمد بن محمد التيجاني المتوفى في فاس سنة ١٧٨٢ . وقد تبع طريقة التيجانية عدد كبير من اهالي ماسينا في السودان الفرنسي ، واهالي فوتا تورو Fota toro وفوتا جالون ، وامة البللة ، وصاروا من اشد انصار الاسلام ، وانضووا تحت راية الحاج عمر ، فكانوا طيلة اربعين سنة هم سادة السودان من تومبكتو ، الى الأوقيانوس الاطلنطي .
وكان الحاج عمر هذا ابن شيخ مرابط ، ولد سنة ١٧٩٧ في قرية الغار من بلاد ديمار غرباه ابوه وعلمه ، ثم حج الى البيت الحرام ، وزار المدينة المنورة ، وقرأ مدة في الازهر ، وعاد الى بورنو سنة ١٨٣٣ . ثم ذهب الى بلاد الهوسة واخذ يعظ الناس بالرجوع الى عقيدة السلف . وفي اثناء ذلك جاء اخوه احمد ومضى به الى بلاد فوتا من السنغال ، فعرج على بلاد البمبره وحصلت معه هناك حوادث وعوارض كثيرة ، ولكنه تغلب عليها وانضم اليه في بلد كنكان رجل

وتبلغ مساحة الاراضي المنزرعة في المغرب ٤,٠٠٠,٠٠٠ هكتار ، ومثل هذه المساحة تغطيها الغابات وهناك ما يقرب من ٧,٠٠٠,٠٠٠ هكتار من الاراضي قابلة للزراعة اذا ما تم اصلاحها .

وتشغل اشجار الزيتون ما يقرب من مئة الف هكتار ، تحتوي على ما يقرب من ٥،٠٠٠،٠٠٠ شجرة ، تصدر البلاد من زيتها — بعد سد حاجة الاستهلاك المحلي — اكثر من سبعة الاف قنطار .

كما تكثر في المغرب اشجار المشمش والبرقوق والتين .

يقال له محمدو ، سار على طريقته وادخل في الاسلام فرقة من البلله يقال لها الواسولونية Aussu Lonhé .

وكنكان ناحية من قطر السنغال على الضفة اليسرى من النهر بين والو من الغرب ، وتورو من الشرق.

ولما علت كلمة الحاج عمر نظر الناس اليه نظرهم الى المهدي . فحشد جيشاً صغيراً واثار جميع مسلمي غابون ، وهزم البمبرة والوثنيين شر هزيمة في تومباه ، واستولى بعدها على كوناكري في بلاد الغينة . وفي سنة ١٨٥٤ جعل مقره العام في نيورو Nioro من السودان الفرنسي (غير نيورو ريب السنغال) ، على الضفة اليمنى من متوسط النيجر وهي قاعدة ملك احمدو ..

وكانت وفاة الحاج عمر سنة ١٨٦٥ . وهو في حرب مع زنوج ماسينا . وقد خلف للطريقة التيجانية سلطنة اسلامية عظيمة ، في وسط بلاد الزنوج القشيشين .

ثم خلف الحاج ابن اخيه ، ومريد آخر اسمه احمدو شيخو بن عمر . وحاولا توسيع فتوحات الحاج عمر . واثار اهالي فوتا تورو . والسونوفيكية الذين كانوا في بلاد كا آرتيه Kaartah والتوكلور الذين في السنغال على فرنسا .

ولكن الكولونيل ريشار اوقف غارة التيجانية في هذا القسم من افريقية ، ويسر فتح السودان بين سدي المدينة الاوروبية .

ثم عقب ذلك فتح الكولونيل دوغنيس ديبور لمدينة بمكو Bamako ، واستلحاق القومندان غلاييني لبلاد فوتا جالون ، وافتتاح الكولونيل ريشار لبلاد ماسينا . وتتوجت هذه الفتوحات باحتلال تمبكتو (١٠ يناير ١٨٩٤) .

وتمبكتو مدينة من السودان الفرنسي جنوبي بحر النيجر الاعلى اهلها كانوا خمسة آلاف نسمة . وقد علق كاتب فرنسي — هو جان كوريه — سنة ١٠٣٤ على تاريخ التيجانية والاسلام ، فقال :

« ان افريقية الغربية كانت تكون كلها اسلامية لولا قضاء فرنسا على سلطنة التيجانية هذه ، كما ان اوروبا كانت تكون كلها اسلامية لولا انتصار شارل مارتل على العرب في بواتييه ! » .

اما الكروم ، وهي للفرنسيين ، فتشغل مساحة قدرها ٤٠،٠٠٠ هكتار ، يحول معظم محصولها من العنب الى أنبذة ، يصدر منها الى فرنسا ما يقرب من مليون هكتو لتر .

وتفوق الثروة الحيوانية في المغرب مثلها في معظم البلاد المجاورة ، ففيها ما يربو على ١٥ مليون رأس من الاغنام ، ومثلها من الماعز ، ونصف هذا العدد من الابقار ، فضلا عن الجمال والخيل والبغال والحمير والخنازير . (تتألف الثروة الحيوانية في موريتانيا من نفس الحيوانات المذكورة تماماً ما عدا الخنازير .. وهكذا يتجانس البلدان حتى في نوع الثروة الحيوانية !) .

ويبلغ متوسط ما تصدره البلاد من أصواف هذه الماشية ووبرها وجلودها وعظامها نحو ٣٠ الف قنطار سنوياً .

وتحصل المغرب من مياهها الاقليمية في البحر الابيض والمحيط الاطلسي على ثروة سمكية هائلة ، بفضل التيارات البحرية التي تمر بشواطئها وتجعلها صالحة لان تكون مواطن هجرة لاغلب انواع السمك ، وخاصة السردين الذي يكثر على شواطىء الدار البيضاء و « اغادير » — واحزنا على اغادير[1] ! — و « صافي » وكذلك « التونة » و « الانشوجة » .

وفي مياه المغرب ما يقرب من ١٧٠٠ سفينة وزورق للصيد ، ويبلغ متوسط المحصول السمكي ١٣٠ الف طن سمك سنوياً .

ان اهم عامل في حياة المغرب العربي اليوم هو الاثر الذي تركه فيه الاستعمار الفرنسي . والاستعمار هناك يختلف كل الاختلاف عن الاستعمار البريطاني الذي واجهناه في هذا الجزء من البلاد العربية ، ما عدا لبنان وسوريا . فان الفرنسيين قد بقوا في سوريا ولبنان مدة قصيرة من الزمن ، ولم يؤثروا في حياة البلدين تأثيراً كبيراً . واما هناك فقد اعتبر المستعمرون المغرب جزءاً من فرنسا ، واخذوا يستولون على الاراضي الواسعة ويستثمرونها لانفسهم . وكذلك الشأن في المدن ،

---

١ — المدينة التي دمرها الزلزال الفظيع في منتصف ليل ٢ — ٣ آذار (مارس) من العام الحالي وجعلها آية للناس في العقد السادس من هذا القرن العشرين منذ سدوم وعمورة !!

فان الشركات الافرنسية استولت على معظم مرافق الاقتصـــاد فيها . ولم تكتف بذلك بل خلقت الطبقة الفرنسية المفضلة التي تعتبر نفسها مغربية فرنسية . وامـــا المغربيون الاصيلون فانهم اعتبروا الطبقة المتأخرة التي ليس لها حقوق الفرنسيين .. واقفلت الابواب التجارية والسياسية والعسكرية في وجوههم . ويشبه وضع ابنـــاء المغرب العربي تحت الحكم الفرنسي وضع الزنوج في امريكا في القرن التاسع عشر ...

وضرب الاستعمار المغربيين في صميم كيانهم بعدم تعليمهم اللغة العربية الصحيحة في المدارس . وكذلك ترجمت انظمة الحكومة الى لغة ركيكة مشوهة ، وفي بعض الحالات بعيدة كل البعد عن اللغة العربية ولذلك لا يجوز ان نستغرب عندما نجد بين الشخصيات البارزة في المغرب العربي من لا يتقنون اللغة العربية اتقاناً كاملا ، وهم في الوقت ذاته يتكلمون اللغة الفرنسية وكأنها لغتهم الاصليـــة ..! وصدق الحبيب بو رقيبة لما قال لمن سألوه بانه « لولا نهوض المغرب ومقارعته للفرنسيين في هذا الجيل، لحقق الفرنسيون خلال ربع القرن القادم اهدافهم الرئيسية من جعل المغرب العربي جزءاً من فرنسا !! » .

وهنا يجدر بنا ان نوضح حقيقة لا يعرفهـــا من عرب المشرق احد ، هي ان الشناقطة (الموريتانيين) ابناء بجدة اللغة العربية وادبها القديم ، لا يضاهيهم بذلك سوى طبقة النخبه من العلماء والادباء عندنا !

تونس بو رقيبة ..

تونس الحديثة ، تونس الناهضة، تونس الخضراء الجميلة ، التي هي اليوم اكثر جمالا واعظم شأناً منها في سالف عهودها ، هي صنيعـــة رجل اي رجل ، هو « الحبيب بو رقيبة » وأنبغ عقل سياسي عرفه العرب في المغرب والمشرق !

هذا الرأي ليس ثناء بقدر ما هو حقيقة . ولكن هذه الحقيقة ، نعرف سلفا انها لا ترضي « بعض » الناس في العالم العربي .. وعزاؤنا للحقيقة وللتاريخ ، ان بعض الحقائق الكبرى ، الحقائق القيمة ، طالما كانت « عدوة » للذين في قلوبهم مرض ..!

ان العظماء في العالم لا يحتاجون ثناءنا مهما عظم لانه سخيف مهما يكن حيال ثناء التاريخ المنصف الخالد الذي لا يتأثر بالعواطف والاحقاد السياسية ..!

لقد حدث في هذا العام حادثان افريقيان بارزان ، هزا العالم باسره . حادث

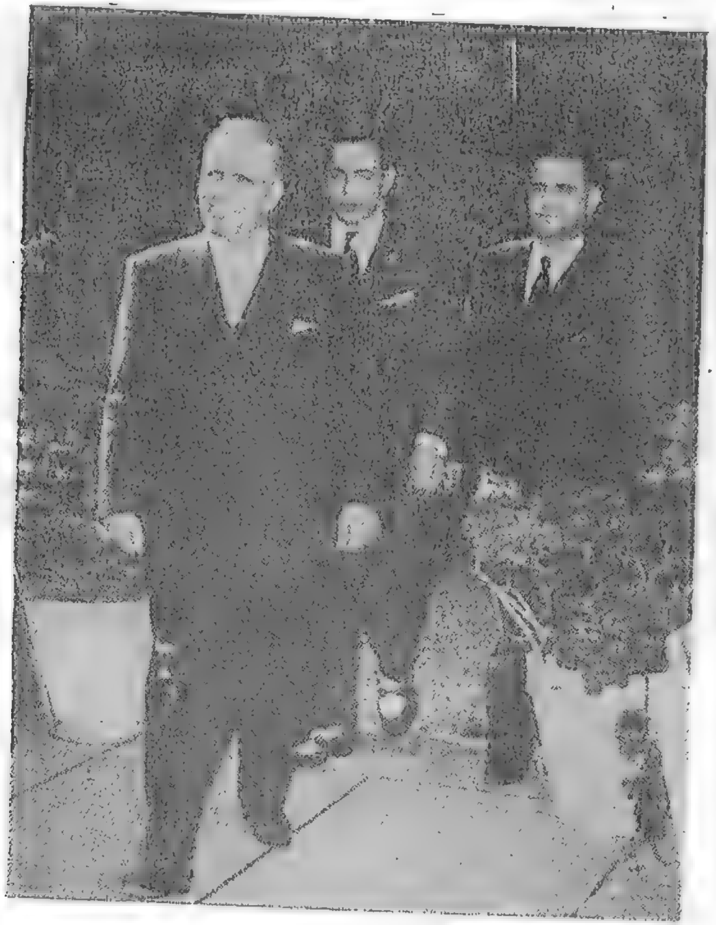

الرئيس بو رقيبة مع [illegible]
مؤتمر طنجة الافريقي سنة ١٩٥٨

هدّام هو زلزال أغادير ، وحادث بنّاء هو فرض التوقيت العلمي للشهور القمرية في تونس بقرار رسمي من رئيس الجمهورية الحبيب بو رقيبة[١] . الرئيس المسلم العلماني بدون ان يخشى على علمانيته واسلامه ان يُتهم بالالحاد والمروق من الدين ، كما يطيب لبعض الرجعيين وخصومه السياسيين ان ينعتوه ..!

ان بادرة الحبيب بو رقيبة بادرة تقدمية اصلاحية ، احدثت في النفوس الطيبة ما يحدثه المثل الصالح في نفوس الاطفال !

كانت ثورة «سلمية» اصلاحية تساوي الف ثورة من الثورات الهوجاء الدموية الهدامة التي عرفها عالمنا في الحقبة الاخيرة ، فقد هدمت « ثورة » القرار التونسي تقليداً رجعياً كان ولا يزال معمولا به حتى في بعض البلدان الاسلامية التي تدعي التقدمية والتحرر من التقاليد الرجعية التي يعتبر بقاؤها وصمة في جبين الاسلام التقدمي « السمح » .. ثورة كرست لاول مرة « تقليداً » علمياً بنّاءً يقره الاسلام، ويعتز به العلم، ويحمده المسلمون المثقفون ، ولمثل هذا فليعمل المصلحون!

تونس البلاد :

وتونس بلاد جميلة جداً ، وقد اطلقوا عليها اسم « تونس الخضراء » ، لكثرة اشجارها وبساتينها . حكمها الفرنسيون على غرار محمية ، وبقيت كذلك الى ان حررها الرئيس بو رقيبة وانصاره .

ومدينة تونس جميلة ، وفيها شارع الحبيب بو رقيبة من افخم الشوارع ، ويضاهي اي شارع في اوروبا .

ولقد ترك المستعمر الفرنسي طابعه على تونس ، فتجد ان البضاعة المستوردة اكثرها من فرنسا، فالسيارات افرنسية ، والاجواخ افرنسية . واحتكر الفرنسيون صادرات تونس من الزيتون (ولا تجد اجود من زيتون تونس في البلاد العربية) والبرتقال والفوسفات والزيتون . مقابل ذلك فرضوا على تونس الاستيراد من فرنسا او عن طريق فرنسا ..

---

[١] – صدر هذا القرار في اول رمضان الماضي من هذا العام .

ومن اهم المظاهر في حياة تونس بعد الاستقلال ، ان تجد القائمين على امور الحكم فيها شباناً متحمسين من اجل تقدم بلادهم . وقد اجتمعت بعدد منهم فوجدت ان روحهم عربية خالصة ، وانهم شديدو الاهتمام بالقضايا العربية . والحزب الدستوري الحاكم في تونس هو حزب سياسي حسن التنظيم ، لا يوجد مثله في البلاد العربية الاخرى . وقد نظم على الاساس التعاوني ، بحيث قسمت المناطق الى شُعَب يمثلها المسؤولون في لجان مركزية . ولذلك تجد ان رغبات الحزب او رغبات العضو فيه تنقل وتنفذ بسرعة وبانتظام .

ومن يزور تونس اليوم ، يلاحظ ان فيها مشروعات كبيرة قائمة لتصنيع البلاد ، كما ان الاراضي الشاسعة توزع على اكبر عدد من المواطنين . اما المشروعات الخيرية فانها كثيرة ، ففي تونس مدارس كبيرة مجانية وملاجيء للعجزة والاطفال والمكفوفين والمتسولين ، يتدربون فيها على مهن يقتاتون من ورائها .

الجزائر

وننتقل من تونس الى جارتها الجزائر ، تلك البلاد المناضلة التي نسمع عنها الكثير وعن جهود اهلها لنيل استقلالهم الكامل .

إن الجزائر من حيث المساحة اكبر من اية بلاد عربية اخرى ، وهي غنية جداً بالمعادن والمواد الخام . احتلها الفرنسيون احتلالا كاملا منذ قرن وربع ، وقد حاولوا خلال احتلالهم الطويل ان يجعلوا منها بلاداً فرنسية بحتة ، ولكن خطأهم في احتقار المسلمين هو الذي جعل هؤلاء يثورون على فرنسا ويطالبون باخراج السلطة الاجنبية من ارضهم .

وقد قطعت ثورة الجزائريين اشواطاً بعيدة، وها هي توشك ان تنجز مهمتها، الا وهي تحرير الجزائر.

ومما يدل على الوضع الشاذ في القطر الجزائري الشقيق ان المسافر الذي يود ان يسافر من تونس الى المملكة المغربية ، عليه ان يستقل الطائرة نحو روما، ومنها

يستقل طائرة اخرى الى مدريد وبعد ذلك يتوجه الى المغرب، لان المرور بالجزائر محظور على العربي !

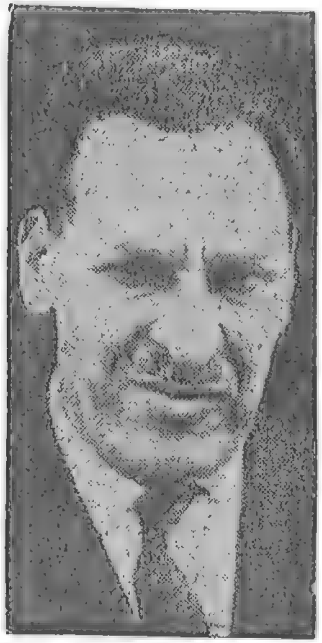

السيد فرحات عباس رئيس حكومة الجزائر الخالدة !

اهداف القارة

اصبحت القارة الافريقية محور النشاط السياسي في العالم، ومصدرا من مصادر الانباء الصحفية الهامة التي لا تنضب . خذ أي صحيفة — كل يوم — في أي بلد واي لغة ، فانك ستقرأ فيها خبراً أو تعليقاً عن هذا البلد أو ذاك من افريقيا .. فالمؤتمرات الافريقية التضامنية الدورية التي تعقد في هذا البلد او ذاك متواصلة منذ ثلاث سنوات .. فمن مؤتمر اكرا (١٩٥٨) الى مؤتمر تونس (١٩٥٩)، الى مؤتمر طنجة حكاية هذه الشعوب الناهضة نهضة رجل واحد الى الحرية ، حكاية مليئة بالعبر والمفاجآت وعظائم الامور السارة ..اه

ونظرة عابرة الى التوصيات السياسية التي كان يقررها المؤتمر الافريقي كل سنة (وكلها متشابهة) تؤكد لنا اهمية المبالاة الدولية بافريقيا والافارقة في هذه الايام .. هاكم موجزاً صغيراً لتلك التوصيات :

- الاهتمام بالبلاد التي يخوض اهلها الآن معركة التحرير .
- العزم على انهاء الحرب الجزائرية (يوجد اليوم حملة تطوع معها من جميع الاقطار الافريقية) .
- تحقيق وحدة شمال افريقيا بعد استتباب السلم في الجزائر .
- سياسة المغرب ترمي للتحرر الاقتصادي والاجتماعي .
- جلاء الجيوش الاجنبية .
- سياسة عدم التبعية : (عدم الخوض في النزاعات الدولية وخصومات الكتل).
- اختيار الحلفاء بتمام الحرية بعد تسوية المشاكل .
- تدعيم اركان اتحاد شعوب افريقيا المستقلة .
- مقاومة الاستعمار الجديد المكتسي صبغة السيطرة الاقتصادية ، وتصفية سيطرته في بلاد المغرب العربي .
- استثمار خيرات القارة الافريقية المعتبرة الآن كمستودع ضخم للمواد الاولية وذلك لمصلحة الافارقة ..
- وحدة المغرب العربي : ضروراتها ، اشكالها الممكنة ، مرحلتها الانتقالية .
- ايجاد تعاون اقتصادي بين الدول الافريقية وتبادل المعلومات الفنية والعلمية والثقافية .
- التفكير في اقامة مشاريع مشتركة وبحثها وانجازها حتى تتكون مجموعات اقتصادية مهمة .
- اتصالات انسانية بين الافارقة .
- العمل في نطاق ميثاق باندونغ الخ الخ .. !

◆

لقد ظلت القارة الافريقية احقابا طويلة محتلة من قبل الدول الاجنبية ، واخيراً

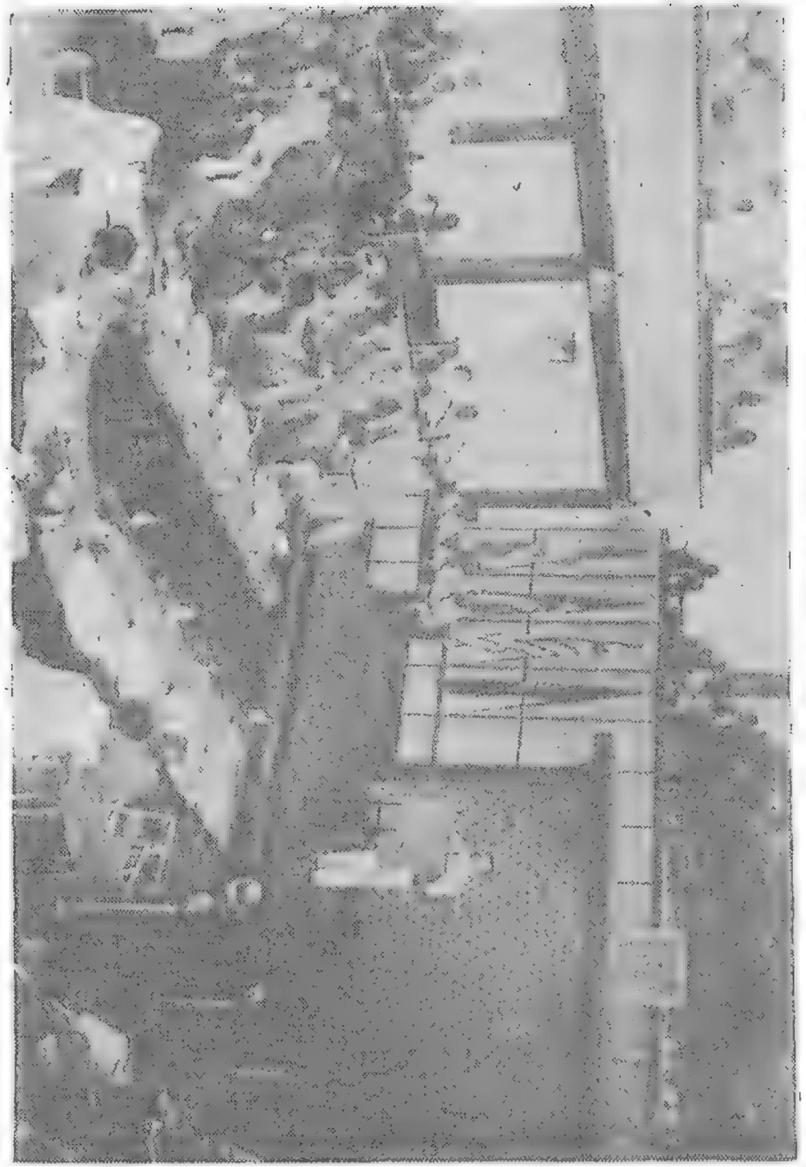

جلسة افتتاحية لاحد المؤتمرات الافريقية وفيها وزير خارجية المغرب يلقي كلمة بلاده .

تمكنت من قطع الاغلال واحداً بعد الآخر [1] ، وامكن لشعوبها ان تجتمع في مؤتمرات كبيرة تؤكد تضامنها وعزمها على تنسيق عملها ، ليكون ذلك هو الضمان الحقيقي لاستقلالها ، كما اكد الافارقة – المؤتمرون – وما زالوا يؤكدون ، ان « الاستقلال الشخصي لن يكون استقلالا حقيقياً تاماً الا اذا تحررت الشعوب الاخرى التي لا تزال ترزح تحت نير الاستعمار ، والتي تكافح من اجل حريتها » .

يذكر المتتبعون تلك الرحلة « الدولية – الافريقية » التي قام بها المستر هامرشولد الامين العام للامم المتحدة الى اقطار افريقيا كلها ، واجتماعه بجميع رؤسائها واعضاء حكوماتها في مطلع العام الحالي . لنستمع الى الرجل « العالمي » ماذا قال بعد تلك الرحلة :

« ان الخبرة التي اكتسبتها في اثناء هذه الرحلة الطويلة جعلتني اقل ميلا الى التعميم والى التحدث عن افريقيا والافريقيين بصورة شاملة ، ذلك لانه بقدر ما

---

[1] في اليوم الرابع من نيسان (ابريل) من السنة الحالية تم التوقيع في باريس على استقلال مالي التام . وقد وقع وثيقة الخلاص التاريخية ميشال دوبريه رئيس الوزارة الفرنسية ، وعن مالي موديبو كيتا رئيس اتحاد مالي ورئيس وزراء السودان ، وممدو ديا (محمد رضا) نائب رئيس الاتحاد ورئيس وزراء السنغال .

وصدر بلاغ مشترك عقب توقيع الاتفاقية جاء فيه : « ان برلماني البلدين يجب ان يوافقا على الوثائق قبل ان يصبح الاستقلال نافذ المفعول » . وقال البلاغ انه سيطلب الى برلماني البلدين المصادقة على الوثيقة في شهر حزيران القادم (من هذه السنة) وسيبقى اتحاد مالي ضمن الاسرة الفرنسية . .

والمتوقع انه سوف لا يطل عام ١٩٦١ الا ويكون استقلال مالي تام الشروط ، ومثل ذلك متوقع « للجمهورية الاسلامية الموريتانية » التي جرت بشأنها مفاوضات مشتركة لهذا الفرض . فاذا صح الذي سمعناه وقرأناه ، يكون الرئيس بن داده قد حقق لبلاده اولى صفات السيادة والتحرر

ولكن العقبة المتوقعة حتى الان في طريق مالي وموريتانيا ، هو ان الدستور الفرنسي يقول : (ان الدول ذات السيادة لا يمكن ان تكون تابعة للاسرة الفرنسية) ولكن الجنرال ديغول ينوي تعديل الدستور لالغاء هذه المادة .

ملحوظة : ذكر ذاكر حسن الاطلاع ان الرئيس بن دادة ، يعتزم اعتزاماً اكيداً طلب اتحاد فيدرالي مع المغرب حالما يصبح استقلال موريتانيا واقعاً كاملا ، وان الرجل غير متنكر لاماني شعبه القومية ، حالما تسنح له الظروف المواتية ، والله اعلم . .

هناك اتساق موّحد بين الافريقيين ، وخاصة في نطاق الاهداف والاماني ، هناك في نفس الوقت تنوع هائل في التقاليد وفي المشا كل وفي المواقف .

واضاف : اننا نواجه في القارة الافريقية مشا كل كبيرة جداً ، ولكن هناك حقيقة واحدة مشجعة جداً وهي اننا نجد الجيل الحاضر من الزعماء الافريقيين على جانب رفيع من الروح الجدية والذكاء !! ولا شك عندي في ان البلدان الافريقية تسير الآن نحو المستقبل السعيد بقيادة هؤلاء الزعماء الافذاذ » .

ووصف الامين العام القارة الافريقية بانها « مسرح تيارات مختلفة متعددة » . فالمشا كل الافريقية تختلف باختلاف المناطق من حيث التاريخ والاقتصاد والحالة الاجتماعية . واضاف ان ما لاحظه في كل مكان هو قوة اليقظة الافريقية .

ولكننا نلاحظ ــ مع الاسف ــ انه بالرغم مما قاله رجل الامم المتحدة واكده عن « قوة اليقظة الافريقية » فان بعض الدول الغربية ، ما تزال تحاول جهد الامر بكل حيلة ووسيلة « استحمار هذه الشعوب الواعية واستعمارها كما لو كانت ماتزال في ايام غفلتها » .!!

ان نداء رئيس حكومة الجزائر السيد فرحات عباس الذي بثه من راديو تونس في ١٦ شباط (فيفريه) الماضي على اثر خطاب ديغول اللئيم الذي تراجع فيه عن سياسته السلمية الكاذبة ــ ان خطاب فرحات عباس ، ذاك الخطاب العظيم ، لا يزال يرن في اذن العالم بمنطقه السديد وروحه القوية :

« ان ساعة الحق قد دقت ابواب بلدنا المشترك . اما الانتقام والتعذيب والعمل على استمرار السيطرة الاجنبية فمن شأن كل ذلك ان يقذف بالجزائر الى جحيم حرب لا نهاية لها . وما من جيش يستطيع ان يضمن لكم استمرار نظام استعماري ، وليس غير الدولة الجزائرية من يؤمن لنا امكان العيش معاً ، ويضمن مستقبل اطفالنا .

« ان الحرب الجزائرية ليست حربا يشنها العرب على الاوروبيين ، وليست حرب المسلمين على المسيحيين ولا حرب الشعب الجزائري على الشعب الفرنسي ، بل هي حرب فُرضت على شعب اهمِل مدة طويلة وكان الاهمال مصدر علله وشقائه . وإنها حرب خاضها شعب جابه العقبات والعراقيل في طريقه حقبة طويلة من الزمن . وهي حرب يخوضها شعب كان مخدوعاً طوال تلك الفترة الطويلة . وقد آن الاوان لكي تؤخذ الطبيعة الحقيقية لصراعنا ، وشرعية حقنا ، بعين الاعتبار !! »

وطلب السيد عباس من الاوروبيين ألاّ يلعبوا اللعبة التي لعبها الغلاة . وقال: « ان الابطال الجزائريين الذين صمموا على الموت في سبيل الحياة الحرة ، لا يمكن ان يساوموكم على حقهم في التمتع بهذه الحياة الحرة . وهم اذ يرفضون ان يكونوا رجالا من طبقة ادنى ويرفضون الاعتراف بكم مواطنين متفوقين عليهم، مستعدون ان يعتبروكم جزائريين حقيقيين » .

« ان الجزائر للجزائريين ، للجزائريين جميعاً ايا يكن اصلهم . وهذا المبدأ ليس وهماً بل انه حقيقة واقعة هي اننا نعيش جنباً الى جنب » .

اسمعتم ؟ اين يوجد اشرف من هذه السياسة وانبل من هذا الموقف ، واعظم من هذه الروح العربي الشجاع ؟..

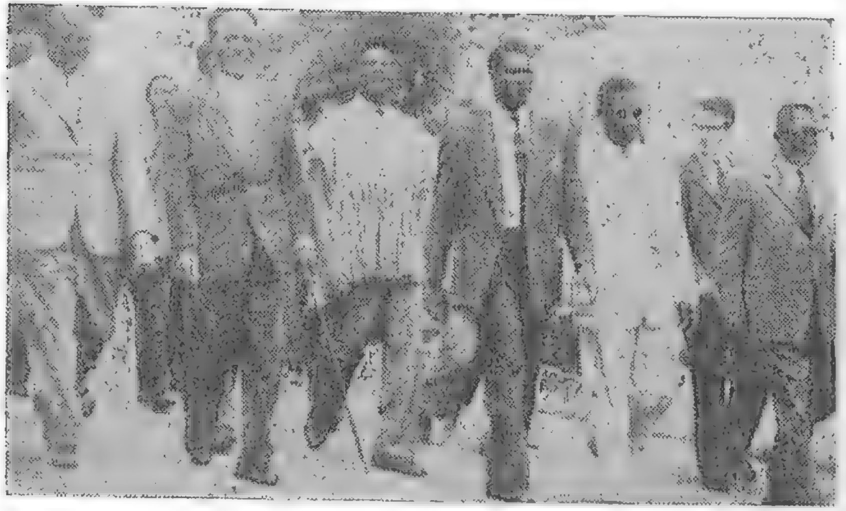

اقطاب القارة السوداء .. في خطوات الى الامام !

ومع ذلك ، فان فرنسا غير مقتنعة ، وهي ماضية في تجربتها الحمقاء الى النهاية التي ستكون نهايتها هي باذن الله !

لقد وصف العام ١٩٦٠ الحالي بعض المعلقين السياسيين اثناء عيد راس السنة بقوله : « انه العام السحري للقارة الافريقية » . ! ويؤكد هذه الحقيقة المقدار العظيم من الاهتمام الذي حصلت عليه حتى الآن القضايا الافريقية العديدة في المجالات الدولية والصحفية ، وما زالت تحصل عليه بفضل وعيها الشديد ، وزعمائها الاذكياء المخلصين !

« مالي » بين المغرب واسرائيل

كلمة عتاب اخوي !

من المعلوم ان جمهورية مالي التي تضم السودان والسنغال ، وقد اعترف لها بالاستقلال الداخلي على اثر الاستفتاء حول الدستور الديغولي في سنة ١٩٥٨ ، وانها ستصبح مستقلة استقلالا كاملا في هذه السنة ١٩٦٠ .

والمتتبعون لحركة التحرر في افريقيا ينتظرون بفارغ الصبر اليوم الذي سيعلن فيه الاستقلال الكامل لهذه الجمهورية الافريقية الفتية . ويرجون صادقين ان تكون منذ الان على بينة من طريقها ، وان تأخذ مكانتها مباشرة بعد الاستقلال الكامل فى ركب الحرية والتقدمية الى جانب اخواتها غينيا وغانا ونيجيريا وغيرها من الدول الافريقية المتحدة .

الآن هنالك قضية تتعلق بهذه الجمهورية الأفريقية ، لا نستطيع ان نمر عليها دون ان نسجلها على الاقل ، وهي انها قد قبلت اخيراً تعيين قنصل اسرائيلي بارضها ، بل ان هذا القنصل الاسرائيلي قد التحق فعلا بمقر منصبه بدكار . وقد كان من قبل يشغل منصب ملحق عسكري بالسفارة الاسرائيلية بباريس !

هذا مع العلم بان المغرب كان قد قرر منذ السنة الماضية فتح قنصلية له بدكار عاصمة جمهورية مالي . وعين قنصله بالفعل ، ولكنه لا زال حتى الان لم يجب بالمصادقة على ذلك !

وتفصيل هذه القضية ان جلالة الملك كان قد مر في طريق عودته من رحلته

التذكارية الى جزيرة مدغشقر بمدينة دكار عاصمة الجمهورية المالية ، واجتمع هناك بالجالية المغربية ووقف جلالته بنفسه على مدى اهمية مصالح هذه الجالية ، وكثرة عددها ، وعلى اهمية المبادلات التجارية بين جمهورية مالي والمملكة المغربية ، وقد كان من المطالب التي تقدمت بها الجالية المغربية الى جلالته إنشاء قنصلية للمغرب في دكار ترعى مصالح الجالية المغربية ، وتسهر عليها ، وتعزز اواصر الجوار بين المغرب وجمهورية مالي ، وتكون بمثابة دار ضيافة في المناسبات ، تحتفل فيها باعيادها الدينية والقومية ، وقد وعد جلالته بذلك ، ولم يلبث بعد عودته ان عين قنصلا مغربياً بدكار . وحسب التقاليد الدبلوماسية المرعية ، فقد قامت وزارة الخارجية بطلب المصادقة على هذا التعيين ، وكان من اللازم نظرا لكون جمهورية مالي لا تتمتع باستقلالها الكامل حتى الان ، ان يقدم هذا الطلب عن طريق وزارة الخارجية الفرنسية . ومن يومها ووزارة الخارجية الفرنسية تجيب بانها قد عرضت الامر على حكومة الجمهورية المالية ، وانها لا تزال تنتظر ردها .؟!

وفي الوقت الذي لا يزال المغرب ينتظر فيه جواب حكومة جمهورية مالي بالمصادقة ، في هذا الوقت بالذات تنقل الينا الانباء انه قد تم الاتفاق على إنشاء قنصلية اسرائيلية بدكار ، وان القنصل الاسرائيلي قد التحق بمقر منصبه فعلا !!

وهكذا تكون حكومة جمهورية مالي قد اجابت (نعم) فيما يتعلق باسرائيل ، وانها — اذا كان لنا ان نصدق دعوى وزارة الخارجية الفرنسية — لا تزال تخرج بالصمت عن « لا » و « نعم » فيما يتعلق بالمغرب !

ونحن نريد ان نذكر هنا بالروابط التي تربط موريتانيا بجمهورية مالي ، التي يوجد على رأسها شاب مسلم .. ان تسعين بالمئة من سكانها مسلمون ، وان لها حدوداً مشتركة مع الجمهورية الاسلامية الموريتانية ..

كما نريد ان نذكر بشيء اخر لا ينبغي لجمهورية مالي ولا لاية دولة افريقية ان تنساه ، وهو ان اسرائيل كانت دائماً ولا تزال ، تقف في المحافل الدولية ضد حركة التحرر في افريقيا وآسيا ، وانها تناصر الاستعمار ، لا لانها فقط ربيبته ، ولكن لانها دولة استعمارية من الدرجة الاولى ، بل ان وجودها من اصله ليس الا

نوعا من اخطر والعن انواع الاستعمار .

والمفروض ان هنالك كتلة افريقية اسيوية تعمل ضد الاستعمار ايا كان نوعه او شكله ، او الاسم الذي يتستر من ورائه . ومن واجب جميع الدول الافريقية والاسيوية ، وهي تكافح ضد الاستعمار ان تعلم ان اسرائيل ليست دولة مستعمرة فحسب ، ولكنها دولة استعمارية من نوع خاص لم يسبق له مثيل في تاريخ الانسانية على كثرة ما عرفت الانسانية في تاريخها من مظالم واهوال .

ومن ثم ، فان من واجب هذه الدول ، اذا كانت حقيقة جادة في محاربة الاستعمار ، الا تتجاهل — مهما تكن الدوافع — ان اسرائيل في رأس قائمة الدول الاستعمارية ، وان تكون هدفا اساسيا في كفاح الدول والشعوب المتحررة ضد الاستعمار .

اما ان تتعامل معها بعض الدول الافريقية او الاسيوية ، وترحب بفتح قنصليات او سفارات لها في بلادها ، فذلك ما يناقض تمام التناقض عداوتها للاستعمار وحربها له في كل ميدان ..

اننا لا نستطيع ان نمر صامتين على إنشاء قنصلية لاسرائيل في جمهورية مالي ، في الوقت الذي لا زال لم يقع فيه البت في قضية إنشاء قنصلية للمغرب بها ، مع ان هذه القضية مطروحة منذ سنة على بساط .. التسويف !

واذا كنا لا ننسى في هذا المقام ان المسؤول الاول عن ذلك ، انما هو وزارة الخارجية الفرنسية ، فاننا مع ذلك لا نستطيع ان نعفي جمهورية مالي من حظها في هذه المسؤولية ، فالمفروض انها مستقلة ايا كان نوع الاستقلال الذي تتمع به .!

الفصل الثالث

موريتانيا في غابرها القبلي

خطط أرضها وبلدانها

الوطن ذو الاسمين..!

قليلة هي البلدان التي لها اسمان في العالم . ولكن موريتانيا في طليعة هذه البلدان القليلة التي لها هذا الواقع .. إن لها إسما للتاريخ هو « شنقيط » ، مردافاً للعروبة والاسلام؛ واسماً معاصراً هو «موريتانيا» مرادفاً لواقع سياسي مستحدث، لا ندري هل سيكون نذيراً خطيراً لتغيير تاريخ مجيد ، وقومية لها شرف الانتساب لأفضل أمة ؟ أملنا ان لا يكون الاسم الحديث ، إيذاناً بانقلاب التاريخ !

الاسم في مراحل تكوينه

« موريتانيا » اسم اطلقه الرومان على المغرب الاقصى والجزائر وغرب تونس . وفي عهد الامبراطور « كلوذيو » قسمت موريتانيا الى ثلاثة اقسام :

١ ــ موريتانيا القيصرية .

٢ ــ موريتانيا السيتيفانية .

٣ ــ موريتانيا الطنجسية (نسبة الى طنجة ــ طنجيس) .

وعندما احتلت موريتانيا ــ هذه ــ قطر شنقيط ، سمته بهذا الاسم احياء لذكر الرومان وتشبهاً بهم .

اما شنقيط ، فهي إسم لقرية صغيرة انشأتها قبيلتا آدوعل والأغلال في القرن السابع الهجري .

ومعنى شنقيط باللغة البربرية (لهجة ازير) : عيون الخيل ، كما ذكرنا سابقاً ، وقد سمي القطر كله باسمها لاشتهارها في الخارج من قبيل تسمية الكل باسم البعض كما قلنا قبلا .

وترجع شهرتها الى كثرة العلماء فيها ، والى كون سكانها كانوا كل عام

يوفدون الى البلاد المقدسة رفقة كبيرة من الحجاج تعرف بـ « الركب الشنقيطي » . وقد كانوا اهل تجارة منظمة مع السودان والسنغال – اتحاد مالي – وسجلماسة وكلميم . وهذه القرية من اقدم قرى شنقيط هي وتيشيت وولاته التي زارها الرحالة الشهير ابن بطوطة .

اللغة البربرية والحسانية (العربية)

قبل هجرة المغافرة الى الصحراء ، كان اهل شنقيط يتكلمون بلغتين : **البربرية** وتنقسم الى لهجتين : « كلام ازناكه » وهي لهجة قريبة جداً من التشلحيت . و « كلام ازير » ، وهي لهجة تقارب تمازيغت .

والعربية : وقد كانت لغة الكتابة والثقافة والدين . وبعد هجرة المغافرة الذين يتكلمون باللهجة الحسانية (نسبة الى حسان بن جعفر) عمت اللغة جميع القطر ، وصارت لغة التخاطب ، وانقرضت اللغة البربرية تقريباً .

والحسانية – اللهجة – لغة اقليمية حلوة ترمز الى المفردات الفصيحة رمزاً جميلا .. ولذا ، تراها تلتقي مع اللغة الفصحى المكتوبة التقاء جد قريب ..

وتختلف الحسانية باختلاف لهجات اهل البلاد المتباعدة المسافات . مثال ذلك ان اهل آدرار وتغانت والحوض يلفظون القاف غيناً محضة . فيقولون عبد «الغادر» في عبد القادر ، و « اَغديم » في اَقديم ، بمعنى الذي يخدم في السفر واشباه ذلك .

واما اهل افطوط فانهم يعكسون القاعدة ، وكاهل القبلة – التراززة – ومن جاورهم ، فان الكثرة فيهم تلفظ التاء طاء . فيقولون « الطراب » في التراب ، و « الطمر » في التمر وهكذا .. حتى لقد اخذ الخلاف بينهم على ذلك صفة الجدل الحاد الدائم .. ومن طرائف هذا الخلاف ان بعض زوايا اهل القبلة يرون ان الصلاة خلف اهل هذه اللغة باطلة .. لإنهم يلحنون في الصلاة لحناً يغير المعنى ان القراءة الفصيحة للقرآن والشعر شرط عندهم اساسي لا هوادة فيه .!

ان تسكين المحرك كثير في اللغة الحسانية ، وبعض الفاظها لا تعرف له اشتقاقاً ، وليس ماخوذاً من اللغة الشلحية أو البربرية ، وانما هو « اصطلاح محلي » لا يعرفه

الا اهل البلاد ، او من قضى في معاشرتهم زمناً . وهنا تجدر الاشارة الى ان انطلاق السنتهم بالفصحى – متى أرادوا – امر في غاية اليسر والسهولة لانها لغتهم الطبيعية في الاساس . وليست اللغة الحسانية سوى حاجة اقليمية خاصة بالبيت والسوق كما قلنا . لقد لاحظت اثناء اختلاطي بعرب افريقيا ، ان اللغة الفصحى هي الملتقى المبين الذي تلتقي عنده ألسنة العرب في كافة اقطارهم ورغم اختلاف لهجاتهم !

جدل لغوي .!

بين المسائل التي يكثر الجدل والنقاش حولها ، مسألة « الجيم المتفشاة ، والجيم الشديدة . فان اهل كل ذلك القطر متفقون على النطق بالجيم الاولى في كلامهم الجاري ، وفي قراءة الشعر والكتب العلمية ، ويختلفون في قراءة القرآن والحديث .. فاهل القبلة اكثر علماً بما يقرأون بالجيم المتفشاة ، الا قليلاً منهم يقرأونها شديدة . وحجة اهل الجيم الشديدة ان الجيم المتفشاة هي لغة الشلح والبربر » . وكما طعنتم في لغتنا ، نطعن في لغتكم .. انما الحكم بيننا كتب الأئمة .. هاتوا برهانكم[1] .! هكذا يتلاحون ويتجادلون فيما شجر بينهم حول هذا الشأن ..

اما اللغات الاجنبية ، فالشائع منها في بلادهم اللغة الفرنسية ، باعتبارها لغة الحاكمين . وهي اليوم لغة الثقافة الجامعية العالية في اوساط الجيل الجديد . ولكن اللغة العربية هي على كل حال لغة البلاد الوطنية يتعلمونها ويعلّمونها في المدارس مع الفرنسية . ومما يدعو الى الفخر والاعتزاز ، حرص القوم الفائق هناك على تدريس لغة الدين والكتاب ، ثم نشرها في اوساط السود في مختلف الاقطار الافريقية !

---

[1] ١ – قال سيبويه في (كتابه) : ان الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء : من الحروف الشديدة التي لا يجري فيها الصوت ، والفرق بين المجهور والشديد ، ان المجهور يقوى الاعتماد فيه ، والشديد يقوى لزومه في موضعه ، وهذا ما جعل الجيم المغربية متفشاة .

الحياة القبلية

لا تزال النزعات القبلية ذات اثر بارز في حياة الموريتانيين ، برغم تجدد الحياة والزمن ، وانتقال احوال البشر جميعها من طور الى طور ..

والنزعة القبلية عندهم ، مرفقة ككل نزعة عاطفية ، بالعصبية السياسية والفكرية ، وهي تتحكم بشعور الفرد الى حد بعيد في سلوكه الاجتماعي والشخصي تحكما ظاهراً .. !

ان النزعات جميعها عند الانسان الراقي والمتأخر ، والبدوي والمتحضر ما هي؟ انها في مردها ، في مصدرها النفساني ، في منبعها الاصلي « عاطفة » ، سواء اكانت عاطفة دينية او عنصرية او قبلية او ما شاكل ذلك .. لننظر — مثلا الى الاتجاهات العقائدية والسياسية عند ارقى الشعوب فماذا نجدها ؟ انها « عاطفة » لهذه العقيدة او تلك ، ولهذا المبدأ او ذاك .. اذن ، فان النزعة هي النزعة ، ولا يختلف سوى النوع ، اما الاحساس — المحتوى — فانه ابداً عاطفي .. !

والبيضاني لا يستطيع مهما كان متصفاً بالعلم والتحرر ، ان يتغلب على نزعته القبلية عندما يجدّ الجد .. وهو حديث العهد بفكرة « الوطن » والكيان السياسي في مفهومه الحديث . ولا ننسى عوامل الظروف والمؤثرات التاريخية والاجتماعية المتوارثة على مر الاجيال ، كم لها من الاهمية في تكوين عقل الانسان، وخاصة الافريقي الذي لم يصبح انساناً « مدنياً » الا منذ عهد قريب ..

ولست اريد ان امضي في الدرس والتحليل لتلك الامور ، فان الخوض فيها يقود الى الاسهاب والاطالة ، وأنا غرضي ان اتحدث عن ماضي قوم يهمنا شأنهم ، لان تاريخهم تاريخنا ، وعنصرهم عنصرنا ، وماضيهم في اقصى المغرب مثل ماضينا في اقصى المشرق .. !

تقسيمات قبلية

ذكر سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي في رسالته : « صحيحة النقل في علوية ادوعل وبكرية محمد غل » وهو يقصد العلويين والبكريين — ذكر سيدي عبد الله هذا ، انه كان للعلويين مئة ساقية ، وكانوا يعدّون في القطر — شنجيط — اثنتين واربعين قبيلة !

وكانت هذه القبائل تقتتل فيما بينها دائماً — حالة العرب الاولى — فلما وضعت الحرب أوزارها بينهم فترة من الزمن ، اجتمعوا لوضع حد للحروب المقبلة ، ثم ما لبثت حسان ان عادت تتناهب الاموال وتتقاتل مع بعضها .. وصار كل ما كانوا يأخذونه من « اللّحمة » ملكاً متوارثاً .. الى ان صاروا يبتاعون رقاب « اللحمة » اعني ان يبيع احدهم من يتولاه مع اعترافهم بانهم أحرار ..!.ولا يعنون بالبيع الاسترقاق « الشرعي » ، بل مرادهم بيع المكس الذي يؤخذ من احدهم ويسمون اللحمة (زناكه) ، وهي تعني (الاوباش) او أطراف الناس عندنا كالنوَر مثلا ...

اما شنقيط ، فمنذ فتحه المسلمون حتى اليوم ، لا يوجد فيه فرد واحد خارج عن الاسلام ، الا ان اهله متفاوتون في الاستقامة ، فالاغلب على الزوايا الدين والتعبد ، وربما وجد فيهم بعض السفهاء ، كما انه ربما وجد من « حسان » من ينسب الى الاستقامة بالنسبة الى غيره منهم ..

ومن اعجب امرهم انهم لا يعدون ظلم « اللُّحمة » ظلماً .. ويقولون فلان يدافع عن « المسلمين » اي اذا كان ينصر « الزوايا » على من ظلمهم ..

كما لا يقدّح عندهم في إستقامته من سفك دماً حسانياً ..!

ومن البيضان الاصلاء في عروبتهم قبيلة «لمتونة» التي حفظ لها التاريخ اصلها ، فقيل انهم من حمير ، ودخلوا بلاد المغرب في الجاهلية .

اما القول انهم من البربر فمردود ، لان التحقيقات التاريخية في تلك البلاد اثبتت انهم من التبابعة من اليمن ، واستوطنوا المغرب الاقصى وملكوه في القرن الخامس .

ومن اشهر ملوكهم يوسف بن تاشفين ، وهو الذي اختط مدينة مراكش .

اما القبائل الاخرى فاكثرها من العرب والكل يدعي ذلك سواء كان يتكلم العربية ام الشلحية .

اما قبيلتنا «ادَوعلْ ، والاغلال» فمعظم النسابين الموثوق بصدقهم هناك يقولون ان القبيلة الاولى بكرية ، وكذلك القول في قبيلة «ايدوعيش» . ولا يجادلون في ان تجكانت وادولحاج من حمير ، وكذلك أدَيبيسات تتناسب الى ذرية جعفر بن ابي طالب . والى هذا تتناسب قبيلة ايدابلحسن ايضاً . وقبائل ابناء اخطيره ، وهم ينتمون لايدابلحسن ونسبهم غير مطعون فيه.

واما امهات قبائل بني حسان فهي : المغافره ، واولاد رزق ، واولاد داود، واولاد دليم ، والبرابيش . والمغافرة : هم بنو جعفر بن عدي بن حسان وقبائلهم الترارزة والبراكنة واولاد الفحفاح ، واولاد الناصر، واولاد يحيى بن عثمان ، والرحاحلة ، واولاد داود بن عمران ، واولاد خليفة بن مغفره .

وكان المغافرة في الساحل ـ شمال الموريتانيا الغربية مما يلي البحر ـ حتى وقوع الخلاف بين اولاد رزق في القرن الحادي عشر وهم اذ ذاك ملوك القبلة ـ الجهة الجنوبية مما يلي نهر السنغال ـ فاستنجد اولاد بو علي المغافرةَ على اعدائهم الكُتَبيات واولاد عيت ، فنفر المغافرة لنصرتهم فكانت وقعة اقتام(١) سنة الف واربعين للهجرة ، وبها تمت دولة اولاد رزق بعدما فني اكثرهم بعد قتال دام اربعين يوماً . واحتل المغافرة القبلة ، ثم تحارب اولاد الفحفاح مع الترارزة والبراكنة حرباً انتهت بانحياز اولاد الفحفاح الى شرق الموريتانيا واطراف السودان.

---

١ ـ موضع في بلاد الترارزة .

وفي هذه الحرب قتل «اودبك الاقرع» رئيس اولاد الفحفاح ، فطلعت زوجته، واسمها «قرطوفة» على شجرة وناحت عليه حتى ماتت !!

ثم تحارب الترارزة والبراكنة حرباً انتهت بانحياز البراكنة الى الشرق الجنوبي من موريتانيا حيث هم اليوم وبقي الترارزة في بلادهم التي تنسب اليهم اليوم لا منازع لهم فيها .

واما اولاد رزق: فهم بنو رزق بن ادي بن حسان. ومن بطونهم اولاد بوْعلي والكتيبات واولاد عيث واولاد الخليفة . وبقية هؤلاء اليوم في عداد الترارزة . وكانت لاولاد رزق شوكة وسطوة في القبلة وكثرة فادحة . حتى ان الكتيبات حفروا مرة بئراً في تناشيلي (اسم مكان غزير الماء لا ينضب)فضاقت عن سقيهم حتى ماتت لهم عشرات جياد الخيل ، عدا سائر المواشي التي هلكت عطشاً .. وكانت الشوكة من اولاد رزق في اولاد بو علْي، منهم : كدول بن موسى المشهور بالظلم والجور ونفوذ الكلمة. كان يحمي (شمامة)(١) حتى تيبس لئلا تعثر فيها الخيل عند السباق . واما ابناء داود بن ديّ بن حسان فهم في نواحي تمبكتو .

الزوايا

لما افترق سكان شنقيط الى الانواع الثلاثة المار ذكرها، صار لفظ الزوايا علما على قبائل كثيرة اغلب سيرها في تعلم العلم وتعليمه وتعمير الارض بحفر الآبار ، وتسيير القبائل ، وقرى الضيف ...

ومن اخلاق الزوايا ـ على ديانتهم وعلمهم ـ انهم اهل حقد وضغينة على بعضهم .. فاذا اتفقت ان وقعت بينهم حرب (كل فتنة عندهم اسمها حرب) لا تمحى اضغانها من الصدور .. بعكس حسان ، فانهم اذا تفاتنوا لا يلبثون ان يعودوا يداً واحدة ويصطفوا لقتال غيرهم .. وربما التجأ الى القبيلة منهم بعض عدوهم فأووه ونصروه وماتوا يدافعون عنه !!

ومما يمدح من امر الزوايا ، عدم شهادة الزور ، والتحرج الشديد من اكل مال

---

١ ـ الارض التي تنبت الكلأ الصالحة لرعي المواشي .

الغير . . كما ان اهل الجاه منهم، لا يأخذون على جاههم ثمنا . . وان التعليم والإمامة يكونان مجانا عندهم . اما القرآن ، فلا يرون باخذ الأجرة على تعليمه باسا . وربما تعلق الحيي منهم بأخذ العلماء الاجانب عنه، فشارطه ، سنة أو سنتين بشيء معلوم على ان يعلمه . . لكن من كان مع العالم في بلد واحد (ويعنون بالعالم الاستاذ) لا يأخذ منه اجرة . ومن رحل اليه لا يأخذ منه ايضاً .

وربما التزم العالم نفقة الغريب وكسوته وعلمه ايضاً . . وهذا الذي ذكرت انما هو الاكثر . . ومما يذم من امر الزوايا ، وخاصة زوايا القبلة وتيْرس والحوض ، وكثرة التيمم صيفاً وشتاء . . حتى ان احدهم ليتيمم للصلاة وهو على حافة النهر . . وقد انكر ذلك بعض العلماء عليهم وشنّع فيه، فمنهم من يجادل في ذلك ويقول إن النابغة الفلاني أنكر ذلك عليهم في باديء الامر وبعد سنة اصابه زكام فصار يتيمم . . . ولكن النابغة ــ في الواقع ــ ما تيمم الا ايام مرضه ، ثم عاد الى الوضوء . . . وبعضهم يزعم ان جسد العالم الفلاني أضرَّ به الماء فصار يتيمم .!

والواقع ان البيضاني ــ اجمالا ــ يكره صب الماء على بدنه والاغتسال كرهاً شديداً . . ومنهم من لا يمس الماء بدنه منذ يولد حتى ساعة يموت . . ومن الشعراء بيضان من هجا الزوايا في هذه العادة ، وهو بابا بن احمد بيب العلوي ، فقال من ارجوزة طويلة :

وقد رأيناهم يؤمّون (البحارْ)[1]   ويتيممون ذلك النهارْ . .!
وقد رأيْنا المتوضئينا   أطولَ اعماراً من الذينا . .
لم يتوضأوا ولم يغتسلوا   وقُسّم الرزقُ وحُدّ الاجلُ !

وقال من قصيدة اخرى بذات المعنى :

هذا واني ارى ان التطهر لا   يكون الا بماء حيث يوجد ما
ومن تيمم لا يجدي تيممه   وقد اتى بذنوب لم تكن لمما

---

[1] ــ البحر عندهم ، سماء النهر ، او الساقية ، اما البحر الحقيقي فيسمونه « البحر الازرق » ، هذا التنويع يفهمونه !

حسان :

ان حسان ، في ارض شنقيط ، لهم ضرر ونفع ، وبعضهم اكثر ضرراً من بعض . . أما نفعهم فهو خوف بعضهم من بعض : لأن في ذلك نفعاً للزوايا ، اذ كلّ بلد فيها زوايا وحسان ، فضرر حسان لمن جاورهم من الزوايا اقل من ضرر البعيد عنهم . . وماذا تقول في قوم يعيبون من مات منهم حتف انفه ؟ واذا ذكر احدهم ميتاً له قتل في معركة يقول : « مات متفرّشاً » يعني انه قتل آخر . . وفي طبقتهم العليا ابهة عظيمة، فانهم يحتكرون لفظة « العرب » لانفسهم ولا يسمحون لهذه اللفظة لغيرهم ، كالزوايا مثلا اهل الطبقة الدنيا عندهم . . وهم في ذلك لا يدعون ان هذا الاخر « عجمي » الاصل، بل لانه عندهم لايستحق هذه الكرامة باطلاق اسم « عربي » عليه لضعف شأنه وهزاله !

ومثال من يقال له « عربي » عندهم من الترارزة ابناء احمد بن دامان واهل عبل . اما أبناء اكشمتار ، فاكثر ما يقال لهم « اعريب » بالتصغير العامي . . وكأبناء البوعلية وموسات لانهم اضعف من السابقين . .

وتدعي حسان انها تنتسب في عروبتها وشجرتها الى الحسن بن علي عليه السلام وقد بلغت العنجهية العربية عندهم واعتزازهم بعروبتهم حداً جعل احد شعرائهم يقول :

انّا بنو حسن ، دلّت فصاحتنا   انا الى العرب العرباء ننتسب
ان لم تقم بينات اننا (عرب)   ففي اللسان بيان اننا عرب .!

وتنقسم قبائل حسان في ارض شنقيط الى اربعة اقسام : قسم يقال له اولاد احيبى من عثمان، وهم سكان ادرار ، وقد يخرجون عنه احياناً للنجعة . وقسم يقال له : اذوعيش ، وهؤلاء يسكنون تكانت في اغلب اوقاتهم . وقسم يقال له : الترارزة، وهم سكان القبلة ، أي من حدود سنغال الى كَيَهيْدي والعُقل . وقسم يقال له : اولاد عبد الله ، ويقال له البراكنة ايضاً ، وهم متفرقون . منهم من يسكن شمامه ، وهم ابناء السيد ، ومنهم من يسكن فيما بين آمشتيل وافطوط ،

وهم ابناء احمد اكيدي . وبعض يسكن الرّك ، أي القاع ، وهم ابن هيبة وابناء نُغماش . هكذا قسمهم صاحب الوسيط .

الترارزة :

هم آخر حسان شنقيط ، مما يلي سنغال ، وهم احسنهم لقلة مضرتهم للزوايا بالنسبة الى غيرهم ومتفاوتون في ذلك : فابناء احمد بن دامان ، يدافعون عن الظلمة ، ويخاطرون بانفسهم في ذلك ويرونه فخراً لهم ، ولا يضر الزوايا منهم رئيسهم فانه قد يأخذ من بعضهم شيئاً . واذا وقعت فتنة في الزوايا ، فانه يرى ان الضغط عليهم اصلح لهم .. وهذه كانت حالتهم في القديم ! حتى انتهى الامر الى المتأخرين منهم ، فانهم افرطوا في الظلم ، وصاروا يدسون الدسائس بين الزوايا ، ليجدوا طريقاً لاكل مالهم . وهذا بخلاف قديمهم . وقد قال بعض الزوايا : « يومان لا ظلم فيهما ، يوم القيامة اذ يقول الله تعالى : لا ظلم اليوم .. ويوم ينظر الانسان الى خيم ابناء احمد من دامان ، لانه يكون يومئذ آمناً !! » .

وفي الترارزة نوع آخر يسمونه حمر الترارزة ، مثل العلب ولبيْدات وغيرهم وهؤلاء اعني العلب ، اصبر على الحرب وروغها من غيرهم . فهم يماثلون احيي من عثمان في آدرار ، وفيهم قبيلة يقال لها : الرحاحلة . يغضبون من لفظ عرب ، لانهم يعرفون انهم احط من ذلك ، ومن اللحمة لانهم يرون انفسهم فوقهم ..

ابناء دامان :

هذه اللفظة في الاصل ، تطلق على خمس قبائل . وهم : ابناء احمد من دامان (اي ابن دامان) ، وابناء ساسي ، واهل عتام ، واهل عبّل ، واهل اكمتّار ، يقال انهم ابناء رجل واحد . وهو : داماان ، فابناء احمد من دامان ، هم الشيوخ الذين ابادوا ابناء رزك ، واول من ظهر منهم ، اعل شنظورة ، الذي اعطاه السلطان مولاي اسماعيل ، المحلة التي افنى بها ابناء رزك ، والمحلة بمعنى المعسكر . وهذا بدء ملك الترارزة ، وكان ابن رازكه العلوي ، هو السبب في ذلك كما تقدم.

وبقي الاسم الجامع ، وهو ابناء دامان ، علماً على ابناء ساسي ، واهل عتام ، مع من انضم اليهم .

اما ابناء احمد بن دامان ، فانهم هم الشيوخ كما تقدم . ولهم مال سنوي على الدولة الفرنسية ، من عهد اعلْ شنظوره او بالطا (ظو) ، الى قريب من زمن صاحب الوسيط . وهذا المال للرئيس منهم ، ويسمونه : «امكبل» . وهو معظم اسباب الغدر بينهم ، ليأخذه من كان رئيساً بعد صاحبه . ويقال : انهم ما مات منهم رئيس ، الا بالغدر من اهل بيته وقومه .. وهم متغلبون على الترارزة كلهم . ولا يعاندهم منهم الا ابناء دامان . فانهم من قديم ، يحاربونهم وتكون الحرب بينهم سجالا ، ثم تختم بنصرهم ! ويقال : ان احد رؤساء بني دامان ، حضره الموت ، فبعث الى الشبان من قومه ، وكشف لهم عن جسده ، واراهم اثار الرصاص في كل عضو من أعضائه . وقال : اعلموا ان الرصاص لا يقتل ما لم يصب هذا الموضع . (ووضع اصبعه على ناصيته ، وانحدر ماراً بها بين عينيه ، ومنخريه وترقوتيه ، الى ان وصل الى بطنه) .. ثم قال : اوصيكم بعدم البرّ لبني احمد بن دامان ! فان قتلوكم صباحاً ، فاقتلوكم مساء .. ! وان قتلوكم مساء ، فاقتلوهم بكرة !! ومات بعد هذا ، وقد عملوا بوصيته !! ...

تَقسِيماتٌ إداريَّة

قبل الاحتلال الفرنسي كانت موريتانيا تقسم الى عشرة اقسام سياسية كما يلي:

١ – **بلاد الترارزة :** وعاصمتها بوتيليميت ، امراؤها من بني احمد بن دامان اشهر قبائل الترارزة . (اميرها اليوم احمد ولد حرمة بن بابانا العلوي، سفير المغرب في ليبيا ، وقد خرج من البلاد مع الزعمـــاء الذين انشقوا على حكومة الرئيس بن داده القائمة حالياً في موريتانيا) .

٢ – **بلاد البراكْنة :** وامراؤها من اولادَ عبدالله ، اشهر بطون البراكنة ، وعاصمتها الاك .

٣ – **بلاد جرجل :** (البراكنة الشرقية) وتلفظ بالجيم (الكاف المصرية) : وامراؤها من بني علي بن عبدالله (أولاد عم المختار الحامد المؤرخ المعروف) .

٤ – **بلاد كِيدمَغ** Guidimagha : وامراؤها من اليتامى (احدى قبائل البراكنة) .

٥ – **بلاد تغانت** Taganet : وامراؤها أبـَكاك (من ايدَوْعيش واولاد داود بن عمران) عاصمتها تجكجه .

٦ – **بلاد العَصابة :** وامراؤها الشراتيت من ادوعيش وهي شمالي سليبابي[1] ،

---

[1] – يسمونها « ولدعل بابي بالحسانية ، أتيتها عام ١٩٣٨ ، اول قدومي الى افريقيا ، ومكثت فيها اسبوعاً . وبعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها اتيت سيلبابي ثانية (سنة ١٩٤٦) ومكثت فيها اسبوعين ، ويومها نظمت قصيدتي العينية المشهورة عند البيضان ومطلعها :

« ولدعل بابي » أي خاطرة النوى ألوي عليـــك ، واي شوق إتبـع ؟

وجاء في ختامها :

سمح الزمان ، وقلت فيك قصيـــدة انت الختام لهـــا ، وانت المطلع !

وعاصمتها « كِيفـَه[1] » .

٧ – **بلاد الحوض :** وامراؤها قديـــاً اولاد مبارك واخـــيراً مشظوف ، عاصمتها : العيون .

٨ – **بلاد آدرار :** وامراؤها بنو يحيى بن عثمان . عاصمتها أطار .

٩ – **بلاد إينيشير :** وامراؤها اولاد اللّب (من اولاد دِليم) .

١٠ – **بلاد انْواذيب :** وامراؤها اولاد دليم . وهم ايضـــاً امراء الصحراء الاسبانية . عاصمتها : Port - Etienne ثم جاءت فرنسا في اوائل هـــذا القرن ، فاستعمرت البلاد ، وسموا اجزاءها العشرة المذكورة دوائر (Cercle) ، وسموا لها عواصم (والبيضان يسمون العاصمة « حَكامـَة ») كما ذكرنا .

تاريخ عمارة شنقيط

قال صاحب « الوسيط » وهو الى اليوم المرجع التاريخي الوحيد لموريتانيا – قال : انه مضى على عمارة شنقيط الى وقتنا هذا (١٣٢٩ ه وهي السنة التي الف فيها كتابه) خمس مئة سنة تقريباً . ونحن نشرع في تأليف هذا الكتاب الحديث سنة ١٣٧٩ ، فيكون قد مضى على عمارتها – في حسابنا – ٥٥٠ سنة ...

وقد بنيت اول الامر على موضع مستوٍ مشتدّ ، فانتقلت اليها الرمال . حتى ان جوانبها كانت عرضة لان تواريها الحصباءُ فيما بعد. وهذا يوجد في تلك البلاد، فان منها اماكن دَهْسة[1] ، فالريح لشدتها – وما ادراك ما ريح الصحراء ! – تنقلها على طول الازمنة كما هو مشاهد ..!

ومن اغرب ما يحكى ، ان في بعض صحارى إدْرَ أَوْداء عامرة من النخل الى الآن ، ويقال انها كانت بها قرى ، فدفنتها .!

---

[1] – والذي اعرفه من اقامتي في تلك البلاد ، ان سليبابي وقراها ، هي الأخرى احدى التقسيمات – الحادية عشرة – وعاصمتها سليبابي نفسها ، تقع شرق شمالي كيوركل ، وأهلها من مهاجرة سيدي محمود . وفيها خليط من الزنوج السرخللي والتوكلور .

[2] – طرية غائرة تغوص فيها الرجل من عمق الرمل ونعومته حتى ليصعب الخلاص .

وكان في شنجيط ــ لغة في شنقيط ــ احد عشر مسجداً، بالمسجد العتيق العامر اليوم ، وله اليوم نيف واربعمائة سنة ، والناس يقولون انه من المدائن السبع . ثم «آ بـِّير » : قرية قرب شنقيط قيل انها خربت ، بينها وبين عمارة شنقيط اربعين سنة . وهما لقربهما من بعضهما البعض ، يبدوان ، وكأنهما بلد واحد . ومن غريب الموافقات ان بلدتي تبنين في جنوبي لبنان ، و « حارة المشايخ » يتصفان بتلك الصفة التي يتصف بها شنقيط وآ بـِّير من ازدواجية موحدة ..!

كان الركب يمشي من شنجيط الى مكة كل عام ، ويتعلق بهم كل من اراد الحج من سائر الآفاق ، حتى ان اهل تلك البلاد ، اعني من الساقية الحمراء الى السودان ، إن رءُوا ، لا يُعرفون عند اهل المشرق الا بالشناجطة الى الآن، وقد تحج الدار منهم كلها ، حتى لا يبقى فيها صغير ولا كبير ، من شدة اعتنائهم بالحج . وقد يحجّجون معهم من قدروا عليه. ذكر ان الحاج محمد احمد ، والد ابي كساء ، انفق في الحج على اربعين نفساً من غير عياله ، وحملها الله تعالى. وقد كان العلويون يقدمون من كان معهم من الزوايا للامامة ، فكانت أولا للسماسدة ، ثم جعلوها للأغلال فتغيروا من ذلك وخرجوا من شنجيط ، فذلك سبب خروج السماسدة من شنجيط، وخرج يوماً من شبنجيط اثنان وثلاثون الف جمل موقرة بالملح عشرون لاهله ، واثناعشر لاهل تيشيت . وباعت الرفقة كلها في زار . فتعجب الناس اي البلدين اعمر ، مع اتفاق الكلمة ، وكانوا اذا مات شيخ ، رأسوا عليهم آخر، فبقيت دولتهم بشنجيط دولة دين ودنيا ، ثلاثا وثمانين سنة، مدة حياة الشيخ سيدي احمد بن الوافي(١) فلما توفي ، وقعت الحرب بينهم، واعتزل الفتنة من اعتزلها فمنهم من خرج شذر مذر . ومنهم من بقي مع اعتزاله اياها، حتى انقضت الحرب بين اهلها ، وقد قتل بتلك الحرب ، مائة واربعون من البيض (٢) وما بقي من

---

(١) هذا لا ينافى انهم تبع للدولة المغربية ، اذ الرئيس منهم انما يسمونه شيخاً فقط ، ولا يذكر اسمه على المنبر ، ولو كان حاضراً يسمع .

(٢) قوله من البيض ومن الكحل الخ البيض لقب الطائفة من العلويين ، وكذا الكحل ، وهم ابناء اب وام من جهة النسب ، وقد لقبها بذلك عمها ، بسبب وحشة وقعت له معها ، فنوى له احدهما الشر ، فلقبه الاكحل ، ورده الآخر عن ذلك ، فلقبه الابيض . وكلمة الاكحل تعتبر عندهم اهانة لانها تعني الاسود . .

الكحل ، وكانوا يقتتلون الليل والنهار ، الا انهم لا يغدر بعضهم بعضا ، ولا يقتاله الا اذا لقيه في الصف ، ولا ينتهبون الاموال . ثم انتقل البيض الى تيجكجه، آخر القرن الحادي عشر» .

بحر من .. رمال . !

قال ياقوت في معجمه ، عاطفاً له على سوس خوزستان : والسوس ايضاً ، بلد بالمغرب ، كانت الروم تسميها « قمونية » . وقيل السوس بالمغرب : مدينة كورتها (عاصمتها) طنجة . وهناك السوس الاقصى ، كورة اخرى مدينتها طرقلة . ومن السوس الادنى الى السوس الاقصى ، مسيرة شهرين ، بالسفر العربي ، وبعده بحر الرمل (يقصد الصحراء الكبرى) وليس وراء ذلك (شيء يعرف) !

وبحر الرمل الذي ذكره ارض دَهْسة ، يغوص فيها الانسان والجمل .. فربما اتى الناس بالحبال ، واحتالوا للغائص فيها ، حتى ينقذوه ، وربما اعجزهم، وربما انهار معه من اراد ان يخلصه !! ولهذه الارض منافذ تسلك بمشقة ، ومن تخلف عنها تلف ، ولا يقدر الانسان ان يمشي على قدميه فيها ساعة من النهار ! والظاهر ان ارض بنباروفوت وجلف وسنغال وبَول وسين وسالم (١) لم تكتشف اذ ذاك ، ولا تقلّ هذه الارض عن مسيرة اشهر عديدة ، واهلها سودان مختلفون في الاديان واللغات .

---

١ ــ كان هناك باخرة نهرية بهذا الاسم : (السين ــ سالم) وكانت ترسو امام بيتي ــ في بودور ملك شركة موريل بروم الكائن على ضفة نهر السنغال (١٩٥٤ ــ ١٩٥٦).

خُطَطُ الأَماكنِ وَالبُلدانِ

(آدرار) ــ قال بعض اهل اللغة الشلحية : آدرار معناه عندهم الجبل . وله حيط يضاف اليه ، وهو عبارة عن جبال شاهقة ، يعانيها الصاعد ، مقدار اربع ساعات ، وهي كالدائرة محلقة في السماء ، حتى اذا انتهى اليها الصاعد ، وجد ارضاً مستوية ، فوقها جبال شامخة ومدن ، واوداء نخل ، وكثبان رمل ، كأنه في ارض اخرى . وهي التي تسمى اظهر ، يسير فيها الراكب مقدار ستة ايام طولا ، واقل من ذلك عرضاً . قال صاحب « الوسيط » : توجهت اليه من جهة ارض القبلة فرأيته مما يزيد على يوم ، وظننته سحائب سوداء .!!

حيط آدرار :

(سانِ) ــ هو آخر طرق آدرار ، وهو جبل ازرق سهل ، وبه آبار قصيرة كثيرة الماء .

(الغلاّوية) ــ هي بئر ، وبها سمي جبل قريب منها .

(انْزْمرَانْ) ــ جبل اسود وبه بئر ، وهو طريق يطلع منها الى أظْهرَ ، وينزل الى الباطن .

(إثناي) ــ طريق ينزل منها للباطن ، ويصعد لاظهرْ .

(البيّظِ) ــ بالتصغير العامي الحسّاني ، وهو جبل ازرق ، والطريق التي ينزل اليه منها يقال له : إثناي .

(آغمَاكُ) ــ وهو واد يصعد منه الى اظهرْ وينزل منه الى الباطن ، وبه نخل كثير ، اعلاه لايدَوِعل ، واسفله للشرفاء(١) ، اهل عبد الملك .

---

١ ــ كناية عمن يرجعون في نسبهم الى النبي او احد الاولياء الذين ينتسبون للنبي .

(امِّ الخطيرات) ــ طريق في جبل اسود ، يصعد منها لاظهر ، وينزل الى الباطن .

(إجديدَ) ــ بينها مع شنقيط نصف يوم ، ينزل منها الى اجريف .

(أوْسْ) ــ وهو طريق في جبل شاهق اسود ، وهو مثل أجديدَ ، يصعد منه الى اظهر ، وينزل منه الى القرارة المسماة به .

(آمكنجارْ) ــ طريق يصعد منها الى اظهر ، وينزل الى قرارة عظيمة . وبه سميت .

(الواد الابيظ) بالظاء والمراد الابيض ــ ينزل منه الى يغْرِفْ ، واقرب اودية النخل اليه ، تومكاد ، بينه وبين اوجفت .

(شاة) ــ باسم الشاة ، ويقال له شاة الجن ، يقال : انه لا يمر به احد الا سمع صوت طبل الجن ، وهذا شائع عند اهل تلك البلاد ..!

(اريج) ــ هو طريق الى الحفيرة ، ويهبط الى كوَاتْ ، وهي جبال سود ، وبعدها اجبيتن وازكيمير ، وهو جبيل محدد الرأس ، وكل هذه هي اواخر آكان ، عند اهل آدرار .

(اظْهَرْ) ــ عبارة عن الحيط المتقدم الذكر ، وما عليه وأشهر مدنه : شنقيط ، ووادان ، واوْجَفْتْ .

اما شنقيط ، فهي اقدم مدنه الموجودة ، اعني ما بعد آبيّر ، الذي تقدم ذكره ، وتقدم بعض خبره ، وسكان شنقيط الآن ، ما بقي فيه من قبيلتي : ايدوعل والاغلال ، وهما اول من عمرها .

وبطحاء شنقيط ــ هي اخسن بطاح تلك البلاد ، ولها خصوصية ، وهي ان كل البطاح ، يبتدىء سيلها من الشرق الى الغرب ، إلا بطحاء شنقيط فانها بالعكس !

ونخل شنقيط من أحرّ آدرار تمراً ، اعني انه لا يصبر عليه آكله ، من غير ما يسمونه حُمّان ، وهو شيء من الطعام الحار ، يؤكل بعد التمر ، ليزيل ما يحدث

بآكـله من الغم ، الذي يسمون صاحبه (امْتَيْنَكْ) ، اي وقع بـه ما يكدره ويبغضه في التمر ، وهو آخر نخل آدرار نضجاً ، فان غيره يبتدىء أكله ، من آخر يونيه الى اول اغسطس ، واما هو ، فيبتدىء أكـله ، عندما ينتهي من غيره . ويسمون اغسطس اغشت ، وهو اكثر نخل تلك البلاد حملا ، وفيه جنس يسمونه بُجَيْرْ ، وقد تحمل الواحدة منه خمسة أوسُق ، اي يكون في حمل الواحدة منـه النصاب ، ونخل ذلك الجنس ، ليس من النخل الجيد التمر ، وهو اقل من غيره من اودية آدرار ، صبراً على عدم السقي ، ويقرب من شنقيط .

(لِمْغالِك) ــ وهي رمال عظيمـة ، وفي آخرها دور شنقيط ، تمتد منـه جنوباً ، وتغرب شمالا ، وتنتهي الى الزركة .

(الزركة) ــ بمعنى الزرقاء ، وهي جبل ازرق كاسمه ، وجانبها الغربي يقال له : (العاتق) ، وبها مزارع يزرع بها القمح والشعير والدخن واللوبيا ، ويقال لها عندهم : آدلكان ، وفندي ، وهو نوع من البطيخ جيد ، لا ترى مثـله في غير تلك البلاد ، وقريب منها .

(اِنتِكْمِكْمِتْ) ــ واد كثير النخل، وكله لادَوعِل ، قريب من شنكيط (لغة أخرى في شنقيط) . .

(دَ ْخلِتْ تأفدَالِتْ) ــ وهي ايضاً واد قريب من شنقيـط ، على مسيرة يوم ، وكله لادَوعِل .

(تنيكي) ــ بتاء مثناة فوقية ، مكسورة ، ونون مكسورة ، بعدها ياء مثناة تحتية ، وكاف معقودة مكسورة : مدينة مشهورة ، وهي من مدن آدرار المعتبرة فيما مضى ، واهلها قبيلة قبية كانت ، معروفة بخلائها من السكان ، يضرب المثـل فيقال : اخلا من تنيكي . . وسبب خلائها ، ان شاباً سفيهاً من اهلها ، اعترض في طريق ضيقة ، تمر الناس منها ، فوضع رأسه على ناحية منهـا ، ورفع رجليه على لنـاحية الاخرى ، وصار اذا اراد احد المرور ، يمنعه الا بشرط ان يمر من تحت رجليه . . فاتت امرأة فكلمته في ان يتنحّى عنها ، فابى . . فلما طال عليها القيام ، رادت ان تمر من تحت رجليه ، فلما صارت تحتهما ، ارخاهما على رأسها ، فوقع فمها على الارض ، فسقطت ثنيتاها ، فحملتهما الى اخوتها ، فاخترطوا اسيافهـم فقتلوه ! . وانقسم اهل المدينة قسمين ، فاقتتلوا وتفرقوا فهي خالية الى الآن . . وقد تهدمت دورها ، فلم يبق منها الا بقية من جدرانها وجذوع من نخلها ، وهي بين شنقيط وتنوشرت ، والمسافة بينها وبين شنقيط ، اقل من يوم بالسير العربي .

(تَنُوشِرتْ) ــ هي واد فيه نخل ، واصله لادَوعِل ، فرهنوه في دِيات عليهم لادولحاجْ ، وكَنتْ ، فغلق رهنه ، وقيل . رهنوه في دية كبّاد .

(فارِسْ) ــ واد كثير النخل لا يَدَيْشلّ ، بينه وبين شنقيط يوم ونصف .

(تول) ــ واد كثير النخل لاَدوْعلِ ، بينه وبين ما قبله ، يوم ونصف .

(اْمحَيْوِثْ) ــ واد كثير النخل ، جيد التمر ، بين ادَوْعـلِ ، واولاد غيلان ، قريب مما قبله . .

(تِنْبَهْجَتْ) ــ واد كثير النخل، على جهة الغرب من تول، بين ادوعل، واهل عبد الملك .

(لُدَيْ) ــ واد كثير النخل للساسدة واديشلّ ، بينه وبين ما قبله ، نصف يوم .

(تُومْكاد) ــ واد كثير النخل لايديشل والساسدة ، قريب بما قبله .

(إِبرشْ) ــ واد كثير النخل لايديشل ، بينه وبين ما قبله ، يوم ونصف .

(لِحْفَيْرَه) ــ تصغير حفرة ، بالتصغير العامي الحساني ، واد كثير النخل، لاهل الشيخ سيديّ ، ونخله جيد ، بينه وبين ما قبله ، يوم ونصف ، وفي جودة تمرة ، يقول بعض ظرفاء شنقيط :

حسبي بمبسمها الالمى اذا ابتسمت   من تمر (لِحْفير) او من تمر (وادان)!

وسأل بعض الطلبة ، الحسن بن زين المتقدم ذكره ، هل هذا البيت لمتقدم أو متأخر ؟ فقال : لمتأخر ثقيل . !

(إِتْنوَيْره) ــ واد كثير النخل لاديشل .

(آمدير الكبير) ــ هو واد كثير النخل ، بينـه وبين شنقيط يوم ونصف ،

ن جهة آطار ، واكثره لادوعل ، وبعضه للسماسدة .

(آمدير الصغير) ـ وهو اكبر مما قبله، وفيه دور ونخل كثير، بينه وبين ما قبله، حو ساعة ، وهو بين ادوعل واهل عثمان والسماسدة وتيزكه .

(إِرْكينه) ـ هو واد وبه نخل ودور للسماسدة ، قريب مما قبله .

(تَوَنْ) ـ واد كثير النخل للسماسدة بينه وبين ما قبله نصف ساعة .

(اتوبِّزْكَتّ) ـ واد كثير النخل للسماسدة وتيزك ، وبعضه لادوعل ، ريب مما قبله .

(اوجفِتْ) ـ مدينة للسماسدة ، وبها واد كثير النخل جيده ، وفي نواحيها سوداء كثيرة النخل ، واغلبها للسماسدة ، بينها وبين شنقيط يومان تقريباً .

(أوريج عبْداوَهْ) ـ هو واد كثير النخل ، وعبداوه : رجل من السماسدة، واضيف اليه لانه هو الذي عمّره .

(إجْوالي) ـ جمع جالة على اصطلاحهم ، والجالة عندهم ، المكان المنخفض شبيه بالقرارة ، وهي واد كثيرة النخل ، من نواحي اوجفت وكله للسماسدة .

(تِيمنِيتْ) ـ هو واد مسيرة يوم طولا ، وفيه نخل كثير ، وهو بين ادوعل والاغلال والسماسدة ، وفيه زرائب نخل تدعى ُجنَبيات . اي هي كالنساء جنبيات ، التي لا يجوز النظر اليها ، لجودة نخلها .!

(لِعْوَيْنَه) ـ تصغير عين، ويقال لها: اعوينت منه. وهي واد كثير النخل كه امرأة ، وهي التي عمرته وبها سمي ، وهي من ادينشل ، وقد عاشت كثيراً من رمان ، وكانت في عصر صاحب « الوسيط » ، في قيد الحياة ، وبين هذا الوادي بين ما قبله ، نصف يوم بالسير العربي .

(آمسِكنْوات) ـ بصيغة الجمع عندهم ، وهو مسيلان طويلان خلف معرانية .

(الشعوانية) ـ هي ضلع ازرق طويل ، اي جبل مستطيل على الارض .

(دخلت آبي سيف) ـ هي واد كثير الماء .

(تِنْبوَيفَل) ـ هي واد كثير الطرفاء والماء .

(العين الصفراء) ـ واد كثير الطرفاء والماء .

(اسباعيّه) ـ هي واد كثير الماء .

(لِبْحيْره) ـ هو واد كثير الماء .

(أزيزك) ـ هو جبل كثير الماء .

(وادان) ـ واد فيه نخل جيد ، واهله من قبيلتي كَنْتْ ، وادولحاجْ ، وهؤلاء اقدم فيه من كنت ، وكانوا يسكنونه على احسن وفاق ، واتم وئام ، حتى نشأت بينهم الحرب ، وبقي فيه المستضعفون من القبيلتين . ثم ان السطوة فيه لبقية كنت ، لقرب اهل سيد أحمد منهم ، وهم طائفة عظيمة من كنت ، كانوا يرعون مواشيهم فيما بين آدرار وتيرس ، وهم اهل السبخة المشهورة هناك، واسمها سبخة اجلّ ، وهي معظم تجارة اهل تلك البلاد . فانهم يحملون منها الملح ويبيعونه في السودان ، وهذا الوادي في آخر « الحيط » من جهة الشمال ، وبينه وبين شنقيط يوم وبعض يوم ، بالسير العربي .

(آطار) ـ وهي اليوم مدينة عظيمة ، وقيل انها كانت اكثر دوراً ونخلاً من شنقيط ، وتجاورها اوداء كثيرة ، واهلها السماسدة، وتبعد من جهة الغرب الجنوبي عن شنقيط ، مسافة يومين ، ومعنى آطار : الطريق .

(المنْفكّعْ) ـ « بميم مكسورة ونون ساكنة وفاء مرأسة مفتوحة وكاف معقودة مشدّدة » ولعلهم اشتقوه من قولهم : فلان مفكّع ، اي غضبان ، وهو واد به دور ونخل ، لاهل الشيخ محمد فاضل بن اعبيدي .

(كانوالْ) ـ واد عظيم ، كثير النخل لاهل عثمان وتيزك ، فيه قريتان متقاربتان ، كنتاها لقبيلة تيزكة ، ونخله طويل ، وهو الذي عناه أحمد بن الطلب في قوله :

هاج قرح الغرام بعد اندمال   ظعنُ ظعنِ الخليط يوم انالِ
يوم ولّت كأنها حين جدّت   باسقات النخيل من (كانوالِ)

(**إِدْكيبه**) ـ هو واد كثير النخل ، وفيه قرية ، واهله تيزكه .

(**لِكْرَيْنات**) ـ تصغير القرون ، بالتصغير العامي ، ويقال لها اكرينات العتروس[1] وهي جبل ، وبه نخل ، واهله تيزكة ، وبينه وبين ما قبله نصف يوم بالسير العربي .

(**تِرِينْ**) ـ وهي المنهل المشهور ، وبه كانت الواقعة المشهورة بين كنت ، اولاد بِسْباع .

(**اكدَيّتْ لِغْنَمْ**) ـ تصغير كُدَبة ، بالتصغير العامي ، وهو جبل معروف .

(**العرفيَّة**) ـ منهل كثير الماء المالح .

(**عِلبْ مسكورْ**) ـ هو كثيب يتصل (باكشار) وهو ارض . ومنها (لبّة) وهي ماء مشهور ، ومنها (السيقان) وهي جبال زرق ، وفي لبّة ، يقول البويحيري من ابيات :

وهل ابيت ضجيع الحـــاذ مفترشاً
من رمل (لبّة) كالعذرية الجدد .؟

(**اشْهالاتْ**) ـ هي آبار قصار ، ويسمونها (عُقْل) ينطق بها بالكاف المعقودة .

(**اكْويدِسْ**) ـ هو جبل عظيم وبه بئر مالحة الماء .

(**كدَيّتْ الجلّ**) ـ تبعد عن شنقيط خمسة ايام ، وبها السبخة المعروفـــة ، وفيها « الاعوج » وهو بئر مشهورة .

(**آغْويتْنات**) ـ هي آبار مشهورة ، واقعة غربي الاعوج .

(**ابنعْمِيرَه**) ـ هو جبل عظيم ، وبه ماء مشهور .

(**عَيْشَه**) ـ هو جبل قريب مما قبله ، ويقـــال له : عيش إذْ خِيرَه ، اي الجميلة . وقد عناه محمد بن الطُّلْبَ بقوله :

يسقى الذراع (فتيجريت) مدوّمـــاً
من خبْتِ (عيشَ) الى مدافع تنصلِ

---

[1] ـ العتروس : بمعنى التيس عندهم ، وله اشتقاق صحيح بالعربية .

(**إِكازْرِنْ**) ـ هي اربعة جبال زرق .

(**إِنال**) ـ هو جبل اسود ، غربي ما قبله .

(**قلب الطّلْيم**) ـ جبل ازرق ، غربي ما قبله .

(**ظايت البقرة**) ـ هي حفرة في وسط تيرس ، ومعنى الظاية : الأضاة .

(**ضلوع لِحْوَيْذ**) ـ هي جبال سود .

(**اَغيلاس**) ـ هو جبل عظيم اسود .

(**ام أدويَّات**) ـ هي جبل ازرق .

(**ام اروِيسَيْنْ**) ـ هي جبل ازرق ايضاً .

(**بواعْليبَه**) ـ هو جبل اسود .

(**كلب آزوازيل**) ـ بالكاف المعقودة : هو جبل ازرق ، قريب من اجل ، وآزوازيل ، عندهم : بمعنى الجمال الخصيان . ويقال لواحدها : ازوزال .

(**اتويزِرْفاتْ**) هي جبال صفر ، بينها وبين ما قبلها يوم بالسير العربي .

(**زيزه**) ـ هو جبل طويل محدد الرأس .

(**السهاميط**) ـ هي جبال سود ، وبها حجارة التيمش (الصوّان) ، اي الحجارة التي توقد بها النار ، وتجعل في ازند البنادق ، التي تسمى عندهم (المدافع) .

(**مَعْط الله**) ـ بلام مفخمة : بئر كثيرة الماء .

(**لِكْرينات**) ـ جمع قرن ، بالجمع العامي ، وهو جبل عظيم ازرق .

(**إِمْزّانْ**) ـ كثيب عظيم .

(**تكانِت**) ـ بكاف معقودة : الغـابة ، وهي حلقة كآدرار ، يحفهـــا من الجانبين جبل عظيم ، كجبل آدرار المتقدم ويسمونه سن تكانت ، والسن بغـــير اضافة ايضاً ، كما يقولون : حيط آدرار ، والحيط ، واولها من جهة حيط آدرار غربا ، الحاتق ، وهو كثبان عظام ، متصلة بجبال اكثرها اسود ، وبعضها ازرق ، يقرب في الارتفاع من جبال آدرار ، وتمتد مسيرة ايام متعددة طولا ، وعرضهـــا

يقرب من خمسة ايام ، ويقال لتلك البلاد وما حوتة : تكانت ، ولها طرق كثيرة منها ما هو صعب ، ومنها ما هو سهل منها : العاتق المتقدم ، وهو سهل، ودِ كل (بكسر الدال) وهي متوسطة ، وبعدها طريق صعبة ، في جبال شاهقة بعدالسن، وطريق اخرى بين هذه والعاتق، واسمها مازه (بزاي مفخمة) ومنها : امإذنَيْبه وقد يصعد منها القادم من تيشيت والبَيِّظ .

وتنتهي تكانت من جهة الشمال في (ادافر) وهي ارض كثيرة الرمال ، قليلة الماء ، وتستجيدها الابل في فصل الشتاء .

عمارة تِيجِيجْكَة[1] والسبب فيها

مضى من تاريخ عمارتها الى وقتنا هذا ، ما يزيد على ثلاث مئة سنة ، وذلك انه لما احتدم القتال بين العلويين رحل البيض الى تكانت، وكان فيهم رجل اعمى من الصالحين ، فنزلوا قريباً من وادي الرشيد، وكان خالياً من الانيس ، وليس به الا غابة عظيمة، فهموا بالاقامة فيه ، و رُوي : ان ذلك الصالح قال لهم : ايتوني بشيء من تراب بطحائه ، فاتوه بشيء من حصبائها فشمه، فقال لهم: ارحلوا عن هذا الوادي فانه جيد لغرس النخل . . الا إنه لا يطيب لاهله ، فرحلوا عنه !!

ثم ان العلويين رحلوا ونزلوا قريبـــاً من وادي انتُمتاكث ، وهو واد بين تيججكه ، والرشيد ، فقال لهم : اعطوني ترابه اشمها ، فاتوه بها ، فقال لهم : ان هذا الوادي سبق في علم الله انه لا يعمر ، ثم نزلوا تيججكه ، فاتوه بترابها ايضاً فقال لهم: هذا بلد مبارك، انزلوا على بركة الله فنزلوا وابتدأوا يقطعون الشجر !!

وكان في الوادي غابة عظيمة ، وليس به من الناس الا اولاد طلحة ، وهم قبيلة من ادوعيش فجعلوا يقطعون لهم الشجر ، ولما شرعوا في بناء الدور ، جعلوا يحملون لهم الحجر على رؤوسهم ، وجعلوا لهم في مقابـــل ذلك خمسة امداد من التمر ، في كل سنة ، عن كل دار وهم يأخذونها . .

(تيججكة) : هي مدينة على ضفة البطحاء ، التي تمتد بين الجبال من جهة

---

[1] ـ تكتب على اكثر من صورة ، ومن جملة صورها : (تجكجة) وهي الاصح على ما اظن .

الشرق مغربة ، الى ان تتجاوز الرشيد وكان عدد دورها نيفاً واربعمائة دار ، ولها جامع واحد في وسطها ، وهي في مكان مستوٍ صلب .

ونخل تيججكة ، فيه الجيد والوسط ، ورديئه قليل ، ويحتاج الى السقي دائماً، وهو متفاوت في ذلك ، بحسب جودة الارض ورداءتها ، وفي تمرها خصوصية ، وهي انه يقطع باعذاقه قبل النضج ، فيترك اياماً في محل لا تمسه الريـــح ، ثم ينشرونه في الشمس، فينضج بهذه الحالة ، كما شاهدناه مراراً، ويقرب من تيججكه:

(آدَرْكْ) ـ وهو جبل اسود ، وبجانبه مما يلي تيججكة ، زمل دهس يمتد مغربا ، ثم ينتهي في ارض فيها بعض صلابة ، ورأسه الشرقي يقرب من الوادي ، وفي شمال هذا الجبل ، مزارع للفندي والدخن ، تزرع في آخر الصيف ، واول الخريف ، اذا نزل المطر ، فالفندي يؤكل بعد شهرين تقريباً ، والدخن ـ ويقال له الزرع ـ يؤكل بعد ثلاثة اشهر ونصف تقريباً .

(إِجْمَيْلات أُدَيْشْ) ـ هذان جبـــلان يقربان من وادي تيججكة ، تمر الطريق بينهما من تيججكة الى ادرَوم وهو مزرعة عظيمة لاهـــل تيججكة ، والمسافة بينها وبين المدينة ، اقل من يوم .

(بَغْدَادْ) ـ موضع فيه نخل ، غير بعيد من وادي تيججكة ، وكانت به دار ، فلم يبق الا جدرانها .

(ازيف) : ـ بزاي مفخمة ، وهي بين الظاء والزاي المرققة : مواضـــع شرقي تيججكة ، واذا اصابها المطر ، يسيل منها الوادي سيلا مهما عندهم .

(اَدي الزَّامل) ـ هو واد قريب مما قبله ، والزامل عندهم الحصان . .

(واد البرَكة) : هو واد مشهور ، وهو والأوداء التي قبله ، تسمى بازيف المتقدم ، وتصب في وادي تيججكة .

(القُبّة) ـ تحريف القبة ، هي واد وكان به نخل وقد اندثر وبقيت جذوعه . وبه قبر العلامة سيدي عبدالله بن الحاج ابراهيم العلوي وقبر سيدي محمود الحاجي ، وهما مدفونان في موضع واحد ، وبنيت عليهما قبّة ، وبها سمي الموضع .

(**خْشَبْ**) – جمع خشبة في اصطلاحهم ، هو واد كثير الاشجار .

(**التيدوم**) – هو علَم على احساء بعينها ، والاحساء : الآبار القصيرة ، ويقولون لها « الحسيان » . .

(**أم لِعْويتْكت**) – هي احساء ايضاً ، وما بعد ذلك أدافر .

(**كَنْدَلْ**) – هو جبل بينه وبين ادرم ، يوم او أكثر بقليل ، وبه منهل مشهور .

(**الفديّة**) – هو جبل عظيم اسود ، وبه قَلْت مشهورة ، واوداء كثيرة .

(**إِكواع الناكه**) – اي الناقة ، وهو واد كبير ، وفيه اشجار كثيرة .

(**دابْدات**) – وهما جبلان اسودان متقابلان ، عن جانب ما قبلهما من جهة الشرق .

(**هَيلْسات**) – هما واديان عظيمان قريبان مما قبلهما .

(**إِنيظانات**) – هما واديان يصبان في اركيبة ، وقبلهما السن ، والطريق التي تليهما يقال لها إِكْشَيْل ، وهما يصبان في اكرج ، وهو اول اركيبه .

(**البِيبَه**) – بلام مفخمة – هي جبل ازرق ، وبها قبر ببكر بن عامر (اي أبو بكر) : احد سلاطين مراكش ، وهو عم يوسف بن تاشفين ، وكان ثار عليه في مدة غيبته ، فتركه وذهب الى الصحراء ، فمات بها ؛ وبينها وبين تيججكه يوم ونصف بالسير العربي .

(**امِكْويري**) – هو جبل اسود مستطيل ، قريب مما قبله ، واقع بينه وبين تيججكه عن الشمال .

(**كلمسي**) – بكاف معقودة مكسورة ولام مكسورة ، وميم ساكنة وسين مكسورة : جبل عظيم اسود عن شمال تيججكه .

(**انْتُمتاكِتْ**) – جبل اسود بين تيججكه والرشيد ، وله بطحاء عظيمة ، وليس بها نخل ، ومن خلفها جبل كلمسي المتقدم ..

(**انيمي**) – جبل اسود ، وعلى رأسه قطعة رمل ، فهو بها اغر كغرة الفرس البهيم ، وسفحه الشرقي مزارع لادوعل ، ومسافته من تيججكه ، نحو يوم ، وتمتد من شماله جبال يقال لها ازْرايب .

(**اغلَنبْيتْ**) – واد عظيم كثير الاشجار ، قريب من انيمي .

(**الوادْ الابيظْ**) – اي الابيض : وهو واد عظيم ، وفيه اشجار كثيرة .

(**اميّدار**) – منهل مشهور .

(**لِمخَيْشبَه**) – جبل عظيم ، وبجنبه واد عظيم ، وبه اشجار كثيرة ، وعلى رأسه عين جارية .

(**الرشيد**) – مدينة لكنَتْ وفيها واد كثير النخل جيده ليس له نظير ، ومن عجائب امره ، انه قطع مرتين قطعه اهل سيدي محمود ، فنبت احسن منه . . كما نبت جنب النخلة الواحدة ، ست نخلات أو اربع ، تنبت من نواحي النخلة الواحدة التي قطعت . ونخله كثير الحمل لا يحتاج الى السقي ، لقرب الماء من عروق النخلة ، قالوا سبب جودته اكثر من غيره ، ان الجبلين المكتنفين له ، يحميان نخله من الرياح ، واخر نخله مما يلي تيججكه ، يقال له : (اريجي) ، وفيه ماء ينبع من الارض وحده من غير حفر ، ولكن لا يبعد سيلانه ، ولو وجد مهندس يصلحه ، لسقى جميع الوادي . واننا نلفت انظار المسؤولين عن موريتانيا وازدهارها في هذا العصر الحديث الى مواهب هذا الوادي العظيم واستخراج خيراته المدفونة !

(**البَهْوَه**) – مزرعة تقرب من الرشيد ، واهلها كنَت ، وبها قتل عبيد كنته فارس ادوعيش ، سيد احمد لبّات بن اسويد احمد .

(**انَقيْشطْ**) – موضع مشهور ، غربي الرشيد ، وبه منهل .

(**تا لِمسْتْ**) – موضع فيه نخل بعد الرشيد ، مما يلي آدرار لكنْت ، كان يملكه رجل اسمه عباس ، وهو من الصالحين ، وقد انقطع في تلك الارض لعبادة الله ، وليست له زراعة ، ولا تاتيه الميرة ، ومع ذلك لا يجيء اليه انسان الا اضافه ، وكان الناس يزعمون ان الجن تخدمه . .

(**قصْو البَرْكه**) ــ وهو واد من اودية تكانت المشهورة ، واهله كنت ، وكان به نخل ودور ، فلما اشتدت الحرب بين اهله وبين اهل سيدي محمود ، خربت دوره وبقي بعض نخله .

(**آكلاليب**) ــ هو مواضع من تكانت ، واقعة مما يلي العاتق .

(**تامورِتْ انْعاجْ**) ــ هي ارض مشهورة ، وبها مزارع ، وفيها بحيرة تجتمع من مياه المطر . ومعنى تامورت : انها كثيرة الشجر المسمى بآمور ، وهو شجر عظام ، وله ثمر يُدبَغ به الجلود ونحوها . ولذلك الثمر نوى اسود ، ويسمونه (الصلاّحه) بتفخيم اللام . والناس يقولون : انه هو الغضا ، الا ان الغضا من شجر الرمل ، وهذا اكثر مواضعه الارض السوداء والغضا له هدب ايضاً ، وهذا لا هدب له ، وله ثمر كما تقدم . ولهذا الشجر ايضاً : صمغ وشوك ، واقرب الاشجار اليه : الطّلْح ، وصغاره تشبه السلَم . وتامورت انعاج المذكورة ، كثيرة السباع والدببة ، وهي وبيئة وقد تنزلها قبيلة ادوعيش وقت الخوف لتكون لهم كالحصن من عدوهم . .

(**اركيبَه**) ــ تصغير رقبة بالتصغير العامي : ارض مشهورة ، تنتهي مشرقة على جهة الجنوب في لعصابه ، وهي جبال شاهقة ، وفيها مزارع كثيرة . ومنها آفطوط ، وهي ارض مستوية فيها صلابة ، كثيرة الاشجار بعيدة المساحة . وتنقسم اركيبه الى قسمين : اركيبه الكحلة ، أي السوداء . واركيبه البيضه ، أي البيضاء . . ويشتمل هذا القسم الثاني على محالّ كثيرة منها :

(**آكْنرِجْ كسّامَهْ**) ــ وهو واد عظيم ، كثير الاشجار ، احد جانبيه متصل بالسن ، والاخر ينتهي في كثيب . يقال له : الكَعْسَهْ ، اي القعساء ، وهو كثيب عظيم ، والى الجانب الشرقي منه جبل يسمى (كُنْدَيْكَهْ) ، وهو جبل اسود وعند اصله بئر كثيرة الماء . وبهذا الجبل أول وقعة كانت بين عبد الله ابن سيدي محمود الحاجي ، وقبيلة كنت ، وهو اول يوم شفى نفسه فيه منهم . .

(**إنُومدَينْ**) ــ هو جبل عظيم مشهور ، وعند اصله بئر عذبة الماء مشهورة ، وتكتنفه رمال دهسة . وبه الواقعة المشهورة ، بين الشريف مولاي ادريس الفاسي ومن معه من اهل شنقيط ، وبين الفرانس (فرنسا) ، وكانت الدائرة على الفرنسيين . . !

(**كيفه**) ــ بئر مشهورة ، ماؤها مالح ، وهي من مناهل الابل التي تنعم بشربه ويكثر لبنها ، وهي ملقط عظيم للصمغ ايضاً . امراؤها اهل سيدي محمود .

(**السلطانيّة**) ــ كثيب عظيم ، وبجنبه ارض مستوية .

(**لمْسيلَه**) ــ نهر عظيم ، وفيه الزامول المسمى عند اهل القبلة : بالنبير . وعند اهل الجغرافية : بفرس البحر ، او الماء . وفيه بالديزوك ، وهو المعروف بالتمساح . وينتهي هذا النهر في ماء يقال له : (بَنْبَلَة) ، موضع يقرب من مسيرة ثلاثة ايام بالسير العربي .

(**سُرمَلْيِ**) ــ واد فيه نخل ، وفيه ملح تاكله الابل وبعده : (**إِزْوَيمْلِي**) نخل فيه امرْسال ، اي ملح ليس بالجيد ، تاكله الابل . .

(**السّيلْ**) ــ بحر يجري من لِمْسيلَة ، ويجتمع منه زبد يتكيف منه الملح .

(**تاْسكاستْ**) ــ تيارت طويلة متصلة بتكانت (والتيارت) عندهم المكان المستوي ، وكثيراً ما يكون فيه الآجرّ ، وعند رأسها الشرقي تامورِتْ . اي شجر عظيم من كبار الشجر ، وفيه مياه تدوم اكثر السنة .

(**اْسوَيحْ**) ــ تصغير سائح ، ماء قريب مما فوقه .

(**إجمَلْ لِكرْبَ**) كثيب عظيم ، وهو الحاجز بين اركيبه البيظة (اي البيضاء) والكحلة .

(**إدَميراتْ**) ــ قيعان صفر ، وفيها اشجار كثيرة من شجر أيكنينْ .

(**المحمودية**) ــ تامورت ، وفيها ماء يجتمع من المطر ، ويمكث اكثر السنة .

(**فتى دَنِيّ**) ــ بلفظ احد الفتيان ، مضافاً الى لفظ دنى . واد تكتنفه جبال ، وفيه آبار واشجار ومناقع ، يكون فيها الماء في الخريف .

(**فَرنّي**) ــ هو واد عظيم ، وفيه تومرت يكثر ماؤها زمن الخريف ، وهذه

الاماكن الخمسة ، كما انها تسمى اركيبه الكحله ، كذلك يقـال لها : الخنشيش اي الانف .

(**ام الطيور**) ــ تامورت عظيمة ، وبها ماء يدوم اكثر السنة .

(**لمْحارِدْ**) ــ كثبان مرتفعة ، كثيرة الاشجار ، مسيرة ستة ايام ، وتمتد الى جافنه ، من ارض السودان .

(**اركيز**) ــ ارض بعد تكانت ، واقعـة بينها وبين آوكار ، وفيهـا النهر المشهور الذي يذكره احد شعرائهم في مدح احد مشايخهم الكرماء بقوله :

كأنك و « الركيز » هنا ، سواآ ـــ ن ، ما يُدرى لايهما الورود ..!
تشابَهَ منكما فَيضٌ .. ولكنْ   مدى ما بـين فيضكما ، بعيـد
فاجود فيضه ـــ ان فاض ـــ ماءٌ   وأنت اقَلّ فيضتِك النقود ..!

(**ظايتْ اسبْطْ اى أضاته**) ــ وهي غدير مشهور ، وبـه اسباط كثيرة . وهناك ايضاً (أوطـْفـُنْ) وهو بئر مشهورة .

(**غَبْ**) ــ واد كبير جداً ، كثير الاشجار ، وفيه بئر مشهورة ، احد جانبيه دهس ، والآخر بالعكس ، وبه وقعة مشهورة يؤرخون بها ... ويليه :

(**بُغْرِلي**) ــ سمي بثمر شجر يسمونـه ايكنين ، وهو واد كثير الاشجار ، كبير المساحة ، وفيه ناحية دهسة ، واخرى سوداء ويليه :

(**لَفدَه**) ــ واد كبير ، كثير الاشجار ، اسود البقعة ، يصب ماؤه مغربا الى جهة الجنوب .

(**حُمّارْ أظْوالْ**) ــ ظهر اسود ، اي مكان صلب مرتفع طويل ، مسيرة نصف يوم ، كثير الاشجار جداً .

(**المَدْرومْ**) ــ منهل مشهور ، ترده الناس من كل جهة ، كثير الاشجار ، وفيه مزارع من الدخن والفندي .

(**بُغُرظَه**) ــ واد كثير الشجر ، جانبه الغربي دهس ، وجانبه الشرقي صلب .

(**بَلّهْ**) ــ ويقال له اعوينات بلّه . وهو جبل ، ومنه تجري هذه العيون ،

وبجانبه واد كثير الاشجار ، وهو كثير السباع والنمور .

(**غيْزان**) ــ جمع غار ، وهو مسيل كبير ، كثير الاشجار .

(**كِبِدِيّ**) ــ غدير كبير ، كثير الغضا وغيره من الاشجار .

(**سانْغُو**) ــ وهو في الاصل شجر تتخذ منه السبح ، وبه سمي هذا الوادي ، وفيه الشوْحَطْ والنبع وغيره .

(**البيِّظْ**) ــ مسيل ، وبه بئر مشهورة ، وهو منهل معهود .

(**آوكار**) ــ ارض واسعة واقعة بين تكانت وتيشيت واركيبه والحوض ، فغربيها الجنوبي ، مما يلي تكانت ، وغربيها الشمالي مما يلي الحوض ، وجنوبها الشرقي مما يلي الركيبه ، وشرقيها الشمالي مما يلي تيشيت ، ويشتمل على المحال الآتية :

(**عُيون المَكْفَةْ**) ــ هي عيون جارية من جبال سود .

(**كَنورْ بَرباره**) ــ مسيل ، وفيه بئر كثيرة الماء .

(**لوبيرات**) ــ جبيلات كثيرة الاشجار ، وبها الواقعة المشهورة ، التي مات فيها سيدي محمد بن عبد الله بن سيدي محمود الحاجي . وكان رئيس جيش جرار ، مؤلف من كنت والاغلال ومشظوف واولاد الناصر ، زحف بهم على اخيه سيد المختار ، فقتله عبدٌ لاخيه غدراً ، وبعد ان هزم جيش اخيه بمن معه .

(**لِخْماسينْ**) ــ عيون تنحدر من جبل اسود كبير .

(**لِكَدَيْمَهْ**) ــ تصغير القدم ، بالتصغير العامي (الحساني) : وهي عـين كثيرة الماء . تنحدر من جبل عظيم يقال له (العاكر) ومعناه العاقر ، وبهذا الجبل عيون كثيرة تجري ، واشهرها الكركوبيّات ، وهي اربع عيون كثيرة الماء وبها شجر التيدوم ، وامجيج ، وفيه سباع وفيلة كثيرة .

(**حنْك النعامه**) ــ هو واد وسط جبل عظيم ، ينحدر من العاقر ، وفيـه مزارع كثيرة ، ومـاؤه جارٍ لا ينقطع . وبعده : (شرطو) وهو مسيل كثير الاشجار . و (لِيبَهْ) : منهل مشهور . و (الطّينْطَانْ) : منهل ايضاً .

(**أَيْن كَرَبه**) ــ هو مسيل ، مشهور بعيونه الجارية . وبه وقعة اهل سيدي

محود المشهورة ، بين سيدي محمد واخيه سيدي المختار .

(**إينْقان**) ــ جبال عظيمة سود ، وبها ماء كثير ، وفي آخر حدود اقلّة ، مما يلي السودان .

(**الحوض**) ــ ارض مشهورة بعد آوكار . اولها مما يلي تيشيت ، ومن محالها :

(**تبيوشا تنْ**) ــ وهي تلال مشرفة بيض ، وبجانبها **تيــارت** ، أي ارض مستوية صلبة ، يقال لها الواسعة ، وهي كأسمها .

(**إم الاحياظ**) ــ بالظاء المشالة ، تصحيف الاحيــاض ، جمع حوض على لغتهم ، وهي بئر غزيرة الماء .

(**َفو َقْ**) ــ بئر عظيمة ، ويليها :

(**ُبلكـْلالْ**) ــ وأصله ابو الاكــلال ، بئر مشهورة كثيرة الماء ، قريبــة مما قبلها .

(**الر ّك**) ــ ارض عظيمة ، تشتمل على آبار كثيرة منها :

(**ُبجُكـْتي**) ــ بئر طلحة تر ِدها الابل كثيراً .

(**إنو َلهَ**) ــ ويقال لها (ِركْ أنو َله) وهي بئران مشهورتان مالحتــان ، واحدتهما لا تقدر الناس على شرب مائها .

(**ادريس الصالحين**) ــ بئر مشهورة .

(**ادريس الاخضر**) اي الاسود ، وهو من الاضداد ، وهذه لغة اهل الحوض وتكانت وآدرار ، وهي بئر ايضاً .

(**محوده**) ــ تامورت ، أي غيضة كثيرة الغضى ، وبها مياه لا تغور .

(**إدْيا َدهْ**) تامورت عظيمة ، وبها ماء لا يغور ، وبها قبر الصالح الشيخ محمد فاضل ، والد الشيخ ماء العينين .

(**ِتيجِطي**) ــ واد مشهور ، وهذا آخر ما وقع لنا علمه من بلاد الحوض ، وهي ارض كبيرة ، وتسكّنه قبائل كثيرة .

(**اظهر**) ــ ارض بعد الحوض قبل ازواد ، وهو غير اظهر ادرار .

(**ازواد**) ــ بزاي مفخمة بين الظاء والزاى : وهي ارض كبيرة بعد اروان ، وفيها كثير من قبيلة كنت ، وكانت بها اقامة العالم الصالح الشيخ سيدي المختار ولم تزل اولاده بها ، اعني اولاد اولاده . ومن اشهرهم : باي ، وكان عالماً مشهوراً معاصراً لاحمد الامين الشنقيطي صاحب « الوسيط » رحمه الله .

(**ا َروانْ**) ــ قرية مشهورة ، بينها وبين تينبكتو عشرة ايام بالسير العربي ، واقعة في رمال ولا نبات بها ، وليس بها شجر ولا زرع ولا نخل . ودورها مبنية من الطين فقط ، والناس يقولون : ان المطر لا ينزل على البيوت بسبب دعاء صالح ، دعا لهم بذلك ، ولو نزل عليهم لتهدمت ابنيتهم ! . قال صاحب الوسيط : « وقد اجتمعت برجل منهم سنة ١٣١٧ بالمدينة المنورة (اي من نحو ٦٢ سنة) ، وسافرنا الى ان قضينا الحج ، ثم سافرنا الى بلاد الترك ثم تفرقنا . ولم انتقد عليه شيئاً من جهة دينه ، فسالته عما يقال من ذلك ، فقال : ان المطر لا ينزل على تلك البلاد الا نادراً ، وانه اذا نزل لا يصيب تلك القرية منه الا شيء يسير ، وانهم ربما نظروا الى الآكام حولهم تمطر ، ولا يصل الى الدور الا شيء لا اهمية له ، فسبحان القادر على ما يشاء !! » .

(**ِلمْو َيَّةْ**) ــ ارض متوسطة بين شنقيط واروان ، صعبة المسالك ، لا ماء بها ولا شجر ، وهي خطرة على من سلكها ، واذا عصفت فيها الريح لا تقدر الرفقة السالكة لها ان تسير ، خوفاً من ان تتيه ، لأن الريح ترفع التراب ، حتى لا يفرق بين السماء والارض ، وكانوا اذا ارادوا حمل الملح من شنقيط ، يظمئون الابل حتى تتعود على الشرب ، بعد عشرين يوماً او نحو ذلك !! ويحمل كل رجل ما يسقيه في المزايا الجيدة ، ويكون ذلك في فصل الشتاء ، وربما نفد على الرفقة الماء ، فينحرون الابل ، ويأخذون ما حوته بطونها ، ويعلقونه في كروشها ، ويوقدون تحته النار ، فاذا صفا ماؤه يتركونه حتى يبرد فيشربونه !! وقد فعله خالد بن الوليد رضي الله عنه في زمن الر ّدة ، لما توجه بعد وقعة اليمامة الى نواحي العراق . وكان دليله رافع الصحابي ، المعروف بالهداية وقد تضل الرفقة في لمر ّية ، فتهلك عن آخرها ، ويقولون : ان الدليل فيها اذا سار مع الركب يتقدمهم ، فيتبعونه ولا يكلمهم ، خوفاً ان يذهل فيهلكوا !

(**تيشيت**) ــ مدينة مشهورة بعد تكانت ، قريبة من الحوض ، بينها وبين تيججكه نحو خمسة ايام ، وبها نخل . واهلها ادرى من اهل تلك البلاد بالتجارة ، وهي اقرب مدن تلك البلاد للسودان ، وكان اهلها ثلاثة اقسام قسم يقال له . الشرفاء ، وقسم يقال له : اماسنَتَةْ . وقسم يقال له : اولاد بُلَّه . فوقعت حرب بين القسمين الاخرين ، فخرج ابناء بُلَّه ، وبنوا بلدة اغريجيت .

(**وَلاته**) ــ مدينة مشهورة ، وهي اخر مدن شنقيط ، مما يلي بنياره . واهلها عرب ، وجلهم او كلهم من الزوايا ، وفيها علم وصلاح . ولاهل لِمْحَيميدْ عليها سيطرة ، وهم من حسان ، واصلهم من اللُّحْمة . وكانوا يعطون المكس لادوعيش ، فحاربوهم حتى تخلصوا منهم ، وتركوا ارضهم ، ولجأوا الى الحوض ، فكثروا وكثرت مواشيهم ، وانتشر ذكرهم ، وكل ذلك بعزم محمد محمود بن لِمْحميد .

(**تِينْبُكتُو**) ــ والمشهور تمبكتو بالميم : مدينة مشهورة ، والمعروف عندنا انها خارجة عن شنقيط ، واصل اهلها السودان ، وفيها كثير من تجار سوس وغيرها من بلاد المغرب .

(**بُواجْبَيْها**) ــ تصغير جبهة ، وهي قرية من نواحي تينبكتو فيما اظن ، وهي من شنقيط (موريتانيا) . وبعض سكانها من ادوعل ، استوطنوها بعدما تفرقوا ، بسبب الحرب التي وقعت بينهم ، ولم تزل بقاياهم هناك .

(**سَبْخِتْ تاودَنّي**) ــ هي سبخة مشهورة بين شنقيط واروان ، وبينها وبين اروان عشرة ايام ، ولعلها مكنبة عن شنقيط الى جهة الشمال الغربي ، ويحمل منها الملح الى تينبكتو والسودان ، وملحها دون ملح آدرار في القيمة عند السودان .

(**آكانْ**) ــ هي ارض كبيرة جيدة الهواء ، وتتفاوت في ذلك . فما يلي آدرار اجود ، الا انه كثيراً ما يعتريه القحط . وما يلي تكانت اجود منه بالنسبة الى المواشي : لانه قليل القحط ، يبتدىء من اجبيتين . وهي جبال سود مما يلي جنوب آدرار قبل الحيط ، من جهة ارض القبلة . ثم يمتد مشرقاً ، وفيه حزون وسهول وجبال وآكام . ومن اماكنه المشهورة :

(**إجّبيتن**) ــ وهي جبال سود ، قبل الارض المستوية ، التي تحف حيط

آدرار وتكانت ، ولا ادرى ما يقال لها من هذه الجهة ، اعني من جهة القبلة ، ويقال لها من جهة غرب آدرار (الباطن) ، وكذلك من شرقي تكانت ، وانها من جهة جنوبها الغربي يقال لها : (التاغصه) .

(**الكَنُوارِيَّة**) ــ اضاة كبيرة ، اذا امتلأت ماء تصير كقطعة من بحر ، وتردها الناس ومعناها : مقطوعة الاذن .

(**بُوناكَهْ**) ــ اصله ابو ، وحذفت الالف ، وناكه (بكاف معقودة مفتوحة) اصله القاف (الناقة) : منهل مشهور ، تستمرئه الابل ، وبجانبه جبل اسود ، ومن مناهله المشهورة : (تيدِنْ يَكُّوتْ) ، وهو منهل مشهور متوسط وبين آدرار وتكانت ، وبه جبال من الرمال ، ويضرب المثل بحسن قفاه . . .

(**فَايْ**) ــ ارض مشهورة صلبة ، تمتد من آكان ، مما يلي ادرار ، ويحفها من غربيها الشمالي تِماشِينْ ثم تستمر الى قريب من اجار . ومن مناهلها المشهورة : (آكْلآلْ) بمدة بعدها كاف معقودة مكسورة ، ولامان بينهما الف واخرهما ساكنة ومعناه : مقطوع الذنب في العامية ، ويقال لها آكلال فاي .

(**آوكارْ**) ــ ارض كبيرة المساحة ، فيه مناهل وقفار ، متوسط بين آكان وآمشتيل ، وآفطوط والعُقل ، اوله مما يلي آمشتيل ما بعد آيمه ، وقد اجاد ابن الشيخ سيدي ، في وصفه له ، من قصيدة طويلة يقول فيها :

هل يسنّى لنا سجيسَ الليالي   عوضَ من عودةٍ الى (أوكار) ؟
حيث تبدو لك المعالم غُرّاً   حسنها سَرّ أعينَ النُّظار . . .
نمّقتها يد الحيا بِلُماعٍ   شاب حسنَ ابيضاضها باخضرار
تلك ارضي التي احب واهوى   وهي حقا ، منازل الاحرار !
عذبة الماء ، ليس ينبت فيها   شجر غير طيب الاشجار . . !

(**زارْ**) ــ منهل مشهور به قبر لصالح الفغ اُحْمَدْ التاكنيتي ، وذكرته شعراء تلك البلاد ، في اشعارها كثيراً . قال ابن عيدّ الجكني من ابيات :

من كان ذا ابل يرعى مصالحها   فلْيبقَ ذا حذر ياقوم من (زارا)

وقال ابن احمد دام من قصيدة :

وجادت على اطلال (زار) مُربّةٌ   بهـا كل غراء الجبين دَلُوحُ

وقال العتيق بن احمد ابن الطُّلْبَ اليعقوبي :

بينما نحن نوّمٌ حول (زار)   اذ اتتنـا تميس ثم (لميسُ)
وعجبنا بان ألمتْ (بزار)   وبعيدٌ (زارٌ) على من يميس !

(**انجيدي**) بهمزة وصـل ونون ساكنة ودال مكسورة ، وهو بئر مشهورة لاولاد ابيير ، وكثيراً مـا يزدحم الناس عليها في زمن الخريف ، وقـد وردها العلامة محمد فال بن باب العلوى ، فصادف عندها المختار بن حميد الابييري ، فسقى له قبل كل احد ، ثم وردها ثانيـة ، وصادف رجلا من حلفاء المختار المذكور ، فأساء معاملته . فقال :

عليّ ورود (انْجِيد) بعدُ محرّمٌ   اذا لم يك المختـار بالعقر واقفا !
امختـار ألا تزجرنَّ مخالِفـاً   لكم كان في صنع الجميـل مخالفا
فلا يك الا حيث انت ، فانـتما   جناحا ذباب: ذاك داء، وذا شفا .!

(**البئر الاصفر**) ـ بئر مشهورة لابناء ابيير ايضاً .

(**تامْورِكيتْ**) ـ بئر مشهورة لاهل الشيـخ سيدي وتسمى « ميمونـة السعدي » التي عناها سيدي محمد بن الشيخ سيدي في قصيدة جاء فيها :

لعمرك ما ترتاب (ميمونةُ السُّعدى)   بأنّا تركنا السعي في امرها عمدا ..
سوى أننـا كنا عبيـدَ مشيئـة   ولا عار في ان يُعجِز السيدُ العبدا
ألم تر أنّا قـد رعينا عهودهـاً   على حين لا يرعى سوانا لها عهدا ؟
فجئنا لهـا ، حتى ضربنا قبابها   على نجده الميمون، اكرم به نجدا ..!
نظل وقوفـاً صائمين ، على الظّما   نخال سمومَ القيظ في جنبها بردا !!

(**علب اولاد امْباك**) ـ تصحيف (مبارك) ـ كثيب عظيم ابيض، والعلب عندهم بمعنى الريح .

(**ايمرِزكان**) ـ بهمزة مكسورة ، وياء ساكنة ، وميم ساكنة ايضاً ، ورا مكسورة ، وزاي ساكنة، وكاف معقودة بعدها الف ونون ساكنة : تلال عظيمة في آوكار ، وإياها عنى ابن الشيخ سيديّ مع ما قبلها بقوله :

وقد حوت (الميامنَ) منزلاتٍ   ورَبع (بني المبارك) منزَلَيْنِ

فالميامن : هي ايمرزكان ، وربع بني المبارك ، هو علب اولاد امبارك المتقدم.

(**آمشتيل**) ـ ارض متوسطة بين العقل وآفطوط وآوكار، فما قبل انتِشليت بعد من آمشتيل ، حتى ينتهي في العقل ، ومن مناهله المشهورة :

(**إنْوَيْرساتْ**) ـ وهو بئـر مشهورة . و (بو طليْحيَّةْ) : تصغير طحاوى ، وهو بئر مشهورة ايضاً .

و (اغْدَكَّلْ) بئر مشهورة ايضاً . و (كندِللكْ) بئر مشهورة ايضاً .

و (انتاترات) بئر مشهورة ايضاً و (مايكوم) بئر مشهورة لتندغَ .

(**انْتُجَيْ**) ـ ويقال له : مراجيع انتجى ، واياه يعني ابن حنبل بقوله :

جُدْنَ ذا الرِّسْل بسيلٍ مفعم   (والمراجيع) بسَجّاح لَجبْ !

(**إبيّر اللبن**) ـ هو بئر مشهورة ايضاً ، وهي المعنية بالرسل ، في بيت ابن حنبل لان الرسل بمعنى اللبن .

(**تِنْدَوْجة**) ـ منهل مشهور ، به الوقعـة المشهورة بين ادوعل وادابلحسن ، وبها قتل الاحوَل الشاعر المشهور .

(**بُتليميت**) بالمذكر ـ بئر مشهورة لاهل الشيخ سيديّ وبها سميت المدينـة المعروفة ، وقد مضى عليها زمان في حياة الشيخ سيديّ ، لا يصله خائف الا امن، ولا فقير الا استغنى ، ولا جائع الا شبع ، فهي كقبة ذي الاعواد .. وكأنّ الاسود بن يعفر عناها في قوله :

ولقد علمت سوى الذي حدثتني   ان السبيل سبيل « ذي الاعواد » !

ولا يزال لبوتيليمت شأنها العلمي والادبي بفضل ابنائها البررة امثـال الشي عبد الله سليل بيت المجـد العريق من آل سيدي ، والعلامـة المؤرخ (ا

خلدون الثاني) المختار الحامد ، صديقنا الغالي . .

(**لِعْكُلْ**) بـلام مكسورة وعين ساكنة وكاف معقودة مضمومة ولام ساكنة : جمـع مغير عن اصله ، لان واحده بالعامية عكلة بعين مضمومة وكاف معقودة ساكنة ولام مفتوحـة وبعد لام ساكنة لانهم يقولون : بنو فلان عند عُكلتهم ، فقياس الجمع العُقل على فعل بضم ففتـح ، لان مفرده على فعلة في الحقيقة وهي آبار قصار ، بالنسبة لما يقال له بئر ، في اصطلاحهم ، لان ما يمتح على الايدي يقال له : عُكلة ، وما يمتح على السوائي . يقال له : بئر ، في عرف اهل تلك البلاد ، وفي التسمية الاولى توسع ، لانه في الاصل يقال لمـا يمتح بالعقال وهو قصير ، فصار يطلق على ما طوله خمس قامات ، تبدأ العقل من (زار) المتقدم ، لان له عقلة .

(**انوا كلِميش**) ـ وهو منهل لاولاد ابييري .

(**انوا تيلْ**) ـ منهل مشهور لتاكنيت ، وهو المراد بقول ابن احمـد دام في مطلع من قصيدة له ، وقد كني عنه « بذي السرح » :

تألّق لمّـاع الوميض كمُوحُ . « بذي السرح » يخفى تارة ويلوح
مرابع يرتاح الفؤاد لذكرهـا   واهتف شوقـاً باسمها ، وابوح !

(**بُغا َبهْ**) ـ اصله ابو غابة ، منهل مشهور ، وبه يجتنون العلك ، المشهور على السنة المشارقة بالصمغ ، وهو منهل مشهور لتاكنيت ، واياه عنى ابن حنبـل بقوله من قصيدة :

وانهمى بالعـين منها أيمـنٌ   « وبذي الغاب » مياسير سُكُبْ

(**انْوَدْ كِي**) ـ بهمزة وصل ونون ساكنة وواو مفتوحة ودال مهملة ساكنة وكاف معقودة مكسورة ، منهل مشهور لاداشْغَرَه ، احدى قبائل إدابلْحسَن .

(**أبيضُ الماء**) ـ لأدغماجك بكسر الهمزة ودال مفتوحة وغين معجمة ساكنة وميم بعدها الف وجيم مكسورة وكاف ساكنة احدى قبائل الزوايا ، يقولون : ان اصلهم من تندغَ .

(**لُمّيْلحَهْ**) ـ منهل لادوعل ، قبيلة من قبائل الزوايا ، ويقال لهم : العلويون

نسبة الى الامام علي عليه السلام .

(**المُزَمزَمة**) ـ منهل قريب مما قبله ، سمي بذلك ، لان بعض من يملكه ، قدم من الحجاز وصب في بئره شيئاً من ماء زمزم ، وهو لادوعل ايضاً .

النُّباغِية) ـ مشتقة من نبوغ الماء ، لكثرة مائها ، وهي منهل لادوعل ايضاً .

ويليه (إتوامبَه) وهو منهل لادوعل ايضاً .

وبعد اتوامه ، مناهل لابنـاء اعمر اكداش : قبيلة من قبائل ادابلِحسْنَ ، ومن اشهرها :

(**تنْدِيجمَار**) ـ بمثناة فوقية مكسورة ونون ساكنة ودال مفتوحه ومثنـاة تحتية ساكنة وجيم مكسورة وميم بعدها الف وراء ساكنة . وهي منهل مشهور .

(**شُبُك**) ـ منهل مشهور ، كثير الماء وبه وقعت وقعة مشهورة بين قبائل الترارزة ، كان الظفر فيها لابناء دامان ، وبهـا مات الافجع الشجاع المشهور . وقـال قائله : انا قتلت الافجح . فقال له احد قومه : كلهم الأفجح ، يعني انْ قومه كلهم شجعان .

(**المَسُّوميَّه**) ـ منهل مشهور لابناء اعمر أكْداش .

(**تنْدَغْماِجك**) ـ منهل مشهور ، لابناء اعمر اكداش ايضاً .

(**تِن بام**) ـ منهل لادابلحسن ، وقد ذكره أبَدّ بن محمود العلوي في حياته (بـأبَيَّات) . وكان قد بات بها ضيفاً عند بطن من إدغاجِك . . يقال لهم : (اولاد عام) ، فلم يحسنوا ضيافته . وأبدّ هذا غير المتقدم ، وانما هو ابن اخيه ، واول الابيات :

يا ليـلة بِتُّها شرقي « تنبام »   غالت َبني ليلةٍ فيها (بنو عام)

(**آمنيكير**) ـ منهل لبني ديمان . و (**إشنكاط**) ـ منهل لبني ديمان ايضاً .

(**تِنْ محمد**) ـ منهل لادابلحسن .

(**تنْكرُكَه**) ـ منهل من مناهل ادابلحسن ايضاً .

(**إِنبيَنْطِيه**) منهل من مناهل ادوعل ، كثير الماء ، وهو من جهـة الشمال

عن تنْ وغيمل .

(**تنْ بُيَعْل**) ــ منهل مشهور ، وهو مختلف الارض مع صغر مساحته ، فنه محل طوله نحو ثمان قامات ، وهو كثير الماء جيده ، وربما انهـــار على من يحفر فيموت ، ويسمى هذا الموضوع تنبعل البيضاء .

(**بارينا**) بباء موحدة وراء مفخمة مفتوحة وياء ساكنة ونون مفتوحة : وهي بئر مشهورة ، تعد من اتكور واقعة بين العقل واركيز وإكيد ، وهي المراد بقول ابن محمد المتقدم :

حتى اذا عمَّت السقيا مسارحَهـــا فاسق المسازح من (بارينَ) واسترحِ

وهي لادوعل ، وهي ملقط العلك (اي الصمغ) وقريب منها بئر لابنـــاء اعمر اكداش .

(**العوكوب**) ــ بمعنى العرقوب : وهي بئر لاداشغره وبعدها (**اتويد رمي**) : بئر لاداشغره ايضاً ، وهي التي عناها لحنفْ المجلسي المتقدم بقوله :

اهل الينبيبع ، لا تعبأ بما فعلوا من دأبهم خلتان : اللؤم والبُخُلُ !

وبعدها :

(**اركيز**) ــ بحر عريض جداً (نهر شتوي والنهر عندهم يسمى بحراً) يقدر عرضه بثلث يوم ، وهو راكد ويسيل في بعض السنين على جهة الغرب ، وسيـــله انما يكون اذا كثر سيل شمامه .

(**بَرّكْ**) ــ اي انِخ جملَك : قالوا سمي بذلك لأن احمد بن خيار العلوي بن خيار المذكور ، كان ينزل هناك ، فكان اذا مر بـــه راكب يقول له : برك ، اي انزل لاطعمك ..

ومن اماكنه المشهورة :

(**سَهْوَة الماء**) ــ اي آخره ، وهذا موضع انتهاء بحر اركيز ، وفي هـــذا الموضع غيضة عظيمة ، يقال لها (الكانه) ، وهي اشجار ملتفة ، وتسكنها السباع كثيراً ، وتأوي اليها اللصوص ، وقد ينزلها ابناء دامان ، اذا خافوا ، فيتحصّنون بها

من عدوهم ، ولم يقدر احد ان يغزوهم بها ، غير ابن اعـــل بن محمد الحبيب فانه اقتحم عليهم فيها ، ومزقهم كل ممزق .

(**المُيَسَّرْ**) ــ بئر مشهورة لابناء اعمر آداش ، قريبـــة من الكانه ، وهي ملقط العلك ، وهي في آفطوط .

(**إحْسَي اللبن**) ــ من حسا يحسو ، اذا شرب ، والحسْو يُطلق عندهم على شرب اللبن : ــ موضع قريب من رأس اركيز ، وبه بئر قصـــيرة ، تمتح على الايدي .

(**بو طْرَيفيَه** ــ موضع به غيضة عظيمة ونخل كثير ، وبه سباع ودببة .

(**المذَّرْذَرَه**) ــ ومعناها المتساقطة الورق : هي بئر تمتـــح على الايدي ، لتاشدّ بيت ، بين الكرعان وأجيد واركيز .

(**إكيدِي**) ــ بهمزة مكسورة ، وكاف معقودة مكسورة ، وبعدها مثناة تحتية ساكنة ، ودال مكسورة . مناهل متعددة ، وكلها آبار تمتح على الدواب ، وهي من غربي العُقل الجنوبي ، وكل ارض إكيد ، كثبان الا انها ليست بدهسة وآبار تطوى بالحشيش واغصان الشجر واشهر مناهلها .

(**تنيخلْفْ**) ــ بئر لبنى ديمان . و (آمنيكير) بئر لبني ديمان ايضاً .

(**حسْيان تاكْنانتْ**) ــ بمعنى الاحساء : وتاكنانت قبيلة معروفـــة من قبائل الزوايا ، وحسْيانهم تبتدىء من اواخر اكيدي الى اجار ، ومن جهة الشرق من عُقل ادابلحسن الى اجار ايضاً ، فمن اشهرها مما يلي اكيدي :

(**انوادييو**) ــ وهي بئر تعمر في بعض السنين ، ويرحل اهلها عنها ، الخ ..

منتهى سياسي !

ما اوردناه هنا من ذكر اسماء البلدان والارض والاماكن ، ليس سوى نزر يسير وقليل من كثير مما في موريتانيا .. والغاية من ذلك ليست غاية (احصائية) يهمنا فيها الاحاطة ، فكان الاكتفاء بهذا القدر الموجز . وانما كانت الغاية ناحية

سياسية هي الآن موضع اجتهاد سياسي بين رأيين متضاربين بموريتانيا في الوقت الحاضر ، احدهما يقول : لا يمكننا الاستغناء عن نهر السنغال اذا جد الجـد ، والآخر يؤكد العكس في الرد . . وجاءت هذه الاحصائية الموجزة لاسماء الآبار والمياه والينابيع ، تضع حداً لهذا الخلاف . . وتؤكد وجهـة القائلين بان اعتماد موريتانيا على نهر السنغال قليل . . وان هذه المسألة ـ اذا جد الجد ـ لا يمكنها ان تحملهم على قبول اي ضغط سياسي . . !

الفصل الرابع

موريتانيا في حاضرها الحديث

مراحل التكوين السياسي وقيام «الجمهوريات الاسلامية الموريتانية»
مشاكل السياسة الاتحادية بين مالي والمغرب

سنوات الانبعاث

كانت سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانيـــة ـ السنوات العشر الاخيرة على الأخص ـ سنوات انبعاث سياسي في جميع انحاء القارة الافريقية. فما ان انتهى الشر المحيق المستطير ، وعادت كل امـــة الى بناء نفسها من جـــديد ، والتماس مصيرها ومستقبلها على ضوء الكوارث التي سببها الاستعمار ـ او قل ما ان انتهت معركة الحديد والنار ، حتى بدأت معركة السيادة والتحرر من الانحلال السياسي والتبعية الدولية ، فكانت انتفاضة الافارقـــة انتفاضة جبارة اذهلت جميع المراقبـــين السياسيين ، واجبرت « السادة » على اعادة النظر من جديد في امر « العبيد » ... ولكن لمصلحة هؤلاء هذه المرة من اكيد ..!

امام هذه الظواهر التحررية الجديدة ، وامام ما تكشفت عنه القارة من خيرات دفينة ، وحيال يقظة المساكين المستعبدين على اهمية « التركة » وضخامة مقدراتها لم تجد الدول الاستعمارية بدا من تغيير الاساليب التقليدية في حكم الافارقة ، القائمة على العنف والابادة للابقـــاء على نفوذها وتوسيع استثمار افريقيـــا ـ السوداء والبيضاء ـ والحاقها بالاقتصاد الاوروبي الحاقا منطقيا لا يموت فيـــه الذئب ولا يفنى الغنم . .

بدأت فرنسا بالتلويح ـ في الاجزاء التي تحتلها ـ بالجمهوريات والاتحادات .. ولكن اي اتحادات ؟..

هي تلك الاتحادات التي يظللها علم « الجامعة الفرنسية » لقاء .. لقاء ماذا ؟ لقاء توظيف رؤوس الاموال في المشاريع التعدينيـــة والاعـــلان عن تفجيراتها الذريـــة ـ وقد فعلت دون وازع من ضمير ـ وكذا مشاريعها المائية على النيجر وفي موريتانيا الخ ...

وكان واضحا لدى الفئات الواعية ، ان فرنسا تريد ان « تطور » استعمارها.. ان تستبدل « الطحان » وتبقي « الكيلة »[1] !

كان واضحاً انها تريد ان تنقل البلاد من ظروف الاستعمار المباشر الصريح ، الى استعمار خفي – ولا يخفى – بواسطة حكام « وطنيين » تحكم بهم البلاد على غاية ما يرام ..

كان هذا القصد واضحاً للعناصر الوطنية الواعيـة ، فأعدّت له من الحنكة والدهاء والمرونة عـدة كافية واستفرصت الظروف الذهبية لتحقيق الغـايات الاستقلالية الحقيقية ، وآلت ان تكون ايجابية في سياسيتهـا لا سلبية ، وبذلك تضمن وصول البلاد الى مراحل من السيادة لا بد منها ويستحيل اخذها بالعنف..

وهنا نستعرض مراحل المسألة السياسية في موريتانيـا منذ منحتها فرنسا حق الانتخاب ، اي منذ سنة ١٩٤٦ .

في العام المشار اليه جرت في موريتانيا اول انتخابات نيابيه ، فنزل الى المعترك اثنان احدهما فرنسي هو المسيو رازاك حاكم منطقة الترارزة يومئذ، والآخر مواطن موريتاني هو حرمة بن بابانا العلوي[2] ففاز هذا الاخير على منافسه الفرنسي بنحو سبعة آلاف صوت ، ضد ثلاثة آلاف ، بالرغم من المساندة الفرنسية ومعونـة بعض العملاء من الموريتانيين .

---

[1] – قصة مشهورة تنطوي على مغزى انتقادي بناء خلاصتها ان طحانا ظالماً كان يستوفي اجرة الطحن بمكيال واسع الذمة ، اي انه يسرق الناس دون ان يشعروا . فشكا اصحاب القمح يومـا ظلامتهم لصاحب المطحنة ، فقال : خسئنا .. ساطرد لكم الطحان حالا .! فقالوا : يا مولانا .. علتنا ليست من الطحان المسكين ، بل من المكيال الباقي .! فذهبت مثلا يضرب لكل مسألة تعالج خلافاً لما هو مطلوب ..

[2] – ولد حرمة بن بابانا العلوي سنة ١٩١٢ في ارض الترارزة قرب قرية المذرذره جانب نهر الركيزه وتلقى علومه الابتدائية – من فرنسية وعربية – في المذرذره وبوتيليميت وسان لويس . وهو يحمل الآن من الشهادات ديبلوم الكفاءة التعليمية (استاذ) للغة الفرنسية . ويشغل الآن منصب سفير للمغرب في ليبيا ، بصفته مواطناً مغربياً ، لجأ الى المغرب بعد غضب فرنسا عليـه ، وناوأ سياسة الرئيس بن داده رئيس الحكومة الموريتانية الحالية هو ورفاق له سيأتي الكلام عنهم . وقد بقي بن حرمة مدة خمس سنوات ممثلا لبلاده، كنائب في البرلمان الفرنسي، فاكسبه ذلك ثقافة سياسة وزعامة شعبية .

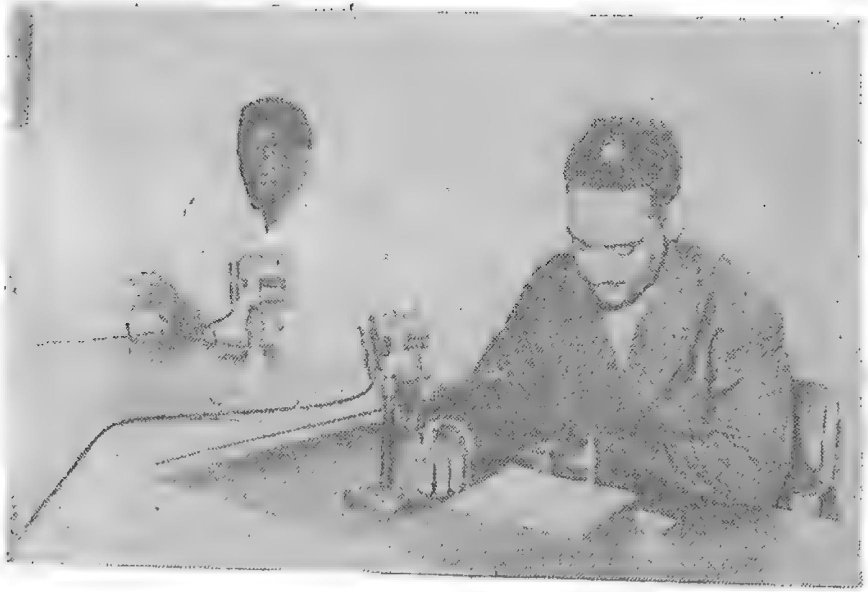

الوزير الأول المختار بن داده رئيس الحكومة (الى اليمين) يلقي كلمة الحكومة اثناء اختيـار الاستقـلال الداخلي ، وبجانبـه المختار نجاي رئيس مجلس النواب (الاسود) يبدو مصغيـاً جداً مع عدم ارتياح ظاهر ..! والصورة تمثل الرئيسين متقاربين جواراً ، ومتباعدين اقصى التباعد سياسة .. حتى ليصدق عليهما قول الشاعر :

وقد يتقارب الوصفان جداً   وموصوفاهما ، متباعدان..!

توحيد الاحزاب

في اثناء تولي بن حرمة النيابة عند بلاده خمس سنوات تكوّن في موريتانيـا اول حزب سياسي هو « حزب الاتحـاد الموريتاني » ثم حزب آخر هو حزب « الوفاق الموريتاني » . الاول رئيسه سيد المختار نجاي – سوداني الاصل – الذي صار فيما بعد رئيس المجلس الوطني ، والثاني رئيسه بن حرمه ومن اعضائه المختار الحامد الاديب والمؤرخ المعروف .

الا ان المنافسة الحزبية ، ، وآفة (تنازع البقاء) على زعامة البلاد ، اضعفت الحزبين فخرج الناس منها افواجاً كما دخلوا افواجا ..

وكانت الاحداث تتسارع في تقرير المصير للاقطار الافريقية ، وكان لا بد من توحيد الجهود لكسب الوقت وكسب المصير الافضل قبل فوات الاوان .. وفي العاشر من يناير ١٩٥٨ عقدت لجنة الائتلاف التي تتألف من ممثلين عن الهيئات السياسية واصدرت البلاغ التالي :

« ان لجنة الائتلاف التي وكلها الاتحاد التقدمي والوفاق الموريتاني متيقنة ان اتحاد جميع ما في البلاد من جهود فعالة اصبح ضرورة الى اقصى حد لتشييد موريتانيا جديدة ، وذلك لكثرة الصعوبات التي يجب ان تجابهها البلاد صفاً واحداً وبحيث ان مختلف المشاكل الحالية تقتضي تدابير ناتجة عن مسؤوليةمشتركة تقرر :

١ ـ ائتلاف الاتحاد الموريتاني والوفاق الموريتاني .

٢ ـ استدعاء جميع الاعضاء لحضور مؤتمر تأسيسي ينعقد بالاك في ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ فبراير باعضاء ممثلي الاتحاد التقدمي السادة :

احمد سالم بن الهيب ، المختار بن داده (رئيس الحكومة الحالي) ، السيد المختار انجاي ، احمد اجاجي صنب جوم ، عبد العزيز باه ، يحيى كن ، وممثلي الوفاق الموريتاني ، انجاور صار ، الذي ابن سيد باب ، محمد المختار بن اباه ، (احد الزعماء الشباب المناوئين لسياسة بن داده في المغرب) ، احمد فال بن البناني[1].

جاي سلي سوماري ، باه محمود صنب .

وعلى اثر هذا الاجتماع تقرر اتحاد الحزبين في حزب واحد سمي « حزب التجمع الموريتاني » الذي صار احد اعضائه ـ المختار بن داده ـ رئيساً لاول حكومة موريتانية فيما بعد ، بموجب القانون الاطاري ـ نسبة الى اطار ـ الممنوح من قبل فرنسا سنة ١٩٥٧ .

ثم تعاقبت التطورات ، وعقب استفتاء سبتمبر (ايلول) ١٩٥٨ التصويت العام على « لا » و « نعم » في جميع اقطار افريقيا الغربية الفرنسية ، وهو التصويت على حق اختيار المصير لكل بلد افريقي كما يريد . وكانت « نعم » ترمز الى اختيار سياسة التبعية مع فرنسا ضمن الكومنولث ، و « لا » ترمز الى الرغبة في الخلاص

---

[1] ١ ـ هو الآن ممثل موريتانيا في السفارة الفرنسية ببيروت .

نهائياً وكلياً من هذه التبعية .. وكانت النتيجة في موريتانيا كما تريد فرنسا .. ولكن المعارضة قالت للناس : لا تصدقوا .. فالشعب الموريتاني باكثريته صوت على « لا » ولكن التزوير والضغط والارهاب جعلها « نعم » ..!

وهكذا استمرت سياسة حكومة بن داده بالحكم تعمل ضمن مخطط « نعم » الفرنسي : وانبثق عنها زعماء المعارضة الكبار يعملون ضمن مخطط « لا » العربي .. ولكن خارج الحدود ..! ولهذا الخلاف حديث ذو شجون ليس هنا مكانه .

وفي خلال فترة ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ نشأ في موريتانيا حزب جديد دعي باسم «حزب النهضة» ظهر له مؤيدون كثيرون منهم زعماء المعارضة المقيمون في المغرب ، وسياسة هذا الحزب هي سياسة استقلالية محضة لا هوادة فيها ، ولذلك كان بعض قادتها ـ وكانوا يعملون داخل البلاد ـ عرضة للاعتقال والتنكيل من قبل السلطات الفرنسية .

السيد محمد عبدالله ولد الحسن المستشار الفني للرئيس بن داده

ويظهر ان فكرة الاستقلال عن فرنسا نهائياً وكلياً ، اصبحت هي الاكثر قبولا وتأييداً من الشعب الموريتاني. وهذا ما حدا بالمجلس الوطني ان ينعقد ويتخذ موقفاً صريحاً حول هذا الشأن في اوائل شهر مارس (آذار) ١٩٦٠ ، ويصوت بالاجماع على طلب الاستقلال الناجز . وعلى الفور طار الرئيس بن داده الى باريس لمفاوضة رئيس الحكومة الفرنسية واعضاء حكومته حول ارادة المجلس الموريتاني ، ومن المرجح ان لا تنتهي سنة ١٩٦٠ الحالية ، الا وتكون موريتانيا قد نالت كامل استقلالها ان شاء الله .

الوجود السياسي

ان قصة « الوجود السياسي » ، هي دائماً اضخم قصة في تاريخ كل امة ناشئة ، واحفلها بالمتاعب والمشاكل ، سيان في ذلك الامبراطوريات ، كفرنسا .. والبلد الصغير كموريتانيا ...

وقصة الوجود السياسي للبلد العربي الافريقي المذكور ، قصة لها طولها .. ولها ملابساتها ومتاعبها التي لايمكن الاحاطة بها في فصل يظل مهما طال محدوداً بالنسبة لازدحام الاحداث المتسارعة في افريقيا .!

ولكن علينا ان نقدم للقارىء العربي في المشرق موجزاً لهذه القصة ، ليكون ملماً بابرز الوقائع المهمة التي أدت الى ميلاد « جمهورية » لها ، على صغرها ، مكانتها وامكاناتها تحت الشمس ..

الكثرة العددية ، او القلّة ، ليست مقياساً لعظمة الشعوب وقوتها ، بل المقياس هو الطاقة الفكرية والروحية ، ومدى فعالية الامة التي تريد ان تكون « شيئاً » في دنيا الشعوب الناهضة التي تعتمد القوة « فلسفة » لها ، بحيث لا تكون الحياة ممكنة الا للاقوياء !

والموريتانيون ، على قلة عددهم وضعف وسائلهم الدفاعية ، كانوا دائماً اقوياء كانوا « عظماً قاسياً » .. لم ينكسر تحت اضراس المستعمر القوية ، رغم « التجارب » العديدة على مر الايام ..!

لقد ظل عرب الموريتانيا « عصاة » على فرنسا طيلة حكمها المباشر في كثير من الحالات .. ولذلك كانت تستثنيهم في بعض قوانينها المعمول بها في مستعمراتها السوداء بعدة امور .. كان لهم « افتتاج » خاص ، اذ انها كانت تعفيهم من الخدمة العسكرية الاجبارية المفروضة على الافريقيين السود ، وتنظر اليهم في عدة

اعتبارات مدنية نظرة «ممتازة» عن السود ، وتسوسهم سياسة خاصة في التصرفات والعطاءات ونحو ذلك ، فيها الكثير من اللين والمسايرة وكسب المودة ..

فلما حان الوقت للمطالبة بالاستقلال السياسي ، كان لدى فرنسا الكثير من اسباب القبول ، وعدم استعمال القوة ، واتخاذ « الحكمة » ـ على غير عادة فرنسا ـ اساساً للبحث ..! فاثمرت المفاوضات صداقة طيبة ربما كانت خيراً وابقى للدولة المستعمرة من كل خيرات الاغتصاب ..

رحلة التكوين الاولى :

تعتبر سنة ١٩٥٨ « سنة التكوين » الاولى لما اصبح يسمى بـ « الجمهورية لاسلامية الموريتانية » الدولة الصغيرة العربية اللسان ـ لوحدها ـ بين مجموعة اقطار افريقية سوداء تفتقر كلها الى لغة وطنية « رسمية » فلا تجد بدا من اعتبار لغة الفرنسية لغتها الرسمية .

واذا اعتبرنا مسألة اللغة اول واعمق مظهر من مظاهر الاستقلال الوطني ـ والاعتبار قائم ـ فيكون اصغر وطن افريقي على الاطلاق وافقر وطن موريتانيا ـ هو الوطن الوحيد الذي يتمتع باوسع معاني الاستقلال بين مجموعة طان افريقية كثيرة محتاجة كل الاحتياج الى لغة اجنبية ـ فرنسية او انكليزية ـ تعتمدها في حياتها « الدولية » والثقافية .

ذلك ان افريقيا الغربية ـ الفرنسية والانكليزية ـ هي بابل اللغات .. تعيش يها منذ حياة البداءة والفطرة لغات اقليمية لا حصر لها ... ولكن لا يوجد بينها لى كثرتها لغة اقليمية واحدة تصلح لان تكون لغة حية ذات « قواعد » او يمكن ستعمالها لغة « رسمية » للوطن المستقل ، او القادم على استقلال . باستثناء موريتانيا لد الصغير الفقير الصحراوي النائي الغائص في حياة البداوة والفطرة فكانة مستقل لغة ـ قبل الاستقلال السياسي باعوام عديدة مديدة !

* * *

نعود الى الكلام عن مرحلة التكوين الاولى التي قلنا انها بدأت سنة ١٩٥٨ بلاه « حزب التجمع الموريتاني » اي الحزب الحاكم حالياً . الا ان سنة ١٩٥٩

تعتبر المرحلة الدستورية . ففي غضونها تم وضع الدستور الموريتاني واعلانه في بيان اذاعته مصلحة الانباء الموريتانية في سان لويس[1] وتذكرت ايام التكوين يوماً فيوماً وساعة فساعة ...

ففي ١٥ كانون الثاني (يناير) عقدت اللجنة الدستورية اول اجتماع لها بمقر الجمعية التأسيسية في نواكشوط ودامت الجلسة اربع ساعات استمعت اللجنة خلالها الى دراسة وافية قدمها اليها الاستاذ سوران (فرنسيس) استاذ الحقوق الدستورية الذي استقدمته اللجنة من دكار مستشاراً لها .

وفي الساعة العاشرة ليلا عقد الاعضاء وجميع المنتمين الى حزب التجمع الموريتاني اجتماعاً خاصاً بهم حددوا خلاله موقفهم من جميع المشاكل المتوقعة .

لجنة مناقشة الدستور في جلسة جامعة . وهم من اليمين : معروف بن الشيخ عبدالله ، الرئيس بن داده ، احمد سالم بن هيبة ، عبد الوهاب الشيكر ، المختار الحامد ، الشيخ سعد بوه كن (توكلوري) ، الداه ولد هيبه ، محمد ولد الداه ولد السالم .

---

[1] ـ جريدة « موريتانيا » العددان ١٢ و ١٤ الصادران في شباط سنة ١٩٥٩ .

ي جلسة ١٦ يناير كونت اللجنة من بين اعضائها لجنـــة مصغرة لتحرير مسودة روع دستور تكون اساساً للمناقشة وتحدد الاجل النهائي لهذا التحرير بيوم ٢٧ ير ، ثم شرعت لجنة التحرير في عملها مواصلة الليل بالنهار .

وفي ٢٦ يناير عقدت لجنة التحرير جلستين احداهما قبـــل الظهر والاخرى ه حضرهما المدعي العام بالمحكمة الابتدائية في سان لويس بطلب من لجنـــة حرير ليوضح لها بعض المشاكل القضائية التي عرضت لها اثناء مناقشتها .

وبعد عدة تعديلات ومناقشات دامت اثنتي عشرة ساعة ، وافقت اللجنة على روع الدستور الموريتـــاني وقررت ان يقوم رئيس مجلس الحكومة ورئيس بعية الاقليميـــة بعرضه على مجلس الاعيان في جميع الدوائر ابتداء من يوم شباط (فبراير) . ثم تجتمع اللجنة الدستورية مرة اخرى — لآخر مرة — يوم ٢٤شباط لدراسة ماابدته المجالس من آراء واقتراحات، ثم تقدم المشروع في صيغته النهائية للجمعية التأسيسية يوم ٢٦ منه .

ؤلاء الثلاثة هم من اليمين : احمد سالم بن حيبة ، عبد الوهاب الشيكر ، المختار الحامد في احدى ت مناقشة الدستور ، ويبدو التفكير العميق على وجوههم .

ملاحظات دستورية

لقد اتيح لنا ان نحصل على نسخة من الدستور المشار اليه أثناء الشروع بطبع هذا الكتاب ، فاذا هو ينص على « دين الشعب » ، ويغفل قوميته — الأمر الذي ذكرني برأي سمعته من سفير تونس في بيروت الاستـــاذ محمود شرشور ، وهو ان الدين وحده ، لا القوميات ، هو الجـــامع المشترك بين الشعوب الافريقية ؛ أي بعكس الأمر في المشرق العربي ، حيث القومية هي الـــتي تجمع والأديان هي التي تفرّق . .

***

بين الشخصيات الموريتانية التي اشتركت بعضوية لجنة وضع الدستور بتكليف من الرئيس بن داده الاستاذ المختار الحامد العالم والمؤرخ المعروف. وقد تقدم الاستاذ الحامد ببعض الملاحظات والمقترحات على الدستور في الوقت المناسب في رسالة بعث بها الى رئيس الحكومة ، نذكر بعضها لاهميته الفقهية والاسلامية قال :

« إن مجرد تسمية دولتنا (اسلامية) فان ذلك يقتضي منا تطبيق دستورها على قواعد الشريعة الاسلامية في غير المسائل المحجورة، عملا بحديث له عليـــه الصلاة والسلام : « اذا امرتكم بشيء ، فأتوا منه ما استطعتم » . وفي ذلك منتهى المرونة في وضع المادة — اي مادة — التي ستصبح « دستوراً » يحظّر على المواطن مخالفته . . وكان سر تلك المرونة في قوله : « واتوا منه ما استطعتم » ، اي ما لا تستطيعونه لا يجوز ان يكون دستوراً ، لان شرط الدستور ان لا يكون فيه واجبات غير معقولة ولا ممكنة التطبيق . . » وهذا لعمري اجتهاد تقدمي جرىء لم يظهر به أحد من فقهاء الاسلام في جميع عصوره ، وهو يلتقي في تقدميته وجرأته مع فتوى

تحررية اصدرها الزعيم التونسي الحبيب بو رقيبة في بدء شهر الصيام لعام ١٩٦٠ الحالي وكانت موضع اعجاب جميع الاوساط العلمية التقدمية في جميع اقطار العالم الاسلامي(١) .

ثم اورد الاستاذ الحامد بعد ذلك ثلاث ملاحظات هي :

١ ـ اذا كان القانون الجنائي مثلا ، محجوراً فليكن الحكم فيه مستنداً الى فتوى لجنة علماء المسلمين تعتمد على قاعدة شرعية كرعي المصالح المرسلة التي كانت « موريتانيا » نفسها تعتبره في مسائل مخالفة للنص منها ترك القصاص وتعويضه بالدية المغلظة . ومنها فرض معاملة الاضياف ومؤاجرة الراعي بالجلائب ، وشراء لبن الحلوبة في الضرع وخلط الأمة الطاحنة للحبوب ، ثم تعطي كلاً حظه بالتخمين ، وارسال الدراهم في البريد ، والقراض بالعروض ، ومعاملة اهل العديلة واهل الميرة . على ان للعامل النصف ولرب الدابة النصف مثلا وغير ذلك . وقد جمع الفقيه الاديب بوبا بن ماء اليدالي نظائر من هذا الباب ربما تكون عمدة لمن تدعوهم الضرورة والحاجة .

٢ ـ ليكن القانون المدني كله بيد رجال الجمهورية الاسلامية .

٣ ـ لتكن الضرائب المخزنية على الاغنياء دون الفقراء كالحالة في الزكاة الشرعية . وسواء أكانت الضريبة هي نفس الزكاة ، أو كانت خارجة عنها . هذا من جهة الشريعة ، واما من جهة الشعب (السياسة) ، فالامور الرئيسية التصويت، لقوله تعالى : « امركم شورى بينكم » ، ثم ان تتولى الدولة إدارة التعليم ليتسنى للامة حرية التثقف بلغة دينها وكتابها تثقيفاً يحفظ تراثنا الروحي والعقلي والقومي ، والله الموفق .

ويلاحظ ان اجمل ما في هذه الملاحظات او المقترحات الدستورية طلبه ان تكون الضرائب على الاغنياء من دون الفقراء . . وهي عدالة انسانية باركها الاسلام وزكاها العقل ، ولذلك جاءت « الزكاة » وكأنها ضرائب مفروضة على

الموسرين واهل الاستطاعة ، لان في أموالهم « حقوقاً » للمجتمع الانساني ينبغي ان تؤخذ بكل وسيلة ليجعلها في خدمة الطبقة المحتاجة التي اذا اهملت وتركت افسدت عليه سيرته وحياته وانسانيته . . اما طبقة الفقراء فوجه الحكمة في اعفائها الكلمة المأثورة « فاقد الشيء ـ المال ـ لا يعطيه » . كما ان ملاحظته السياسية ـ الشورى ـ والثقافية ، هي من ألمع الملاحظات . فالأولى تهدف الى اتخاذ مبدأ النظام الجمهوري للدولة ، والثانية تهدف الى تمكين اللغة العربية والثقافة العربية من العقول ، فتأمل .

---

(١) اشرنا الى ذلك في الفصل السابق في معرض الكلام عن تونس والجزائر .

عام التحوّل
(١٩٥٧ - ١٩٥٨)

ان عام ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ ، هو عـام التحول السياسي في جميع المقاطعات افريقيا الغربية الفرنسية كلها ، ومنها الموريتانيا .

في هذا العام المذكور ، ولدت « الجمهورية الاسلامية الموريتانية » ، ونسجل الاحداث كما يلي :

في ١٣ اذار ـ من العام المشار اليه ـ افتتحت الجمعية الاقليمية « الموريتانية »

وزير الاقتصاد المدني احمد سالم بن هيبة في مكتبه وامامه بعض كبار موظفيه

دورتهـا في سان لويس ، وتم تعيين المستشارين الذين تولوا مفاوضة فرنسا بشأن الاستقلال الداخلي .

وفي ٢١ خزيران ١٩٥٨ ، تألف مجلس الحكومـة ـ اول حكومة وطنية ـ طبقا للقانون الاساسي ، من الاعضاء التالية اسماؤهم :

١ ـ المختار بن داده رئيساً لمجلس الحكومـة ووزيراً للتهذيب وشؤون الشبيبة ـ التربية الوطنية في تعبيرنا ـ .

٢ ـ احمد بن سالم بن هيبة : وزيراً للتجارة والصناعة والمعادن .

٣ ـ موريس كومباليه (فرنسي) وزيراً للمالية .

٤ ـ سيد احمد لحبيب وزيراً للوظيفة العمومية .

٥ ـ الدي بن سيدي بابا : وزيراً للامـلاك وتنظيم المـدن والسكنى (من المنشقين حالياً) .

السيد معروف بن الشيخ عبدالله وزير التجارة والصناعة والمعادن

٦ ـ ا . ص . جاجين جوم (موريتـاني من أصل اسود) : وزير الاشغال العمومية والنقل .

٧ ـ محمد المختار بن اباه: وزيراً للصحة وشؤون السكان (من المنشقين وطالبي لانضمام للمغرب) . .

٨ ـ جان ساليت (فرنسي) : وزيراً للتوسع الاقتصادي والمشاريع . .

وفي ٢٤ تموز تم رسمياً نقل عاصمة موريتـانيا من سان لويس ـ السنغال ، الى نواكشوط ، وهي بلدة ذات مناخ ممتاز يشبه منـاخ دكار وسان لويس من حيث لبرودة بالنسبة لقسوة الجو الافريقي الحـار . . وهكذا اصبحت نواكشوط البلدة العديمة الشأن والاهميـة في السابق ، مدينة عظيمة المستقبل ، تضج بالحركة العمران والنشاط التجاري . ولسرعة بنائها وازدهارها اعلنت الحكومة ان حرية التملك في نواكشوط ممنوحـة مجاناً لمن شاء لمدة ستة اشهر من صدور القرار . .

كان هذا القرار مغرياً لجميع اصحاب الرساميل من بيضان وسودان واجانب على ترسيخ مبالغ كبيرة من رساميلهم في العاصمة الجديدة . .

كما ان فرنسا نفسها ساهمت في بناء نواكشوط بمبلغ مئة وخمسة ملايين فرنك افريقي كقسط اول من المليـارات الثلاثة المقررة في صلب المعاهدة الفرنسية ـ الموريتانية لبناء العاصمة الجديدة . .

وفي ٢٥ ايلول حتى ٢ تشرين الاول (من العام ١٩٥٧) عقد مؤتمر « التكتل الافريقي » في بمكو عاصمة السودان الفرنسي برئاسة هوفوت بوانييه ، وطالب المؤتمر في اقتراحه الخاص بالسياسة العامة انشاء هيئة تنفيذية فيدراليـة في دكار ، تنقيح الدستور الفرنسي لادخال الفكرة الفدرالية فيه .

مبادىء سياسية :

وفي شهر كانون الاول من العام نفسه ، عام الاستقـلال الاول ، اذاعت الحكومة الموريتانية بياناً رسمياً حددت بموجبه اهدافها السياسية العامـة . فكان هذا البيان بمثابة « هوية » لسياسة الدولة الناشئة وفكرتها ، او بالاحرى لحكومة

هذا البعير الكبير يقدم للنحر في حفلة فرح شعبية كبرى ، اثناء الإحتفال بوضع الحجر الاساسي لبناء العاصمة « نواكشوط » . .
ويبدو النسوة متجمهرات امام باب خيمة الاحتفال ، والرجال متمنطقين بالبنادق لاطلاق رصاص الفرح . .

بن داده بالذات .. وهذه اهم النقاط الواردة في ذلك البيان :

- التمسك بتقاليد العرب والاسلام .
- الانفتاح الفكري والاخوي على العالم الافريقي المتاخم من جميع الجهات، وترك العزلة البشرية ، والتقرب من العالم الخارجي الراقي .

يرى في الصورة من اليمين : الرئيس المختار بن دادة باللباس الأوروبي ، فالساموري بن بي ، فادجادج ، فماء العينين ابن النور ، فالدي بن سيدي بابا ، فالمزابط بن برو

- اعطاء اهمية فائقة لسياسة التنمية الاقتصادية والتعمير ، ونشر العلم الحديث .
- موقع موريتانيا الجغرافي يحتم عليها ان تكون همزة وصـــل بين المغرب العربي (افريقيا البيضاء) وافريقيا السوداء ، وظروفها الاقتصادية تحتم عليها أن تكون صديقة للجنوب. كما ان ضروراتها الثقافية والعنصرية تحتم عليها ان تنظر الى الوراء نحو الشمال .
- ان تكون لموريتانيا شخصية تتميز عن غيرها من البلدان المجاورة .
- المحافظة على روح التضامن الاتحادي مع جميع دول افريقيا الغربية الفرنسية .

اول تعديل وزاري

في العاشر من يناير سنة ١٩٥٨ ، اجتمع المجلس الاقليمي ، واسفر الاجتماع عن اول تعديل وزاري في حكومة الرئيس بن داده على النحو التالي :

المختار بن داده ــ رئاسة الوزارة ووزارة الانباء والمواصلات (بدلا من وزارة التعليم والتهذيب) .

محمد المختار بن أباه ــ وزارة التعلـــيم والتهذيب (بدلا من وزارة الصحة العمومية) .

حمود بن احمد ابن لمحيمد ــ وزارة الصحة العمومية .

أحمد سالم بن هيبة ــ وزارة الداخلية . وهذا الحصول هو الاول من نوعه ،

المفوض السامي الفرنسي انطونيوز (ذو الأوسمة) والى جانبه الرئيس بن داده ، واثنان آخران يتناولون بعض الحلوى (وقوفاً) بعد توقيع وثيقة تحويل السلطة الداخلية الى الحكومة الوطنية .

إذ لم يسبق ان تسلم الداخلية وزير من ابناء البلاد الاصليين قبل هذه المرة .

الدّيّ بن سيدي بابا – وزارة التجارة والمعادن والصناعة .

باه محمَّدُ صمب بولي – وزارة السكنى والعقار والسياحة . وهكذا صار عدد اعضاء الوزارة عشرة بعد إضافة وزيرين آخرين (بن لمْحَيمِد ومحمد صمب) .

وذكر إن اهم مقتضيات هذا التعديل ، كانت تمكين بن دادة من القبض على صلاحيات واجراءات أدق . .

مولد الكيان الموريتاني

الدستور - الجُمْهُورِيَّة - عَلم البلاد الوطني !

في ٢٢ اذار (مارس) ١٩٥٩ عقدت الجمعية التأسيسية بمقرها الموقت في نواكشوط جلسة تاريخية للمصادقة على الدستور . وبعد مداولات ومناقشات حادة دامت عدة ساعات ، وكانت تتناول كل مادة من الدستور على حدة ، صادقت الجمعية على الدستور المعروض بصورته النهائية ، كما صادقت عليه مجالس الدوائر بعد ادخال بعض التعديلات على المادة ٧ والمادة ٤٠ ، كما وافقت الجمعية على تعديل تقدم به اعضائها طالبين حذف الفصل الثامن من الدستور المتكون من ٥٣ مادة .

وبعد الفراغ من عملية التصويت على الدستور قدمت الجمعية التأسيسية استقالتها وخرج اعضاؤها واعضاء الحكومة واصطفوا امام مقر الجمعية حيث كانت الجماهير محتشدة ، وفي تلك اللحظة التاريخية المفعمة بشعور الحماس والاعتزاز الوطني رفع لاول مرة في تاريخ البلاد الحديث علم « الجمهورية الاسلامية الموريتانية » !!

اجل ، في تلك اللحظة التاريخية الخالدة ، رفع النائب السيد معروف ابن الشيخ عبد الله علم البلاد وسط موجة من الهتاف والتصفيق وقرع الطبول وحماس الشعب وتحية الحرس الوطني الموريتاني ، وطلقات المدافع المدوية تحية وتكريما للعلم . . .

وعندها وقف الرئيس المختار بن دادة ، والقى الكلمة التالية :

سعادة رئيس مجلس الدستور ،

ايها النواب ،

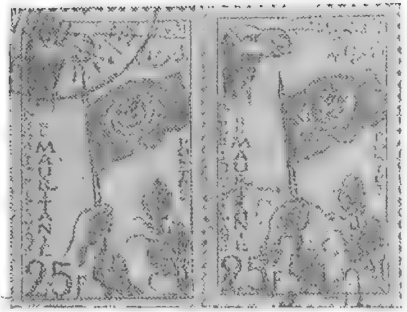

اول طابع بريدي باسم « الجمهورية الاسلامية الموريتانية » يحمل شعار الاسلام (العلم وعليه الهلال والنجمة) وشعار الصحراء (الجمل) وشعار الثقافة العربية (كتابة اسم الجمهورية بالعربية) فتأمل . . .

ايها الحاضرون :

وبعد ، اليكم احر تهانئي على ما اهتممتم به من التصويت على الدستور الذي قطعنا بسببه مرحلة تاريخية عظيمة جعلت كل امورنا تحت ايدينا ما عدا مسائل محدودة في الدستور الفرنسي الذي تلقاه الشعب الموريتاني بالقبول في سبتمبر الماضي[1]. نتقلد تمام مسؤولية الجمهورية الاسلامية الموريتانية تلك المسؤولية التي تقلدنا منذ الساعة .

يجب ان نقدر هذه المسؤولية حق قدرها، وان نأخذ التدابير اللازمة لقطع كل من اراد ويريد فسادها او عرقلة سيرها ... فليحذر الذين يخالفون فتنة تصيبهم او عذاباً أليماً ...

اخواني

فلنتكل على الله تعالى ، ولنسع في اصلاح الوطن بقوة وصرامة وعدل ، لان القوة بلا عدل ضعف ، والصرامة بلا حلم ظلم ، ولنجعل نصب اعيننا الكلمات التي جعلناها شعارا في دستورنا وهي : **المجد ، والاخوة ، والعدل .**

---

[1] ـ يقصد التصويت على « لا » و « نعم » سنة ١٩٥٨

الرئيس بن داده (في الوسط) بين المفوض السامي الفرنسي انطونيوس ، والقائد العام للقو المسلحة في عرض عسكري موريتاني . .

وعلى الشعب الكريم ان يساهم في حمل هذه المسؤولية الثقيلة ، كل في مجا وفيما يخصه بالسمع والطاعة ، وفعل ما يلزمه بروعة ورغبة ، لكي يبني هذا الو العزيز ولكي تزدهر ميادينه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ـ يجعل لنفسه محلا عالياً بين الشعوب الاسلامية والعالمية الحرة .

« فكلما رأى الناس انتظامنا واهتمامنا في بناء مجدنا وسياستنا ، وبروزشخص فانه سيعترف لنا باستحقاقنا لهذه الخطوة التي هي الباب الوحيد الذي سندخ منه لاستقلالنا التام الذي هو الهدف المرغوب فيه عند عامة الشعوب . وا الشعب كله : حاضره وغائبه ، بدويه وحضريه بان زمن الخصومات ان وينبغي ان ينصرم ومعه زمن المخالفات والاغراض وكذا المتلقي بغير استح تسهيلات الوصول الى النتائج المجهولة للعامة .

« وختاماً ، اهنئكم جميعاً ، وارجو لي ولكم نجاح مساعيكم كلهـا حتى لا يبقى لعاذل عذل ، ولا لعاذر عذر . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

رأي على الهامش ...

غير خاف ، ان لهجة الرئيس بن داده في هذا الخطاب العنيف توحي عـدة ملاحظات ابرزها ملاحظتان : الاولى تاكيده على انتهاج « سياسة نعم » الفرنسية وانبراؤه للدفاع عن صوابية هذه السياسة بحجةانهاتمثل رغبةالشعب (الانتخابات) .. والثانية تلويحه — بوضوح — على اتخاذ سياسة الشدة مبدأ في فرض سياسة التبعية ، وانه يعتزم البطش بخصومه السياسيين اذا اقتضى الامر .. وهذا المبدأ اذا طبق ، يجعله اقرب الى الصفة الدكتاتورية منه بالصفة الديمقراطية .. مع انه وهو الرجل الحقوقي الضليع بالقانون المزود بثقافة بلاد اوروبية راقيـة نظامها ديمقراطي ، يعرف اكثر من سواه ان سياسة القوة والبطش هي ابعد ما تكون عن الديمقراطية ، كما انه يعرف ان الصراع السياسي في البلاد ذات النظـام الجمهوري من الامور المشروعة ، هو دليل الرقي العقلي والاجتماعي في الأمة .. ولن نذهب بعيداً في سوق الامثلة لسيادة الرئيس بن دادة ، فهذه فرنسا ذات النظام الديمقراطي الجمهوري — وهي غرضه ومعلمته — فما باله لا يقتدى بها .؟ ام انه يريد ان يقتدي فقط بالجنرال ديغول « العسكري » ..!

نحن في المشرق بعيدون ، ولا نعلم حقيقة الوضع الداخلي في البلدالعربي النائي ، ولا نريد ان نجادل اهل البيت — والجميع اخواننا — بماهم ابصر واعلم به منـا في شؤونهم الخاصة .. ولكن رسالة وردتني من احد مشايخهم — ليس المختار الحامد — تصور لنا الوضع الداخلي تصويراً رمزياً ذكياً في غاية الروعة ، قال الشيخ :

« لا استطيع التكهن بما ستصل اليه الحالة السياسية في موريتانيـا .. وكل ما استطيع قوله هو هـذا : اني ارى حكومة تتسمى باسم الشعب وتعتمد على المدد من فرنسا ، وارى حزباً معارضاً للحكومة يعتمد على الشعب نفسه ... وارى —

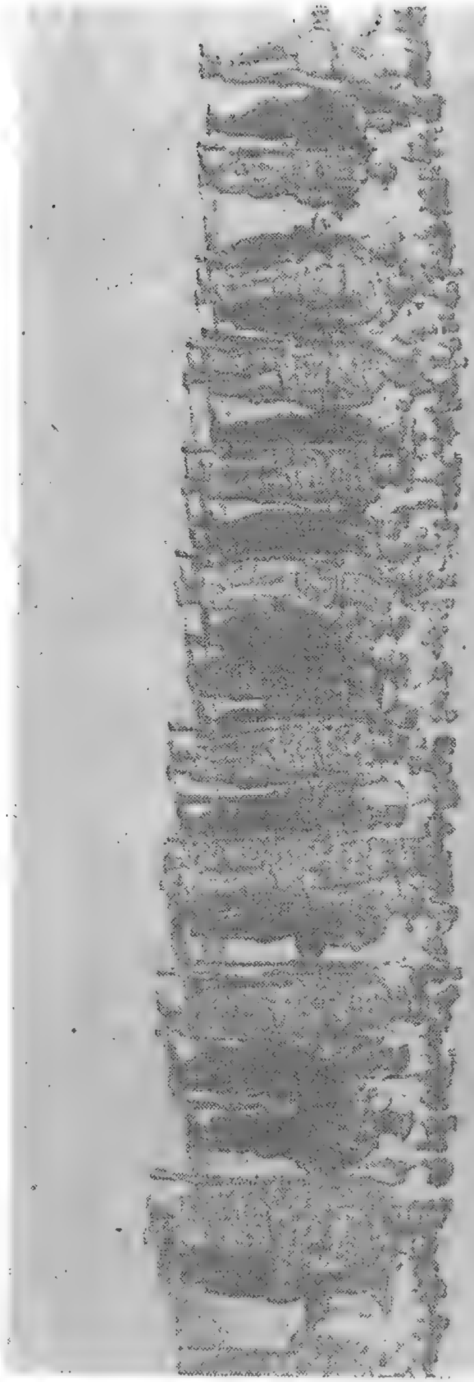

الاحتفـال العسكري الشعبي بميلاد « الجمهورية إلاسلامية الموريتانية » اول مظهر من نوعـه لدولة الصحراء .

بين الفريقين ـ نزاعاً يشتد ويضعف ، كالبحر في المد والجزر .. وارى ايضاً غبار حرب باردة لا يكاد المرء يتبين من خلاله شيئاً واضحاً .. ! فانتظر حتى (ينجلي الغبار) الذي عناه شاعر قديم حاذق :

هؤلاء الاربعة هم السادة : محمد ولد دجود، محمد سالم ولد الخيطرات ،محمد ولد عبد الرحمن، امام ليه (توكلوري ذو النظارات)

سوف ترى اذا انجلى الغبار
أفرسٌ تحتك أم حمار .. !

الموقف السياسي (الداخلي) .. كما يمثله وجه هذا الرجل الموريتاني المعارض ..!

« اما فرنسا ، فانها تتورط وتورّطنا معهـــا بكثير من الامور .. ثم تشترط علينا ـ بنفس الوقت ـ ان نبرهن عن اخلاص ، مع ان غاية همنا الخلاص .. وان نثبت جدارتنا وكفاءتنا في ادارة شؤوننا ، وان ، وان ، وان ...

القاه في اليم مكتوفا ، وقال له   اياك اياك ، آن تبتل بالماء . !

النص الكامل للدستور

واخيراً ، هذا هو نص الدستور الذي تقدم الكلام عليه ، والمعمول به الآن في موريتانيا :

تمهيد :

يعلن الشعب الموريتاني ، متوكلاً على الله العظيم ، ارادته ان يضمن وحدة اقليمه ويؤمّن حرية تطوره السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

ويؤكد تمسكه بدينه وبتقاليده وبحقوق الانسان ومبدأ الديمقراطية ، كما حددها تصريح سنة ١٧٨٩(١) وتممها تمهيد دستور سنة ١٩٤٦ وتأكـــدت في دستور يوم ٥ اكتوبر سنة ١٩٥٨ ، وبهيئة الجامعة الفرنسية ـ الافريقية التي اشترك فيها بحرية ، ويريد ان يتمم داخلها شخصيته وسيادته .

الفصل الاول

في السيادة

المادة الاولى ـ موريتانيا دولة جمهورية غير قابلة للتقسيم ، ديمقراطية واشتراكية اسمها :

الجمهورية الاسلامية الموريتانية

كل المواطنين سواء امام القانون .

---

(١) قانون فرنسي قديم ينص على مبادىء حقوق الانسان الشخصية ، واما دستور سنة ١٩٤٦ فهو يعني دستور الجمهورية الرابعة ، وتلاه دستور الجمهورية الخامسة الذي ولد سنة ١٩٥٨ .

المادة ٢ – دين الشعب الموريتاني هو الاسلام .

تضمن الجمهورية للجميع حرية الاعتقاد ، وحق القيام بشعائر الدين مع التحفظات التي تفرضها الاخلاق والنظام العام .

المادة ٣ – اللغة الوطنية في موريتانيا هي العربية . واللغة الرسمية هي الفرنسية

المادة ٤ – عاصمة الدولة هي : **انواكشوط .**

الراية والشعار

المادة ٥ – الراية الوطنية هي : علم اخضر به هلال ونجم ذهبيان . سيحدد قانون ختم الدولة والنشيد الوطني .

المادة ٦ – شعار الجمهورية هو : « المجد ، والاخوة ، والعدل » .

المادة ٧ – السيادة الوطنية للشعب الموريتاني الذي يتعاطاها بواسطة نوابه وعن طريق الاستفتاء .

لا تستطيع اية فرقة من الشعب ، ولا اي شخص اسناد حق تعاطي السيادة لنفسه .

المادة ٨ – التصويت ، يمكن ان يكون مباشراً او غير مباشر حسب الشروط المنصوصة في القانون . وهو دائماً عام وبالتساوي وسري .

ويعتبر ناخباً : كل مواطن للجمهورية من الجنسين (١) راشد متمتع بحقوقه المدنية والسياسية . وكذلك جميع المواطنين الدول الاخرى للجامعة المتممين لنفس الشروط بشرط سكناهم بموريتانيا المدة المحددة في القانون ..

المادة ٩ – تساهم الاحزاب والتجمعات السياسية في التصويت . تتكون الاحزاب والتجمعات السياسية وتتعاطى نشاطها بحرية على شرط ان تحترم مبدأ الديمقراطية ، وان لا تمس بمقصودها او بعملها السيادة الوطنية أو وحدة الجمهورية .

سيحدد قانون تطبيق هذه المادة .

الفصل الثاني

الحكومة

المادة ١٠ – تتركب الحكومة من الوزير الاول والوزراء .

---

١ – اي الذكور والاناث .

المادة ١١ – الوزير الاول تنتخبه الجمعية الوطنية بالاغلبية المطلقة لاعضاء الجمعية في الدورين الاولين للتصويت ، وبالاغلبية النسبية في الدور الثالث .

يمكن لكل مواطن بالغ من العمر ثلاثين سنة على الاقل ان ينتخب وزيراً اولا . ويجب ان يقدم كل ترشيح من طرف الثلث من اعضاء الجمعية على الاقل .

يخضع المرشحون الذين ليسوا من اعضاء الجمعية فيما يتعلق بعدم الصلاحية للانتخاب وعدم الجمع بين وظيفتين لنفس الشروط التي يخضع لها النواب .

يجب ان يقدم كل ترشيح لمكتب الجمعية قبل اربع وعشرين ساعة من الاجل المحدد للتصويت الأول .

المادة ١٢ – يحدد ويسيّر الوزير الاول سياسة الدولة .

● **بيده الادارة وقوات الامن الداخلي** : ويمكن ان يحصل على القوات المسلحة بالشروط التي تحددها الجامعة (الفرنسية – الافريقية) .

● يتعاطى السلطة النظامية . مخالفة المراسيم التي يصدرها الوزير الاول ، يمكن ان تجازى بعقوبات يحددها القانون .

● يؤمن تنفيذ القانون .

● يعين في جميع اعمال الدولة .

● يفاوض ويحقق كل اتفاق مع الجامعة والدول الاعضاء بها .

● ولا تدخل في حيز التطبيق الاتفاقات التي تغير وضعيات من اختصاص التشريع ، او التي تقتضي تفويضاً لسلطات الجامعة في مواد هي طبيعياً من اختصاص الجمهورية الا بعد ان يؤذن في المصادقة عليها بقانون .

المادة ١٣ – يعين الوزير الاول اعضاء الحكومة ويعزلهم عن وظائفهم . ويحدد بمرسوم ، الاعمال المسندة اليهم ، والمصالح العمومية الموضوعة تحت سلطاتهم . يعتبر الوزراء مفوضين في الشؤون المتعلقة بوزاراتهم من طرف الوزير الاول . ويحدد الوزير مبلغ هذا التفويض .

وفي حالة فراغ منصب الوزير الاول لموت أو لاي سبب اخر ، تجتمع الجمعية الوطنية قانونيا لانتخاب خلف له . لكن يؤمن الوزراء الاخرون المعتبرون مستقيلين جميعا تسيير الشئون الجارية الى غاية انتخاب خلف الوزير الاول .

المادة ١٤ – تحمل عقود الوزير الاول بعد امضائه ، عند الحاجة ، امضاء الوزير المكلف بتنفيذها .

اليمين الدستورية

المادة ١٥ — يؤدي اعضاء الحكومة قبل مباشرة اعمالهم ، يمينـا امام مكتب الجمعية الوطنية . وتكون يمين الوزراء المسلمين كما يلي :

« اقسم بالله الذي لا اله الا هو ، ان اخدم باخلاص الجمهورية الاسلامية الموريتانية ومصالح الشعب الموريتاني ، واحترم دستوره واحافظ على وحدة الاقليم » .

ولا يستطيع اعضاء الحكومة مدة عضويتهم ان يشتروا او يكتروا ملكا للدولة كما لا يستطيعون في نفس المدة ان يبيعوا أو يكتروا ملكا من املاكهم ولا ان يبادلوها ملكاً بملك .

المادة ١٦ — يجتمع الوزراء في اجتماع وزاري يترأسه الوزير الاول .

يناقش مجلس الوزراء وجوبا :

القرارات التي تهم السياسة العامة للدولة .

مشروعات القوانين والاوامر .

التعيينات في المراتب العليا للدولة .

الفصل الثالث

الجمعية الوطنية

المادة ١٧ — السلطة التشريعية بيد الجمعية الوطنية .

المادة ١٨ — : تنتخب الجمعية الوطنية لمدة خمسة اعوام .

يحدد القانون شروط انتخاب النواب في الجمعية الوطنية ، وعدد اعضائها ، وشروط صلاحيتهم للانتخاب ، ونظام عدم الصلاحية ، وعدم الجمع بين النيابة وبعض الوظائف .

يعتبر صالحاً للانتخاب كل مواطن للجمهورية بالغ من العمر **خمسة وعشرين عاماً على الاقل** متمتع بحقوقه المدنية والسياسية وكذلك كل مواطن لاحدى الدول الاخرى الاعضاء في الجامعة متوفر على نفس الشروط ، على شرط ان يقطن موريتانيا المدة المحددة أو يسجن قانونياً .

المادة ١٩ — لا يمكن ان يتابع في المحاكم اي عضو من الجمعية ، او يبحث عنه ، او يوقف يسجن او يحكم عليه بسبب التصويت او الاراء التي تصدر عنه اثناء قيامه بعمله .

لا يمكن ان يتابع او يوقف اي نائب في المواد الجنائية او التأديبية بغير اذن من الجمعية اثناء دوراتها اواذن مكتبها في غير زمان الدورة الا في حالة الضبط متلبساً بالجريمة .

وترفع المتابعة او السجن ان طلبت الجمعية ذاك .

المادة ٢٠ — كل نيابة على شرط ملغاة .

المادة ٢١ — يؤدى اعضاء الجمعية الوطنية اليمين امام أسنهم . وتكون يمين الاعضاء المسلمين كمايلي :

اقسم بالله الذي لا اله الا هو ، ان اخدم باخلاص الجمهورية الاسلامية الموريتانية ومصالح الشعب الموريتاني .

لا يمكن للنواب مدة نيابتهم ان يشروا او يكروا ملكاً للدولة ، ولا ان يبيعوا او يكروا لها ملكاً لهم ، ولا ان يبادلوها ملكاً بملك .

المادة ٢٢ — حق تصويت اعضاء الجمعية شخصي .

- **يعتبر ملغى كل قرار اتخذ في غير زمان الدورة او خارج محلات الجلسة .**
- **يستطيع الوزير الاول ان يطلب من اللجنة الدستورية ان تثبت هذا الالغاء .**
- **جلسات الجمعية عمومية . ويعلن بيان عن المداولات في الجريدة الرسمية .**
- **وتجتمع الجمعية سرياً ان طلب ذلك الوزير الاول او خمسة من النواب .**

المادة ٢٣ — للجمعية في كل سنة دورتان عاديتان . تفتتح الاولى في النصف الاول من نوفمبر ، والثانية في النصف الاول من شهر ماي . ولا تتجاوز مدة اية من الدورتين شهرين .

وتستطيع الجمعية ان تعقد دورة فوق العادة بطلب من اغلبية اعضائها **او من الوزير الاول .**

ولا يمكن لدورة فوق العادة ان تمتد مدتها لاكثر من شهر .

تفتتح وتنهى دورات الجمعية بمرسوم من الوزير الاول .

المادة ٢٤ — لاعضاء الحكومة حق الدخول للجمعية ، وحق الكلام ان طلبوه . ويمكنهم ان يستعينوا بمندوبين عن الحكومة .

المادة ٢٥ — يتقاضى اعضاء الجمعية الوطنية تعويضاً يحدد اعتماداً على اجر طبقة من الموظفين في اطار الدولة .

الفصل الرابع

اتصالات الحكومة والجمعية

المادة ٢٦ — يحدد القانون المساطر المتعلقة بما يلي :

- الجنسية والحقوق الوطنية ، والضمانات الاساسية المعطاة للمواطنين من اجل تعاطي الحريات العمومية ، والخدمات المفروضة لاجل الامن على المواطنين في انفسهم وفي اموالهم .
- تحديد الجرائم والاقترافات وكذلك العقوبات المطبقة عليها ، والتشريع الجنائي ، والعفو ، فيما عدا ما هو من اختصاص الجامعة من هذه المواد او ما هو موضوع اتفاق خاص .
- قاعدة الضرائب ومقدار وكيفية اداء المفروضات من كل نوع .
- النظام الانتخابي للجمعية الوطنية وللجماعات العمومية .
- انشاء المصالح والمؤسسات العمومية .

ويحدد القانون المبادىء الاساسية :

- للنظام العام للادارة .
- لنظام السلطات القضائية والادارية والتشريع المتبع امام هذه السلطات .
- لادارة الجماعات العمومية ، ولاختصاصاتها ، ولمواردها .
- للاساس العام لموظفي الدولة .
- للتعليم الابتدائي والثانوي .
- لنظام الملكية ، وللحقوق الثابتة والواجبات المدنية والتجارية .
- لحق الشغل ، وللحق النقابي والهيئات الاجتماعية .

وتحدد قوانين المالية وموارد وتكاليف الدولة .

وتحدد قوانين براجمية موضوعية العمل الاقتصادي والاجتماعي للدولة .

المادة ٢٧ ـ تعتبر المواد الأخرى ، التي ليست من اختصاص القوانين ، من اختصاص السلطة النظامية .

تستطيع النصوص التي لها صورة تشريعية المتداخلة مع هذه المواد بعد دخول هذا الدستور في حيز التنفيذ ان تغير بمرسوم اذا اعلنت اللجنة الدستورية ان لها صبغة نظامية بناء على الفقرة السابقة .

المادة ٢٨ ـ تستطيع الحكومة من اجل تنفيذ برنامجها ان تطلب من الجمعية الوطنية ان تأذن لها ، لمدة معينة ، في ان تتخذ بأمر حكومي التدابير التي هي طبعاً من ميدان القانون .

تدخل الاوامر في حيز التطبيق بمجرد نشرها . ولكنها تصبح ملغاة اذا لم يقدم مشروع قانون المصادقة عليها للجمعية الوطنية قبل التاريخ المحدد بقانون الاهلية .

ولا يمكن للاوامر الحكومية ان تتغير بعد مضي الاجل المحدد في الفقرة الاولى من هذه المادة الا بقانون في المواد التي هي من اختصاص التشريع .

المادة ٢٩ ـ يعتبر العمل على اصدار القوانين من اختصاص الوزير الاول واعضاء الجمعية .

المادة ٣٠ ـ تكون الاسبقية في جدول اعمال الجمعية لمشاريع القوانين التي تقدمها الحكومة .

المادة ٣١ ـ للنواب ولاعضاء الحكومة حق التعديل .

لا تقبل اقتراحات التعديل التي يقدمها النواب ان كانت نتيجة المصادقة عليها تؤدي الى نقص الموارد العمومية او الى انشاء او زيادة تكليف عمومي ما لم تكن مرفقة باقتراح لزيادة الدخل او الاقتصاد بنسبة معادلة .

ولا تقبل كذلك ان كانت في موضوع خاص بالسلطة النظامية حسب المادة ٢٧ . فان تغاضت الجمعية عن عدم القبول الذي تدعيه الحكومة بناء على احدى الفقرتين السابقتين ، فمن حق الوزير الاول ان يعلم بذلك اللجنة الدستورية التي تجتمع في اجل قدره ثمانية ايام .

المادة ٣٢ ـ تعلم الجمعية بالقوانين المالية بمجرد افتتاح دورة نوفمبر ؛ فان لم تصوت الجمعية على الميزانية قبل انتهاء دورتها او لم تصوت عليها بتوازن ، فمن حق الحكومة ان تعيد مشروع الميزانية في الخمسة عشرة يوماً التالية الى الجمعية وتستدعيها لدورة فوق العادة .

ـ يجب على الجمعية اذا ان تجتمع في مدة ثمانية ايام ؛ فان انتهى هذا الاجل دون تصويت على الميزانية **فمن حق الوزير الاول ان يقررها بامر حكومي** على اساس دخل السنة السابقة .

تراقب الجمعية تنفيذ ميزانية الدولة والميزانيات الملحقة .

يقدم للجمعية بيان عن حالة النفقات آخر كل ستة اشهر عن الستة اشهر السابقة . وتقدم الحسابات النهائية للعملية اثناء دورة الميزانية للسنة التالية ويصادق عليها بقانون .

المادة ٣٣ ـ يختم الوزير الاول القانون اثناء الخمسة عشرة يوماً التالية لتحويله الى الحكومة بعد المصادقة عليه .

ويستطيع ان يؤخر ختم قانون يعتبره ماساً بصلاحيات الجامعة او بهذا الدستور . وفي هذه الحالة تعلم اللجنة الدستورية حالا ويجب ان تدلي بنظرها في مدة شهر .

المادة ٣٤ ـ يستطيع الوزير الاول في الاجل المحدد له للختم ، ان يطلب من الجمعية اعادة النظر في أي قانون يقدم له ولا حق للجمعية في الرفض . (كذا !)

المادة ٣٥ ـ حالة الطوارىء يعلنها مجلس الوزراء وتجتمع الجمعية لزوماً ان لم تكن في دورة من دوراتها .

يحدد القانون السلطات الاستثنائية المخولة للوزير الاول اثناء الطوارىء .

ويمكن ان يدخل ضمن هذه السلطات الغاء بعض الحريات المضمونة في هذا الدستور .

المادة ٣٦ : يجب على الحكومة ان تقدم للجمعيــة ، في الصيغة التي ينص عليها القانون ، كل التفسيرات التي تطلب منها حول تسييرها واعمالها .

المادة ٣٧ — : يقــدم الوزير الاول تقريراً عن حالة الامة للجمعية كل سنة في دورة نوفمبر يطلعها فيه على اوجه نشاط حكومته مدة السنة المنتهية ويعرض عليها فيه الخطوط الكبرى لبرنامج السنة المقبلة .

المادة ٣٨ — : الوزير الاول ، بتضامن مع وزرائه، مسئول امام الجمعية . وينتــج تعريض المسئولية لازمة عن وضع مسألة الثقة او عن ملتمس للتنديد .

يستطيع الوزير الاول وحده ، بعد قرار من مجلس الوزراء ، ان يورّط المسئولية السياسية للحكومة امام الجمعية .

ويجب ان يحمل ملتمس التنديد الذي يقدمه احد النواب هذا العنوان، وان يذيل بامضاء مقدمه . ولا يقبل هذا الملتمس ما لم يمضه على الاقل ثلث اعضاء الجمعية .

ولن يقع التصويت الا بعد مضي ثمانية واربعين ساعة على وضع مسألة الثقة او ملتمس التنديد .

المادة ٣٩ — : يؤدي التصويت بعدم الثقة او بقبول ملتمس التنديد الى استقالة الحكومة حالا . ولا يقبل احد التصويتين الا باغلبية اعضاء الجمعية . كما لا تحصى الا الاصوات المعارضة للثقة او المؤيدة لملتمس التنديد . وتتمادى الحكومة المستقيلة في تسيير الشؤون الجارية الى ان يمين خلفها .

المادة ٤٠ — : اذا توالى في مدة سنة وثلاثين شهراً متوالية تغييران للحكومة لرفض الثقة او لقبول ملتمس التنديد **يستطيع الوزير الاول ان يحل الجمعية بعد استشارة رئيسها .**

وفي هذه الحالة يشرع في انتخابات جديدة في مدة لا تقل عن اربعين يوماً ولا تزيد على الستين . وتجتمع الجمعية الجديدة لزوماً يوم الخميس الثالث بعد انتخابها .

الفصل الخامس

اللجنة الدستورية

المادة ٤١ — يترأس اللجنة الدستورية اعلى رجال القضاء القانوني مرتبة وتشمل ايضاً :

- عضواً من صف القضاء الأداري.
- عضواً يعينه الوزير الاول .
- عضواً يعينه رئيس الجمعية الوطنية .

- استاذاً من كلية الحقوق .

يحدد القانون كيفية تطبيق هذه المادة وخاصة، مساطر نظام وتسيير اللجنة الدستورية.

المادة ٤٢ — : تتولى اللجنــة الدستورية المهــام المسندة اليها في المواد ٢٢ و ٢٧ و ٣١ و ٣٣ اعلاه :

وتقضي في حالة ادعاء حول شرعية انتخاب النواب وحول صلاحيتهم للانتخاب وكذلك حول شرعية الاستفتاء الذي تعلن نتائجه ..

الفصل السادس

القضاء

المادة ٤٣ — : السلطة القضائية مستقلة عن السلطة التنفيذية وعن السلطات التشريعية .

قضاة الاحكام لا يعزلون ولا ينقلون .

ستبقى مراقبة القضاة من اختصاصات الجامعة (الفرنسية — الافريقيــة) الى ان يظهر الشعب الموريتاني بقرار من جمعيته رغبته في توليهــا ، مع الاحتفاظ بحق امضــاء اتفاق في المستقبل بين الجمهورية الاسلامية الموريتانية والجامعة .

المادة ٤٤ — الشريعة المدنية للفقه الاسلامي تتحرى وتحكم حسب الفقه الاسلامي في جميع المواد المدنية والتجارية . وتصدر احكامها باسم الشعب الموريتاني .

يحدد القانون نظام وادارة القضاء الاسلامي ووضعية موظفيه وخاصة القضاة .

تحدد القوانين مساطر الفقه الاسلامي التي تطبق في الجمهورية الاسلامية الموريتانية .

المادة ٤٥ — : في حالة الخيانة العظمى ، او التآمر ضد أمن الدولة تتهم الجمعية الوطنية الوزير الاول وبقية الوزراء فيقدمون للمحكمة العليا للعدلية .

يحدد القانون تركيب المحكمة العليا ومساطر سيرها والتشريع المطبق بها .

الفصل السابع

الجماعات الاقليمية

المادة ٤٦ ــ : الجماعات الاقليمية للدولة الموريتانية ، هي الدوائر والمحافظات .
تدير الدوائر مجالس بجلية هي عبارة عن الجماعات التقليدية .
وتدير المحافظات مجالس منتخبة حسب الشروط المنصوصة في القانون .

المادة ٤٧ ــ يحدد قانون نظام الجمعيات التقليدية وشروط مساهمتها في المجالس المحلية .

ويحدد كذلك شروط تعيين رؤساء الجماعات والضمانات التي يتمتعون بها .

الفصل الثامن

في مراجعة الدستور

المادة ٤٨ ــ المطالبة بمراجعة الدستور خاصة بالوزير الاول، او باعضاء الجمعية على الاقل .

يجب ان ينال كل مشروع للمراجعة اصوات الثلثين من اعضاء الجمعية ويعرض للاستفتاء الشعبي .
ولكن في حالة ما اذا صوت لفائدة المشروع ثلاثة ارباع الجمعية لا يبقى مجال للاستفتاء .

لا يقبل الشروع في اية مراجعة ان كان المشروع يمس وحدة الاقليم او الصفة الجمهورية للحكومة .

الفصل التاسع

الاحوال الانتقالية

المادة ٤٩ ــ : يعرض هذا الدستور للاستفتاء ان لم تصادق عليه الجمعية بثلاثة ارباع اعضائها .
المادة ٥٠ ــ : الهيئات المنصوص عليها في هذا الدستور تحتل محلها في اجل قدره ثلاثة اشهر ابتداء من يوم ختمه .

المادة ٥١ ــ : تلغى دورة الجمعية التأسيسية وتنتهى نيابة اعضائها يوم اجتماع الجمعية الوطنية المنتخبة بمقتضى هذا الدستور .

بصفة استثنائية ودون مخالفــة المادة ٨ اعلاه ، اللوائح الانتخابية المحصورة يوم ٣١ مارس ١٩٥٩ ، يعمل بها لانتخاب الجمعية الوطنية التي ستنتخب بمقتضى هذا الدستور .

يتولى رئيس مجلس الحكومة جميع الوظائف المسندة للوزير الاول بمقتضى هذا الدستور الى يوم اجتماع الجمعية الوطنية . وله وحده السلطة لاستدعاء الجمعية التأسيسية التي تتولى في هذه الحالة جميــع السلطات المخولة للجمعية الوطنية . ويظل الوزراء في وظائفهم .

المادة ٥٢ ــ : اذن لرئيس مجلس الحكومة ان يحدد بامر حكومي له قوة القانون ، النظام الانتخابي للجمعية الوطنية.

تستدعى الجمعية الوطنية للاجتماع اثناء الثلاثين يوماً التالية لانتخابها .

الى غاية اجتماع الجمعية الوطنية ، يستطيع رئيس مجلس الحكومة ان يتخذ بامر حكومي جميــع التدابير التشريعية الضرورية لوضع الهيئات موضعها ، ولتسيير المصالح العمومية وعلى وجــه العموم جميع التدابير الضرورية لحياة الامة . ويقرر خاصة ميزانية سنة ١٩٥٩ .

المادة ٥٣ ــ يظل التشريع والنظام المعمول به في الجمهورية الاسلامية الموريتانية حالياً مطبقاً ما لم يتم تغييرهما الى الصفة المنصوص عليها في هذا الدستور . ــ انتهى .

ملاحظاتنا على هذا الدستور

لا نرغب ان نعلق بشيء كثير .. بل نكتفي بابداء بعض الملاحظات خدمة للحقيقة والتاريخ ، ولواضع هذا الدستور نفسه الرئيس بن داده (الوزير الاول) الذي تنحصر جميع السلطات الدستورية بشخصه بناء على المادة ١٢ ــ ١٣ ــ ٢٢ ٣٣ ــ ٣٨ ــ ٤٠ وغيرها، التي ابرزناها بالحرف الاسود .. فبعد أن نقرأها يكون من الغباوة ان نصدق ان هناك مجالا لممارسة مبدأ « الديموقراطية » الذي اشار اليه التمهيد (المقدمــة) .. كما ان الاغراض السياسية الفرنسية في روح الدستور واضحة لا يحتاج التدليل عليها الى كبير عناء .. ونكتفي بذكر المادة ٤٣ التي تنص على « مراقبة القضاء » الموريتاني ، ونعرف المقصود منها ... فالمراقبة كلمة مرنة تتسع عند الحاجة لأكثر من مفهومها اللفظي .. تصوروا قضاء إسلامياً في بلد اسلامي، يكون خاضعاً لمراقبة دولة غير مسلمة بشكل وبآخر ..!! الا انه يتوجب

علينا ان نقول من قبيل الانصاف – وانا من يعلم حقيقة الظروف – انه ليس بالامكان افضل مما كان .

فالقوم في موريتانيا ، اصحاب ظروف خاصة لا يستطيعون الخروج منها الا بهذه السياسة التي تحتم عليهم قبول بعض ما لا ينبغي قبوله لو كان لهم بدٌّ من الأمر.

صحيح ان هذا الدستور اقرب الى النظام الرآسي الدكتاتوري ، منه بالنظام الجمهوري الديموقراطي ؛ ولكن الرجل القائم على رأس هذا النظام ، شاب لا نشك في وطنيته واخلاصه وعروبته بالرغم من ان ذكر « قومية بلاده » كانت مستبعدة من دستوره لأسباب لا نجهلها . . فقد اكتفى بالاشارة الى ان« **اللغة الوطنية في موريتانيا هي اللغة العربية**» ، وذلك اقصى ما استطاع عمله .

ان موريتانيا بلد لم يشتغل قط بالسياسة وليس له بعد اية ثقافة فيها ، وانه حديث عهد بالخروج الى الحياة الدولية والمدنية ، ومن الظلم ان نحاسبه ونحاسب قادته على أساس آخر ضيق .

وأكد للناس في المشرق عامة ، والمغرب خاصة ، ان هذا الدستور ليس نهائياً ، وانما هو « سُلَّم » موقت ، يجتازون بواسطته ظروفاً موقتة ، اخذ الله بيدهم ، وحقق آمالهم الوطنية .

« موريتانيا » جريدة واذاعة . .

أن يقال ان نهر السنغال سيتحول بقدرة قادر عن مجراه الطبيعي الحالي ، وينساب في الصحراء المحرقة القاحلة بين الكثبان المتقابلة ليروي عطش الرمال التي لا ترتوي . . ان يقال هذا واغرب منه ، كان اقرب الى التصديق واليقين من ان اللغة العربية ستصبح في يوم من الايام لغة البلاد الرسمية في موريتانيا ، شاءت ارادات ابناء البلاد ام ابت . . !

ذلك ان جميع امكانيات الاجنبي الحاكم من مادية وقانونية وعسكرية وتوجيهية كانت « معبأة » اعظم تعبئة لمحاربة انتشار لغة الضاد في تلك البلاد !

ومع ذلك ، وبالرغم من جميع العوامل الفعالة المضادة ، فان اللغة العربية استطاعت ان تبقى وان ترسخ وان تنتشر في بلاد غير بلادها ، وعالم غير عالمها لاكثر من سبب ، وابرز الاسباب سببان : القرآن والبيضان !!

وها ان اللغة العربية اصبحت اليوم تقتحم الديار الافريقية كلها عن طريق الحرف والاثير ، وتظهر للعيون والاسماع لكل من يرى ويسمع . . !

واسم « موريتانيا » لم يعد فقط علَماً للبلاد ، بل اصبح علماً لجريدة واذاعة . .

فهناك – اليوم – جريدة « موريتانيا » وإذاعة « صوت موريتانيا » وكلتاهما بالعربية . .

واننا بكثير من الفخر والاعتزاز نسجل ما يلي :

في عام واحد ، هو عام ١٩٥٧ ، انشأ الموريتانيون جريدة واذاعة – عربيتين – وانتقل النشاط العقلي – العربي – من واقع الممنوع المحظور ، الى واقع المسموح المشهور ، ويوم ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ٩٥٧ ، صدر العدد الاول من جريدة « موريتانيا » في مدينة سان لويس ، وهي اول جريدة عربية وطنية تصدر في افريقيا السوداء . . .

صدرت الجريدة – ولا تزال تصدر – في ذلك التاريخ تحمل اسماء نخبة ممتازة من رجالات العلم والادب والتاريخ وكانت « اسرة التحرير » يومئذ تتألف من الاسماء – الاساتذة – التالية :

محمد الامين بن سميدع (رئيس التحرير) ، المختار الحامد ، احمد بن عبدالله ، احمد بابة بن احمد مسكة (امين عام حزب النهضة) ، محمد الامين بن آقاط ، المرابط بن بابانا(١) . .

كلمة ابن دادة الافتتاحية :

وكان ابرز ما جاء في عددها الاول ، كلمة الرئيس بن دادة الافتتاحية التي نقدمها هنا للالتفات الى قيمتها « العربية » ، كقول صادر عن شخصية مسؤولة تحتل اليوم في بلادها مركز القيادة ، قال بن داده :

---

(١) موظف (ترجمان) في وزارة العدلية الموريتانية ، كان له معنا بعض المراسلات الاخوية في العام الماضي .

« يسعدني ان اوجه الى (موريتانيا) هذه الكلمة بمناسبة اصدار اول جريدة **بلغة الضاد في بلادنا** . وبديهي ان لا داعي الى تبرير هـــذه البدعة ان صح تسمية الصحافة بهذا الاسم ، فقد كان الكثيرون منـــا يشعرون منذ سنين بمسيس الحاجة الى نشرة تعبر عن لسان حال البلاد **بلغتها** .

ويسعدنا اليوم باعتزاز لا حد له، ان يتم سد هذا الفراغ.

هذا ولست ارى داعيا الى التنويه باهميــــة وسيلة من وسائل التثقيف ، كالتي نشرع في اخراجها اليوم على الناس ، فذلك اوضح من ان يحتاج الى مزيد بيان . وكل ما ارغب في التنبيه عليه ، هو انه قد حان الوقت لتركنا العزلة والانقباض عن العالم الخارجي .

نعم ، لا تثريب على الماضي ، اذا تمسك مجتمعنا بتقاليده طوال الاجيال الفائتة؛ ولكن الزمن دار دورة، فصرنا مضطرين الى خوض غمار الحياة واقتباس الانظمة والافكار الصالحة من هنا ومن هناك، ومسايرة عصرنا.

ومن المسلم بـــه ان الصحافة خير وسيلة للاطلاع على ما يتجدد في العالم ، ثم نشره وتعميمه بيننا حتى نتبين النافع من الضار ، لنتجنب سوء مغبة اقتباس السيء

بن داده وبعض اعضاء حكومته (ما عدا المختار الحامد بجنبه) ومن ورائهم .. الفرنسيون . .

ونبادر الى ممارسة الاعمال الجميلة .. وبواسطة الصحافة نستطيع ان نضرب بسي في الجهود التي ما فتىء العالم العربي يبذلهـــا منذ اكثر من قرن . ومن وراء ذلا نهدف الى تعريف العـــالم الخارجي بموريتانيا الفتية ، العظيمة بماضيها ومستقبل وامكانياتها الحضارية والاقتصادية، كوطن نسعى لبنائه بحكمة واخلاص » .

الاذاعة :

اما الاذاعة ــ صوت موريتانيا ــ فقد بدأت بثّها قبل صدور الجريدة بقليل اي في عام ١٩٥٧ نفسه، وكانت يومئذ تذيع بصورة تجريبية ولكنها كانت تسم من جميع الاقطار المجاورة كالسنغال والسودان والمغرب . وكان برنامجها الاسبوع في ذلك الحين كما يلي :

حديث بالحسانية ــ لغة البلاد الدارجة ــ يقدمه خمس مرات كل اسبوع الاستا عبد الوهاب الشيقر .

برنامج لكل سؤال جواب (يوم الاربعاء) الحديث الذي تشتهون ــ ما يطل المستمعون ــ (يوم الخميس) حديث عنوانه النافذة حول العالم ــ اخبار عالمية . (يوم السبت) .

احاديث علمية وادبية باللغة العربية الفصحى ، واهمها حديث بعنوان حدا الادب (في يومي الاحد والاثنين) .

وكان الأستاذ « اب بن آن » يقدم درسين بالعربية مرتين في الاسبوع (الثلا والجمعة) .

وفي ايام الاثنين والاربعاء والسبت يقدم جبريل راسين كُنْ المجلة التكرور (لغة اقليمية غير عربية) .

مسرحية باللغة العربية (كل يوم ثلاثاء) .

ومما يجدر ذكره ان الحكومـــة جادة في تحسين المحطة وجعل صوتها مسمو خارج الاقطار الافريقية في القريب العاجل.

الوضع السياسي في موريتانيا الآن

وصفت مجلة « شنقيط » ، بمقال ذي بال ، الوضع السياسي الحالي في موريتانيا بانه « وضع شاذ » . وقد رأينا ان ناخذ هذا المقال لقرائنا في المشرق ، لانهم مثلنا يمثلون الحياد التام بالنسبة لحكومة ومعارضة في بلد آخر ، واقع بينهما خلاف سياسي ، او اجتهاد في الرأي ، يقع مثله في كل بلد يتمخض عن نهضة لا تستهدف عند الفريقين سوى الاحسن والافضل .

ونحن بنشرنا المقال ، لا نتبنى رأيه بان الوضع حقيقة هو « وضع شاذ » ، كما لا نستطيع ان نقول ان الرأي هو رأي « معارضة مغرضة » ونجني على – ما ربما – يكون حقيقة .. !

ولذا ، يجب ان نوسع دائرة الاطلاع امام من يهمهم الامر ، امر الناحية الجوهرية من المسألة ، وهي مسألة « المصير السياسي» لموريتانيا التي لسنا فيها – كعرب – على الحياد ! قال الكاتب :

« نضع قضية الصحراء وموريتانيا في طور القومية الرئيسية التي ينتج عن حلها التصحيح للوضع الشاذ الذي وضعت فيه سيادتنا الترابية في مطلع هذا القرن ، وأدّى الى فصل المواطنين بعضهم عن البعض الآخر ، وكَبْتَ عواطفهم الحقيقية نحو عاهل البلاد العظيم .. (الملك محمد الخامس) .

« وحيث يقدم الشعب المغربي اليوم من البحر المتوسط الى نهر السنغال ، ومن المحيط الاطلسي الى قوات ، والى حدود تشاد ، على خوض معركة (التصحيح) وطي صفحات الاقتدار والتعسف ؛ يصبح من آكد الواجبات ان يسلك الطرق المأمونة والمسالك المضمونة النتائج ، والمحددة الغايات التي توصل الى الحل المنشود المتجاوب مع تاريخنا الواحد ، وحضارتنا المشتركة ، ومستقبلنا كامة تتوفر لديها جميع مقومات الانسجام !

« ومما سيساعدنا ولا شك على تلمّس هذا الطريق والسير فيه تعميق الحالة في الاجزاء المغتصبة اولا ، ثم استقراء تجارب الشعوب التي مرت بنفس المراحل ، واحاطت بها ظروف مشابهة لظروفنا الحالية . فذلك سيجنبنا كثيراً من العقبات ، وسيوفر علينا كثيراً من الجهود ، وسيجعل وسائلنا في معالجة مشكلة الشعب المغربي المقسم ، معالجة سريعة ومضمونة النتائج .

« ويجب ان ننتبه قبل كل شيء الى ان مشاكل الحدود بالنسبة الينا على اشكال ثلاثة :

فهناك – اولا – المناطق التي تقع الى الشرق والى الجنوب من خط الحدود (الذي لا يعترف به المغرب) .

ومن جهة – ثانية – هناك المناطق التي تخضع للنفوذ الفرنسي والاسباني :

« اما المشكلة – ثالثاً – التي تحيط بها الملابسات الدولية في الوقت الحاضر ، فهي مشكلة موريتانيا ، التي عمدت فرنسا الى تأسيس جمهورية اسلامية بها ، وضمتها الى الجامعة الفرنسية – الافريقية ، بعد ان لاقت صعوبات في السابق عندما كانت تلك المنطقة تتبع حكومة مركزية في سان لويس .

« فكيف نصنع لنغلق باب الجدل الذي ينفتح الآن بين المغرب وموريتانيا ؟ وما هي المطامع اذا ما رغب في تلبية المطامع قسم هام من سكان المغرب الذين يرغبون في الانضمام الى قافلة التحرر في مغربهم المستقل ، تحت قيادة زعيمهم محمد الخامس ؟

« يمكن القول – بكثير من التجاوز – بان هناك ثلاثة تيارات في موريتانيا تخوض ملاحم سياسية متباينة الوسائل مختلفة الاهداف .

١ – التيار الوطني الذي يساير رغبات الشعب ويمثله (حزب النهضة) الذي هو في نفس الوقت اكبر تجمع سياسي منظم في البلاد . ويعتقد الذين يعرفون

---

١ – العدد ٢ الصادر في ٤ ديسمبر ١٩٥٩

الوضع في موريتانيا عن كثب ، بان فكرة الاتحاد هذه ينضوي تحتها ثلاثة ارباع السكان ، وتكاد الطبقة الواعية والطبقة المثقفة والمنظمة تجمع حولها العناصر الحية النقابية و (اتحاد الشباب الموريتاني) .

٢ ـ التيار الذي يتحمس للجامعة الفرنسية ، ويمثله بعض اعضاء الحكومة الحاضرة وعلى رأسهم السيد المختار انجاى[١]، كما تضم الضالعين من الخونة والعناصر السلبية واصحاب المصالح وعلى الرغم من ان هذا الجانب يفرض سلطانه على الشعب مستعيناً بحراب الحاميات الفرنسية . وعلى الرغم من انه يسخّر لخدمته الاذاعة المحلية والصحيفة التي يسيرها عبد الوهاب الشيكر الملقب (بوزير الانباء)، فانه لا يقابل الا باعراض المواطنين واستخفافهم اذ هو يحاول ان يسلخ تلك البلاد عن واقعها وروابطها الحضارية والروحية، ويقيم منها منطقة منحمية تموّن مصانع باريس وليل ، ونقطة ارتكاز عسكرية لجيوش الحلف الاطلسي ..!

٣ ـ واما التيار الثالث فهو الذي يتمثل في حزب (الاتحاد الوطني الموريتاني) الذي هو في نفس الوقت فرع من (الحزب الفدرالي الافريقي) ، ولم يجرأ هذا الحزب الجديد الضئيل ـ في الوقت الراهن ـ على نقل نشاطه خارج دكار لانه ينادي بالانخراط على قدم المساواة في (اتحاد مالي) ، هذا الاتحاد الذي لا يستسيغه الشعب الموريتاني ولا ترضى عنه حتى الحكومة المزعومة في نواكشوط نظراً لمناداة « مالي » حالياً بالانفصال عن فرنسا راعية حكومة بن داده، والممكّنة لها من فرض سلطانها على الموريتانيين ..

« واذا كان الشناقطة المخلصون والمغاربة الذين يراقبون الوضع في موريتانيا لا يقيمون كبير وزن لهذا العنصر السياسي الجديد الذي هو الحزب الاتحادي ، اعتقاداً منهم بان المناعة القومية عند السكان من جهة ، ومعارضة فرنسا وحكومة ابن داده على نشاطه وقبره في مهده من جهة اخرى ، فان طريقة عمل هذا الحزب واهدافه القريبة التي يكافح من اجلها يجب ان تثير كثيراً من الاشفاق والقلق . فاهدافه تنحصر الان في اسقاط (حكومة) نواكشوط الضالعة مع الاستعمار ، والمتجاهلة مطامع الشعب ، والنهوض اجتماعياً ومادياً بالجماهير الشعبية عن طريق مشاريع مهمة لا تلجأ موريتانيا لتنفيذها الى الاموال الفرنسية التي تجرّ وراءها العبودية والقيود ، ولكن الى أموال نظيفة يقدمها الشعب « المالي » الذي لا توجد لديه اية مطامع توسيعية والذي يريد فقط ان يرى الشعوب الافريقية متحررة من التبعية الاجنبية ، وماضيه في سبيل ازدهارها وبنائها .

« ولا يستطيع الانسان ان ينكر ما تحظى به جمهورية مالي من تقدير واعتبار في نظر جميع الافارقة ، كما لا يمكنه ان يتجاهل غنى هذه الجمهورية بالموارد والاموال بالنسبة لموريتانيا ، كما ان الشائعات التي تروج عن الاموال المقدمة من مالي الى (الحزب الوطني) تحوز على الكثير من الصدق ، فازاء ذلك ، واعتباراً لما تذيعه حكومة ابن دادة والابواق الفرنسية من ان المغرب يريد « الحاق موريتانيا باراضيه ارضاء لرغبته في التوسع واستثمار خيرات الصحراء» يمكننا ان نتصور منذ الان الخطر الجاثم وراء اتساع نطاق الحزب المذكور، أو تمكنه من اغراء مواطنينا في موريتانيا !

وكذلك يمكننا ان نتصور نفس الاخطار فيما لو عمدت فرنسا الى ابدال صنائعها اليوم ، بصنائع تختارهم من بين الحزب الوطني الموريتاني ..! » .

---

[١] ـ سنغالي سان لويسي ، متعصب لفرنسا حتى الهلاك ..!

نقاط سياسية خطيرة تضعها المعارضة على حروف المشاريع الاقتصادية الموريتانية

هناك ما يسمى « مشروع السنوات الخمس » في موريتانيا ، وهناك القرض المالي ـ الـ ٦٥ مليون دولار ـ الذي حصل عليه الرئيس بن داده من البنك الدولي في مطلع هذا العام .

وهناك جهات موريتانية معارضة تضع نقاطاً سياسية خطيرة على حروف هذه المشاريع ، راينا من قبيل تنوير الاذهان المعنية، نشر الاعتراضات والمحاذير التي تبديها المعارضة في الرباط . لان اثارتها في هذا الكتاب بالذات سيتيح لها التعميم والانتشار على نطاق واسع . حتى اذا كانت صحيحة افادت في الحين المطلوب وجمعت الانصار حولها ، وان ظهرانها افتئات وإثارة من اجل العرقلة والاغراض الخاصة ، ازدادت تلك المشاريع مناعة وازداد اصحابها والقيمون عليها تقديراً من الجميع وتاييداً . . قالت المعارضة الموريتانية المذكورة (١) :

« اعدت لجنة الدراسات والاحصاءات والتمويل مشروعا (للتصميم) في ريتانيا يبتدىء العمل بمقتضاه اعتباراً من فاتح السنة القادمة ، وقدمت مسودته باريس للمصادقة عليه . وهذا المشروع يحاط بكثير من السرية ولا يمكن اخذ كرة عنه الا من وراء تعاليق اذاعة (اطار) وجريدة «موريتانيا» التي يديرها السيد

---

١ – جريدة « شنقيط » العدد ٣ الصادر سنة ١٩٥٩

عبد الوهاب الشيكر مدير الدعاية.والاعمال التمهيدية التي تباشرها الادارة كمرحلة انتقالية نحو طور التصميم العام .

الاهداف والوسائل

فهدف هذا المشروع الذي يتناول النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الى خلق عضو سليم في الجامعة الفرنسية يؤمن بضرورة الوجود الفرنسي ، ويقبل عن طواعية وضع امانيه ومصادر ثروته وحياته في يد حفنة من الاحتكاريين من ابناء البلاد ومن الاجانب ، كما يقضي الى تركيز الحكم في يد الشرذمة المنحرفة التي تملك بيدها (ان صح التفكير) على مقاليد الامور حتى تأتي الاستفادة ـ مادياً ومعنوياً ـ على حساب الشعب البائس الفقير . واهم اهداف التصميم في الميدان الاجتماعي ، هو منع كل حركة اصلاحية تؤول الى تقوية الشعب الموريتاني واضعاف دعاة المصلحة الشخصية انصار الاستعمار .

« اما الوسائل فهي على نوعين :

١) التمويل الداخلي : ويقوم على اساس تجريد الشعب من خيراته، ووضعها في يد القادة العسكريين ورؤساء مصالح الشرطة والمكتب الثاني .

٢) التمويل الخارجي : ويتمثل في الارصدة المفتوحة التي تضعها باريس في بنوكها لحساب ابن دادة واتباعه ، وفي التجهيزات العسكرية .

« اما التدريب المهني والفني ، فقد أُولي عناية كبرى ، اذ تتوفر البلاد الان على جيش فرنسي قوي، قادر على سحق كل حركة من شأنها ان تتعارض مع اهداف التصميم أو تعرقل سيره ، كما تتوفر ايضاً على تشكيلات هامة من الجواسيس والاتباع الذين تحشدهم الحكومة المحلية لتنفيذ المشروع واقامة الرقابة الضرورية لسيره سيراً ناجحاً !

النتائج المتوخاة

« وفي نهاية التصميم يُتوقع الوصول الى النتائج (الحتمية) الآتية :

١ ــ في الميدان الاجتماعي يتوقع التصميم الوصول الى خلق نفور شديد في المغرب ، لان في الاتحاد معه تدهور أكيد للسيطرة الفرنسية ، وانخراط موريتانيا في العالم العربي والاسلامي .

٢ ــ جعل كلمة (الاستقلال) تحمل معنى لفظياً لا تتعداه الى معنى الاستقلال وليمكن مع ذلك الترويج لدعاية (الخيانة العظمى) بالنسبة لمن يسعى في تحرير موريتانيا أو اتحادها مع المغرب ..

٣ ــ محاربة حزب النهضة ومنظمة الشباب الموريتاني ، بجميع الوسائل التي يُعدّها التصميم ، ومقاومة اللغة الغربية ، وتحديد اقامة كل من تسول له نفسه الذهاب الى الخارج لتلقي العلم !

٤ ــ تشجيع سياسة التفرقة بين القبائل لتضرب بعضها البعض الآخر ..

٥ ــ تقوية الحكام المحليين والتراجمة والرؤساء ، ليتمكنوا من ضمان نجاح المشروع واستنزاف دم الشعب ..

٦ ــ اهمال جميع المرافق الحيوية : الصحة ، والتعليم ، ووسائل المواصلات والتحريات عن المياه التي يمكن للشعب ان يستفيد منها بشكل مباشر .

٧ ــ صرف جميع الميزانية ــ العادية بتوظيفها مصالح الحكام الخاصة ..

وفي الميدان الاقتصادي :

« يتوقع التصميم ان يصل الى تمكين الشركات الفرنسية ، من احتكار جميع الموارد : من ذلك ابقاء حق احتكار النقل لشركة (لكمب) الفرنسية ، ومنع المواطنين من القيام بعملية نقل البضائع على الجمال ، والسيارات وابقاء احتكار الصيد ــ صيد السمك ــ في يد شركة (برينو) ، واعطاؤها جميع الامتيازات في (انواذيبو) والسماح لها بقتل كل من يقدم على الصيد الحر !

« أما معدني النحاس والحديد في اكجوجت وفوركورون ، فيهدف التصميم الى ابقائهما في ايدي (مكيما او مفرما) دون ان يكون (للحكومة) الحق الا في

اعفاء هاتين الشركتين من الضرائب كل خمس وعشرين سنة قابلة للتجديد اذ كان المفروض ان ينتهي الاستثمار بعد خمس وعشرين سنة فقط لا غير ..!

« هذه هي الخطوط الكبرى للتصميم الذي يوجد على طاولة الحاج ديغول ، والذي يحظى بموافقة مفتي الجامعة الفرنسية الشيخ المشير جوان ، واركان الحرب في عاصمة الوطن الأم . والذي تستعد (حكومة) ابن دادة لانجازه بعد خمس سنوات !

« بقي لنا ان نتساءل عن سبب تحمس المختار بن داده في تأييده لهذه الشركة ؟ قد يكون من المعقول ان المصلحة العامة هي التي جعلته يقوم ويقعد في خدمة مفرما .. ولكن المختار يعرف ان هذه الشركات تريد نزع ثروات بلاد موريتانيا بدون مقابل . واذا كان يجهل ذلك فلا يعذر بالجهل . ونعيد هنا بياناً لاهداف هذه الشركة :

تدفع ٥٠٠ مليار مقابل ١٠ مليارات !

« ان مناجم الحديد في فور كورو تقدر قيمتها بما يبلغ خمسمائة مليار من الفرنكات . وشركة مفرما تريد ان تستملك هذه الثروة الهائلة ، وما الذي سوف يستفيده الشعب الموريتاني مقابل هذه الاستملاك أو بالاصح هذا « الغصب » ؟

« الجواب يقوله لنا لوروا بولبي مدير هذه الشركة في مقال نشرته مجلة « فرانس دوتر ـ مير » . فهو يصرح بان الشركة سوف تستخدم مائتي عامل تقريباً وذلك لأن باقي العمال يجب ان يكونوا من الكناريين الذين يتفوقون على الموريتانيين اخلاصاً للعمل .. وزاد قائلا بان الشركة سوف تدفع الى الحكومة الموريتانية بعد سبع سنوات ، ملياراً من الفرنكات في كل سنة . ونحن نعرف ان مدة الاستغلال تقدر بخمس عشرة سنة ، فيكون مجموع ما ستربحه حكومة موريتانيا لا يتجاوز ١٠ مليارات مقابل الثروة التي حددنا ثمنها آنفاً !

المصالح الشخصية

« هذه الحقائق يعرفها المختار بن داده ، لكنه اراد ان يتجاهلها ويترك قافلة الاستعمار تسير في موريتانيا . وهــذا ما جعلنا نتساءل مرة اخرى عن الاسباب الحقيقية التي جعلته يندفع في ركاب مفرما ! هنــاك من يتحدث عن المصالح الشخصية ، ويذكر على سبيل المثــال قضية القصر الذي اشتري في باريز ، والذي يبلغ ثمنــه على ما يقال عشرات الملايين .. وهناك من يذكر حسابات في بنوك سويسرا ، ويشير الى تنازل المختار بن داده عن خمسة في المائة من الارباح المقررة للحكومة الموريتانية ! ومما لا ريب فيه هو ان المختار بن داده يؤيد هــذه الشركة تأييداً يجاوز الحد المعقول . انه يعرف جيداً ان تصميم استغلال هذه المعادن وضع على حساب مصلحة موريتانيا ، وهذا ما جعلنا نحن نعارض هذه الصفقة ونؤكد

مشهد الشروع في وضع الخطوط الحديدية الموريتانية بين افديرك وانواذيبو ، بعد انتهاء عملية التخطيط . وفي الصورة ترى « الكانسات » اثناء قيامها باعداد الطريق التي ستثبت عليه الخطوط الى بور اتين ، مرفأ موريتانيا البحري .

تحفظنا الكامل فيما يتعلق بكل اتفاقية يعقدها ابن داده مع شركة مفرما . وها هي الاسباب التي جعلتنا نتخذ هذا الموقف .

مشروع مفرما غير اقتصادي ..

« اولا نعارضه لاسباب اقتصادية، وهي تظهر حين نعرف ان نقل المناجم من فوزكورو الى بوراتين يكلف قطع مسافة طويلة بسبب دخول الحدود المصطنعة بين موريتانيا ووادي الذهب . فسكة الحديد المؤدية الى بوراتين تسير على خط منكسر ، يجعل النفقات عليه تزيد بعدة مليارات على مصاريف سكة تسلك خطاً مستقيماً بين فوزكورو وبوراتين . ومن المعلوم ضرورة اننا لا نعترف بهذه الحدود الذي يجب ان تزول في المستقبل القريب .

«ونعرف ايضاً ان مرفأ الداخلية اقرب جداً الى فور كورو من مرفأ بوراتين» والاحسن ان يكون هو المستعمــل . نقول هذا ونحن نعتبر الداخليــة جزءاً لا يتجزأ من موريتانيا مثل بوراتين واطار . وكما اننا نرجو تحرير هذه المنطقــة المغتصبة عن كثب ، فالاولى بنا ان نتريث حتى نستغل ثروتنا المعدنية على أكمل الاحوال وفي نطاق اوسع ، ولصالح السكان .

استغلال (مفرما) لهذه المعادن يرسخ قدم الاستعمار الفرنسي :

« اما الاسباب السياسية التي حدت بنا الى معارضة المشروع ، هو كون السلطة التي خولت لهذه الشركة حق الاستغلال انمــا هي سلطة استعمارية محضة ، عملت لمصلحته الخاصة وبدون ان تضع اي حساب لمطامح الشعب الموريتاني الذي يسعى جاداً في تحريره من ربقة الاستعمار البغيض ووحدته مع المغرب المستقل . وتأييد ابن داده لا يبرر اي امتياز لهذه الشركة ، لان الاستعمار الفرنسي هو الذي نصبه كرئيس حكومة حيادية[1] ، والاستعمار الفرنسي هو الذي زور له الانتخــابات

---

[1] ـ لم نحذف من المقال هذا المقطع «الشخصي» احتراماً منا للامانة في النقل وحرية الرأي . غير اننا نعلن ان سياسة هذا الكتاب ليست ضد الرئيس بن داده شخصياً وان افسحنا المجال للانتقادات كما لسنا مع المعارضة لتتنكر لحكومة بلدهم التي كان بعضهم عضواً فيها عندما قامت !

ليتسمّى رئيساً رغم ارادة الشعب ومصلحته ، والاستعمار الفرنسي هو الذي يدافع عنه بماله وبجيشه ، والاستعمار الفرنسي هو الذي طلب القرض لشركة مفرما ، ربيبة ابن داده .

« فالشعب الموريتاني لا يعطي الحق لمفرما في استغلال هذه المعادن ، وهذا ما صرخنا نحن به ، وهذا ما صرح به حزب النهضة الوطنية ـ المؤتمر التأسيسي ـ في ٢٥ أغشت ١٩٣٨ .

« ومن جهة اخرى فان صاحب الجلالة محمد الخامس الذي يعتبره الشعب الموريتاني ضمان تحريره وعمدة مستقبله ، صرح بكامل تحفظه في شأن هذه الشركة .

« ولا تقتصر اسباب هذه المعارضة على موقف سياسي مبدئي فقط ، لا بل ايضاحاً لاظهار شكلها المنطقي اذا تذكرنا ان السكان لن يستفيدوا منها شيئاً ، لان اليد العاملة سوف تؤخذ من الاجانب الفرنسيين والاسبانيين ، ولان القطار الذي سينقل المناجم لا يسمح بنقل البضائع والمسافرين ، ولان الجهاز الذي ستتركه هذه الشركة سيبقى في مناطق صحراوية غير مأهولة ، ولأن الشركة قد سُمح لها بنقل جميع ارباحها ، ما عدا القسم الضئيل الذي سيقرر لحكومة موريتانيا ، والذي لا يساوي تسعين في المائة مما يمكن ان تستفيده اذا استثمرت هذه المعادن استثماراً مرضياً .

« ويمكن للشركة وللمختار ان يتجاهلا كل هذه الحقائق ، وان لا يقيما وزناً للشعب الموريتاني ، ولكنا ننبه مفرما على ان من انذر فقد اعذر ، وانه في اليوم الذي يسترجع فيه الشعب حريته المغتصبة وحقوقه المهضومة فان جميع الاتفاقيات السابقة ستكون ملغاة ومعدومة المفعول ..! » ـ (انتهى كلام المعارضة) .

الاماني القومية الموريتانية

محمد المختار بن اباه (٣٦ سنة) زعيم موريتاني كبير من زعماء الشباب . كان رفيقاً للمختار بن داده ـ الرئيس الحالي ـ في اول وزارة تألفت (وزارة التهذيب والتعليم) عقب اعلان الجمهورية الموريتانية سنة ١٩٥٨ ولكنه ما ان دخل الحكم وشهد ما شهد وراء الكواليس السياسية ، حتى غادر البلاد الى المغرب ، حيث اعلن مع رفاقه الاحرار معركة التحرر النهائي من الاستعمار . فانشأ مع رفيقه في الجهاد محمد فال بن عمير مجلة « شنقيط » الناطقة بلسان الكثرة الموريتانية الساحقة ، القائلة بالاستقلال التام عن فرنسا ، والاتحاد مع المغرب .

وفي العدد الاول الذي صدر من « شنقيط »(١) ، كتب محمد المختار بن اباه هذا المقال الافتتاحي القيم الذي يحمل اماني الشبيبة الموريتانية الواعية ، بل اماني بلاده جمعاء ، وبعد ان قدم الكاتب بمقدمة بليغة عن الانتقاضة الافريقية الجبارة ، وعن نوايا الدول الاستعمارية واساليبها الاغرائية ، كالتلويح بالجمهوريات والاتحادات المزيفة وغيرها ، قال :

« في هذا الوقت ، يصبح من الضروري ان تتنادى القوى الوطنية المخلصة في موريتانيا والصحراء والمغرب المستقل لتتفهم جيداً مغزى وخطورة معركتها مع الاقاليم المغتصبة ، وتتبع تطورات الاحوال فيها ، لتنقل كل ذلك الى اذهان الشعب المغربي (من طنجة الى سان لويس) والى الضمير العالمي ، بحيث يقود الى توضيح جوانب هذه القضية الحيوية التي يتعلق مستقبل المغرب وافريقيا الغربية والتيار المتحرر ، بنتائجها ومعطياتها .

« فبالنسبة الينا ـ نحن سكان المناطق الشمالية ـ يجدر بنا ان نتفهم ونوضح للغير كفاح المناطق الصحراوية وموريتانيا ، ونواكب هذا الكفاح ونسنده بكل ما اوتينا من عزم وامكانيات ، لان ذلك هو اقل ما نفي به الدّين الثقيل الذي يضعه

فوق اعناقنا التاريخ الواحد ، والمصير المشترك ، وهو ادنى ما نقدر به مسؤولياتنا امام محاسبة الاجيال المقبلة !

« ولعل من الخطأ ان بدأنا من بعض الوقت التحدث عن المستقبل الدولي لتلك النواحي التي تخوض معركة تحررها السياسي ، أو عن الصلات التي كانت قائمة بين شمال المغرب وجنوبه مما قد يأوله الاستعمار تأويلا لا يتفق، او قد يحرف الاماني القوميه لسكان موريتانيا انفسهم ، وهو ما يفعله الان بالتأكيد ، ليجعل وسائل كفاحنا غير ذات جدوى أو مضاء !!

« وهكذا ، فان علاج المرامي الانفصالية ــ البادية في خلق جمهورية اسلامية بموريتانيا على الاقل ، لا يستقيم الا بالجد في تحصيل الاستقلال الكامل اولا ، ثم الاستماع الى اماني شعب المغرب وموريتانيا والصحراء ثانياً ، تلك الاماني التي تجتمع الان وبعد الان، كما اجتمعت من قبل حول وحدة ترابية وفكرية، مستمدة من نداء القرون وصوت التاريخ المشترك .

« ان فرنسا تريد اليوم في موريتانيا تطبيق نفس الخطة التي فشلت في تنفيذها بجنوب المانيا قبل حرب السبعين : فقد حاولت حينئذ كما تحاول الان ، تشجيع الامراء والحكام على ابقاء مناطقهم بعيداً عن الاتحاد الالماني . ولكن خاب تقديرها بعد تساند شمال المانيا وجنوبها للقضاء على القوة العسكرية الفرنسية واجماعها عند الاستفتاء على كلمة الاتحاد .. ونفس القبيل ، حصل اثناء قيام الوحدة بين شمالي وجنوبي ايطاليا ، ولكن الوحدة تمت اثر خذلان الجيوش الفرنسية والنمسوية ، وإجماع الامة على إرادة الوحدة !

« ولا يجد الانسان صعوبة في العثور على امثلة كثيرة من هذا النوع في تاريخ الاستعمار الفرنسي الذي يسير على (سياسة الكيانات وتغذية الروح الانفصالية) ، كما لا يجد صعوبة في ادراك النتائج التي تمخضت عن تلك السياسة .. فالاحرى بالطبقة الواعية في بلادنا ان تدرس تجارب الشعوب التي سبقتها في نضال (سياسة الكيانات) وان تعالجها بالدواء الملائم، وهو طلب الحرية قبل كل شيء، ومتى كان شعب موريتانيا والصحراء حراً في تصرفاته، فسيكون حراً في الاختيار ايضاً .. »

---

١ ــ العدد الاول الصادر في ١٨ نوفمبر سنة ١٩٥٩ .

آراء الشبيبة الموريتانية في المشاكل الاقليميّة والسياسيّة

خطاب ماء العينين

تريد ان تعرف موريتانيا الحديثة ؟ موريتانيا الشبيبة الطالعة الناهضة ، وما يتوارد في ذهنها ويجول في خاطرها من رغبات وآمال ؟ موريتانيا المشاكل السياسية والاقليمية التي تتمخض عنها مرحلة التكوين الحديث ، وما لدى القوم من امور هي في غاية التعقيد ، ومواضيع هي الآن على بساط البحث والتفنيد ، وكيف يبدىء فيها كل مواطن ويعيد ..؟

اذن ، فاقرأ هذه المجموعة المهمة من الآراء والخطابات والتعليقات لاهل اليمين وأهل اليسار ... ونبدأها بخطاب السيد ماء العينين بن احمد ، الذي القاه سنة ١٩٥٨ ــ في اطار باسم الجمعية المحلية الشبيبة الموريتانية امام الرئيس بن داده واعضاء حكومته ، قال :

« انني مسرور جداً بان استقبلكم اليوم باسمي وباسم الجمعية المحلية للشبيبة الموورريتانية :

« ان الحديث لكثير حول الشبيبة الموريتانية وحول بناء موريتانيا الجديدة وذلك مما يسمح لي الآن بأن ابين لكم بوضوح وجلاء مهمة الشباب وموقفه من هذا البناء الجديد. اني اصرح لكم بكل تأكيد ان الشبيبة الموريتانية ليست مضادة لفرنسا ، لكن هدفها الوحيد هو مقاومة الاستعمار الخائب الامل والذي ليس له الحق في الوجود حتى يقضي عليه تماماً !..

(لنشعر الآن بمسكنتنا وقلة تثقيفنا بدلا من ان نقول اننا جهلاء ، وان فرنسا جالها المثقفين ، واموالها المستثمرة في بلادنا ، لهي عضدنا الوحيد !

« اننا غير مقتنعين باهمية القانون الاطاري الذي اكدت به فرنسا ارادتها قيق مجموعة افريقية حقيقية، وغير مؤمنين كذلك بتحقيقها ، ولهذا نعتقد ان من اجبنا ان نكافح كل ما يمكن ان يقيد ارادتنا وان ننجح في هذا التحقيق .

« على ان اية مجموعة اتحادية ، لا يمكن تحقيقها الا اذا اعترف كل طرف منها لمساواة والحرية للطرف الاخر . ونحن مقتنعون بان فرنسا تريدها ونحن كذلك يدها مع تمام الاطلاع .

« والذي نتمسك به هو ان نحاول القضاء في ارضنا على كل ما من شأنه ان ير الشعور الحقيقي للجميع .

« ومن الواجب الضروري ان يعمل الممثلون لنا وللشعب الفرنسي على تكوين الة نفسية تساعد على النجاح التام للمجموعة الافريقية .

« واذا كنا نوجه بعض الانتقادات من حين الى آخر ضد هيئة الحياة القديمة ضد بعض مظاهر السياسة المحلية، فما ذلك الا لنظهر ارادتنا فقط للسير في طبيعة تطور الذي اخذ يعرفه اقليمنا حالا .

«ولما صارت توجد مجموعة افريقية حقيقية وجب ان يوضح كل سبب للشقاق تقى وان يعالج فوراً إن وقع ويجب الاخلاص التام في كل ما يقال ويفعل؛ كيف يد فريق ان يتعاون معه حقيقة فريق يخافه . ولا يمكن لمن يخاف ان يكتم ما في ميره عمن يخافه ويظهر وجهاً غير الوجه الحقيقي ...

« واذا اريد التعاون على تحقيق هذه المجموعة المؤملة والمنتظرة كان من الواجب الضروري ان يستغل الموريتانيون حقيقة كل الحُقوق التي خولها لهم التشريع الحالي خاصة حقوق المواطنين ، ومن جهة اخرى فان نفوذ فرنسا مرتبط بسلوك ممثليها لها وراء البحار . فيجب اذاً على كل فرنسي موجود عندنا ان يبذل جهده في ستمالة ثقة الشعب لها .

«هذا في الميدان السياسي . واما في الميدان الاجتماعي ، فعليه ان يسير سيرها او اسرع ، لئلا يشتكي احد .

« اما فيما يتعلق ببناء موريتانيا الجديدة ، فانا نرى من الصواب اتباع مذهب الرئيس المختار بن داده والوزير الدي ابن سيد بابا ، اللذين حضا على اهمية اتحاد وتضامن الموريتانيين كلهم ، نظراً لتحقيق الشخصية الموريتانية الذي هو هدفنا الوحيد . غير اننا ننشد اتحاداً مؤسساً على المبادىء الديمقراطية واحترام قيمة الانسان واحترام حقوقه . هذا هو الاتحاد الوحيد الذي يرضي مثلنا الشرعية .

« ان هدف شبيبة موريتانيا هو ان تفهم الشعب كله ، بانه قد حان الوقت لان يحل فكر الاتحاد اللازم لرقي البلاد محل اختلاف الآراء السياسية والاحقاد بين القبائل والعوامل المثمرة المختلفة والمقاومات الهدامة التي كانت تسود الاقاليم وتعرقل سيره نحو الازدهار . ولا يرى ان هناك منازعة قائمة بين الشباب والكهول الا القليل من الناس . نعم يوجد عدم تفاهم في ادراك المسائل الحالية لا في مسألة السن فقط .

« فالبعض من الكهول يرى ان رقي البلاد ينبغي ان يكون باعتبار الظروف العالمية الوقتية كما يوجد شبان يحذرون هذا الرقي لظنهم انه سيبدل ويغير عوائد السكان . واعتقادهم التام امكان ترقيتها مع بقائها على نظامها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الناتج عن قرون كثيرة كانت تسودها الفوضى والمقاومة الهدامة .

« وبالجملة لسنا مضادين لكهولنا، وقبل الختام اعيد التأكيد بان الاتحاد المذكور لا يصح تحقيقه الا اذا كان مؤسساً على الصدق ، وبعد ذلك يجب على الكل ان يبدي رأيه وان يجاب عما سأل عنه ، وكذلك يجب ان يتحقق الرأي العام الخير بمختلف انواعه بواسطة الصحافة والاذاعة ، ولا بد من عقد المؤتمرات ، والا فستنمو الاستياءات ولا نعلم ماذا ستكون عواقبها ! »

ان خلق الرأي العام ضروري لتحقيق الوحدة الموريتانية بل ولشخصيتها .

كل حال فان اصطدام الفكر والمناقشات المختلفة النظر يولد الضوء الحقيقي يكشف عن الظلمات لتبدو الحقائق للجميع بوضوح تام ..

اب حرمة بن سيد امه

ثم القى السيد حرمة بن سيد امه ، من زعماء الشباب الموريتاني خطابا قال فيه:

«اتمنى عليكم ايها المواطنون الاعزاء ان تعملوا في رمز واحد هو الاخوةدون بين العنصرية ...

« اياكم والتنافس باسم القبائل او العائلات كما هي عادة اهل الجاهلية ، هب ريحكم ..

« اننا معادون لكل مستعمر حيثما كان وحيث كان ، سواء في الشرق او في ب ، او منهما او من احدهما ..

« زملائي ؛ نحن الشباب الموريتاني عار علينا ان لا يتقدمشعبنا وبلدنا الى عالم ي والازدهار لانا متحملون في الحقيقة مسؤوليتها ومسؤولون عنها ولذلك ابي دعاءها لما فيه صلاحها واني على يقين من ان ذلكلا يمكن دون ثقافـــة ، جهة اخرى لا يحصل دون وحدة » .

ى بن عبد يتكلم :

وفي نهايه خطابه وجه سؤالا الى السيد يحيى بن عبد احد زعماء حزب الشباب ريتاني حول ، الاسباب الداعية الى تأليف حزب الشباب الموريتاني في المجرى،

حاب يحيى بن عبد :

انما دعانا لتأسيس هذا الحزب ، ما رأينـــاه من تأخر بلدنا عن جيرانه وعن لم اجمع ، ولان قانون اطار ، اصبح يوجب علينا تحمـــل مسؤولياتنا والتأهب بالثقافة .

وعلاوة على ذلك ضعف اقتصادنا . ولا شيء ادل على ذلك من الحالة التي

توجد عليها الان حالة سكان البادية . وعلى ضوء هذه الجملة الاخيرة سا كشف لكم عن الحقيقة ، وهي ان من اعظم دواعي تأسيسه ، كثرة المستعمرين في هذه الرقعة من العالم .

وسئل السيد بن يحيى عن مهمة الحزب ، فاجاب :

ان اعظم مهامنا وجدتنا لاننا نحب ان نمحو الفشل الخيالي الذي اوحاه الغير بيننا ، ومن جهة اخرى ارجو ان تعمنا الثقافة لنصير مخصلين في سياستنا ، قادرين على العمل بجميع معانيه ، وان تعم الاستقامة شعبنا بجميع طبقاته ، وتجتمع مهامنا في نقطة واحدة وهي مشاركتنا الفعالة للعالم المتمدن في سياسته الحالية في القرن العشرين .

س : ما هي الطريق التي ستصلون بها الى هذه المهام المتعددة.؟

ج : ان الطريق الوحيدة لهذه المهام هو بناء مدارس عربية وفرنسية ابتدائية وثانويـــة ومهنية في جميع نواحي موريتانيـــا لان المتخرجين من تلك المدارس يتحملون عبء السياسة في المستقبل . واما الذين لم يتعلموا لحـــد الآن فستفتح لهم مدارس ليلية وستأتيهم جرائد عربية وفرنسية ليتثقفوا بذلك .

س : هل الحكومة الحالية وافقتكم على هذا البرنامج ؟

ج : نعم فيما يظهر لنا من بعض تصريحات رئيس الوزراء .

س : هـــل احطتم الادارة علما بافتتاحكم هـــذه الجلسة التي هي الاولى من نوعها بالمجرى ؟

ج : نعم احطتهـــا علماً بطريق المكاتبـــة ، وطلبت من نائبها رئيس اقسام الحكومة الحضور لجلستنا ، ولكن لم تسمح له الظروف الحالية بالحضور ...

هذه الرسالة

قفوا عندها!!

هذه الرسالة كتبها مواطن موريتاني ـ اسود ـ من سكان ضفة النهر الغربية وارسلها الى جريدة « موريتانيا » التي تصدر في سان لويس ، فنشرتها بعد ترجمتها الى العربية ، في عددها الرابع الصادر في ١ شباط (فيفريه) ١٩٥٨ .

ويعتذر الكاتب فيها عن امرين، اولا لكتابتها باللغة الفرنسية نظراً لضعف ثقافته العربية ، وثانياً لارسالها مغفلة من توقيعه الصريح بسبب النقاط الحساسة التي تثيرها ، والتي تمس اكثر من فريق محلي ـ فرنسي . .

ولكي ندلل على اهمية هذه الرسالة نقول : لو ان احداً اقام في موريتانيا والسنغال خمس عشرة سنة ، واراد ان يضع « تقريراً » عن المشاكل الاقليمية العويصة هناك ، لما تسنى له ان يضع مثل هذه الرسالة : وانا الذي اقمت مدة مديدة في الضفة الغربية لنهر السنغال (في بودور ! كبر قواعد النهر واقربها واكثرها تماسا مع موريتانيا) ازكي كل ما تناولته وكل ما ورد في الرسالة المذكورة، لاني عشت حيث تعيش هذه المشاكل الاقليمية الموصوفة بلحمها ودمها وظروفها حتى اليوم !

واخيراً هذه هي الرسالة :

رسالة النهر :

« تفصل موريتانيا عن السنغال، الاقليم المجاور لها ، بنهر السنغال الذي يتكون سكان ضفتيه الطويلتين من نفس الاجناس الآتية :

وُلف OLOF تكارير (توكلور) سرخوللي .

« هؤلاء السودان المستقرون الذين انا احد فلاحيهم ، قسمتهم الجغرافية والتاريخ ، اذ يوجد قسم منهم على الضفة اليمنى للنهر (بموريتانيا) وقسم يكوّن سكان، الضفة الشمالية بالسنغال .

« هؤلاء السودان اقلية في موريتانيا، حيث يكوّنون ربع السكان ، وتتكوّن الارباع الثلاثة الباقية من الموريتانيين البيض فهل السودانيون المستقرون بالضفة اليمنى منجذبون نحو السنغال ؟ وهل تدفعهم مصالحهم لذلك ؟

« ان من يقرأ مقالات بعض الصحف الصادرة بدكار التي تمضيها شخصيات معروفة ، خاصة في اوساط اتكارير ، يميل الى الاعتقاد بان هناك ميلا عاماً لدى السكان المستقرين الى الانضمام الى السنغال ، وان هذا الميل انما تخنقه السياسة المسيرة للموريتانيين البيض . .

« لقد قيل كثيراً عن المعارضة العميقة الموجودة بين البيض والسود المستقرين التي بسببها يميل غير المطلعين الى ان ميل السود الى الانضمام للسنغال ، حقيقة لها اساسها .

« لكن هل توجد في الحقيقة معارضة عنصرية بين الفريقين من سكان موريتانيا ؟ وهل هناك حقاً خلاف في المصالح وفي النفسية بين البيض والسود ، وهل هناك مصالح محققة وروابط بين السود المستقرين بالضفة اليمنى وبين سود الضفة اليسرى ؟

« هذه اسئلة لا يمكن ان يجيب عليها إلا من كان من السكان المستقرين (السود الموريتانيين) . . أو من اقام بينهم اقامة طويلة تمكنه من معرفتهم معرفة واقعية وعميقة (ولنقل الحقيقة كما هي):

« ان سكان بوغي وروسو ، الذين يشكلون قاطنين ما اصطلح على تسميته بـ (شماما) ، معارضون الى حد الثورة لفكرة الانضمام لاقليم السنغال . ولقد اعلنوا ذلك للعموم بواسطة منتخبيهم وعرائضهم التي أمضاها الممثلون الحقيقيون لمجموع طبقاتهم ، كما امضاها معهم بعض الرؤساء وبعض الفلاحين ».

« ولا يمكن لأحد ان يثير الموضوع كذلك بالنسبة لسكان دائرة سيلبابي وان كان هناك من يستطيع ان يثيره ، فانما هم اولئك الذين يثيرون كلا من الجماعتين القاطنتين بالضفتين ضد الاخرى ليصطادوا في الماء العكر . !

« ذلك ان مشاكل الاراضي الفلاحية عميقة ، وراجعة الى عهد بعيد بين الفريقين ، ولا احد من الفريقين يقبل فيها دعوى جاره . .

« بقيت دائرة غرغول (كيهيدي) (ءآهناءآه !) انه موضع طيش حيث الخلاف بين الآراء دائماً حاد ومثله المعارضة الشخصية . فالسكان منقسمون الى فرق متعادية وكل الفرص تبدو ملائمة لاظهار العواطف ، فالانتخاب فرصة لاظهار المعارضة بين الاحزاب وبين الشخصيات . . انهاحرب قائمة . . وللحصول على النتيجة ينبغي ان تستعمل كل انواع الدعاية . !

« وماذا ينبغي للمغلوب ؟ من الممكن ان ينتظر الحملة الانتخابية المقبلة ليعيد الكرة . . ومن الممكن ايضاً ان يتعهد الهيجان باختيار اي موضوع كان ومن باب اولى ليتمتع بتأييد الاقليم المجاور ، وهكذا . . يظهر لنا كيف نشأموضوع الانضمام العجيب . غير اننا اهل ارض؛ والذي يهمنا قبل كل شيء هو انتظام فيضانات النهر ، وانتظام الامطار . واكثر ما يمكن ان تحرثه من الارض في مأمن من دعاوى التنافس الواردة من الضفة المواجهة ، والتي لها نفس غرضنا على ان اراضينا بغرغول وفي ليتاما غنية ، وذات مساحة معتبرة . وقد حبتنا الطبيعة سخاء بماجعلنا عرضة للمطامع الموجودة ، سواء من ناحية بو بكر ، او من ناحية سيلبابي .

« الناس هنا يذكرون خلاف ماتام الدموي الذي وقف فيه مدة جيلين سكان ماتام وجهاً لوجه امام فلاحي ليتاما مواقف عنيفة ، وما كاد ينتهي هذا الخلاف حتى خلفه غيره . .

« ونحن اليوم امام خلاف اراضيّ وونبو بدائرة سيلبابي الذي هو من جدول الاعمال . .

(آه) ، كم يتمنى سكان الضفة اليسرى ان يحسموا بانفسهم هذا الخلاف الخطير لمصلحتهم إن استطاعوا التدخل مباشرة ورسمياً بالوسائل التشريعية والعمل السياسي . .

« ولكن هناك الجدود الادارية ومجلس الحكومة والجمعية الاقليمية التي تسهر علينا زيادة على حقوقنا الواضحة التي تقرها المحاكم دائماً ، ليس كل شيء على ما يرام في كيهيدي . . !

« نعم ، لكن المعارضة بين الفرق المحلية لا تعني ان البعض منهم يريد ان يتسنغل (اي ينضم الى السنغال) : يجب ليقع هذا ، ان تصبح حالة ابناء عمنا على الضفة اليسرى مما يغبطون عليه ، ولكنهم في السنغال هم العجلة الاخيرة للعربة ، ونحن لا نتمسك من جهتنا بان نكون تماماً وراء المجرور . . !

وهذا يعني كذلك انه يجب على حكومتنا الموريتانية والجمعية الاقليمية ان تحرص بانتباه على ان نعطى في موريتانيا المقام الذي نستحقه . والحق اننا لا نشتكي ، ولكن التقدم يتوالى ، ونحن نريد ان يكون حظنا غدا احسن ، ونعتمد من اجل هذا على واقعية وصداقة مواطنينا البيض !

اننا نعيش معا منذ زمن طويل وقد جعلتنا قلة اتصالنا غير متعارفين جداً .

ان صدقات شتى تربطنا وكوننا اقلية ، يحمل البيض واجبات نحونا : اننا موريتانيون ونعلنها باعلى اصواتنا ونطلب ان ننال في ارضنا (موريتانيا) حقنا المشروع فقط !!

انني من الذين يعتقدون ان هذا الحق سيصبح غدا احسن منه اليوم ، ويعتقدون اننا لا يمكن ان نجد في السنغال ـ حيث لا نمثل الا قطرة ماء في بحر ـ نفس المزايا ، اللهم الا ان يتعلق الامر بحاجز وهمي !

تعقيب على الرسالة :

ينبغي الوقوف طويلا على جميع النقاط التي وردت في هذه الرسالة ، لأن فيها من الواقع ـ المحلي ـ والحقيقة شيء كثير ! واهم ما ننصح به المسؤولين في الجمهورية الاسلامية الناشئة ان يأخذوا بعين الاعتبار قضية السكان « السود » الذين ، والحق يقال ، تربطهم بابناء البلاد « البيض » لا صدقات شتى فحسب

ـ كما تقول الرسالة ـ بل « اعتبـارات » شتى ، على المسؤولين ان يعوهـا ويدركوها ! وان عليهم حقاً واجبات نحو اولئك المواطنين السود المخلصين ، لا بصفتهم « اقليـة » ، بل بصفتهم عنصراً آخر من اطيب العناصر ينبغي كسبه بسياسة حكيمة تشعرهم انهم مواطنون لا رعايا . .

وهنا ننصح هؤلاء الاخوان السود ـ وهم اقلية ـ أن « يستعربوا » عاجلا ما وجدوا الى ذلك سبيلا ، فكلما (حسنت عروبتهم) كان ذلك ادعى واسرع الى حل مشكلتهم ـ كعنصر ـ وأعجـل على اعتبارهم مواطنين عرباً موريتانيين ، فموريتانيا ذات واقع قومي عربي ولو كره بعض الكافرين ! . .

تصريح جريء للسيد مختار انجاي :

فيما كانت الايام تتمخض في افريقيا السوداء ـ عام ١٩٥٩ ـ عن امور سياسية عديدة ، اهمها النزعات الاستقلالية ، ادلى سيد مختار نجاي رئيس المجلس الوطني الموريتاني بالتصريح التالي لمندوب جريدة « شنقيط » المغربية[١] .

سأله المندوب :

ـ ما هو اتجاه سياسة موريتانيا في هذه الفترة الراهنة ؟

ج ـ ان موريتانيا وضعت ثقتها في مجلسها الوطني الذي انتخب في مـايو الماضي (١٩٥٨) لمدة خمس سنين . والمجلس هو الذي عين الحكومة ولا يمكن للحكومة الا ان تسلك الاتجاه الذي يريده المجلس .

س ـ ولكن ما هو هذا الاتجاه ؟

ج ـ الذي نريده من الحكومة هو ان لا تفعل شيئاً الا باذننا ، وان تشاورنا في كل امر مهم ولا سيما فيما يخص القروض . كما نطلب منها ان تترك حرية العمل لكل من الحكام الفرنسيين ليتعاونوا مع النواب وقادة الجيش الفرنسي .

س ـ علمت انكم فيما قبـل كنتم تدعون إلى الانضمام الى « مالي » وانكم اتصلتم بقادته في دكار وصرحتم بذلك تصريحاً نشرتـه جريدة « باري دكار » .

---

[١] ـ العدد ٢ الصادر في ٤ ديسمبر ١٩٥٩ .

وسمعت فيما بعد انكم اليوم لا تعارضون ضم موريتانيا الى منظمة الصحراء الفرنسية ، فما هي الحقيقة في هذا كله ؟

ج ـ لا شك انكم تعلمون انني سنغالي من اهل سان لويس ، وبالطبـع فاني اميل الى قومي الزنوج واود لو كنت معهم في دولة واحدة (كذا) ، وقد حاولت ذلك في المدة التي قلتم ، لكن لما طلب مني حزب التكتل ان اعين النواب برغبتي الخاصة ووافقوني على اسقاط محمد عبدالله بن الحسن وابقاء سيد لحبيب وصديقي الخاص محمد حاج صمب باه في الحكومة . . . وباختصـار حينما تركوا كل شيء بيدي ، تركت لهم اتحاد « مالي » ، واما ما يتعلق بمنطقة الصحراء الفرنسية ، فقد عارضتها اولا ، ورضيتها ثانيا ، واعارضها اليوم لاني رئيس المجلس ، فمعارضتي لها اليوم معارضة قانونية فقط ، ففيها خطر من هـذه الناحية لكني لا اتعرض في استثمارها للمعادن .

س : متى يبتدىء استغلال معادن موريتانيا ؟ وما هي الفائدة التي سيجدها الشعب الموريتاني من هذا الاستغلال ؟

ج ـ اما معادن النحاس في اكجوجت ، فقد ابتدأ استغلالها منذ عدة سنين ، وفيها منفعة كبيرة لانها تستخدم قرب مائة عامـل ، وهؤلاء العملة صوتوا كلهم معنا لانهم داخلين في نقابة المسيو لامنير رئيس الشركة الذي يطرد كل عامل لا ينهج سياستنا .

ونحن الان ننتظر ابتداء العمل في معـادن الحديـد في فوركور ، وكان من المقرر ان يبدأ العمل عام ١٩٥٥ ، ثم اخر الى عام ١٩٥٦ ، واجل بعد ذلك الى سنة ١٩٥٧ ، ولكن تقرر ارجاؤه لفاتح يناير عام ١٩٥٨ . ولم تسمح الظروف بذلك . وانتظرنا عام ١٩٥٩ ويظهر انه الى الان لم يجر اي عمل . غير انه من المحقق ابتداء العمل فيها عام ١٩٦٠ ؟ . .

س : ما هو نظركم في موقف المغرب وموريتانيا ؟

ج : المغرب يظن ان موريتانيا جزء منه وقد تكررت طلباته وادعاءاته ، لكن الحكومة الفرنسية لما علمت بذلك بعثت مندوبا خاصاً عنها ، واتى الى مدينة اطار

ابناء الصحراء المغربية – الموريتانيون – في مظهر من مظاهر الولاء الكبير لجلالة الملك محمد الخامس في زيارة للحدود المغربية – الموريتانية في العام الماضي. صورة حسية نهديها لمختار نجاي والقائلين قوله في موريتانيا !..

وصرح بان فرنسا تعارض موقف المغرب من قضية موريتانيا ، ومن المعلوم ضرورة أننا نعارض ما عارضت فرنسا ، ونرضى بما رضيت وبذلك اوصانا والدنا قبل وفاته بيوم واحد ! (كذا).

نظام الحكم في شنقيط :

كان نظام الحكم في شنقيط قبل الاحتلال الفرنسي يقوم على وجود امارات ، لكل امارة حدود معروفة ، وقبائل تابعة لها : وهي امارة الترارزة وامارة ادرار ، وامارة البراكنة ، وامارة تاكانت ، وامارة الحوض . وكان كل امير يحكم امارته باستقلال عن بقية الامراء الآخرين .

ومن اعرق هذه الامارات امارة الترارزة ، وامراؤها ينحدرون من العالم والمجاهد الشهير السيد علي شنذوره .

وقد ظلت هذه الأمارات قائمة بعد الاحتلال بعد ان جرد الامراء من جميع سلطاتهم ، واصبحوا رؤساء اداريين مسؤولين أمام الولاة الفرنسيين . وقد تمرد بعض الامراء على هذا الوضع . ولكن بعضهم الآخر ظل يتعاون مع الفرنسيين تعاوناً شبيهاً بما كان بين المستعمرين وبعض الباشاوات الكبار في المغرب قبل الاستقلال واليوم ، وبعد ان اعترف لاقليم شنقيط باستقلال داخلي ، تقوم فيها حكومة هي حكومة الجمهورية الاسلامية الموريتانية وهذه الجمهورية الاسلامية يرأسها كما هو معلوم الجنرال ديغول الذي زار شنقيط عام ١٩٥٨ على سير سياسته هناك ..

والحكومة القائمة حالياً في موريتانيا يرأسها السيد بن داده ، ويكفي لأخذ صورة عن هذه الحكومة ان وزير الداخلية فيها – فعلا فرنسي – هو المسيو (بورغارال فرانسه) وهو مستعمر عريق ، فقد كان يحكم موريتانيا منذ سنة ١٩٣٦ ولا يكفي لدحض هذه الحقيقة ان المسيو (بورغارال) يتستر اليوم تحت اسم (مدير) الداخلية وانه يترك شرف حمل لقب وزير الداخلية للسيد بن داده ليضمه الى لقبه كرئيس للحكومة .

الجنرال ديغول في نواكشوط يحيط به اركان الحكومة الفرنسية والموريتانية وذلك اثنـاء زيارته لعواصم افريقيا الغربيه سنة ١٩٥٨ .

فالحقيقة ان المتصرف تصرفاً مطلقاً في امور الداخلية في اقليم موريتانيا هو لمسيو (بورغارال) نفسه ، يعاونه بعض الموظفين الفرنسيين كمديرين ، امثال بيلاندر ، وبدويا ، وفاسكي ، وفوزي ، وغيرهم . وهؤلاء هم حكام البلاد الفعليون ..!

ويلاحظ بصفة عامة ان الوضع الرسمي لا يختلف الآن في اقليم موريتانيا عما كان عليه في المغرب قبل الاستقلال ، فقد كان هناك وزراء مغاربة، وكان بجانب كل وزير مغربي مدير فرنسي ، يقوم بالدور الحقيقي للوزير تحت لقب مدير .. بل لماذا نذهب بعيداً ونقيس الامور على سوانا ؟ فنحن في لبنان اثناء

الانتداب الفرنسي كان وضعنا الاستقلالي يشبه وضع موريتانيا والمغرب او أشد .. فما ينطبق عليهم الان من ان بعضهم لا يرغب بذهاب فرنسا ، كان ينطبق علينا ومن غير الانصاف ان نحكم على الوضع السياسي في موريتانيا كواقع نهائي . فالقوم واعون على الامور كلها ، والامور دائماً وابداً مرهونة باوقاتها .. فلينتظر اللائمون المخلصون ، وإنا معهم منتظرون ...

المجلس الوطني

اما ما يدعى بالمجلس الوطني ، فانه منتَخَبٌ انتخاباً . ولكن « عمليــة » الانتخاب كانت على غرار عملية التصويت التي جرت في الجزائر لتخيير الجزائريين بين الاستقلال وبين استمرار الاستعمار الفرنسي ، وقد كانت نتائج هذا التصويت كما طبخها المستعمرون الفرنسيون ، واعلنوها على الدنيا ، في وقاحة يحسدون عليها ، ان الشعب الجزائري يختار استمرار الاستعمار . ! وقد احتار العالم اذذاك ، ايصدق ما تدعيه فرنسا ، ام يصدق عينيه وما تنقله الاخبــار في كل ساعة عن الثورة الجزائرية المظفرة ، وعن حوادث الاغتيال والتخريب في المدن الجزائرية ، وعن اخبار المحاكمات المزيفة التي صدرت فيها الاحكام مقدماً وهي احكام لا تقتصر على السجن او النفي ، بل تتعداها الى المشنقة والى اطلاق الرصاص .. ؟

كذلك بالضبط كان انتخاب المجلس الوطني في اقليم موريتانيا تحت حراب الاستعمار الفرنسي ، وفي حراسة الجنود الفرنسيين ..

واقليم موريتانيا كما هو ينقسم الى عشر مقاطعات . ولكن الفرنسيين — لحاجة في نفس يعقوب — ادمجوها جميعاً عند الانتخاب في مقاطعتين اثنتــين فقط ، وتكونت لجنة لهم لتضمن النتيجة المتوخاة ، وقد كان رئيس اللجنة بطبيعة الحال — فرنسياً — كما كان جل اعضائها فرنسيين ..

وهكذا ضمن الفرنسيون مقدماً الحصول على العــدد الكافي من الاصوات لانتخاب الموالين لهم والمؤيدين لسياستهم ليمثلوا سكان موريتانيا فيما يسمى بالمجلس الوطني ..

الاستفتاء .

في اليوم الثامن عشر من شهر اكتوبر ١٩٥٨ اجري في موريتانيا كما اجري في غينيا الاستفتاء حول دستور الجنرال ديغول ، وقــد كان من المعلوم مقدماً ان التصويت لصالح الدستور معناه قبول البقــاء في حظيرة الجامعة الفرنسية ، اي الاستعمار الفرنسي ، وان التصويت ضده معناه الاعلان عن الرغبة في الاستقلال .

وقد كانت الحركة الوطنية في غينيا اكثر تنظيماً فاستطاعت غينيــا ان تقول للاستعمار الفرنسي في صوت واحد « لا » وكانت « لا » هــذه المفتاح السحري الذي حصلت به غينيا على استقلالها ، واصبحت في ظرف وجيز دولة يحسب لها حساب كبير ، ويخطب ودها ، وتلعب دورها في السياسة العالمية (١) .

اما في موريتانيا فقد كانت الحركة الوطنية اقل تنظيماً من جهــة ، وكانت الاعيب الحكام الفرنسيين المحليين اكثر دقة ومهارة من جهة اخرى .

ومع ذلك فقد كان اربعون الفاً من المسموح لهم بحق المشاركة في الانتخاب ، ضد الدستور الدوغولي ، واصدرت جمعية العلماء تحت رئاسة العالم الجليل السيــد محمد سالم بن الما ، فتوى تحكم فيها بردة كل من صوت لصالح هذا الدستور اي لصالح البقاء في حظيرة الجامعة الفرنسية ، وقد هدد الفرنسيون العالم السيــد محمد سالم بن الما بالسجن ، فكان جوابــه ان قال : (ربِّ السجن احب الي ممــا يدعونني اليه) . . !

ونستطيع ان نصدق هذه النتيجــة التي اعلنها الفرنسيون اذا كنا نستطيع ان نصدق ان الشعب الجزائري قد قال هو الاخر للاستعمار الفرنسي « نعم » ..

واذا كان لنا ان نصدق ذلك ففيم اذن هذه الحروب الضروس الطاحنــة ، وهذه الضحايا ، الكثيرة ، وهذه الضجة العالمية التي اصبحت الشغل الشاغل للمحافل السياسية الوطنية والاقليمية والدولية ؟

لقد كذب الاستعمار الفرنسي على موريتانيا ، كما كذب على الجزائر ، وكمــا كذب بالامس على المغرب عندما زعم ان نفي جلالة الملك محمد الخامس وتنصيب

---

(١) اذيع مؤخراً ان الشيخ احمد توري رئيس الجمهورية قد قرر جعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية في غينيا الى جانب الفرنسية إرضاء لرغبات الاكثرية المسلمة من السكان .

د بن عرفة ملكاً على المغرب لم يكن الا تنفيذاً لرغبة الشعب المغربي ..!

وقد عرف الشعب المغربي كيف يرد على هذه الكذبة الفاضحة رده التاريخي عروف ، وسيكون الامر لا محالة بالمثل من ذلك في اقليم موريتانيا انعاجلا وان جلا ، ويومئذ سيعلم العالم كله ان الرغبة الحقيقيـة انما هي في الاستقلال اولا ، كييف مصيرهم على النحو الذي يحقق امانيهم القومية يومئذ ، وبكامل الحرية لمتهم الفاصلة النهاية ، وهي انهم مغاربة، وانهم عرب وانهم لا يرضون بمغربيتهم بعروبتهم بديلا كيفما تقلبت الظروف ..!

المسألة الاتحادية

بين دعاتها ومعارضيها

ترجع المسألة الاتحادية ـ بين موريتانيا والمغرب ـ الى زمن غير بعيد : بدء الحركات الاستقلالية في افريقيا سنة عام ١٩٥٧ على وجه التحديد ، والتماس كل قطر ما يناسبه من علاقات الجوار التي تتخذ في المدى المتطور شكل اتحاد اقليمي اولا ، ثم وحدة كيانية سياسية دائمة بعدئذ...

والتفتت موريتانيا ، فوجدت نفسها في خضم افكار اتحادية مستعجلة .. وما من دعوة الا وعنـدها من الحجج والذرائع للترويج الى فكرتها القدر اللازم مما يناسب المقام ..

والشعب الموريتاني ، عالمه وجاهله ، كبيره وصغيره يعلم حق العلم اين توجد مصلحته بدون اي جـدال. ولكن الاحوال السياسية من استعماريـة واقليمية ، جعلت بوسائلها الجهنمية الخاصة العديـدة من اكبر حقيقة واوضحها موضوعا قابلا للجدل والاخذ والرد .!

ولكن الحقائق الصافية كالشمس ، مهما تراكمت عليها وحولها الغيوم ، لا بد ان تتبدد يوماً ما ، وتعود الحقيقة ـ الشمس الى الظهور ، ويعم النور .

والمسألة التي نحن بصددها الآن لها دعاة ، ولها مناهضون ، واي حق في الدنيا ليس مقابله باطل مضاد ؟..

ان الموريتانيين جميعهم حكومـة وشعبا امام مسؤولياتهم من هـذه المسألة ، فليس لهم منـاص من الوقوف في طرفيها المتقابلين ، والتلاقي في معركة حرب باردة او حاميـة اذا اقتضى الامر ! لا نقول ذلك من قبيـل تحريض فريق على

يق ، ولكن لاجل التبصر جيــداً ، والاحتكام الى المنطق السليم ، فلا يهدروا تهم وحيويتهم في خصام لا يحتاجون اليه اذا حسنت النيات وعظم الاخلاص، لوتفعت الاعتبارات القومية والتاريخية ، وحتى الترابية، فوق كل اعتبار !

زعماء السياسة « المغربية »

نشطت الدعوة الاتحادية مع المغرب منــذ عودة الملك محمد الخامس من منفاه صول بلاده على الاستقلال التام ، في ٢ مارس سنة ١٩٥٦ ولجوء جماعة من ريتانيين اليه عقب قيام الجمهورية الاسلامية الموريتانية .

ففي تاريخ سُجِّل لاهميته باليوم والشهر ، هو يوم ٢٨ مارس (اذار) سنة ١٩ ، وفد على الملك المغربي بقصره في الرباط اربع شخصيات موريتانيــة ، مت بين يديه على صورة « بيعة » ولاءها وولاء بلادها الى العرش المغربي من استكمال وحدة المغرب باسترجاع حدوده التاريخية والطبيعية .

وتتألف هذه البعثــة الموريتانية من الامير محمد فال ولد عمير ، امير الترارزة سأ ، ومن السادة : محمد المختار ولد اباّه ، وزير التعليم ، ــ يومئذ ــ في الحكومة ريتانية ، وسيدي بابا وزير التجارة والصناعة والمعادن (يومئذ ايضاً) والشيخ ادو رئيس الشبيبة الموريتانية ، اعضاء .

خطاب محمد المختار

وبعد ان رحب جلالة الملك باعضاء هذه البعثة القى السيد محمد المختار ولد اباه يدي جلالته خطابا جاء فيه :

« كيف لا نشعر بسرور عميق حين نقف بين يدي جلالتكم هذه الوقفــة ريخية التي سيكون لها اثر عظيم في مستقبل هذه البلاد التي قدمنا منها والــتي لم تحت سيطرة الاجانب وتحت نفوذ الاستعمار ؟

« اننا على يقين من ان جلالتكم ستبذل مجهوداتهــا وما لها من الوسائل في ير هذه المنطقة من وطننا العزيز ، حتى يصبح شعب موريتانيا مديناً لكم ببعث

تاريخه المجيد ، الامر الذي ينسجم بين المرء والعمل الصالح الذي يقوم به ..

« واول شيء فرضناه على انفسنا القيام به ، هو تقديم البيعــة لجلالتكم الكريمة كما فعل آباؤنا واجدادنا من قبــل في حق اعمامكم وآبائكم الطاهرين الكرام . فنحن بعملنا هذا تابعون لا مبتدعون ، ذلك حفظاً منــا على تقاليدنا العربية الاسلامية وتمسكا بالعهود التي هي في صميم عقيدتنا الدينية ، والتي لا بد ان تكون مقرونة بمستقبلنا ، كما كانت مقرونة من قبل بماضينا .

« ان الموريتانيين يا صاحب الجلالة ، يرون في شخصكم الكريم اماماً عادلا بكل ما تحمله هذه الكلمــة من المعنى الصحيح ، ويرون فيكم قائد اعظم حركة عرفها مغربنا العزيز في نهضته الشريفة ، وانطلاقه من ربقة الاستعمار البغيض .

« ويمكننا ان نقول لكم يا صاحب الجلالة بكل تأكيد ان القطر الشنقيطي لا يمكنه بحال من الاحوال ان يعرف الاستقرار والراحة والطمأنينة ، الا بعد تخلصه من الرق الذي يعيش فيه حالياً ، والاعتراف له بحقوقه الثابتة التي جعلت له من لدن تاريخه البعيد » .

خطاب جلالة الملك

وقد رد جلالة الملك على هذا الخطاب بالخطاب التالي :

الحمد لله :

« يسرنا كثيراً ان نستقبلكم في هذا اليوم المبارك ، وان نستمع الى العبارات الرقيقة التي تعربون بها عن اخلاصكم للوطن وولائكم للعرش، وتجددون لنا فيها البيعة باسمكم واسم سكان موريتانيا الاوفياء .

« واننا نرحب بكم ، ونتمنى لكم بين ظهرانينا مقاماً حميداً ونؤكد لكم ما انتم متأكدون منه سلفاً وهو انكم لستم هنا اجانب ولا ضيوفاً فليس المغرب الا وطنكم وليس سكانه الا اهلكم وعشيرتكم .

« اننا لم يكن يخامرنا شك في تعلق اهل موريتانيا بنا، وحنينهم الينا . فمنذ قرون طويلة ونحن وايا كم شيء واحد الف قلوبنا الاسلام ، ووحدت السنتنا اللغة وجمعتنا

سلالة واحدة وعوائد وطبائع متشابهة وضمنا جميعاً وطن مشترك بيننا : هذا المغرب العزيز :

« ولقد اتى علينا حين من الدهر طغت فيه على بلادنا عوامل خارجية فمزقت وحدتها وقسمتها الى شمال وجنوب وصحراء ومناطق اخرى مختلفة الاسماء والتبعيات . ولكننا بدأنا اليوم – والحمد لله – نجمع الشمل ونوحد الكلمة ونصل ما أمر الله به ان يوصل ، ولقد صادف وصولكم الينا وقتاً اشتد فيه اهتمامنا بحدود بلادنا واسترجاع الاجزاء المغتصبة منها بغير حق . ولا ينازع أحد في ان الحدود الحالية ليست تاريخية ولا طبيعية ولا تطابق الحدود التي كانت للمغرب سنة ١٩١٢ ومن الطبيعي وقد استعادت بلادنا استقلالها ان تسترد ما اقتطع منها بعمل الغير وبدون استشارة سلطتها الشرعية ولا موافقتها .

« واننا نكرر لكم ما قلناه للوفود التي جاءت من مختلف جهات الصحراء لتحيتنا بقرية المحاميد من اننا نطالب بكل ما هو ثابت لمملكتنا بشواهد التاريخ والجغرافية ورغبات السكان .

« اننا نرغب في حل هذه المشكلة عن طريق مفاوضات نأمل ان تكون مقرونة بحسن التفهم والاستعداد . ولن نتوانى بحول الله في العمل على ارجاع الحق الى نصابه من الجهات الموريتانية التي يعد وجودكم هنا برهاناً ساطعاً على رغبة سكانها في احياء الروابط التي احكمها التاريخ ، والتي لن يزيدها المصير المشترك الا رسوخاً ومتانة » .

وعلى الاثر اعلن الامير محمد فال ولد عمير امير الترارزة والمستشار الاقليمي لموريتانيا امام جلالة الملك ، انه يتنازل عن جميع السلطات التي ورثها في بلاده عن آبائه واجداده منذ قلدهم اياها السلطان المولى اسماعيل ، ولكن جلالة الملك تفضل فاعاد اليه لقب الامارة وكلفه بنفس المهمة التي كان يقوم بها . »

ولما انتهت هذه المقابلة الملكية توجه اعضاء الوفد الموريتاني الى مكتب السيد احمد العلوي رئيس قسم الصحافة بالديوان الملكي ، وعقدوا مؤتمراً صحفياً حضره جمع كبير من ارباب الصحافة المحلية والدولية . ومراسلي وكالات الانباء اجابوا

فيه عن مختلف الاسئلة التي القيت عليهم بهذا الصدد ، وكانت في جملتها تكريس جميع الممكنات المادية والسياسية لاعادة موريتانيا الى واقعها التاريخي .

خطاب احمد بلفريج

ثم تتابعت مناسبات العمل لخدمة اغراض هذه السياسة الاتحادية على صور شتى . ففي ١١ ابريل (نيسان) عام ١٩٥٨ القى السيد احمد بلفريج وزير الشؤون الخارجية محاضرة في الدار البيضاء ، حول سياسة المغرب الاستقلالية والدولية ، وتحدث عن العراقيل التي يضعها الاستعمار الاجنبي في طريق استكمال الحرية وتوحيد اجزاء الوطن المغربي ، فقال :

« ان الصحراء التي تقع جنوب المغرب جزء لا يتجزأ من المملكة المغربية ، يشهد بذلك تاريخ المغرب .. وسكان الصحراء لم يكن لهم انتساب لغير المغرب ، وهو بحكم جنسهم ودينهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم لا يختلفون في شيء عن مجموع الشعب المغربي . وليس اقوى حجة من رغبة السكان انفسهم التي عبروا عنها غير ما مرة ، رغم الضغط الاستعماري الذي لا تزال تخضع له تلك المناطق . ولعل من اقوى الحجج على مغربية مناطق الصحراء الاتفاقات الدولية الحديثة العهد ، والاتفاقات المغربية الفرنسية نفسها التي تثبت مغربية مناطق الصحراء .. وقد ارتأى جلالة الملك اخيراً ان يكلف وزارة الخارجية بدراسة وافية للموضوع ووضع تقرير مفصل عن المشكلة يستعرض حجج المغرب القانونية والدبلوماسية والتاريخية التي تثبت مدى امتداد حدود المغرب في اطراف الصحراء المغربية . وقد قدمت الوزارة هذا التقرير الى جلالة الملك ، ثم اقتضى نظره السامي ان يؤلف لجنه واسعة لابداء رأيها في هذا التقرير ، حتى اذا وضعت مشكلة الحدود في اطارها الرسمي ، كانت وجهة نظر المغرب مستوفية لجميع الحجج لتدخل في مفاوضات مع الجانب الفرنسي في اللجنة المشتركة .

« ان فكرة وحدة المغرب العربي ليست بجديدة على حزب الاستقلال ، وانما هي فكرة يؤمن بها اعضاؤه منذ ايام الكفاح الاولى ، وهي مستمدة من الوضع

عرافي واستمرار التاريخ المشترك الذي يربط بين اجزاء هذا الوطن المغربي حد.. ان العصر الحديث عصر تكتل، وان سياسة التكامل والتكاثر والتضامن *بين الاقطار هي السياسة الرشيدة التي تحاول اجزاء من العالم في الشرق والغرب ان تسير عليها ، واستجابة لكل ذلك رأى الحزب ان الوقت قد حان لاخراج الفكرة* الى حيز التنفيذ العلني ، خاصة انها وسيلة من وسائل العمل المشترك لحل قضية الجزائر » .

وبالفعل ، فقد وضع الملك محمد الخامس هذه السياسة الاتحادية مع موريتانيا موضع التنفيذ العلني ، حتى لقد باتت من اولى مطالبه الاساسية في النطاق الدولي، العربي والاجنبي . وفي الرحلة التاريخية التي قام بها الى بلاد المشرق في مطلع عام ١٩٦٠ ، صدر عنه فيها ستة بلاغات رسمية مع رؤساء الحكومات العربية التي زارها ، وفي كل بلاغ منها كان يحرص على ورود العبارة التالية :

« ان موريتانيا جزء لا يتجزأ من المغرب ، ويجب تمكينها من حق تقرير مصيرها بحرية وتحديد مستقبلها طبقاً لمشيئة اهلها المحررة من كل ضغط » .

وبالرغم من ان تحقيق هذه الفكرة يبدو بعيداً لاول وهلة بالنظر لوجود فرنسا حتى الآن في موريتانيا ، وتمكين اصدقائها والمخلصين لها من الحكم والسيطرة ، وزرع الخوف في نفوس الشبيبة والعناصر الوطنية التواقة فعلا الى هذه الوحدة ، بالرغم من ذلك ، فاّنا لا نظن أن ثمة شيأ بعيداً على ارادة الشعب متى اراد ..

اذا الشعب يوما اراد الحياة   فلا بد ان يستجيب القدر

وجميع الدلائل السياسية الان ، تشجع على القول بانه لن يمضي وقت طويل حتى نسمع ان موريتانيا صارت جزءا لا يتجزأ من المغرب .. وان غدا لناظره قريب!

بيان الملك بعد عودته من المشرق

كان لزيارة الملك محمد الخامس الى العالم العربي صدى قوي في العالم ــ وخصوصاً العالم الغربي ــ لكثرة ما كانت غنية بالتفسيرات والبيانات وعلامات الاستفهام السياسية .. ولا نخطيء الرأي اذا قلنا ان القضية الموريتانية كانت ابرز

مواضيع هذه الرحلة المشرقية . وقد ختمها الملك ببيان صدر عنه في الرباط وجهه الى شعبه بعد عودته في مساء الثاني من شهر مارس (اذار) عام ١٩٦٠ ، الحالي ، *وهذا نصه :*

« رعايانا الاوفياء :

ها نحن عدنا اليكم في حفظ الله ورعايته بعدما تغيبنا مدة شهر في رحلة قمنا بها الى المشرق العربي . وقد ابينا الا ان نتحدث في نهايتها ، كما تحدثنا في بدايتها ، اليكم انتم الذين كانت تتجه اليكم افكارنا ويشتاق اليكم فؤادنا ونخصكم بالمكان الاول في دعواتنا وابتهالاتنا في العتبات المقدسة في تلك الديار .

« ونحمد الباري جل وعلا الذي وفقنا للوفاء بما كنا نذرنا له، ونحن في المنفى ، من الذهاب مع اسرتنا التي قاسمتنا المشاق الى مكة المكرمة والمدينة المنورة لزيارة بيته الحرام وقبر رسوله عليه السلام ، عرفاناً بمننه وعوارفه والطافه التي تحفّنا في الحركة والسكون .

« وقد ابهجنا ما لقيناه من حفاوة بالغة واستقبال حار، وما تحظى به نهضتنا من تقدير ويتمتع به بلدنا من سمعة طيبة نتيجة السياسة المبنية على الاخوة المتساوية التي نتهجها في معاملة اخواننا :

« وكما كنا حدثناكم من قبل قمنا بهذه الرحلة لنصل رحم الاسلام والعروبة مع اخواننا في الشرق العربي ونتصل بهم اتصالا مباشراً ، ونقوي روابط الاخوة الجامعة بيننا ونطلع على اثار مدنياتهم القديمة ونشاهد مظاهر نهضتهم الحديثة ، ونتعرف على التجارب التي مروا بها .

« وقد اغتنمنا فرصة وجودنا هناك فاجرينا محادثات مع ملوك العرب ورؤسائهم وقادتهم بشأن القضايا التي تهم العالم العربي بصفة خاصة والوضع الدولي الراهن بوجه عام ، ودعوناهم لزيارة هذا الجزء الغربي من الوطن العربي الكبير ، وعززنا الاتفاقات التي امضيناها من قبل مع بعض دولهم باتفاقات اخرى تزيد ارتباطنا قوة واتساعاً واتفقنا على دعم الجامعة العربية واقامة العلائق بين الدول المنخرطة فيها على اساس المساواة واحترام كيان كل منها وتأييد الشعوب العربية

المناضلةفي سبيل حريتها واستقلالها ، وفي مقدمتها الجزائروفلسطين، **وتاكيد الصبغة لغربية لموريتانيا وتعضيد ارادة اهلها في ارجاعها الى المغرب كما كانت قبل السيطرة الاجنبية** . وتبادلنا وجهات النظر في شأن جمـع الكلمة وتوحيد الصف يستطيع العرب مواجهة الاخطار الـتي تهددهم والقيام في الحقل الدولي بالدور لذي يؤهلهم له موقعهم وماضيهم وامكاناتهم والمساهمة بكيفية مجدية في نصرة لحرية وحفظ السلم العالمي .

« كما عرفنا بنهضة بلدنا ولفتنا النظر الى منجزاتنا فقوبل ذلك باعجاب على لفهم العميق لا على المجاملة والمراضاة وجمعنا ونحن في لبنان ، عند نهاية الرحلة ، سفرائنا ووزرائنا المعتمدين في البلاد العربيـة لدرس نتائج الرحلة واعطائهم لتعليمات التي يسترشدون بها في ممارسة المهمات التي أنطناهم بها .

« وكان يبهجنا ما يرد علينا من انباء سارة عنكم ، دالة على نضجكم ووعيكم ومهارة ابننا وولي عهدنا الحسن الذي قام حفظه الله والبسه حلل الرضا بالنيابـة عنا خير قيام .

نسال الله ان يجعلها رحلة مباركة تعود بالخير العميم على جميع العرب والمسلمين ويوفقنا جميعاً لما فيه عز الوطن وسعادته ، انه يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » .

مَشْكلة الحُدوُد

لا يزال عالقاً بالاذهان ما اثارته المنازعات المعقدة حول الحدود بين اللاووس وشمال الفيتنام ، وبين الصين والهند من ظروف انذرت بالحرب بين تلك الدول ، وكادت ان تسفر عن تأزيم الوضع الدولي الذي اخذ ــ بعد تقارب الاقطاب ــ ينفرج ويعتدل .

وغير بعيدة ايضاً خلافات الهند والباكستان والارجنتين والشيلي حول مجاري المياه وقمم الجبال التي تشكل الخطوط الفاصلة فيما بينها ، وقد عمدت السودان الى تقديم شكوى الى مجلس الامن في مطلع عام ١٩٥٨ ضـد شقيقتها الجمهورية العربية المتحدة في شأن الحدود ، كما ان الشعب والحكومـة في الجمهورية العراقية سبق لهما ان طالبا بارجاع منطقة عربستان شرق شط العرب ، وهي اراض كانت تابعة للعراق حتى عام ١٩٣٨ .

اما الحدود التي تفصل بين السنغال والجمهورية الاسلامية الموريتانية فامرهـا يختلف تماماً عن ذلك ، فقد تساهلت الاولى عند التفاوض في شأنها بشكل لم تعرفه اية تسويات تتعلق بنفس الأمر في اية دولة اخرى من دول العـالم ، ويظهر ان الداعي لذلك هو ان السودان أرادت ان تلعب دور الصياد الذي يضع الطعم في رأس السنارة فيقدم للملكة جميلاً لا تلبث ان تدفع حياتها في مقابله ..

القصة بسيطة جداً وهاك ــ ايها القارىء الكريم ــ وجهها تماماً :

لقد رسمت الحدود بين الاقليمين بعد التعديلات الكثيرة الـتي ادخلت عليها خلال الثلاثين سنة المنصرمة بحيث ابعدت الى الشمال قليلا من نهر السنغال ، أي ان الخط الفاصل عوض ان يماشي منتصف النهر ، ويوازي تياره ، ادخل الحوض كله في حوزة دولة واحدة هي السنغال .

وفي النصف الثاني من عام ١٩٥٩ وعلى وجـــه التحديد في يوم ١٤ اكتوبر الماضي حدث ما لم تكن تتوقعه حكومة ابن داده التي اعيتها كل الحيل في السابق في اقناع جارتها ببعض المطالب الجزئية في مفاوضات تخللتها كثير من الحفــلات والولائم والزيارات ، وانتهت هذه المفاوضات الخاطفة الى النتائج الآتية :

يكون الموريتانيون احراراً في الصيد بأي مكان من نهر السنغال .

ومن المتيسر لهم ان يزرعوا ــ نعم يزرعوا ــ بعض المنـــاطق حول النهر المذكور .

وتحقيقاً لذلك تقوم حكومة دكار بالغـــاء جميع القوانين التي تقيد من هـــذا او تحدده كما انهـــا ستبيح للموريتانيين مزاولة الصيد في مياه بحرية تدخل في اقليمية السنغال .

فما السر الذي يكمن في هذا « الكـَرَم » المفرط سيما والاتفـــاق المبرم بين الجهتين لا ينص على تضحيات مماثلة من الجانب الآخر ..؟

ان الجواب عن ذلك لا يوجد في صلب الاتفـــاق ، ولكن يوجد في بعض البيوتات المعتّمة في دكار حيث يقيم زعماء حزب (الاتحاد الموريتاني) الذي ينطق بافكار « مالي » ويترجم غاياتها في موريتانيا ، والذي يعتبر في نظرها الاداة التي ستجعل شنقيط المنطقة الثالثة في المنظومة المـــالية ... وكيف لا تمده السنغال اذاً بتأييدها المطلق ، وقـــد تحول من شرذمة من (الساخطين) كما يسميهم الوطنيون في موريتانيا ، الى حركة نشيطة تحاول الآن ان تجمع حولها النخبة النيرة في البلاد ورجال الحكم وخاصة الوزراء السودانيين وبطانـــة رئيس المجلس الوطني السيد المختار انجاي المولود في سان لويس لتعزل عواطفهم عن المغرب ..

ثم كيف لا تعمد السنغال الى ارضاء السودانيين في موريتانيـــا وهم الذين يشكلون ١٠ في المائة من السكان ، والذين بدأت قناعتهم تستقر عند سلامة طوية مالي ورغبتها في مساعدتهم بنزاهة وتجرد من الاهواء ..

ويظهر ــ اضافة الى ذلك ــ ان اشتمال وفد موريتانيـــا على عناصر سوداء وفرنسية في الاغلب ، قد فتح آفاق (التفهم العميق) التي ذكرناها آنفاً ، فقـــد وجد الى جانب السنغالي سهولة كبيرة في (التلبية) عندما جاءت المطالب على لسان السيدين دادي صامبا دوم وزير الاشغال العمومية والنقل والبريد ، وباصانبا بولي وزير العقـــار والسكنى وشؤون الحضر ، كذلك على لسان مخادعيهم وكلهم فرنسيون ...

ماذا تريد مالي من موريتانيا ؟ وماذا تريد من طائفة معينة من سكانها ؟ انهـــا تعرف معرفة تامة عواطف السكان او اغلبيتهم الساحقة على الاقل ، فهل تريد ان تخلق فيما بينهم ظروفاً من الكره والاشمئزاز والحذر ، شبيهة بما اوجدته انكلترا عند الطائفتين المتساكنتين في قبرص ؟

مهما يكن الامر فان على المغرب المستقل ان يغير سياسته حيال شنقيط ، فيركز اهتمامه في تهيئة اسباب الاستقلال لها ، الاستقلال الذي يعقبـــه تعبير الشعب عن ارادته ــ بمنتهى ما يمكن من السرعة ــ لان الظروف كلها تسير الآن في غير صالح المغرب على ما يبدو . وسيكون المغاربة المستقلون حينئـــذ قد انتصروا ــ اذا هم بادروا ــ لثلاثة ارباع السكان الذين يودون الاتحاد معهم .

الحدود ! الحدود ! مصدر نزاع دائم !

الى اخواننـــا البيض والسود في افريقيا ، نسوق هذه الكلمـــة – التعليق – واحفظوها عنا ، لنا أو علينا للمستقبل ، فان لكم فيها ذكرى وعبرة :

ان الحدود ، ستكون بينكم جميعاً ، عاجلا او آجلا مصدر نزاع دائم ، إلا اذا ارتفعتم في انسانيتكم حيث علمكم دينكم « انما المؤمنون اخوة » ..

ان مسألة الحدود بين كل بلد وبلد ، ستكون محكـّاً لكم على صدق ايمانكم واخوّتكم لبعضكم البعض كما امركم الدين ، ولشد ما نرجو ان تسوّوا خلافاتكم ــ على الحدود ــ بروح اخوية ، (ولا تنـــازعوا فتفشلوا ، فتذهب ريحكم ..) والمستعمر ، يعلم الله ، انه لا ينتظر سوى هذه الساعة السعيدة بالنسبة له ..!

انكم معرّضون ، في عهود الاستقلال الوطنية لنزاعات مريرة عنـــد اقتسام التراب الوطني ، لان المستعمر هو الذي كان يأخذ منكم ويعطـــي كيف يشاء ،

لع من هذا البلد او ذاك قطاعا ، ليدخله في حدود البلد الاخر ، وهكذا ..

لقد تحدثت البرقيات الصحفية مؤخراً (في الشهر الثالث من السنة الحالية) ان كومة غانا ، تتهم جارتها « التوغو » بتنظيم مؤامرة عليها ، وتستعد لايفاد صابات مسلحة لغزو غانا !

يأتي هذا الخبر فيما يتحدثون عن الوحدة الافريقية، ويؤكد رأينا في ان الاقطار لافريقية المستقلة لن تتقارب في عهد الاستقلال اكثر مما كانت في الماضي ، ان الخلاف على الحدود بصورة خاصة ، سيكون سبباً رئيسياً من اسباب نازعها . ذلك ان الدول الغربية ، لما استعمرت افريقيا ، تقاسمتها حسب خطوط رسومة على ورق ، فمزقت عدة قبائل وفرقت بين ابناء العنصر الواحد ...

وعندما تُعطى الاقطار الافريقية اليوم استقلالها ، فانما تُعطى على اساس لحدود التي خططها المستعمر اعتباطاً ، حسب الحدود العنصرية والجغرافية لطبيعية ، خصوصاً وان الفروق العنصرية بين الاسود والاسود ، لا تقل عما هو ائم بين الابيض والابيض .

لنأخذ قضية غانا والتوغو مثلا على ذلك : كانت التوغو قبل الحرب العظمى لاولى مستعمرة المانية ، واقعة بين محمية الداهومي الفرنسية ومستعمرة شاطىء الذهب (غانا) البريطانية . وعند انفجار الحرب زحفت عليها قوات فرنسية بريطانية واكملت احتلالها في آب ١٩١٤ .

وبعد الحرب ، وعقْد معاهدة فرساي ، وضعت عصبة الامم التوغو تحت نتداب فرنسا وبريطانيا ، فتقاسمته الدولتان ، ونالت فرنسا منه زهاء ٥٠ الف كيلو متر مربع ، عدد سكانها اليوم مليون ومئتا الف نسمة ، بينما نالت بريطانيا لبقية ، ومساحتها زهاء ٣٢ الف كيلو متر مربع وفيها نصف مليون نسمة .

واستبقت فرنسا الشطر الخاص بها مستقلاً بادارته ، ولكن بريطانيا الحقت شطرها بغانا . وبعد الحرب الثانية ، تحول الانتداب على الشطرين الى وصاية باشراف الامم المتحدة .

ولما قررت بريطانيا سنة ١٩٥٦ اعطاء غانا استقلالها ، عمدت الى اقناع هيئة الامم بالموافقة على الغاء الوصاية على الشطر البريطاني من التوغو ، وضمه الى غانا عند بلوغها الاستقلال في اذار ١٩٥٧ ، فوافقت الهيئة على ذلك واصبح التوغو اليوم جزءاً من غانا .

اما الشطر الفرنسي فقد حوله الفرنسيون سنة ١٩٥٦ الى جمهورية داخلة في الاتحاد الفرنسي .. غير ان الامم المتحدة قررت في ١٤ تشرين الاول ١٩٥٨ رفع الوصاية نهائياً عن هذا الشطر ، ومنحه الاستقلال التام في سنة ١٩٦٠ .

وقد تحقق الان هذا القرار ، واصبح جمهورية مستقلة ، فكان اول ما اتجهت اليه الحركة الوطنية فيه المطالبة باستعادة الشطر الذي ضمته غانا اليها ، ومن هنا نشأت قصة المؤامرة « المؤامرة المسلحة » التي اعلنت غانا عن اعدادها في التوغو ضدها ، موجهة في الواقع ضد الشطر الذي ضمته من التوغو .. وهكذا ..

المغرب يطالب باستفتاء حر في موريتانيا

لما دخلت سنة ١٩٥٩ ، كانت السياسة الاتحادية التي تعمل لها حكومة المغرب مع موريتانيا قد قطعت شوطاً بعيداً ، واصبحت موضع اهتمام الصحف والاوساط الخارجية . في هذا الوقت ، اي مطلع عام ١٩٥٩ ، اجرى السيد اتيليلو كوديو ، الصحافي الايطالي المختص في شؤون العالم الاسلامي حديثاً مع رئيس حكومة المغرب(١) ، هذا نصه :

س ـ هل يمكنكم يا سيدي الرئيس ان تخبروني ما هي المنافذ التي ترتئيها حكومتكم لحل الخلاف القائم بينها وبين فرنسا فيما يخص المناطق الصحراوية وموريتانيا على الخصوص ؟

ج ـ يكفي للذلك ان يوجه نداء مباشر لاجراء استفتاء حسب ارادة الموريتانيين انفسهم . وفرنسا هي التي تعارض في هذا وحدها في الوقت الحاضر ، ولكن طال الزمن او قصر ، فان الحالة ستتطور لصالحنا . اننا على يقين من حقنا

---

١ ـ كان يومئذ عبدالله ابراهيم الذي اقصاه جلالة الملك محمد الخامس مع اعضاء حكومته في أواخر شهر ايار من السنة الحالية .

ورغبة الموريتانيين كافة في الارتباط بالمغرب الى درجة اننا لا نخشى مطلقاً هذا الاستفتاء الشعبي ولا ما ينتج عنه .

س ـ هل تعتقد يا سيدي الرئيس ان اعلان جمهورية موريتانيا الاسلامية برئاسة السيد مختار ولد داده اخيراً سيحول باي شكل ـ حتى بعد جلاء الفرنسيين عن هذه المنطقة ـ دون تحقيق الارتباط الذي ترغبون فيه ؟

ج ـ ان المختار ولد داده متى ما هجره الفرنسيون ووجد نفسه وحيداً فانه سيكون مضطراً بحكم الاوضاع ، ان يخضع لارادة الشعب..

س ـ هل في نيتكم يا سيدي الرئيس ان تتوصلوا الى ايجاد حل لهذا الخلاف بالطرق السلمية والدبلوماسية او تفكرون في الالتجاء الى القوة ؟

ج ـ ان المغرب لم يلجأ الى القوة ابداً ، والحل سيأتي حتماً احبت فرنسا ام كرهت .

س ـ هل يطالب المغرب كذلك بالساقية الحمراء التي تتولى اسبانيا ادارتها في الوقت الحاضر ؟

ج ـ ان الساقية الحمراء لم تكن ابداً بلداً على حدة . انها جزء من المنطقة الصحراوية الموريتانية ، وان مصيرها يرتبط بكيفية عملية مصير موريتانيا كلها . ان الاسبانيين سيرون انفسهم مرغمين على مغادرة الساقية الحمراء حالما يتم جلاء الفرنسيين عن موريتانيا .

س ـ اذا ما ارتبطت موريتانيا ومعها الساقية الحمراء بالمغرب ، فهل تفكرون يا سيدي الرئيس ان المواد المعدنية في الصحراء الغربية يمكن ان تجعل رهن اشارة الشركات الايطالية التي يحتمل ان تطلبها من الحكومة المغربية على نفس الاسس وبنفس التسهيلات التي اصطبغ بها الاتفاق المغربي الايطالي للبترول سنة ١٩٥٨ .؟

ج ـ انني اعتقد ان هذه المسألة سابقة لأوانها ، في الوقت الحاضر . فمتى اعترف بالسيادة المغربية وسادت في هذه المناطق كما كان عليه الامر في الماضي ، فان كل تعاون اقتصادي مع الايطاليين سيصبح ممكناً كما هو عليه الامر هناك في

المغرب المحرر ـ حتى المؤسسات الفرنسية ان رغبت في ذلك[1] .

***

انهذا الحديث السياسي لمسؤول مغربي كان حتى ذلك الوقت محمود السياسة ، يعتبر تطميناً كافياً للذين يرتابون في نوايا المغرب من موريتانيين انفصاليين واتحاديين.. كما انه يعتبر « تخطيطاً » واضحاً لمستقبل موريتانيا السياسي بعد جلاء الحكم الفرنسي عنها . وليس من المعقول ان يصدر عن المسؤولين في « الجمهورية الاسلامية الموريتانية» اليوم ، اي تصريح يغضب فرنسا ، مادامت داخل البيت.. وان نزع الاستقلال من الاقوياء للضعفاء لا يكون بالسلبية والثرثرة ، بل بالسياسة الايجابية المرنة . ونعتقد ان هذا ما يفعله الرئيس بن داده ، وانه متى اصبح في وضع غير الوضع الحالي ، فسيكون اول الآخذين بالمبادرة المنتظرة التي تتطلبها مصلحة بلاده . ان كل ما يقال ويدور في الصحف والمجالس عن انقسام الشعب الموريتاني في مسألة تقرير المصير ، جميعه سيذوب ويتلاشى عندما يصبح الاستقلال كاملا .. ولنذكر ـ على سبيل المثال ـ ظروفنا في لبنان اثناء الانتداب ، كيف كانت شبيهة بظروف اخواننا الشناقطة الآن .. وكان الشعب اللبناني منقسماً انقساماً شديداً في الرأي فيما يتعلق بالاتجاهات الشرقية والغربية . ولبنان بحكم تركيبه الطائفي كانت مسألته اكثر تعقيداً من مسألة موريتانيا الآن ، ومع ذلك فما ان استقل بلدنا استقلالاً كاملاً حتى تلاشت جميع الاعتبارات «الفرنسية» وملابساتها .. على حين ان فرنسا غير متجانسة مع موريتانيا في شيء مثلها مع لبنان ، كما ان موريتانيا غير متجانسة مع احد مثلها مع المغرب ... ولذلك فنحن مطمئنون !

---

[1] ـ اخذنا نص هذا الحديث من مجلة « شنقيط » العدد ٢ الصادر في ٤ دسمبر ١٩٥٩ .

القضية الموريتانية في الأمم المتحدة

خطاب بن عمير

في الدورة الرابعة عشرة للامم المتحدة، حصلت قضية موريتانيا على قدر من الاهتمام لم تحصل عليه من قبل في الدوائر الدولية .

اثناء المناقشة العامة كان رئيس وفد موريتانيا السيد احمد الطيبي بن هيبة اول متكلم من على منصة الامم المتحدة يوم ٦ اكتوبر ١٩٥٩ عن القضية الموريتانية وعن المناطق الاخرى التي توجد تحت الحكم الاسباني كالساقية الحمراء وسيدي افني ، فكان لخطابه هذا اثر حسن وصدى عميق في الكثير من الوفود ، الشيء الذي جعل الممثل الفرنسي يضطر لاخذ الكلام ليرفض المطالب المشروعة التي قدمها الوفد مع كونه قد اعترف في نفس الوقت بان هناك مشكلة حدود لا تزال قائمة ، وانه تقرر بسببها تشكيل لجنة مختلطة من كلا الطرفين المغربي والفرنسي ، ومكلفة بدراسة الحلول اللازمة .

وعلى اثر هذا الموقف الذي حدد رسمياً في المنظمة الدولية من جانب المملكة المغربية ، لوحظ في الاوساط الديبلوماسية والصحفية بنيويورك ان اهتماماً جديداً اصبح موجهاً الى القضية الموريتانية ، فكان هذا الاهتمام فرصة للوفد المغربي ليقدم عن هذا القطر الجنوبي من المغرب معلومات اخرى اضافية لاولئك الذين يهتمون بصفة خاصة بمعرفة كل الحقائق التاريخية والجنسية ، وبمعرفة مدى تعلق الشعب في موريتانيا بالحرية الكاملة وبالوحدة الشاملة مع اخوته في الشمال .

وامام لجنة الوصاية التابعة للامم المتحدة كانت المشاكل المتعلقة بالساقية الحمراء وافني وموريتانيا موضع مناقشات حادة ، وذلك بمناسبة بحث النقطة المرسومة في جدول الاعمال طبقاً للمادة ٧٣ من ميثاق الامم المتحدة والمتعلقة بتقديم المعلومات عن المناطق الغير المستقلة .

كان يمثل المغرب في هذه اللجنة المختصة ببحث الشؤون المتعلقة بالمناطق

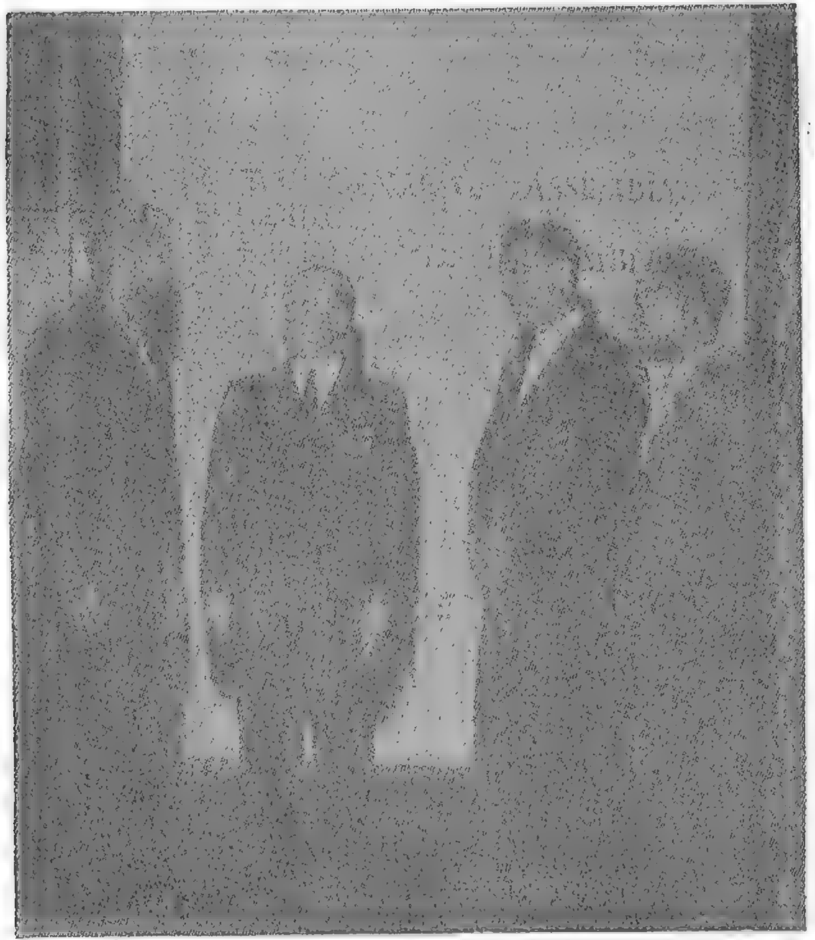

السيد عبد الخالق حسونه أمين عام الجامعة العربية (في الوسط) يتحدث الى رئيسي الوفد الموريتاني الامير بن عمير ، ومحمد المختار بن اباه في أحد اروقة الامم المتحدة ، لدى عرض قضية موريتانيا على المنظمة العالمية سنة ١٩٥٩

الافريقية زعيم موريتاني هو الامير محمد فال بن عمير امير الترارزة . وهناك على منبر الامم المتحدة قال :

« ان المغرب محتفظ بحقوقه الشرعية والتاريخية في كل ما يعتبره جزءاً من ارض الوطن المغربي ، وان ذلك بطبيعة الحال يجري على المناطق التي لا تزال تحت الحكم الفرنسي ـ ولو بصفة غير مباشرة ـ كالقطر الموزيتاني او على المناطق التي لا تزال تحت الحكم الاسباني . وطلب من لجنة الوصاية ان تسجل تصريحه المعبر عن موقف المغرب في مراجع اعمال الامم المتحدة .

وقال : وفي ما يتعلق بما تسميه فرنسا انتخابات في موريتانيا ، فقد اكدنا بكل قوة انه من الغلط الفادح الاعتقاد بان الاستفتاء الفرنسي الذي جرى في السنة الماضية كان وسيلة اعطت للشعب فرصة يعبر فيها عن ارادته ـ فالحقيقة كانت عكس ذلك ، ولهذا اكدنا مرة اخرى ان اكثرية الشعب قاطعت الانتخابات امتثالا لاوامر القادة والرؤساء المخلصين . وان الاغلبية من الذين شاركوا فعلا في هذا الاستفتاء صوتت ضد التبعية الفرنسية متحدية بذلك كل التهديدات التي وجهت الى الشعب من طرف الحكام ، الضباط الفرنسيين واعوانهم .

وقد ذكرنا في تصريحاتنا فقرات من خطاب العرش الذي القاه مولانا صاحب الجلالة محمد الخامس نصره الله بتاريخ ١٨ نوفمبر مستدلين بها ومعتمدين عليها ، والمعلوم ان جلالته قال :

« نحن نسعى لاسترجاع الاراضي التي اخذت من ترابنا الوطني وبسط رعايتنا على افراد شعبنا الذين فصلوا عن وطنهم بغير ارادتهم وبدون موافقتنا وسنواصل السعي في ذلك حتى نصل الى حل مرض يتفق وحقوقنا التي لا غبار عليها » .

ومضى الأمير بن عمير يقول :

وليس من الغريب اذا كان رد الممثل الفرنسي يكتسي صبغة سلبية بالنسبة لموقف شعبنا . فكانت كلماته كلها تعبر عن حب سيطرة بلاده على موريتانيا وجعلها منعزلة كل الانعزال ، ومتجهة اتجاهاً لا تفرضه الا المصالح الاستعمارية وحدها .

« اما الممثل الاسباني وان كانت نظريته مخالفة لموقفنا ، فكان جوابه في غاية الاعتدال ، حيث انه لم يتعد حدود اللياقة ، بل ذهب الى ابعد من ذلك حينما قال ان بلاده تأمل املاً قوياً في ان تحل مشاكل الساقية الحمراء وافني بواسطة المفاوضات المباشرة بين اسبانيا والمغرب ، وعلى اساس الصداقة التقليدية التي تربط بين البلدين ـ هذا ما قاله المندوب الاسباني امام لجنة الوصاية . ونحن من جهتنا لا يسعنا الا ان نرجو ان يكون هذا التصريح فاتحة عهد جديد تعترف فيه الحكومة الاسبانية بحقوق المغرب المشروعة التي لا غبار عليها . حقوقه على ارض مغتصبة كانت منذ اقدم العصور ولا تزال اجزاء من الوطن عزيزة في نفوس جميع المغاربة .

« والشيء الذي يستحق الذكر هو كون المغرب في هذه المناسبة رأى التأييد الكامل من طرف عدد مهم من البلاد الشقيقة العربية منها والافريقية مثل جمهورية غينيا والجمهورية العربية المتحدة والعراق ولبنان وليبيا واليمن . وقد ابى السيد اسماعيل توري رئيس الوفد الغيني لدى الامم المتحدة الا ان يكون هو المتكلم بنفسه في الموضوع لكي يبرهن بذلك على الاهمية التي يريد ان تعطى للقضية الموريتانية بالخصوص ، فصرح بأن بلاده تؤيد تأييداً كلياً موقف المغرب من مسألة موريتانيا ، وانه يطالب بتحرير هذا القطر من الحكم الفرنسي الغير المباشر الذي ما زال يرزح تحته .

والمعلوم ان السيد اسماعيل توري يعتبر من اهم رجالات العهد الجديد في غينيا من حيث شخصيته القوية ونفوذه السياسي الكبير وذلك بالاضافة الى كونه شقيق الزعيم الافريقي العظيم السيد الشيخ احمد توري رئيس الجمهورية الغينية والمعبر عن مواقفه أصدق تعبير .

ومضى بن عمير يقول :

« ومما يسترعي الانتباه هو ان هذا الاهتمام الجديد الذي حصلت عليه القضية الموريتانية في الدوائر الاممية قد كان له تأثير حسن في الاوساط الشعبية في هذا القطر حسب المعلومات التي وصلت الينا اخيراً . وكيف لا وسكان هذا القطر لا يزالون محرومين من نعمة الحرية ومن نعمة الوحدة وذلك في الوقت الذي اصبحت شعوب افريقيا كلها تقهر المستعمرين على الاعتراف لها بكل ما تريده من وحدة

واستقلال ..

« لقــد تشكلت بجنوب موريتانيا دولة جديدة مترامية الأطراف تستعد الان لاعلان استقلالها الكامل ، ومن المحتمل ان تنضم اليها اقطار اخرى من التي كانت تسمى في الماضي بافريقيا الغربية الفرنسية . فوحدة افريقيا اذن تسير سيراً طبيعياً رغم كيد الكائدين في الداخل وفي الخارج .

« وبعد قيام هذه الدولة « دولة مالي » ستبقى ارض موريتانيا المستعمرة واقعة بين دولتين افريقيتين تجمعنا باحداهما الحضارة العربيــة العريقة واللسان العربي ، والتاريخ والنسب ، بينما يجمعنا بالاخرى عهد الحكم الفرنسي خمسين سنة مضت ، وذلك بالاضافة الى حسن الجوار وروابط الصداقة والمحبة بيننا .

« وامام هذه الحقائق ، حقائق موريتانيا وعلاقاتها ، هناك شيء بسيط تفرض علينا ضمائرنا ان نلفت اليه انظار السيد المختار بن داده وانصاره وهــذا الشيء يتلخص في ما يلي :

« اذا القينا نظرة الى الخريطة الافريقية نلاحظ ان المسافة التي تقع بين مدينة دكار والحدود الشرقية لدولة (مالي) تزيد بكثير على المسافة التي تقع بين حدود موريتانيا الجنوبية ومدينة مراكش عاصمة المرابطين ..

« وكذلك اذا نظرنا بكل نزاهــة الى العوامل والعناصر التي دفعت الى تكوين اتحاد ثم وحدة بين السودان والسنغــال تحت اسم « مالي » فنرى انها وان كانت ايجابية الى حد بعيد لا تبلغ درجة القوة الموجودة في العوامل والعناصر التي تستوجب هذه الوحدة التي نطالب نحن بها بين موريتانيا والمغرب المستقل .

« ان في « مالي » ديانات وشعوبا متعددة ولغات قومية متعددة ايضاً بحيث ان اللغة الفرنسية وحدها هي التي اصبحت لغة التخاطب بين السودانيين والسنغاليين. وهذا بخلاف ما هو واقع حالياً في موريتانيا والمغرب المستقل ، اذ ان هذين القطرين تجمعهم عقيدة دينية واحدة وثقافة واحدة ولسان عربي واحد وهذا نعتقده يكفي لاقناع كل من يزيد ان يعرف واجبه المقدس وكل من له ضمير وطني صحيح » .

الى من يهمم الامر في نواكشوط ..

لا نريد ان نضيف اية اهمية أو قيمة من عندنا لهذا الخطاب المبــين ، لأنه لا يحتاج في نظرنا الى اكثر مما هو بالفعل .. ونحن نكتفي فقط بتقديمه من جديد الى الذين لم يصلهم في المشرق والمغرب ، والى الذين يهمهم ولو من قبيل «الاطلاع» امر مشكلة عربية افريقية واضح فيها جانب الحق وضوح الصراط المستقيم! ونريد من جهتنا ان نقول لاخواننا اصحاب العلاقة في موريتانيا وعلى رأسهم الرئيس بن داده نفسه، الذي نجله ونحترمه ونأمل منه كل خير: أنْ حكّموا العقل والمنطق في سلوككم السياسي ، ولا تحكموا الهوى والغرض فتضلوا ضلالاً مبينـا . ان المتكلم واحد من كباركم وزعمائكم المخلصين الذي لا نعتقد ان مسألة تقرير المصير تهمكم اكثر مما تهمه ، أو ان احداً منكم يعرف عن واقع المشكلة أوسع مما يعرف.. إنه يقول لكم ، والبلاد بلادكم تعرفونهـــا كما يعرفها ، إنه يقول لكم « انظروا الى الخريطة الافريقية ولاحظوا المسافة بين دكار والحدود الشرقية لدولة « مالي » ، وبين المسافة التي بين حدود موريتانيا الجنوبية ومدينة مراكش عاصمة المرابطين» . انظروا الى هذا ، وانظروا معه الى عوامل « وحدة العنصر » بالاضافة الى وحدة التراب ، وقرروا مصيركم .. إن الحجة قائمة عليكم ونحن في المشرق لا غاية سياسية لنـــا ولا مطمع ، اللهم إلا مطمع الاقتراب منكم والاتصال الروحي بكم . وهذه الغاية الغالية لن تكون لنا ولكم ، إلا اذا عدتم لوطنكم الأم ، الى المغرب !

مشكلة أفني[٧]

في مطلع عام ١٩٥٨ ، طرأت اعمال عنف شديدة من قبل السلطات الاسبانية على منطقة افني الموريتانيه ــ المغربيــة ، وذلك من جراء اظهار السكان رغبتهم بالتحرر من النير الاسباني ، والانضمام الى الوطن العربي الام ، الى المغرب . وقد تجلت اهمية هذه المشكلة في المذكرة الرسمية التي سلمتها وزارة الخارجية المغربية الى الهيئات السياسية المعتمدة في الرباط . وفي ٦ اذار (مارس) سنة ١٩٥٨ عقد السيد احمد بلافريج وزير الخارجية المغربية مؤتمراً صحافياً وادلى بالتصريح التالي :

منــذ زمن طويل وجلالة الملك وحكومتــه مهتمان كل الاهتمام بالحالة في منطقة افني .

انكم تعلمون ان الاصل في نظام افني يرجع عهده الى سنة ١٨٦٠ . فالمادة الثامنة من المعاهدة المغربية الاسبانية المؤرخة في ٢٦ ابريل ١٨٦٠ نصت على ان صاحب الجلالة المغربية يلتزم بان يعطي بصفة دائمة لصاحب الجلالة الكاثوليكية في ساحل المحيط على مقربة من سانتا كروز لابوتيت قطعة من الارض تكون كافية لاقامــة مؤسسة للصيد شبيهة بالتي كانت لاسبانيا هنــاك من قبل . والقصد الجوهري من هذا العطاء ليس هو التخلي عن السيادة او التنازل عن التراب الاقليمي ، وانما هو التمكين من إقامة مؤسسة للصيد كما يسمح بذلك القانون الدولي في المعاهدات التي تعقد بين مختلف الاقطار .

وان اللجان المغربية الاسبانية المتعــددة التي شكلت لتحديد الموضع الذي ينبغي ان تقام فيه المؤسسة المذكورة ، لم تصل قط الى ايــة نتيجة . اما الحدود الحالية فقد وقع الاتفاق بشأنها بين فرنسا واسبانيا بدون استشارة الجلالة الشريفة (المادة الرابعة من المعاهدة السرية الفرنسية الاسبانية بتاريخ ٣ اكتوبر ١٩٠٤)

وهذه الحدود لا يمكن ان يعترض على المغرب بها .

ولعل مما يجدر التذكير به ان الاسبان لم يستقروا في افني الا في سنة ١٩٣٤ . واما في سنة ١٩٤٧ فقد صدر مرسوم من رئاسة المجلس الوزاري الاسباني يرمي لفرض نظام الاقاليم الواقعة تحت السيادة الاسبانية على قطاع افني .

« ولقد اعرب سكان افني غداة اعلان هذا النظــام الاقطاعي عن رغبتهم بصفة سلمية في التمتع بنعمة الحرية والاستقــلال التي يتمتع بها بقية مواطنيهم . ولثقتهم في مشروعية مطالبهم ما كانوا يشكون ابداً في ان النظام الخاص الذي واصلت السلطات الاسبانية فرضه على منطقتهم في انه يتبدد امره ويتلاشى . غير ان الجواب الوحيد الذي اجابتهم به السلطات الاسبانية كان قمعهم بدون هوادة ولا رحمــة !!

« واشفاقاً من التطور الذي طرأ على الحالة هب جلالة الملك وحكومته الى توجيه النداء تلو النداء بالتشبث باهداب الحكمة مقترحين على الحكومة الاسبانية ان تدخل في مفاوضات للوصول الى حل سلمي لهذه المشكلة .

« فعلاوة على الحجج التي تستند عليها النظرية المغربية ، هناك تصميم السكان الذين ما فتئوا يبرهنون عن تعلقهم بجلالة الملك .

« ولقد تسبب اصرار السلطات الاسبانية على التشبث بموقفها والتنكيل الذي صبته على سكان مسالمين مجردين من وسائل الدفاع في اندلاع ثورة آيت باعمران في غضون شهر نوفمبر من العام الماضي . وقد انعكست آثار هذه الثورة في مجموع العلائق المغربية الاسبانية ولم تحل دون وقوع الكارثة سوى رغبة صاحب الجلالة في المصالحة ونصائحه بالاعتدال .

« غير ان مما يؤسف له ، عدم ورود اي شيء من الجانب الآخر ينم عن رغبة هذا الجانب في تحسين الجو والسعي في ايجاد حالة تمكن من اجراء مفاوضات . بل على العكس من ذلك يستنتج من المعلومات الدقيقة الواردة علينــا من الجنوب ، ومن التصريحات المنشورة في الصحف الاسبانيــة والبلاغات الرسمية الصادرة في مدريد ان الحالة تميل الى التفاقم !

« فلقد لوحظ منذ بعض الوقت ان القوات الاسبانية تعزز مراكزها العسكرية تعزيزاً قوياً في افني وتمدها بالامدادات والنجدات وانها تقنبل منطقةافني باستمرار مجبرة سكانها على البحث عن مكان يلجأون اليه في المراكز المجاورة لهاته المنطقة . وصارت الاوساط العسكرية تكثر من التلميح الى كولميمين وبوايزاكارن كقاعدة للهجوم .

« هل من الضروري دحض هذه الترهات ؟

« ان ثورة افني ثورة محلية كما لاحظ ذلك بعضكم من الذين توجهوا الى عين المكان . والحقيقة هي ان هذه الافتراءات لا يقصد منها سوى تبرير توسيع نطاق العمليات العسكرية ــ التي تخوض غمارها القوات الاسبانية ـ خارج منطقة افني نفسها .

« ونظراً لكون هذا الامر ـ ويا للاسف ــ محتمل الوقوع ، فان صاحب الجلالة وحكومته قد اتخذوا بعض التدابير رائين من المفيد اتخاذها لمواجهة اية حالة تطرأ .

كما ان الملك محمد الخامس صرح للصحفيين في ذلك الحين بقوله :

« لا نكتمكم انه برغم خطتنا السلمية ، يلاحظ ان بعض القادة الفرنسيين بدأوا يسلكون في المدة الاخيرة سياسة تبعد كثيراً عن الود والمجاملة ، ومن مظاهرها تعاون القوات الفرنسية والاسبانية في العمليات التي يقومون بها ضد رعايانا ، وفي مناطق تابعة لمملكتنا بشواهد التاريخ ورغبات السكان .

« وقد قلت في المحاميد[1] « اننا لا نطالب الا بما هو ثابت لنا بحكم التاريخ والاوفاق الدولية ، ومؤيد لرغبات السكان ، ونحن نعلم ان اهل تلك الجهات يطلبون تحريرهم من السيطرة الاستعمارية ليتمتعوا بما يتمتع به باقي مواطنيهم من نعمة الاستقلال . وقد حجت الينا وفودهم وجددت لنا ولاءهم اثناء زيارتنا الاخيرة للمحاميد ، وعلى اي حال فان كل تسوية ديمقراطية ينبغي ان تكون موافقة لرغبات السكان والكلمة الاخيرة والاولى في هذا الموضوع انما هي لهم » .

---

(١) في ١٧ فبراير سنة ١٩٥٨ ، قام الملك محمد الخامس بزيارة الحدود الشمالية ، حتى وصل الى المحاميد نقطة حدود التقسيم بين البلدين الى شمال وجنوب . وهناك في حفل كبير ضم جمعاً غفيراً من سكان المنطقة ، ضغط على زر كهربائي ، فهوى الى الارض (رمز) التقسيم الذي اصطنعه الاستعمار . وتلاشت في تلك اللحظة التاريخية كل مظاهر التجزئة الجمركية والادارية بين المغرب والقسم الاسباني (البيضاني) .

والجدير بالذكر ، ان فرنسا اطلقت قنبلتها الذرية الاولى قرب المحاميد هذه .

الفصل الخامس

الأحوال الدّاخلية العامة

ماذا تعرف عن شنقيط؟

المساحة :

تبلغ مساحة اقليم شنقيط او اقليم موريتانيا اذا اردنا ان نماشي التسمية المشهورة لهذا الاقليم – مليونا وعشرين الف كيلو متر مربع تقريباً ، اي انها تساوي مرتين مساحة الجزء المستقل من المغرب حالياً .

ومعنى هذا انه إذا استقلت شنقيط وانضمت الى المغرب فان مساحة المغرب ستصبح مثل ما هي عليه ثلاث مرات .

وجهان عربيان موريتانيان، لاحظ العمامة واللحية ، علامتا الاسلام والايمان. !

عدد السكان :

اما عدد السكان فهو ضئيل بالنسبة لهذه المساحة الشاسعة ذلك ان عدد سكان

اقليم شنقيط لا يتعدى مليونا واحدا وان كانت الاحصاءات الرسمية التي قام بها الفرنسيون تحصر عدد السكان في سبعمائة الف .

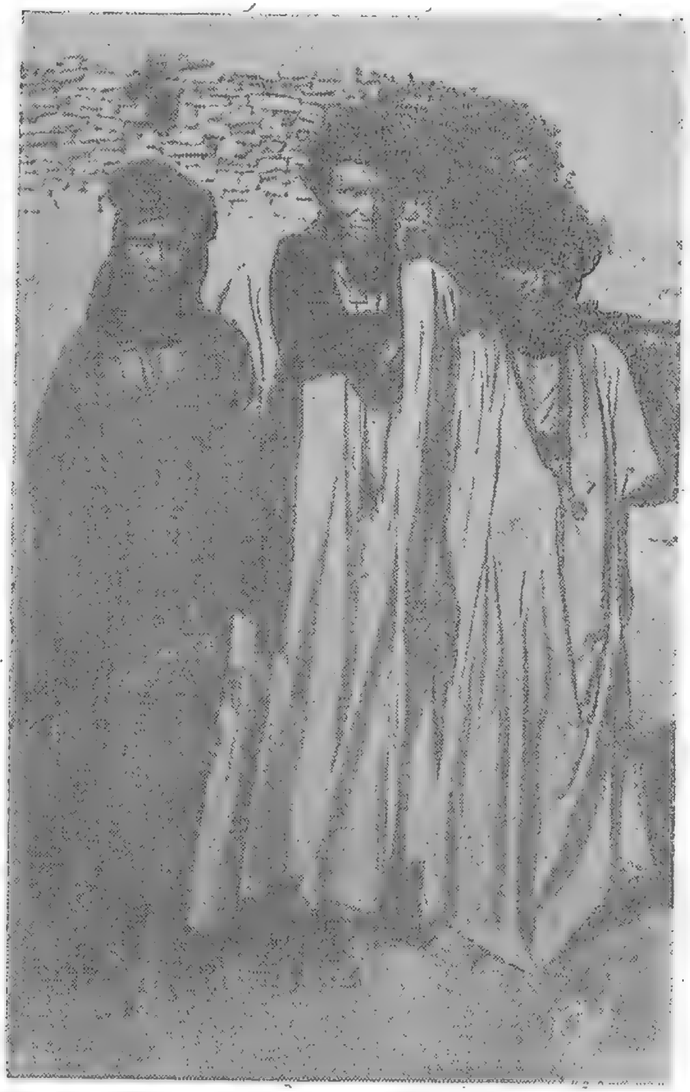

. . . وهؤلاء ثلاثة منهم ايضاً : هكذا يترافقون في الطريق (متلاصقين متشابكين) لاحظ النعال الخصيفة في ارجلهم والبؤس في حالتهم ، ولكن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . . !

والحقيقة انه من الصعب جداً في الظروف الحالية التأكد من عدد سكان هذا الاقليم ، ذلك ان السكان يسيؤون الظن بكل عمل يقوم به الفرنسيون كيفما كان نوعه ويمتنعون من التعاون معهم لانجاحه .

وكمثال لذلك فيما يتعلق بالاحصاءات فان السكان كانوا يمتنعون عن تسجيل اطفالهم ، بل ينكرون وجود اطفال لديهم في كثير من الحالات ، وذلك خوفاً من اجبار هؤلاء الاطفال على الذهاب الى المدارس التي ينشئها الفرنسيون ، والتي تتنافى برامجها واهدافها مع غايات واهداف الشعب فى اقليم شنقيط ، وذلك بانتهاجها سياسة تعليمية غايتها الاولى والاخيرة خدمة الاستعمار الفرنسي في هذا الاقليم والتمكين له ، وتكوين طائفة من الشبان تؤمن به وتتعاون معه . .

كذلك يمتنع السكان من تسجيل اولادهم خوفاً من اجبارهم على العمل في الجيش الفرنسي اذا ما كبروا واصبحوا قادرين على حمل السلاح . .

وقد حاول مرة حاكم فرنسي في احدى مقاطعات شنقيط تنظيم احصاء عام للمنطقة التي يحكمها ، وعندما جاءه اعوانه بالنتيجة كاد يجن ويخرج عن طوره من الغيظ ، فقد كانت نتيجة إحصاءات المقاطعة تشتمل على اربعة آلاف شخص من الرجال والنساء ، اما الاطفال فلا يوجد منهم واحد على الاطلاق . . !

وعلى كل فان سكان اقليم شنقيط يبلغون كما اسلفنا مليوناً على وجه التقريب ، وبمقارنة هذا العدد بمساحة اقليم شنقيط ، يبدو ان هذه المساحة تبلغ اكثر من كيلو متر واحد لكل فرد ، وهذا يصور مدى ضآلة عدد السكان بالنسبة للاقليم ، ومقدار كثافتهم مع العلم بوجود سهول خصيبة كثيرة ، وواحات متعددة وامكانيات تكفي اضعاف عدد السكان الموجودين حالياً اذا احسن استغلالها واستثمارها .

وهناك ملاحظة اخرى مهمة فيما يتعلق بعدد السكان ، ذلك ان الملاحظ بوضوح ان عدد الشبان في سكان اقليم شنقيط اكثر بكثير من عدد الشيوخ ، وهي ظاهرة لها ما يفسرها بالنسبة لهذا الأقليم . فان انتشار الامراض ، وقلة العناية الطبية غالباً ، ما يحولان بين الشخص وبين ان يستمر في الحياة الى ان يبلغ سن الشيخوخة !

العناية الطبية :

ويكفي ان تعلم ان اقليم موريتانيا على سعته ، لا يشتمل الا عشرة من الاطباء وانه لا يوجد به مستشفى واحد على الاطلاق ، اللهم الا بعض المراكز الطبية – الديسبانسير – القليلة النفع والاهمية ، وهي لا تعد في جميع الاقاليم ثلاثة مراكز او اربعة ! هذا مع العلم بحاجة السكان الاكيدة الى العناية الطبية اللازمة ، وذلك لانتشار الامراض ، خصوصاً مرض الزهري ، والحمى الصفراء ، والاول ينتقل بالعدوى كما لا يخفى ، والثاني تتسبب فيه كثرة المستنقعات التي يتولد فيها البعوض ، المعروفة عندهم (موستيك) وهي كثيرة في اقليم شنقيط ، لانها لم تجد حتى الآن في الدوائر المسؤولة من يعنى بها لتجنيب السكان اخطارها وويلاتها .

اهم المنتجات :

اما اهم منتجات اقليم دائرة شنقيط فتتمثل في انواع التمور المختلفة التي ينتجها النخيل بهذا الاقليم ، وفي الصمغ وفي الماشية ، وفي المعادن المختلفة التي لا تزال مطمورة تحت الارض بمقادير ضخمة !

وقد ذكرنا قبلا عند الحديث عن ادارة ادرار ان عدد النخل باقليم شنقيط يبلغ ٥,٠٠٠,٠٠٠ نخلة ، تنتج انواعاً متعددة من التمور الجيدة ، وهي من المواد الاساسية في معيشة السكان ، وان كانوا لا يستفيدون من الفائض على حاجتهم منها ، لعدم وجود تعاونيات تعمل على تصديره خارج الاقليم . ثم عدم وجود دائرة حكومية تزود اصحاب النخل بالمعلومات الفنية في طريقة توضيب التمور وشحنها الى الخارج بصورة سليمة مضمونة .

اما الصمغ فيعتبر من المنتجات الفلاحية ذات الاهمية الكبيرة ، ويكفي ان نعلم ان اقليم شنقيط يصدر منه سنويا ٣٠٠,٠٠٠ طن ، وتوجد منتجات فلاحية اخرى كالقمح والشعير الذي ينتج منهما سنويا ما يكفي للاستهلاك المحلي .

الماشية :

اما الماشية فهي كثيرة جداً ، ويكفي كمثال على ذلك ان نذكر ان عدد الغنم يبلغ في اقليم شنقيط ٧,٠٠٠,٠٠٠ رأس ، وان عدد البقر يبلغ ١,٠٠٠,٠٠٠ وان عدد الابل يكاد يناهز المليون ايضاً . ومع ذلك فان السكان لا يستفيدون فائدة كبيرة من كل هذه الثروة الضخمة ، لانعدام وسائل التصدير ، ولعدم وجود اسواق كبيرة .

والواقع ان الحدود الوهمية المصطنعة القائمة حالياً بين الجزء المستقل من المغرب ، وبين اقليم شقنيط ، تجعل هذا الاقليم يعيش في عزلة كبيرة وفي حصار اقتصادي دائم ، يحس بوطأته في الدرجة الاولى سكان اقليم شنقيط ، لانه يسد في وجوههم المنفذ الطبيعي لترويج منتجات اقليمهم خصوصا من الماشية .

وهكذا يلجأ السكان لبيع ماشيتهم الى اسواق اخرى بعيدة كمدينة دكار بالسنغال ، وهنا يجد اصحاب الماشية من الشناقطة انفسهم في ايدي التجار المحتكرين الذين يستغلون حاجتهم ورغبتهم الاكيدة في العودة الى بلادهم فيشترون منهم ما معهم من الماشية باثمان بخسة لا تكاد تكفي لتسديد مصاريف النقل والسفر ذهابا وايابا مع وعورة المسالك وصعوبتها ...

ويزيد في عدم امكان الاستفادة من الماشية استفادة تستحق الذكر عدم توفر

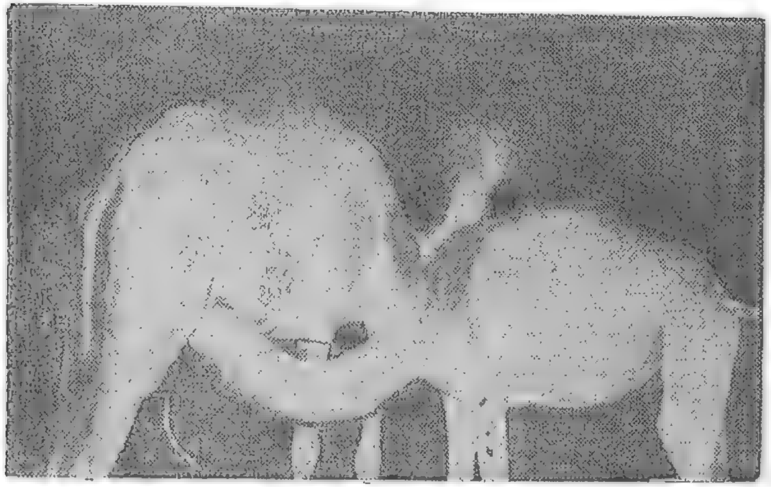

ناقة موريتانية ترضع « نجيبا » جديداً ..

الطب البيطري مع عدم توفره للانسان ، فكيف للحيوان ؟!

وهكذا يلاحظ انه يموت في كل صيف من هـــذه الماشية عدد وفير ، متأثراً بشدة الحرارة وسهولة انتقال الامراض المعدية .

الاصلاح الزراعي

ليست مشكلة الفلاحين في موريتانيا في عدم وجود الارض ، ففيها مساحات شاسعة واراض كثيرة والسكان قليلون . ومن الخطأ الشنيـــع ان نتصور أراضي موريتانيا صحراوية ليس فيها ماء ولا شجر . هذه الفكرة بعيدة عن الحقيقة. ان في موريتانيا اراض خصبة كثيرة وبالاخص السهول التي تمتـــد على شاطيء نهر السنغال الايمن في منطقتي الترارزة والبراكنة، والاودية الكثيرة التي تخترق (الحوض والعصابة) وسهول (العقيلات وآفطوط الشرقي) واودية تكانت الكثيرة وواحات ادرار وخط (النشير) من ناحية (دامان ولمدن) . هـــذه الاراضي كلها خصبة جيدة تتسع لسكانها وتتكفل بمؤونتهم اذا خدموها واعينوا على العمل فيها بالآلات والارشاد . ومن الخطأ ايضاً ان نظن ان الماء غير متوفر في هـــذه المناطق ، فهذا ايضاً جهل كبير ، لأن بعض هذه المناطق يهطل عليه من الامطار مـــا يكفيه ، وتوجد في البعض الاخر مياه باطنية غزيرة . ولكن الفلاحة معدومة فعلا بسبب عدم عناية سلطات الاحتلال بالزراعة في موريتانيا. فأول مصلحة انشئت للزراعة قد احدثت عام ١٩٥٠ ، وليس فيها ما يزيد على موظف واحد في العاصمة ، ولم تتطور هذه المصلحة فيما بعد ، ولا يعرف ما مهمتها لانها لم تهتم بشيء مفيد ..

ثم ان هناك اناساً سوف يقولون ان السدود قد بنيت ، وان الآلات الزراعية قد قسمت ، وان القروض الفلاحية قد وزعت ، ولكن لا يستطيع أحد ان يقول ان السدود قد بنيت لمصلحة زراعية ، وانما كانت هذه السدود تبنى في محل ما ، قد يكون احياناً بعيداً عن أرض الزراعة ، وانما الغرض الوحيد من هذه السدود هو ارضاء بعض الرؤســـاء وشراء ضمائرهم ليندفعوا في مضمار الاستعمار .. ولا شيء أدل على هذا من السدود المشيدة في الرمال بين (العيون) و (تامشكّـط) والتي ليست فيها ادنى نتيجة . ومثل ذلك قل عن سدّ « تاموريت النعاج » الذي زعمت فرنسا انها انفقت عليه ١٦٠ مليون فرنك..!

وهناك سبب ثان أخّر تطور الزراعة في موريتانيا وهو كون السكان لم يزالوا يستعملون وسائلهم العتيقة في الزراعة لانهم لم يتمكنوا من تجديد هذه الوسائل ، فهم الى الآن لم يعرفوا الجرار (التراكتور) في حراثتهم ، ولم يعرفوا السماد الفني، ولم يتمكنوا من شراء مكائن السقي لان المزروعات لم تتطور وما زالوا يزرعون المواد التي وجدوا آباءهم يزرعون في القرون الأولى .. حتى ان البـــلاد التي يمكن ان تنبت كل شيء لا تنتج اليوم الا (الزرع) والتمر ، مثل ما كانت عليه قبـــل الف عام ..!

والاصلاح في هذا الميدان يتطلب مجهوداً ضخما من ناحيتين :

في هذه الصورة ترى (فوق) آلة السقي القديمة « آشيلال » مهملة ، وقد حل محلها (تحت) الالة الجديدة : المضخة والقسطل المعدني وترى العامل يتدرب على استعمالها

اولا – من الناحية التربوية :

انشاء مراكز للتكوين الثقافي في جميع الحكامات لارشاد الفلاحين حتى يعرفوا انواع الزراعة التي تلائم ارضهم ، وكيف يزرعونها وكيف يستثمرونها فيما بعد، ثم ترشدهم الى وسائل السقي وكيفية استخدامها على اكمل الطرق .

ثانياً – من الناحية المادية :

فبعد معرفة امكانيات الفلاحين وحثهم على التعاون فيما بينهم، يعطون المساعدة الكافية ، اما عن طريق القرض أو الاعانة ، ليحصلوا على شراء الآلات التي هم في حاجة الى استخدامها .

وهنا نصل الى النتيجة المتوخاة ، وهي ان هذا العمل لن يكون الا على يد حكومة تهتم بمصلحة الشعب وتبذل له مجهودها ليعيش ويحيا كما تحيا الناس اليوم وتعيش. وغني عن البيان ان الاستعمار الفرنسي وعملاءه لن ينجحوا ابداً في هذا العمل الوطني ، ولكن شعب موريتانيا هو الذي سوف يبني هذا المستقبل السعيد حينما يتحرر ويستقل وحينما يتم اتحاده مع المغرب المستقل .

فيجب اولا ان تربى المواشي في موريتانيا في شكل جديد ، وهذا الامر يعني المسؤولين بالخصوص فواجبهم ان ينبهوا المنمِّين على ان فائدة المواشي وغلتها لا تتناسب مع كميتها ، فقد تكون خمس بقرات فقط اكثر غلّة من عشرين . ثانياً هو ان يرتبط السكان بالارض ويقلّلوا من التنقلات العقيمة (الترحال) .

فاذا عرف كل حي مقره الملائم لحالته الخاصة ، وسعى في تحصيل الماء امكنه ان يستغل مواشيه استغلالا معقولا . وذلك بشرط ان يبيع كل ما لا ينتفع به من هذه المواشي ، وان يقتني اجودها وان يجمع لها الكلأ في ايام الخريف فيدخرها للصيف .

وغني عن البيان ان هذه التدابير لا تنجح كليةً الا اذا تبنتها السلطات الحاكمة وارشدت اهلها للحالة التي توافق كل محل معين ، وقد سارت السلطات الفرنسية في طريق معاكس لهذا الاتجاه بحيث عملت على التكثير من كمية المواشي ، فنقصت غلتها لقلة الكلأ ، وانخفضت قيمتها لكثرتها . .

ولا شك ان مما يشجع هذه التربية هو وجود اسواق منظمة في موريتانيا يفد اليها المنَمي في ايامها المعهودة ، لا سيما ان زودت هذه الاسواق ببرادات اللحم ليمكن نقله الى كل محل . كل هذا ايضاً لا يمكن ان يتحقق الا على يد حكومة وطنيه تستمد سلطتها من الشعب ، وترغب في تلبية مطامحه .

وها نحن نبدي نقط الضعف والهوان في سياسة دعاة الاستعمار في موريتانيا بحيث انهم لم يستطيعوا الحصول على عمل مجد في هذا الميدان الحيوي بالنسبة الى سكان موريتانيا ، ونحن على يقين انه في اليوم الذي تصبح موريتانيا حرة مستقلة استقلالا حقيقياً ، فسوف تتمكن من ايجاد حل لهذه المشكلة .

المعادن :

اما المعادن فهي ايضاً موجودة بكثرة في اقليم شنقيط ولم يقع استثمارها حتى الان بكيفية جديدة ، وان كانت الشركات الاجنبية تعمل وتستفيد . ومن اهم المعادن المعروفة حتى الآن في اقليم شنقيط معدن النحاس وقد منح امتياز استثماره لشركة مساهمة اجنبية ، ولكن هذه الشركة متوقفة حالياً عن العمل بدعوى انها لا زالت مفتقرة الى الوسائل اللازمة .

ومن المعادن الموجودة بكثرة ايضاً في موريتانيا معدن الحديد ، خصوصاً في منطقة « فوركورو » ولا زال لم يشرع في استثماره حتى الآن ، مع انه كان مقرراً أن يشرع في ذلك في سنة ١٩٥٢ ومنذ ذلك التاريخ والشروع في العمل يؤجل سنة عن سنة . اما اليوم ، بعد حصول الحكومة على القرض الدولي الضخم (٦٦ مليون دولار) فلم يبق للمسؤولين عذر في التوقف عن العمل ، وخصوصاً فيما يتعلق بالمشاريع الضرورية المستعجلة .

وبالجملة فان المعادن في شنقيط متوفرة ، وهي تشكل ثروة وطنية عظيمة الاهمية واطماع المستعمرين في هذه المعادن هي التي تزيد في تمسكهم بهذا الاقليم ، زيادة على الغايات العسكرية ، اذ ان وجودهم في اقليم شنقيط ، يسهل عليهم توجيه الحملات العسكرية الاستعمارية الى الجزائر ، كما يمكنهم من نقطة ارتكاز في القارة

الافريقية المتطلعة الى النور والحرية !

طرق المواصلات :

لا حاجة لنا اليوم ان نقول ان المواصلات اصبحت ضرورية لكيان كل امة . فلا يخفى على احد ان وجود الامة مرتبطة بتضامنها ، والتضامن لا يتاتى الا اذا تعارفت وتواصلت وتبادلت البضائع والافكار والآراء ، وهذا التعاون لا يمكن الا اذا كانت طرق المواصلات موجودة ، وفيما يعني موريتانيا ، فانا نعرف مع الاسف الشديد ان وسائل الاتصال تكاد تكون معدومة فعلا .

واحسن طريق عُبّدت في موريتانيا هي الطريق الملكيـة بين روسوواطار (٧٠٠ ك م) لانهـا عبدت وخدمت حسبما تقتضيه اهميتها الاقتصادية ، بالنسبة لاقليم موريتانيا ، وهي تخترق مناطق اراضيهـا مستوية صلبة ، جرداء وتمر على صحارى (امساك ، واينشيزي ، وتفلى ، وآفطوط الساحلي) وكل هذه القيعان طرق شقتها اليـد منذ قديم ، والسبب في كون سلطات الاستعمار اعتنت بعض الاعتناء بهذه الطرق ، فهو لا يرجع الى اهميتها الاقتصادية وانما لكونهـا طرقاً استراتيجية تساعد على نقل العتـاد العسكري الى اطار للدفاع .. ومن المعلوم ان هذه الطرق تضطرب المواصلات عليها في زمن الخريف لانها توحل اياماً بعد كل مطر .

الطريق بين روصو وبوتيليميت

تقع مدينة بوتيليميت على نجد عال يمكن الجيش الفرنسي من مراقبة المنطقة لمسافات بعيدة ، ولهـذا السبب ولاسباب اخرى ، ارتأت السلطات الفرنسية عند احتلالها للبلاد ، ان تبني عليه مستعمرة ، واضطرت الى ان تنقل الى هذه المستعمرة عتادها ومؤونتها فأنشأت طريقاً بين بوتيميليت وروصو . وقد جمع فقراء المواطنين لبنائها ، عشرات الملايين ، وذهبت هذه الملايين في الجيوب ، والطريق ما زالت وعرة تعصف بالرمال ، وتهلك السيارات والركاب .

ومن السهل ان نتكلـم عن كل طريق في موريتانيا ، ونذكر سبب وجودها بالنسبة الى الاستعمار وعدم فائدتها بالنسبة للسكان ، ولكن يكفينا ان نذكر ان الموجود من الطرق في جنوب موريتانيـا ، لا يمكن استعماله مدة اربعة اشهر في السنة . وانه يحتاج الى ترميم في كل عام وان نذكر ان اقليم تكانت يبقى في عزلة تامة تستمر ثلاثة اشهر من كل سنة . اما الطرق الصالحة ـ وهي قليلة ـ فجميعها أنشئت وحظيت بشيء من العناية الخاصة ، لأن الغايات الـتي وراءها ، هي غايات عسكرية .. !

مُنظَّمة الصَّحراء

بين المسائل المهمة التي يقع عليها خلاف اقليمي في افريقيا مسألة اسمها « منظمة الصحراء » .

ففي مطلع سنة ١٩٥٨ ، اجتمع في باريس اعضاء اللجنة العليا لهذه المنظمة المشتركة ، وكان يمثل موريتانيا في هذا الاجتماع المختار بن داده نفسه ومحمد فال بن عمير (هذا الاخير موجود الآن في المغرب مع رفاقه المناهضين لسياسة بن دادة) وقبل اجتماع اللجنة المذكورة عينت جمعيات اقاليم نيجر والسودان ممثليها في اللجنة وبمناسبة تعيينهم اصدرت الجمعيات بلاغين متقاربي المضمون ، تحتج فيهما على جعل المنظمة الصحراوية منظمة ادارية وسياسية وعسكرية تكون من الاقطار الداخلة فيها اقليما موحداً مستقلا. ومتأكد ان المناطق النيجيرية والسودانية الداخلية في الصحراء يجب ان تبقى تابعة للسودان او النيجر سياسياً واداريا. وهذا الموقف لا يبتعد الا قليلا من موقف الجمهورية الموريتانية التي لا تعارض في انماء منظمة اقتصادية صحراوية ، وانما تعارض انشاء منظمة تجعل من الصحراء اقليما ممتازاً تسوسه الحكومة الفرنسية دون اي مشاركة فعلية للحكومات الافريقية .

تصريح بن داده

ومن جراء هذا الاشكال ، ادلى الرئيس بن داده يومئذ بتصريح لمندوب وكالة ف.ب ، حول موقفه من هذه المنظمة في الحاضر وفي المستقبل جاء فيه :

« لقد دافعت في الوقت المناسب بنفسي في الجمعية الاقليمية عن الفكرة الاقتصادية المحضة للمنظمة المشتركة للنواحي الصحراوية وما زال موقفي كما كان لم يتغير ، فموريتانيا ستكون لها وحدة جغرافية وسياسية وبشرية تربطها روابط بافريقيا السوداء وبالمغرب في آن واحد . ولا يُتصور ان تضحي بوحدتها حتى في سبيل ميولها الصحراوية، ولكن بمساهمة اقليمنا فقط ، في استخراج خيرات الصحراء التي يمكن ان تقرز هذه الوحدة ، وهذه نقطة ضرورية قبل كل شيء .

« ان وجود ثروات معدنية في الصحراء يدفعني للجزم بان الحظ قد واتانا لتتميم ثروتنا الاقتصادية الضرورية ؛ ولكن يجب ان لا تكون حرياتنا ثمناً ، لذلك لاننا متمسكون بالاوضاع الناتجة عن القانون الاطاري وبمسؤولياتنا الجديدة .

« لقد اسس قانون ١٠ يناير سنة ١٩٥٧ منظمة ذات سلوك سياسي اكثر منه اقتصادي، ولا يمثل نواب الشعوب المستفيدة الا دوراً ثانوياً : وقد فهم المسؤولون تحفظاتنا الشرعية، ان موريتانيا ليست قسما من المنظمة المشتركة للنواحي الصحراوية ولكنها تساهم فقط في تسييرها . ان الجمعية الاقليمية عينت اخيراً ممثلين لموريتانيا باللجنة العليا لهذه المنظمة هما انا، والسيد محمد فال ابن عمير تطبيقاً للقانون واخلاصاً لاعتباراتنا ، وسيكون الممثلان ملاحظين متحفظين في التجربة وفي تطورها .

« واحب ان يفهم الجميع ان موريتانيا لا تريد بحال من الاحوال فرض ارادتها في مسألة الصحراء بل هي مقتنعة بان تشييد الصحراء فرصة لا مثيل لها للتعاون الفني والاقتصادي بين فرنسا وافريقيا » وفي هذا الموضوع نفسه ادلى يومئذ الشيخ سعد بوه كَنْ المستشار الاقليمي لمراسل وكالة الانباء ف.ب بتصريح جاء فيه ما يلي:

« على كل حال ، فاننا نقول للمنظمة المشتركة للنواحي الصحرواية (نعم) ما دامت مقتصرة على دورها كمنظمة اقتصادية . ونقول لها (لا) في حالة ما اذا اصبحت لها ميول للتدخل السياسي او الاداري للاقاليم المساهمة في تسييرها ؛ واخيراً يجب علينا ان نبني مع الرئيس المختار ابن داده الوطن الموريتاني ! » .

احتجاج صالح الجكني :

ويتضح من طبيعة الامور ان العناصر الوطنية الافريقية حتى الموصوفة بميولها الفرنسية ، كانت غير مطمئنة لسياسة فرنسا في اكثر من موضوع ، وخاصة في موضوع منظمة الصحراء ، وليس ادل على ذلك من الاحتجاج التالي الذي قدمه السيد صالح بن بهي الجكني ، وهو شخصية معروفة في سان لويس وموريتانيا ، في رسالة مفتوحة هذا نصها :

« من صالح بن بهي الجكني التيندوفي، القاطن في موريتانيا الى وزير الصحراء الفرنسية افرنسا فيما وراء البحار :

« لقد ارسلت لكم رسالتين متضمنتين حالة تيندوف ، ونخبركم ثانياً ان تيندوف بجميع نواحيها لقبيلة تجكانت لا يشاركهم فيها احد وفي عام ١٣٣٣ كانت وديعة للمغرب والجزائر، وبعد ذلك باعوام انضمت الى الجزائر وانفصلت عن المغرب.

« والان بلغنا انها دخلت في نظام الصحراء . كل ذلك دون مشاورة احد من اهلها الاصليين الذين هم أدرى بمصالحها ، وهم الذين يوجد اكثرهم في افريقيا الغربية .

« اعلموا ان التاريخ يشهد لنا باننا موريتانيون ، وبما ان كل شيء يرجع الى اصله ، فاننا نريد الانضمام الى اصلنا الذي هو موريتانيا ، وان كنتم تجعلون ثقتكم في عبد الله بن السنهور ، فاعلموا انه ليس من اهل الحل ولا من اهل العقد، ونحن الجكنيون لسنا معه ، ولسنا ممن اعطاه هذا المقام الذي يدعي . وفي الختام عاشت موريتانيا وعاشت افريقيا . » !.

ان أراضي المنطقة التي اشار اليها هذا الاحتجاج سعتها تسعة ملايين هكتار . ولا تلتفت الانظار الى الاموال التي سترصد لعمليات الاستطلاع والاستكشاف وقدرها ستة مليارات ونصف من الفرنكات ، بقدر ما تلتفت الى اشتراك اميركا وفرنسا في اعمال الكشف ، ثم في استثمار البترول وتسويقه .

فبينما درجت فرنسا واسبانيا على الحديث — منذ بدء التقارب بينهما — في موضوع تعاونهما في استغلال مناطق الصحراء؛ تلك الاحاديث التي كان الفشل حليفها دائماً لأن كلاً من الدولتين كانت تضع شروطاً معينة تعتبرها الاخرى ماسة (سيادتها) ولا تتفق مع ما تبذله في سبيل ايصال الحديد والبترول المفكر في انتاجهما من مناطق تندوف وموريتانيا الى البحر، وتحميله من موانىء تخضع للاشراف الاسباني .

بينما درجت فرنسا واسبانيا على ذلك نجد ان العنصر الجديد في مشاريع الاستثمار المقبلة المتعلقة باستخراج النفط هو اميركا، التي اتجهت الى المشاركة باموالها وآلاتها وخبرائها في اعمال ستجري بمناطق هي محل نزاع بين اسبانيا والمغرب .

فاذا كانت اميركا قد ولت ظهرها لمشاريع فرنسا في صحراء الجزائر التي توجد في وضع غير آمن ، والتي لا يعلم مستقبلها السياسي بالضبط ، وانصرفت الى مناطق اخرى اكثر أمناً من الاولى وتتوفر — في نظر الاميركيين ايضاً — على ضمان اكثر فيما يتعلق بمستقبلها الدولي ، فيجدر بواشنطن ان تراجع نفسها وان تحاول القيام بمقارنة بسيطة بين الامس القريب واليوم .

فقد كانت اميركا في عام ١٩٥١ عندما اتفقت مع فرنسا على استئجار خمس قواعد عسكرية في المغرب، مطمئنة الى ان الدولة الحامية آنذاك هي صاحبة الامر المطلق ولآماد لا يمكن التفكير في نهايتها .

وكانت اميركا تتجاهل سيادة الدولة المغربية على كل شبر من أراضيها .

وهي اليوم ايضاً، وعلى نفس الوتيرة تطمئن الى ديمومة الاحتلال الاسباني غير الشرعي لمنطقة لا غبار على مغربيتها ، ثم هي مرة اخرى تتجاهل سيادة المغرب صاحب الكلمة الاولى والاخيرة في الساقية الحمراء .

آفاتُ التخلفِ في الصحراء

يجهل الكثير من الناس الحالة الواقعية في الصحراء الواقعة تحت نفوذ الاستعمارين الفرنسي من جهة ، والاسباني من جهة اخرى ، وما تقاسيه هذه المنطقة من جهل وفقر وبؤس وشقاء . وقلما تجد كاتباً او باحثاً او صحفياً يتعرض لما يجري في هاته المنطقة العربية الحساسة الخاضعة لعدد لا يستهان به من بني الانسان والمملوءة بالمناجم المتنوعة . اقول لما يجري في هاته المنطقة من النظم الاستبدادية والافعال الوحشية التي لا تساير روح هذا العصر التقدمي . اي أنك قلما تجد احداً يذكر هاته المنطقة الا حسبما تنشره الصحف الاستعمارية من ان الصحراء الافريقية ارض خالية من السكان ومليئة بخيرات الارض الباطنية . .

ويمنطقون كلامهم هذا بانهم يرغبون في انشاء شركات اجنبية لها رؤوس اموال تشاركهم في استثماز خيرات هذه البلاد التي لا اهل لها سواهم كما يزعمون . .

وبهذا يتوددون الى اصدقائهم من الدول ويتبجحون لها لتسعى وراء اهدافهم الماكرة كما وقع او يوشك ان يقع . .

واني كعربي يتأثر لبني قومه ، اسأل اهل الضمائر الحية من بني الانسان : هل يعلمون شيئاً عن هذا التخلف الجهنمي الذي ركزه الاستعماران ، الفرنسي والاسباني في الصحراء ؟ واليكم تفاصيل هذا التخلف :

١ ــ التخلف الثقافي

فقد يكون جواب صاحب المعرفة الحقيقية التي لا زور فيها ولا غلوّ ، القول : انك اذا تجولت في الصحراء لا تجد فيها مدرسة ثانوية واحدة . . كما ان المدارس اذا وجدت ، فانما توجد لطبقة محظوظة؛ فلا يسمح لأبناء البلاد المساكين بدخولها

فهي حرام عليهم . . وانما هي لكل من كان من ابناء عملاء الاستعمار ، وقد لا تتعدى طبقة المثقفين في هذه المنطقة اربعة في المائة ! . .

وما سبب ذلك الا لان المستعمر منع السكان من انشاء المدارس الحرة داخل المدن للتعلم ، كما منعهم من الاتصال بالخارج لابعادهم عن العلاقات الفكرية . . كما لا يسمح لهم ان يأتوا باساتذة من الخارج خوفاً عليهم مما يسميه المستعمر (بالتسمم الروحي) . . اي بث روح الثقافة العربية الحية بين السكان . . كما يمنعونهم من الاطلاع على تطور الحياة البشرية بوجه عام ، والعربية بوجه خاص .

واذا خرج انسان بطريقة غير عادية الى قطر ما ، وتعلم به يمنعونه من الرجوع الى وطنه خوفاً من ان ينشر (العدوى) الحامل لها ، التي هي بث الرسالة العلمية واستنارة افكار ابناء جلدته ، اذ يعدونه انه (المجرم) الوحيد الذي لا يمكن ان يسمح له بالدخول الى هذا الوطن الذي هو مسقط رأسه !!

ولا يقتصر دفاعهم الدنيء هذا على محاربة الثقافة الفكرية والقومية التي تخرج الانسان من الطبيعة البهيمية الى عالم الحياة والتطور فحسب ، بل يتجاوزون ذلك الى الطعن في العقيدة الاسلامية حيث يمنعون السكان في الصحراء من بناء المساجد الدينية التي يؤدي فيها المسلم ما امره الله به من صلاة ومشاعر دينية !!

٢ ــ التخلف الاقتصادي :

واما ما تعانيه اليوم الصحراء من هذا التخلف المؤثر الماحق لحياة الانسان لا يمكنه ان يوجد باي قطر اخر رغم كثرة مناجمها وصلاحية اراضيها لكل اعمال التشييد ، ورغم طول السواحل البحرية المحيطة بها وكثرة انواع الاسماك ورغم كثرة حيوانات هذه المنطقة ؛ رغم كل هذه المواد الاولية للحياة وكثرتها بهذه الاراضي الجميلة الواسعة ، نجد سكانها كلهم يعيشون في فقر قاتل ، وبؤس مؤسف وشقاء يخجل الضمير البشري ! . .

فانك لا تجد مؤسسة اقتصادية وطنية في جميع اطراف المنطقة ، ولا تاجراً واحداً له رأس مال خاص به . . كما لا تجد مصنعا واحداً يقوم باي عمل لتصنيع

البلاد سواء للمناجم الارضية او الاسماك (ويسمونها الحوت) . ولا تجد طريقا واحدة معبدة ولا بئراً حفرتها احدى الدولتين للري ، او لاستقرار السكان والحيوانات ، ولا تشجيعاً للسكان المغامرين فوق طاقتهم ليعملوا ما امكنهم لينقذوا بذلك جزءاً مهما من الجنس البشري البائس ، بل بالعكس من ذلك فانها تثقلهم بالضرائب المتزايدة وكثرة الغرامات المزورة حتى يبقوا عالة على من لا يرحمهم ولا يعينهم على حياتهم الضرورية ! . .

واذا سئل احد من أين لهاته المنطقة ان تاتي بمواد المعيشة واللباس ؟ والجواب على هذا قريب : ان هذه المنطقة لم يفصلها في الماضي فاصل واقعي عن المغرب ، وكل ما يأتيها من المعيشة واللباس يأتي من الاسواق الممتدة شمالي وادي درعة اي جنوب سوس على اتساع خطه الجنوبي . والمركز الرئيسي الذي هو همزة الوصل بين الشمال والجنوب مدينة (اكليميم) فيأتي اهل الصحراء بالحيوانات من ابل وضان ومعز وحمير وصوف وجلد الى المدينة المذكورة او غيرها من القرى المنتشرة شمالي درعة ، فتبيعها وتشتري اللباس وانواع النعل وانواع الحبوب والزيوت والسكر والشاي (وجميع الادوات العطرية) على مختلف انواعها . اما وسائل المواصلات ، فكانت في الماضي مقتصرة على الجمال والخيل والسير مشياً على الاقدام ، والطرق في الصحراء واسعة ، والعربي الصحراوي سيد من مشى وقطع المسافات الطويلة على قدميه . . ! واما اليوم فقد اصبحت السيارات وسيلة حديثة من وسائل المواصلات السريعة . . ولكن وجود السيارة لا يعني قط ان مهمة الجمل قد انتهت . . كلا والف كلا . . فان الجمل لا يمكن الاستغناء عنه في الصحراء حتى يوم يصبح السفر بواسطة الهليكوبتر أو الكواكب الفضائية الاصطناعية . . !!

وهكذا عاشت هذه المناطق مشتركة في اقتصادها منسجمة في أصولها وفروعها والتاريخ يشهد على هذا ، والواقعية تشهد كذلك . !

٣ – التخلف الاجتماعي :

واذا كانت الامة متخلفة في ثقافتها وفي اقتصادها فان التخلف الاجتماعي

يصبح من باب اولى . . ذلك لان الاستعمار يركز مبادئه الرئيسية على عدم الحرية الفردية والجماعية . ولا شك انه جعل على إهل الصحراء سراً منيعاً من عدم الحرية ، ففي جميع اطراف المنطقة لا توجد صحيفة واحدة معبرة عن ارادة الشعب ، كما لا يسمح لاية صحيفة تدخل الاقليم غير صحف الدولتين المستعمرتين ، اي فرنسا واسبانيا ، كما لا يسمح لاحد المواطنين بالتجول خارج المنطقة ، وان التجول بين جزئي نفوذها صعب جداً ، ويحرم على الانسان ان يجهر براية في صالح المجتمع ويمنع على الانفراد تنظيم اجتماع حر ، وان فعل احد خلاف ما تقدم يعاقب عقابا لا هوادة فيه ولا شفقة !!

●

هذه نظرة موجزة عن حالة الاستعمارين الفرنسي والاسباني ومخلفاتهما في الصحراء .

ولعمري ان لفي هذه النظرة الدليل القاطع على النوايا السيئة التي لا زالت تتجسم في بعض المتعصبين الاستعماريين ، ففي الوقت الذي صار العقل الانساني يتجه نحو اكتشاف المغيبات الفضائية ، نجد جزءاً مهما من بني الانساء لا يزال ينطلق وراء الاحلام الوهمية فيؤخر اخاه عن قافلة التقدم والحضارة ، ويزرع العداوة بينه معه ويجعله سجين الاستعباد والجهل والفقر والتأخر الاجتماعي ، فيحرمه من الاطلاع على العالم وما يجري فيه من اكتشافات واختراعات نادرة تستحق الاعجاب ، ويحبس ذلك الفكر الوقاد من مشاركة أخيه المتحرر في هذه البحوث السامية التي تدل على عظمة الفكر البشري ، والتي اثارت هذا الجيل ففتحت به ما كان يقصر عنه التمني ويمنع الانسان كذلك من استثمار خيرات اراضيه التي له وحده الحق في استثمارها ، كما لكل امة الحق في استثمار اراضيها .

الوضع العسكري في آدرار واطار

منطقة آدرار في موريتانيا ، وخصوصاً في عاصمتها « اطار » تتمتع بوضع عسكري ستراتيجي هام . فلنحدثك بادىء ذي بدء عن اطار اليوم، اطار المشهورة بموقعها الجغرافي وقيمتها الاستراتيجية، الشيء الذي حمل الفرنسيين على ان يقيموا فيها قاعدة عسكرية هامة ، ولا غرابة في ذلك ، فهي تقع في جنوب موريتانيا ، أي بالقرب من الجزء المستقل من المغرب .

هذه القاعدة العسكرية الفرنسية الكبيرة تشتمل على مطار عسكري يتسع لاربعين طائرة حربية من مختلف الانواع والاشكال والاحجام ، كما توجد فيها فرق من رجال المظلات واللفيف الاجنبي والمشاة .

وتتميز (آدرار) من الناحية العسكرية باشتمالها على اربع وحدات عسكرية صحراوية ، دائمة التنقل في انحاء الدائرة .

الجمل في موريتانيا من اهم وسائط النقل حتى في الاعمال العسكرية .. وهذه فرقة من جيش الصحراء على ظهور الجمال ..

اما الذي يحكم (اطار) عاصمة دائرة (آدرار) فهو ضابط فرنسي برتبة كولونيل ومساعدوه كلهم فرنسيون – طبعاً – من نائبه الى رئيس المحكمة الاقليمية ، الى حاكم القرية ..

ويوجد في (اطار) اكبر محطة في موريتانيا للاذاعة ، تقصر جل همها على خدمة الاهداف العسكرية لجيش الاحتلال الفرنسي ، وعلى خدمة المصالح الادارية الفرنسية، كما توجد بها مصلحة طبية يرأسها ضابط فرنسي ومدرسة للبنين واخرى للبنات يدير كل واحدة منهما مدير فرنسي ..؟

وبالجملة فكل شيء في موريتانيا اليوم (فرنسي) .. وذلك بالرغم من وجود حكومة وطنية، يدعونها الجمهورية الاسلامية الموريتانية ..

غير اننا لسنا متشائمين لأننا نعرف طبيعة الشعب الموريتاني الصعب المراس ، ونثق بالشاب الحاكم القابض على زمام الامور ، ونؤكد للمرتابين الخائفين انه عربي القلب واليد واللسان ، وليس (فرنسياً) كما يطيب للبعض ان يزعم ..

آدرار نفسها :

تشتمل دائرة (آدرار) زيادة على عاصمتها (اطار) ، على مدن اخرى ذات اهمية ، منها شنقيط ، التي سمي باسمها القطر ، والبير ، وفوركور . اما سكان الدائرة فيبلغ عددهم ٤٥,٠٠٠ نسمة .

وتمتاز دائرة (آدرار) بكثرة النخيل . والاحصاءات الاخيرة تقدر عدد النخيل في دائرة (آدرار) بـ ٥,٠٠٠,٠٠٠[1] نخلة تنتج كلها انواعاً مختلفة من التمر تبلغ الغاية في الجودة .

ويقام في دائرة (آدرار) سنويا مهرجان يستغرق شهراً كاملا ، يدعى (عيد التمر) كله اعياد وافراح . ويحضر هذا المهرجان عدد كبير من سكان مختلف المناطق والدوائر في موريتانيا يأتون خصيصاً لحضور هذه الاعياد .

اما الحركات السياسية في دائرة (آدرار) فتتلخص فيما يلي :

---

[1] ١ – لا نعلم مدى صحة هذا الرقم ان كان للقطر كله ام لآدرار وحدها . وقد اوردناه كما ورد في مصدرنا : مجلة « شنقيط » ، وقد كان صاحبها وزيراً سابقاً في موريتانيا ، فالمفروض انه عليم بأمور بلده .

اولا : فرع حزب النهضة ، وهو اقوى حركة سياسية في موريتانيـــا ، ينضم اليها ٨٠ في المائة من السكان ، وذلك بالرغم من الصعوبات والعراقيل التي تضعها السلطات الفرنسية في وجه هذا الحزب .

ثانياً : حزب الاتحاد او حزب التجمع الموريتاني ، وهو حزب الحكومة القائمة الآن .

وهنالك حركات اخرى المرياضة ، ونشاط الشباب ، لا تعنينا هنا كثيراً ، لانها ليست لها اهداف سياسية . وهنـــاك قضية تتعلق بمستقبل موريتانيا على العموم ، ودائرة (آدرار) التي هي موضوع هذا الحديث على وجه الخصوص .

ذلك انه يعتبر من الدرجة الاولى من الاهمية استمرار الصلة التاريخية والقومية القائمة بين سكان المناطق المذكورة وبين اخوانهم سكان المغرب ، وهذه ليست مجرد قضية قومية او عاطفية فقط ، ولكن مصلحة سكان موريتانيا ايضاً تحتمها كقضية حيوية بالنسبة لهم .

فكل ما تستورده دائرة (آدرار) مثلا من الاقمشة والمواد الغذائية ، او معظمه على الاقل ، هو من مدينة الدار البيضاء عاصمة المغرب التجارية . كما ان كل ما تصدره دائرة (آدرار) مثلا من المواشي ، يستهلك معظمه في اسواق مغربية ...

ومهما يكن فان الكلمة النهائية الفاصلة فيما يتعلق بمستقبل موريتانيا كلها لايمكن ان تكون الا لسكان موريتانيـــا انفسهم ، ولكي يكون في امكانهم ان يعلنوا كلمتهم هذه وان يفصحوا عن رغبتهم ، يجب ان يتخلصوا اولا من الاحتـــلال العسكري الفرنسي ...

يجب ان تستقل موريتانيا اولا لتقول كلمتها ! .

حالة موريتانيا الزراعية والتجارية والصناعية الخ..

الثروة الحيوانية

توجد في موريتانيا الملايين من الغنم[1] ، وفيها ما يربوا عن المليون من البقر ، وما يقارب المليون من الابل ، ولا شك ان هذه ثروة ضخمة بالنسبة لعدد السكان ولكن هذه الثروة ليست مفيدة في الحقيقة فائدة متناسبة مع كميتها الوافرة .

ويرجع عدم فائدته الى سببين اساسيين :

اولا — ما زالت تربيـــة المواشي في موريتانيا على الطبيعة . المنمّون (من النّماء) فيها يُدّعون بابناء المُزن ، والمزن قليلة في جل انحاء القطر . وقد فرضت طبيعة المناخ على ارباب المواشي حيـــاة البداوة ، فرضت عليهم ان ينتشروا في الارض في ايام الخريف ليبادروا رعي الكلأ المتفرق قبـــل ان ييبس تحت لهيب الشمس ويصبح هشيماً تذروه الرياح .

ويعرف البدوي فترة الاستراحة في ايام الشتاء ، ثم يضطر الى مجـــاورة الآبار العميقة ، فيكابد امتياحها لينقع غلة ماشيته ، ولم تزل حاله هكذا ينتظر الفرج من السماء حتى يمن الله عليه بالغيث .

وفي كل صيف من كل عام يهلك كثير من المواشي ويفتقر كثير من اربابها ، مع ان بقيتها لم تعد كافية ليعيش منها اهلها لان البانها لاتدر الا في زمن الخريف ، ولان لحومها لا تسمن الا في ايام الشتاء .

هذا هو السبب الذي جعل الانتفاع بالحيوان اليوم معدوماً فعلا ، وجعل سكان موريتانيا يغادرون منازلهم يبحثون عن العمـــل في القرى او يتجرون في السنغال

---

[1] ١ — استقينا هذه المعلومات من مجلة « شنقيط » في سنتها الاولى .

والسودان ، ليعيشوا فقط ..

وهناك سبب ثان ينقص من قيمة المواشي في موريتانيا ، وهو عدم وجود أسواق منظمة داخل البلاد إذ يضطر كل من يبيع ماشيته الى ان يسافر بها الى اسواق السنغال والسودان التي تبعد عنه مئآت الكيلو مترات ، مع ما يلحقها من الشدة والهزال في هذه الطريق البعيدة ، ويضطر غالباً الى بيع بقيتها بأثمان ضئيلة لا تساوي ما تكبّد عليها من مشقة وعناء .

اخبارهم التجارية القديمة :

ان التجارة في شنقيط ، كانت في القديم رائجة واعظم ما يتجرون به الملح الى السودان. يقال « ان العبد كان يباع بحذائه » . يقولونها من قبيل التعبير عن التحقير والهوان وضآلة الشأن .. وذلك ان الملح يقطع على هيئة اللوح الكبير ، فيشد بالحبال، ويوضع على ظهر الجمل، فاذا صار الى السودان ، يجعل تحت قدم العبد منه مقدار نعل، فيكون قيمة له ... وهذا العصر تقادم، ولم تعد هذه العادة معمولا بها ..

ومما عرف عنهم ، بعد الكساد ، ان حمل الجمل ، يباع في عبد او أمة ، ويبقى ما يوفّره من الزرع ، وكل ما عند السودان يباع في الملح ، كالخيل والثياب والزرع والعبيد . ويقال : انهم كانوا يبيعون اولادهم فيه . ويقطع هذا الملح من سبخة آجّل وهي تبعد عن مدينة شنقيط بنحو خمسة ايام او بستة بالسفر العربي ، واهلها المالكون لها : كنته ، والناس يدفعون لهم ثمناً قليلا جداً ، بالنسبة الى ما يبيعونه به ، وتسافر الناس من الحوض وتيشيت واركيبه وتكانت لذلك الملح ، واكثرهم يشتريه من مدينة شنقيط ، وربما ذهب بعضهم الى محل السبخة ، فاخذه منها . ثم يباع جميعه بالسودان .

اما العبيد التي يأخذها اهل الملح ، فانهم يرجعون بها الى اهلهم ، فما كان الشخص مدينا به منه، سلمه الى من يطلبه ؛ وما ليس بمطلوب منه، فان شاء باعه في محله، وان شاء جلبه الى أرض القبلة ، ويمسك من العبيد ما يحتاج اليه.. والمسافة بين السودان وبين محله متفاوته . فمنها شهر ، ومنها ما هو ازيد ، وكلما توغل صاحبه في السودان ، يكون اروج له .

ومما يأتي به احدهم الى جالب الملح : القماش المعروف بالأكحل ، ويسمونه الانصاف . واردية يسمونها : دماس وديسه ، وبنائق تبنى منها القبب ، ويسمونها اجيف والدُّخن المسمى عندهم بالبشنة ، وكرتة ، المعروفة عند المصريين بفول السودان، وعند اهل الشام ، بفستق العبيد ، وعند اهل الحجاز، باللوز الهندي !..

اما تجارة اهل القبلة ، التي تخرج منها الى غيرهم : فهي العلك ، المعروف عند المشارقة بالصمغ . وكيفية اجتنائهم له : انهم يذهبون الى المحل الكثير القتاد ، الذي يبلغهم ان الصمغ يوجد فيه بكثرة ، ولا ينضبط قانون ذلك ، لانه يكثر في جهة سنة ، ويقل فيها اخرى . ويأتون بعبيدهم ثم يبعثونها يوميا اليه ، ويرجعون اليهم مساء، فيوقدون النار في الليل ويقايسون ما جناه العبيد، فان اتى احدهم بقليل عن مماثله يوبخونه ، وربما ضربوه .. والعبد بنفسه يخجل اذا راى جناه اقل من جني غيره .. وهذه الحرفة ، خاصة باهل القبلة ، واهل الرقيبة والحوض . وهذا الجني يباع كله في فرنسا .. ويؤخذ منهم عوضه من القماش المسمى عندهم بالخنط وهو انواع : منه اسود ومنه ابيض ومنه اخضر . والدخان (ويسمونه المنيجة) والسكر والعسل وهو دبس جيد . اما عسل النحل فانه قليل ، ويسمونه عسل لغْماَله .

والجدير بالذكر ، ان الشاري الاول للصمغ الموريتاني هو المهاجر اللبناني الذي يشتريه من البيضان بالمفرق ويبيعه بالجملة للشركات الفرنسية ، وكذلك الحال في الزرع وسائر المحصول .

ان احوال البيضان آخذة في التطور السريع ، وخصوصاً في التجارة .. انهم « تجار » بطبيعتهم ويُدعَوْن هناك بـ « شياطين التجارة » لشدة ذكائهم و(بَندَقتهم) .. فحتى اللبناني الذي هو (أَبندَق) اهل الارض، لا يضاهيهم بذلك .. ! والتاجر البيضاني اصبح اليوم بعد تطوره العقلي في غنى عن اللبناني والاوروبي، فقد صار يستورد من الخارج هو بنفسه ويقف منافساً مهولا لمعلميه..

طريقتهم القديمة في التعامل التجاري

للبيضان طريقة قديمة في التعامل التجاري فيما بينهم ، لا يزال معمولا بها حتى

هذا العصر التقدمي .. هذه الطريقة هي ما يسمونها « المعاوضة » وتعني عندهم استبدال سلعة بسلعة بدل الدراهم العينية . وان اكثر ذلك ، إنما هو القماش والغنم وكل جنس المواشي معروف الاثمان . (فالبَيْصَة) وهي علم على ثلاثين ذراعاً من القماش ، فيقولون : بكم تبيع هذا العبد ، او الجمل ، او البقرة مثلا . فيقول : بعشر بَيْصات . فان كان ذلك في تكانت او الحوض : فالبيصة المطلقة انما يراد بهـا فلتور ، وهو جنس غليظ ليس بالجيد . وعند اهل القبلة ، اغلب ما يراد (الميلس) ، تصغير الاملس ، بالتصغير العـامي . وهو جنس جيد يصبغ الجسم بلون النيلة ويتفاوت بحسب انواعه الا اذا عينت ، فتكون بحسبها عند الجميع . اما سعر البيصة : فالاغلب ان يعلم بالغنم . فيقولون : كم ثمن البيصة من الغنم ، فيقولون ثلاث جذعات . اي جذعات ، او اربع او نحو ذلك . ومن البقر التافكيت بمعنى التبيعة . اما اذا كانت القيمة بين البقر والغنم ، فيقولون : ثمن هذا الجمل ، اربـع تيفكاتن مثلا ، والتافكيت من الغنم : علَم عـلى ست جذعات ، واذا قالوا شاة دية ، ، فمعناها انها تساوي جذعـة ونصف ، واذا قالوا : كاطعـه ــ بالكاف المصرية ــ فمعناها : انها تقطع جذعتين ، اي تفي بثمنهما . وهكذا ..

اما طريقة البيع في الزوايا ، فانها بحسب الشريعة . واذا ظهر فيها ما يخالف مذهب الفقهاء، يقال «هذا بيع فاسد» فيفسخ حالا بعد فتوى احد العلماء بذلك..

واما حسان ، فاغلب عقودهم، في رأي من سمعت منهم، فاسدة . ويؤيد هذا الرأي قول « ذكره صاحب الوسيط لابن الشيخ سيدي الابييري »[1] احد كبار شعرائهم القدامى ، عن بني دليم (من حسان) ، فقد نزل بهم في سفر واقام مدة، حتى اذا ما اطلع على احوالهم ، نظم مقطوعـة يتحدث فيها عن نفسه ويعنيهم

---

١ – قال عنه صاحب الوسيط : إنه « علامة اريب ، ولغوي اديب وحسنة من حسنات الدهر» وقال إنه فاق اباه ــ الشيخ سيدي ــ على شهرته وعلمه وفضله الخ ..

الى جانب ذلك ، يبدو ان هذا العالم الشاعر كان ظريف الروح ، وصاحب نكتة ادبية . فمن طرائفه المذكورة إنه كان له نديم يجالسه ويؤاكله ، أصله حداد، وهي مهنة ساقطة هناك .. واهل الصحراء يزعمون ان الحدادين اصلهم يهود ثم اسلموا خوفاً .. وكان اسم ذلك الشخص النـديم

بانتقاد لاذع ، فيقول :

سُكنَـاه بين اناس ، جُل عقدهمُ   بيــع الملاقيح ، او بيع المضامين[1] ..
أيْمانهم كلهـا لَغْوٌ ودأبهـم   غصبُ الاباعير من كل الاناسين[2] .!

وقد تقع حروب قلمية بين العلماء في هــذا الشأن (صفات العقود والبيع) ، فيمضي كل منهم في تأييد ما يقول هو لا ما يقوله العالم الاخر ، وتتقسم العامـة بين مؤيدة لهذا وذاك في الاجتهاد ..

ولا نعلم اذا كان صاحب الوسيط يقول ما يقول بدافع التحامل او بدافع حب ايراد الحقائق مهما تكن . ذلك انه يقول : « ان اكثر حسان واللحمة لا يهابون بيعا فاسداً ، ويشهدون الزور ، ولا يبالون بالأيمان الكاذبة ، ولا يقيمون حداً من حدود الله ، ولا ترث الانثى عندهمَ ، ولا يتقون مال اليتيم الخ .. »

وكثير من علماء الزوايا يرى ان اموال حسان غير معصومة ، لان الكفارات استغرقتها ــ سواء في ذلك حسان واللحمة ــ وقيل ايضاً بان حسان تربد بانجميع

« نحن » ، ويدعي انه شريف اي من سلالة النبي .. وكان هذا الحداد « نجن » ــ متى خضر الطعام ــ موصوفاً بالشراهة واجادة اللقم .. فأعطاه صاحبنا الشيخ الابييري جملا على ان لا يغضب من ابيات نظمها في ساعة مرح ، يهجوه بها فقبل .. (انه فعلا يهودي ..!) قال الشيخ :

ما هزّ عِطْفي كَمي ّ يوم هَيْجاءِ   بين الاواني ، كذي النونين والحاءِ !
فردٌ ، يقوم مقام « الجمع » وهو لذا   يـدعى بمضمر جَمْع بين أسماء ..
يسطو بأسلحــةٍ للأكلِ ، أربعــةٍ   يدٍ ، وفمٍ ، وبلعومٍ ، وأمعاء ..!
تخــال لُقماتِه العظمى براحتــه   كَراكِلَ الابلِ ، او جمّاجمَ الشاء.!
ما بين طلعتها فيها ، وغيبتها   في فيه .. الا كلمح الطرف للرائي..!
فتنهوي كَدُلِيّ خان مـا تحهـا   أشطانها ، فترامت بين أرجاء
فبان أن الذي يَحويــه من (شَرَفٍ)   قد ضحّ .. لكنه بالهاء لا الفــاء ..!

١ – الملاقيح : ما في ظهور الذكور من الجمال، والمضامين : ما في بطون الاناث ، وقد نهـى الشارع عن بيعها . ٢ – والاناسين : الناس . وهو من الجموع التي يقل استعمالها ولكنها تشير الى غنى الشاعر في المفردات العربية ، ورحابة اطلاعه على اسرار اللغة ..

ما تملك مأخوذ من النهب والغصب والمكس . فلذلك تراهم لا يكفنون موتاهم فيما يملكون ، بل يسألون الكفن لاحد الزوايا .

القضاء الديني عندهم

ان محاكم الدين والشريعة هي المحاكم المسموعة المشهودة في موريتانيا الى الان . بل ان سكان البوادي لا يعرفون محاكم سواها . اما المحاكم المدنية ، فلا يعرفها الا من كان ساكناً في المدن والحواضر الكبيرة كسان لويس ودكار وكولخ وبعكو ونحوها . والدعاوي في محاكمهم الشرعية الخاصة قلما يطول موعد الفصل بها ، ولا تغرق في الشكليات والاوراق الصادرة والواردة ، ولا تكلف رسوماً باهظة ..

ان القاضي في شنقيط الاغلب فيه : ان لا يكون مولى من احد ، وانما كيفية توليه ، ان يشتهر بمعرفة الاحكام ، وقد يولّى أحد امراء حسان قاضياً ، ويكون ملازماً له . ولكن الاغلب ، ان هذا لا يذهب اليه الا في المسائل ذات الشأن ، كما اذا وقع قتل لينفذ الحكم .

وليس للقضية رسوم تدفع عند رفعها ، ولا للقاضي شيء سوى تعبه ، ولا يرضى اذا كان ورعاً ، ان يخلو باحد الخصمين دون الاخر ، وهذا هو الاغلب . وقد قال السّالك بن بابَ العلوي ، في صفة بعض اهل العصر ، وان كان ظاهره التعميم . فمراده الخصوص :

قضاة العصر طراً جائرونا وعن نهج الحقيقة مائلونا
تراهم كاتبين لمن اتاهم ولم يخشوا (كراماً كاتبينا)..

وكل من يخالف شخصاً في مسألة ، يراه مخطئاً ، الا انه اذا كان ذلك خال من الاغراض والتعصب ، لا يقدح به . واذا اختلف المتنازعان في شنقيط ، يتفقان على من شاءا من اهل العلم . فاذا القيا حججهما ، طالب المدعي بالشهود ، ولا تقبل شهادةُ الا مَن عُلِمت عدالته عند القاضي ، او زكّاه مُبرّزان مشهوران بالدين والورع . ثم يعذر للمدعى عليه في الشهود ، وهم في هذه النقطة ، ارقى مما رأينا من غيرهم : فاذا حكم القاضي فان الحكم نافذ بنفسه ، لا يقدر المحكوم عليه ان يمتنع ،

الا اذا اوعز اليه أحد العلماء بان ذلك الحكم غير صحيح فانه يطلب عندئذ نقضه .. وربما مكثت القضية سنة او اكثر حتى يتفق رأي العلماء فيها ..

الصناعة في موريتانيا

لو قلنا ان ارض موريتانيا لا صناعة فيها ، لكان لذلك وجه كبير من الصحة بالنسبة لمفهوم كلمة « صناعة » في العصر الحديث ، اذ ليس فيهم من يقدر ان ينسج ثوباً يلبسه ، ولا سيفاً يتقلده وفيهم حدادون يصنعون السكاكين الصغار . واذا فسدت البنادق المسماة عندهم (بالمدافع) يصلحونها ، لكن لا يقدرون على صنعها ابتداء ، وهؤلاء الحدادون انما يصنعون اواني الخشب ، والعمُد والاشفا ويصنعون الفراء اذا دبغت ، ورجالهم ونساؤهم يعيشون من عمل ايديهم . فالرجال يصنعون الفؤوس والخناجر والعمد ، والحدائد التي تكون آلة للحراثة ، ويسمونها اوجيل ، ومنهم من يقول : اواجيل ، ونساؤهم يخطن كل ما يصنع من الجلود ، وحسان يظلمون هذا الجنس ، وياخذون عليه المكس ، ولم نفرده بالذكر لقلته ، والناس يزعمون ان اصلهم يهود ثم اسلموا ، ودينهم ضعيف جداً ، والناس ينسبون اليهم الكذب والشر ، ولا يناكحونهم .. !

عاداتهم في الزواج والولائم

اما الزواج عندهم ، فعقده انما هو على مذهب الامام مالك ، ـ وكلهم

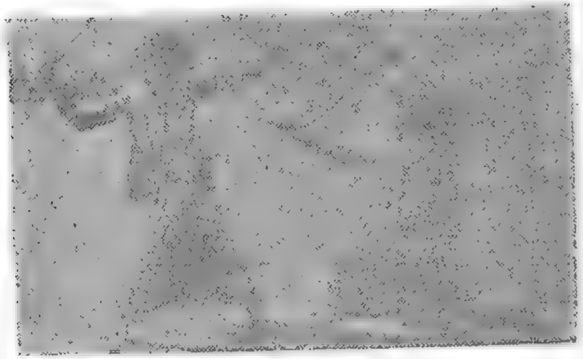

لاعبان يتبارزان بلعبة العصا التي تشبه لعبة السيف والترس في المشرق ..!

مالكيون ــ سواء في ذلك الزوايا ، وحسان ، واللحمة ، اما الزوايا : فهم مطلعون بمعرفة احكامه ، واما حسان ، واللحمة : فانما يتولى لهم العقد احد الزوايا ، ولا يتولونه بانفسهم ، واذا لم يكن معهم احد الزوايا ، احضروه حتى يتولى ذلك ، وحسان شنقيط في هذا ، ارقى من بوادي نجد والحجاز ، لان كيفية العقد عند بوادي الحجاز ونجد غريبة جداً ، ولا يسوغ لنا ان نكتب ما اخذنا خبره منها . اما المهور عندهم : فانها بحسب عرف القبيلة ، فمن زوايا القبلة ، من يأخذ نصف المهر ، ويرد للزوج نصفه . اما حسان مطلقاً ، وزوايا آدرار ، والحوض ، وتكانت : فيأخذونه كله ، واما الجهاز فبحسب العرف .

والوليمة في ارض شنقيط ، كلها مخالفة للسنة ، سواء في ذلك الزوايا اهل العلم ، وحسان اهل الجهل ، لانها عند الكل على ولي المرأة ، قبل البناء ، ولا يدعى لها احد مطلقاً ، واكثر الاطعمة ، ياكله الاوباش ، وتحمل منها موائد الى اقارب الزوج ، وتبقى المرأة في كل عيد ، تبعث موائد الى اقارب الزوج ، كما ان نساء اقارب زوجها ، يبعثن بمثل ذلك اليه ، والوليمة في المشرق ، باقية على

الرقص الشعبي أثناء حفلة زواج

الزوج بعد البناء ، ولا ينتقد فيها الا التكلف المنهى عنه ، المبيح لعدم اجابة الدعوة ، ودعوة الاغنياء دون الفقراء ، فاذا كان احدهم لين القلب يدعو الفقراء ، ويطعمهم من سؤر الاغنياء .

كيف يؤرخون احداثهم :

السائر في ارض موريتانيا ــ حتى هذا الزمن المتطور ــ انما هو التاريخ بالامور المشهورة ، كالحروب والجدوب ، وموت الاعاظم ، يقول اهل القبلة مثلا : كان ذلك سنة غدرة محمد لحبيب ، أو سنة غدرة سيد بن محمد لحبيب ، وفتنة آجلة مثلا ، او سنة ملكي اصرب . ملكي ، بمعنى ملتقى ، واصرب جمع صربة ، بمعنى الوفود التي اجتمعت لعقد الصلح بين الترارزة ، ويقولون : كان ذلك سنة شر بني فلان وبني فلان ، اي حربهم ، او سنة خير بني فلان وبني فلان ، اي صلحهم ، او سنة اكبيظ الشمس . اكبيظ : بمعنى قبضها ، اي كسوفها ، وسنة

جوقة . . من المطربين والمطربات في حفلة غناء بلدي . .

حواطه، وهي سنون مجدبة؛ يزعمون ان المطر حبس سبع سنين، وفنيت المواشي، واكل الناس الجلود ! . وهذه اللفظة عربية ، واصلها تحوط او تحيط .

ويقول اهل آدرار : سنة غدرة امحمد بن احمد بن عيد ، وسنة غدرت ـ بالتاء الطويلة ـ أحمد بن امحمد ، وسنة الطيحة الفلانية ، وهذه الاخيرة ، مشتركة بينهم كُلاً ، اي يسمون الغارة طيحة ، ويقول اهل تكانت : سنة غدرت امحمد بن اسويد احمد ، وسنة شراتيت وابكاك ، وسنة شر ادوعيش ، واحيى من عثمان ؛ وهكذا . .

ويقول اهل تيرس : سنة النعم الفلاني ، اي الخصب ، وسنة اذريره وهي سنة ادركنا من يعرف زمنها ، قالوا : ان تيرس مكثت ازمنة كثيرة ، تتوالى عليها الامطار ، وهي من اجود الارض في الابل ، واذا وقع فيها الخصب ، تحدث فيها امور عجيبة، منها ان الفصيل يركب قبل سنة، ومنها ان الناقة تلد في كل سنة . ويحكى ان بعض اهلها ، حدث انة شرب لبن انثى ، قبل ان تتم سنة ، او عند تمامها ، وصورة ذلك ، ان الفحل ضربها ، وهي بنت ستة اشهر او سبعة ، فاسقطت جنينها بعد ثلاثة اشهر او اربعة ، فعطفوها على فصيل اخر فصارت تحلب . . وهذا من الامور الخارقة للعادة ، لان الانثى لا تلد غالباً قبل اربع سنين في غير تيرس .

ويحكى ان اهل بارك الله ، وهم اعظم قبيلة في تيرس ، من الزوايا ، مكثوا اربعين سنة ، لم يروا جنازة قبل هذه السنة ، فصاروا لا يقرءون احكام الجنائز ، لعدم الاحتياج الى ذلك . ثم ان الله تعالى سلط بعض القبائل على بعض ، فصاروا يقتتلون ويغير بعضهم على بعضٍ ووقع الجدب ، فهربت الناس الى ارض القبلة ، واصاب هذا البلاء ، ادرار وأنيشيري . ويحكى ان اهل تيرس ، صاروا يهربون عن اولادهم .

ومن المسائل التي وقعت اذ ذاك ، ان رجلا يقال له ابن الديك ، كانت عنده امرأة فتعشقها آخر ، يقال له : البخاري ، ففداها منه بمال ، فطلقها . فبينا هو ينتظر انقضاء عدتها ليتزوجها ، وقعت اذريره ، فخرجت تلك المرأة مع نساء هاربات على اقدامهن، فاضرّ بهن الجوع، فوجدن بقراً لمحبوبها، فذبحت منه تبيعة ، فوافاها محبوبها وكلمها كلاماً عنيفاً ، وهددها بالضرب، وطلب منها انْ تقضي له تبيعته . فقال بعض الادباء يعتبر بحالها :

انظر الى معشوقة البخاري   وعزها الآئل للصَّغَار . .!
كانت لنجل (الديك) عرساً وهو لا   يبغي بها من النساء بَدَلا
ففرق البخارِ(١) بالفداء   بينهما ِللاَعج الاهواء
وكرعا كأس الصبا زمانا   وكان من امرهما ما كانا . .
غص بها المِجْوَلُ والحِجالُ   وطاب منها ذلك المجالُ
وأسْهِرت من هجرها الرجالُ   وأعمِلَت في وصلها الجِمالُ
واخضرّ جلدها من اللباس   من فاخرات الهند او (دماس)(٢)
وأسقيت خوالصَ الالبان   عن كثرة ، والدهر ذو ألوانِ
راحت سعودُ سعدها أوافلا   وانقلبت رياحها شمائلا . .!
وشامَت الخُلَّبَ في امصارها   ونعب البارحُ عن يَسارها
واثرت عُرى خوالصِ الأُدُمْ   في جيدها، وغير ربّي لم يدم
ولم تزل في تيلك(٣) الحال الى   نعوذ بالله من أنواع البَلا . .!
ان ذبحت بنت لَبونٍ من بقَرْ   عاشقها الذي بها قد اشتهر . .
فرام ان تقضيَه في الحينِ   بعد كلامٍ غير مستلين !
بل همّ ان يوجعها بضربها   على خدود كان مفتوناً بها . .!
نفس الاريب انتبهي واعتبري   وجددي العبرة ايضاً وانظري
بين التلطف الى المعشوق   وسطوة الطالب بالحقوق

---

١ ـ حذفت الياء للترخيم .

٢ ـ دماس لفظة فرنسية Damas اي دمشق الشام . .

٣ ـ تصغير تلك .

وبين تَلَمْس الجلد باغتباط   وَسوْمِه بمؤلم السِّياط ..!

توقيتهم بالحساب القمري ــ العربي

اما الحساب عندهم ، فمنه عربي ، وهو الحساب بالشهور القمرية ، واسماؤها منه ما ابقوه على اصله ، ومنه ما غيروه ، يقولون : رمضان ، والفطر الاول والثاني ، فالاول شوال ، والثاني ذو القعدة والغيد . وفي بعض الاحيان يقولون : عيد اللحم ، احترازاً من عيد الفطر ، وعيد المولد النبوي ، وعاشور ، اي عاشورا ، واتبيع : بمعنى صَفرَ ، والمولود : اي المولد والبيظ الثلاثة ، بمعنى البيض ، وهي ربيع الثاني ، وجمادى الاولى والثانية : ويقولون : لكْصَير الاول ولكضير الثاني : مصغران ، بمعنى القصيران ، ولو قال قائل مثلاً : صفَر والمولد الثاني ، وجماديان ، ورجب وشعبان ، ما فهمه الا من كان من اهل العلم . واما الاشهر العجمية ، ففي الفاظها عندهم بعض اختلاف عن اهل المشرق ، يقولون: ينـاير ، فبراير ، ابريل ، مي بوني ، يولى ، اغشت ، شتنبر ، آتوبر ، نونبر ، دجنبر ، ففي يناير ابتداء حراثة شمامه . وفي مارس تابير النخل . ويكثر الصمغ فيه . وفي يوليه يزهو النخل . وفي اغشت تكثر الامطار ، وتطوى الحصر التي ينشر عليها التمر .. ما عدا مدينة شنقيط فذلك وقت أكل بلحها ..؟

أما اسماء الشهور الشمسية الغربية[1] على نحو ما نعرفها في لبنان والاردن والعراق والاقليم السوري ، فلا يعرفها عندهم احد بما فيهم المتعلمين .. ذلك انهم لا يستعملون في تواريخهم المكتوبة سوى التاريخ الهجري ، اي الحساب القمري ــ الامر الذي يدل على ما يوحي لك شدة إصالتهم ورسوخهم في الاسلام، بعكس المسلمين السود، فانهم لا يعرفون ولا يؤرخون الا على الحساب الغربي (النصراني) ..

السحر والسحرة

حدث عن السحر والسحرة في افريقيا السوداء ما وسعك الحديث والخيال ، فلا خوف عليك من ان تُتهم بالمبالغة ..

فالقوم هناك ، حتى اكثر المثقفين الراقيين منهم ، يؤمنون بالسحر والشعوذة والاعمال « العجيبة » .. وقلّ فيهم من عنده مناعة عامية ونفسية ضد تأثير تلك الامور ، أو عنده اليقين والتأكد من بطلانها ..

ان عندهم لذة لا تضارعها لذة في الايمان بها وتصديق مفعولها مهما كانت الظروف والاحوال .. واعمال السحر متفشية في المدن والضياع ــ الداخلية ــ المتأخرة على السواء .. وهي بالنسبة لعدد كبير منهم ــ محترفين ــ مورد رزق كبَير لا يضاهيه مورد ...

العبد الساحر ــ مثلا ــ اذا ضربه سيده او غيره لا يلبث الا يوماً أو يومين ، فيقع رأسه على الوسادة فيموت عاجلا .. والناس يقولون ان العبد الساحر ينظر الى رئة الانسان .. وانه اذا أراد ان يسحره ينزع قلبه منه، لكن لا يأخذه الا اذا لاصقه او لاصق ظله .. ويزعمون انه اذا اخذ قلب الشخص يواريه في الرماد فينقلب كبشاً بعد مدة قليلة .. وان المسحور لا يموت ما لم يذبح ذلك الكبش .. واذا اتفق ان مات الساحر او قتل قبل المسحور، ينهض هذا كأنما نشط من عقال.!

احوالهم الصحية والمرضية

الحالة الصحية عندهم سيئة على وجه العموم، لاسباب عديدة ، بعضها خارج ارادتهم ، وبعضها في يدهم .. فالبلاد اكثرها وحشي الفلاة ، اي صحراوي وعسراوي الى حد يتعذر معه وصول الطب والطبيب ووسائله اليه لقسوة الحياة ، وحرارة المناخ .. وهكذا تظل وسائل الصحة مقصورة على المدن الكبيرة العامرة وهذه قليلة ، والمريض يموت قبل ان يصلها .

وعلى وجه التفصيل السريع ــ لأن لذلك شرحاً يطول اذا اردنا ــ فان في البلاد تفاوتا بين منطقة واخرى . فمثلا بلاد تيرس ، مرضها المعروفة به اسمه « البلعام » . وهذا المرض ينشأ من شرب الماء المالح ، والآبار هناك كلها مالحة.. وصفة المرض ان تعتري المريض حرارة زائدة في جوفه وظاهر بدنه ويكثر ا كله

---

[1] ــ هي ، (ونسجلها لهم ليحفظوها) :
كانون الثاني ، شباط ، اذار ، نيسان ، ايار ، حزيران ، تموز ، آب ، ايلول ، تشرين الاول ، تشرين الثاني ، كانون الأول .

الى حد لا يكاد يصدقه احد !!

ثم السّل، ويسمونه « السعلة » وهذا لا ينفع فيه الاطباء غالباً . . وكل من يقع بهذا المرض يتجنبونه ، ويسمونه ايضاً « مرض الشهداء » . وربما عالجوا المسلول باطعامه « التيشطار » ، وهو قديد لحم البقر والابل ، وذلك بان يذبحوا البقرة أو ينحروا الناقة فيرققوا لحمها شرائح صغيرة وطويلة ويجففونه في الظل ، ثم يقلونه بالسمن . . ويقولون انه لا يصلح لمرض السل الا شرب الشنينة (مخيض اللبن) ، ولا يجوز ان يشرب الماء ابداً . .

وهناك امراض اخرى كثيرة ، منها اكند (بهمزة مكسورة ونون ساكنة) ، ومنها البروت ولِمْحس والرمَد و « توجاط » اي الحمى الشديدة الوطأة الخ .

الا انه على العموم ، يلاحظ المراقب ان اهمال القوم لحياتهم ، وغلبة البداوة عليهم ، وبالتالي اتكالهم على الخرافات والعلم الخاطىء الموصوف في معالجاتهم القديمة ــ كل ذلك يساعد على انتشار الامراض بينهم واستفحالها حين تهاجمهم .!

وقد بدأ الطب الحديث يدخل موريتانيا ، وبدأ بعض السكان يراجعون الطبيب العصري ويستعملون الوصفات العصرية ، ولكن الصيدليات الحديثة غير موجودة الا في المدن النائية الكبيرة كسانلويس ودكار وكولخ وهذه ليست مدنا موريتانية . ولا ريب انه لن يمر زمان طويل بعد اليوم حتى نرى عندهم مثل المدن المذكورة ، متوفرة فيها الاسباب العصرية .

أرضُ شِمَامَه

هي ارض الزرع والضرع . . وعليها يعتمد سواد الموريتانيين من اهل (الفلح) والحيوان .

وقد وصفها صاحب « الوسيط » بقوله :

« شمامة : ارض سوداء كبيرة المساحة ، لا تُسكَن الا من مبدأ فصل الشتاء ، الى آخر الصيف ، وهي متفاوتة في الهواء ، تبتديء من قريب من (الزيرة) مما يلي ندر ، ويقال له عند الجغرافيين : سنغال وتلوي مع بحر ايجك ، الى ارض ابن هيبه ، وهي كثيرة السباع والنمور ، في اغلب السنين ، واخبرني من له بها خبرة ، ان السيل يعلو على راس شجرها المسمى عندهم بآمور ، وهذا الشجر فيه ما لا يقل عن خمس قامات طولا ، وفيها مزارع كثيرة من الدخن ويعرف عندهم بالبشنة ، يبتديء سيلها من آخر الصيف ، الا انه يقتصر في اول امره على الانهار الجارية ، ثم يعم الارض كلها ، فاذا انقطع هذا السيل ، وجفّت مجاري تلك الانهار ، تبقى كالاخدود العميق ، وينقص الكبير منها ، وتبقى نواحيه مرتفعة عن الماء بقامات ، كما شاهدناه مراراً ، فاذا كان في آخر الخريف ، يتجاوز السيل الى جميع شمامه حتى يغطي اكثر اشجارها التي تقدم وصفها ، فاذا كان السيل جاهلا (اي كثيراً) فذلك دليل على سيل حباية ، والتي تقدمت ، ويكون سيلها بعد رجوعه من شمامه ، هكذا يقولون » . وبعد ان تجف شمامه ، يبتديء اهلها في زرعها ، ويكون ذلك غالباً في شهر يناير : (كانون الثاني) .

وهواء شمامه ، رديء جداً ، وماؤها مضر استعمالا وشرباً . وهي ارض خصبة بالنسبة الى ذلك القطر الصحراوي .

هجو شمامة :

الى الذين لا يعرفون اصطلاحات اهل تلك البلاد في التعبير ، فيفوتهم معرفة

الكثير ، اقول : ان صاحب « الوسيط » حين قال ان « هواء شمامة رديء جداً » كان يقصد المناخ .. لان « الهواء » عندهم يعني طبيعة البـلاد المناخية . اكتفى بالقول ان الهواء رديء ، ولم يشرح شيئاً ليفهم القارىء بعض الاحوال عن حياة البلاد من الناحية الصحية العامة . ولكني ، وقد عشت زمناً في تلك البلاد ، وعانيت اهوال الحياة الصعبة فيها ، اعقب على قول صاحب الوسيط ، ـ المرجع ـ فاقول :

ان مناخ افريقيا كله على العموم رديء ، ومؤثر اكبر تأثير بالصحة العامة ، وخصوصاً على صحة الابيض الاوروبي والاسيوي ، وخاصة اللبنـاني الذي لا يختلف في لونه ونمط حيـاته عن الاوروبي بشيء ، لا سيما ان مناخ لبنان الجيد ، يشبه كثيراً مناخ اجمل البلاد الاوروبية كسويسرة مثلاً .

على ان مناخ شمامة الموريتانية اكثر رداءة وسوءاً من كل ما عرفت من افريقيا السوداء للاسباب التالية :

- كثرة المستنقعات والحشائش التي تجلب البرغش « رسول » حمى الملاريا الى كل جسم اثناء الشتاء ..
- قلة الوسائل الصحية العصرية . بل انعدامها في اماكن عديدة من شمامة .
- قسوة حياتها الصحراوية والمناخية صيفاً وشتاء ـ الامر الذي لا يشجع احداً من اصحاب الاعمال التجارية او الموظفين على السكنى بها ، وحمل وسائل المدنية ، والرفاهية اليها لا من البيض ولا من السود ..

لذلك ، يعتبر كل من كُتب عليه ان يعيش في شمامه ، فكأنما كتب عليه العذاب !

وبذلك يقول بعض شعرائهم :

صاحِ ، شمّر معـي بكور غراب   نسترحْ من بلاد (بولـّه وجاب)(١)
يشم القلب ماءهـا وغضاهـا   واكتفى من غنيمهـا بالاياب . .
كل ارض لاهلهـا جُعِلَت شا   مآ ، و (شامام)(٢) اهلها في العذاب . !

---

١ ـ ذلك ان معظم سكان ارض شمامه هم من قبائل البولله السود ، وبعض القبائل الرحل البيض من ازناكه الذين لا يعرفون غير الزرع وتربية المواشي .

٢ ـ يقصد شمامه .

مَناخ آدرار وَشجره

آدرار من اجود البلاد مناخاً ، واصحها هواء ، وهو بين الحرارة والبرودة ، بالنسبة الى غيره . فاهل البلاد الحارة كتكانت والقبلة ، يعدونه بارداً ، واهـل تيرس يعدونه حاراً ، ويلائم هواه كل طائفة ، وارضه جيدة ، فاذا اصابها اقل مطر تخضر ، وتدر مواشيها ، ويكثر السمن عند اهلها ، الا انها تمر عليها سنين كثيرة من غـير ان تمطر ، وكثير من اوداته لا يحتـاج فسيله اذا غرس الى السقي ، اكثر من ثلاث سنين ، فيستغنى بعد ذلك عن السقي ، لان عروقه تصل الى الماء ، وفيه اماكن تغرس الفسيلة فيها ، ولا تسقى ، لأن ماءها تحت التراب من القرب .

ويزرع اهل آدرار القمح والشعير تحت النخل في فصـل الشتاء ، ويسقون زروعهم بالدلو ، ويسمونه آشيلال وهو عمود على فم البئر ، ويجعل في اسفله حجر عظيم ، وتنصب له خشبتان على فم البئر ، فاذا أراد الساقي ان يمتح ، يرمي الدلو المعقود في رأس تلك الخشبة ، فيهوي بها ، فاذا امتلأ الدلو يترك الخشبة فترتفع بسبب الحجر الذي في اسفلها ، فيرتفع الدلو الى ان يقرب من فم البئر فيمتحه ، وهكذا . فاذا كان في آخر فصل الربيع ، يجذّ ذلك الزرع ، بعد ان يجذ التمر . ويحرثون زرعاً يسمونه مُتْري ، على هيئة ما يفعلون بالقمح والشعـير في بلاد العرب . فاذا جُذ ، يزرعون القمح والشعير في اعقابه ، وهكذا اهل تيجكجه . وهناك نوع آخر وهو : فُنْدي ، وهـذا يزرعونه في المطر ، ويكتفي بقليل من المـاء ، ويزرع في الرمال والاودية ، وهو بطيخ ابيض اللون واخضر ، وبزره ابيض ضخم ، وهو من اجود البطيخ ، ويصنعون من بزره دقيقاً ، يخلطونه بدقيق الدخن ، ويصير منه شبه العصيدة .

اسماء شجرهم

واما الشجر الذي في آدرار وبلاد شنقيط الاخرى فان اكثره غير مُشاهد في بلاد المشرق كلبنان ، والجمهورية العربية المتحدة ، وتركيا . ولكنـــه قد يوجد في السعودية . ويختلف اكثره بالاسم لاختلاف اللغـــات ، فمن شجر تلك البلاد ، الطّلح : والسـنمات(١) وأيكنين(٢) وآتيل(٣) وتيشط(٤) وتيتارك(٥) وتورجة(٦) واجدار ــ ولا يكون الا في الجبال ــ والسدر ، ومنــه نوع يسمى اهريتك(٧).

---

١ ــ هو السلم ، وورقه واغصانه الرطبة مرعى للابل والنعم ، وترعاه الظباء ايضاً وتدبغ بورقه الجلود ، وله نوار اصفر ، تفوح منه رائحة لا بأس بها ، ويسمون نواره : تيدشمه .

٢ ــ (بكاف معقودة) شجر عظيم صلب ، وله اغصان ، وفيه شوك ، وله ثمر يشبه ما يباع في اسواق الاستانة ، وازمير ، وهو الذي يسمونه الكرز ، في لبنان الا ان هذا جيد يؤكل ولا ضرر فيه ، واما ثمر الشجر المذكور ، ــ الاكنين فلا يؤكل غالباً ، لما يقال من ضرره ، وذلك لبطء هضمه ، وهذا الشجر كثير في الحجاز ، ولا ادري ما يقولون له .

٣ ــ هو شجر عظيم لا ييبس ورقه في وقت من اوقات السنــة ، وله ثمر يسمونه العنب ، وهو صحيــح في المعدة ، الا ان اكله يتاذى جليسه من رائحته اذا تكــلم او تثاءب . . ويقولون انه هو السرح .

٤ ــ هو شجر منــه الكبير ، والصغير ، والمتوسط ، وله شوك عظيم ، وله ثمر كهيئة التمر ، واذا ارطب يصفر ، فاذا نضــج تجف القشرة عليه ويأكله اوباش الناس ، ويأخذون نواه ، ويطبخونه بالماء ، ثم يكسرونه عن شيء في داخله ، وياكلونه ايضاً ، وهم بهذا الذي في داخله ، الهج مما يكون تحت قشرته ؟

٥ ــ هذا شجر طويل ، ومنه القصير ، ولا شوك له ، واغصانه لينة ، وله ثمر كهيئة فروع اللوبيا ، وفي ذلك الثمر لبن ما دام رطباً ، وربما عملت من اغصانه حبال ينتفع بها قبل أن تيبس : فاذا يبست تقطعت ، ولا تزيد مدة بللها عن يوم ، اذا كان بارداً ، فان كان اليوم حاراً لا تصبر الا بعض يوم ، وهذا الشجر يوجد ايضاً في الحجاز .

٦ ــ شجر لين العود املس ، وله ورق عظيم ، وهو العشر بعينه ، لان ثمره الذي يشبه بشقائق الجمال ، موجود في تورجة وكذلك ورقه ولبنه ، الا انهم يذكرون في صفات العشر أن له صمغاً حلواً ، وليس كذلك ما في الصحراء ونظيره موجود في بطحاء احد ، فهو كالذي في شنقيط شبــه الغراب بالغراب . . !

٧ ــ : اهريتك : سدر صغير الجرم ، ينبت في ضواحي مدينة شنقيط ، وله نبق صغير .

والحاذ وآسكاف . وينبت عندهم الجرجير وفيه الاذخر والثمام(١) والاسبــاط واوراش(٢) والطير ، وام الخريصات ، واشكاره(٣) والدسمة والحميظ .

---

١ ــ الثمام : يعرف عندهم بام ركبة ، وهو كثير في الحجاز .

٢ ــ شجر ليس من الحجم الكبير ، بل يكون متوسطاً وصغيراً ، وليس له شوك ، وله اغصان لينة ، وهو من مراعي الابل ، ويقولون انه هو الارطي ، وليس كذلك ، لان صفة الارطي تباينه .

٣ ــ نبت تأكله المواشي ، ولبنه خبيث الرائحــة ، ومن شربه يتأذى جليسه برائحته . .

وجملة القول أن شجر موريتانيا وارضها ومناخها ونخيلها يشبه شبهاً شديداً بلاد « الارض المقدسة » في السعودية والعراق !!

الحيَوان الاهلي وَالوحشي في موريتانيا

ينقسم الحيوان في موريتانيا ، الى اهلي ووحشي ، والبلاد تتفق في اغلبيته . وقد يوجد في بعضها نوع خاص باقليمه . ففي آدرار مثلا ، من الحيوانات الاهلية : الخيل ، والابل ، والبقر ، والحمير ، والغنم . اما الخيل ، فتقسم الى عتاق ، والى غيرها ، وتسمى العتاق لِحْرا يِرْ ، اي الحرائر . ويقولون : هذا الفرس من المدرك الفلاني ، كاغزْالات والكيشْريات وغيرها . فاغزالات لاهل عيدَّة ، امراء آدرار . وما يوجد عند غيرهم من حسان ، انما يهدونه اياهم .

واما خيل تكانت ، فتكثر فيها العتاق ، وهي مدارك ايضاً ، اي اصول كآدفينجات ، والكشبريات ، واغزالات وغيرها . وقد يتولد الفرس بين العتاق وغيرها ، فتحسن صورته ، ويقرب من العتاق في اوصافه الحميدة ، الا ان حسان لا يلبّس عليهم بالصريح المحض ، ويسمون هذا النوع : جرطانيا وجرطانية ، اي مُعتَق ، او معتقة .. سموه باسم الانسان المعُتَق عندهم ..

وتكثر العيتاق في الحوض ، عند اولاد الناصر ومشظوف والاغلال . وامتازت ارض شنقيط بان الخيل لا يحمل عليها الامتعة ، سواء كانت عتاقاً ، او براذين ، وهو تقليد مرعي عندهم يعني ان الخيل في نظرهم ذات كرامة عالية عن الاستخدام المهين ، بحيث لا يجوز ان يلحقها الهوان بتحميلها ما تحمله الحمير والدواب الاخرى مثلاً ..

اما الترارزة فالخيل العتاق عندهم قليلة ، وارضهم ليست كآدرار وتكانت والحوض ، في مطابقة هواها (المناخ) للخيل . ويكثر فيها باروش ، وهو مرض يقتل الخيل في شهر اكتوبر ، يقال : إن منشأه ريح هذا الشهر .. ويوجد في غير ارضهم ايضاً ، وهو اكثر آفات الخيل واشهر مدارك الترارزة السبُعيات .

صفات الخيل العتاق وكراماتها :

للخيل في موريتانيا ، كما للناس : درجات ومراتب ، وصفات وكرامات ، وخاصة للخيل العتاق التي لا يفضلون عليها حيوانا مهما كان نفعه وشأنه ..

وعلى الرغم من ان هذا العصر عصر السيارة ــ ويسمونها (الوتَّهْ) ــ فان الفرس العتيقة ــ الاصيلة ــ والجواد الاصيل عندهم خير من ان احدث « كاديلاك » مهما غلا ثمنها ...

فلقد توارثوا عادة تقدير الخيل العتاق ، وحفظ كراماتها جيلا بعد جيل وما زالوا ... ولا ريب في ان للوازع الديني تأثير عليهم في هذه الناحية ، وفي عدة حالات اخرى تشبهها .. انهم يرددون دائماً الحديث النبوي القائل : « ان الخيل ، ظهورها عز ، وبطونها كنز » .. وهم يحفظون انسابها ويرددونها من عتيق لعتيق ، مثلما يحفظون انساب كرام الأسر ، ويروون سيرة اعراقها جداً عن جد !!

ويعتبرون الخيل مركوب الاكابر وعُليْة القوم ، كما هي الحال عند اهل هذا العصر في اختيار السيارة الفخمة الجديدة الصنع و (الموديل) ..

حتى في هذا العصر الذي اصبحت فيه السيارات والطائرات مركوب الانسان البري والجوي ملء الارض والسماء .. حتى الآن لم تهبط اسم الخيل في موريتانيا ولا انخفض ثمنها .. ولا تزال غالية غلاءً ماديا كبيراً بسبب غلاء قيمتها المعنوية ..

من كان عنده فرس حرة ، او فرسان ، يرى نفسه انه غني .. ويقل من يقدر على شراء فرس حرة كلها ، لبهاظة ثمنها .. ولا يزالون الى اليوم ، يساومون على شراء رُبْع الفرس او نصفها . وكان ثمنها حتى عصر صاحب « الوسيط » القريب يساوي مئة ناقة .. والاصطلاح الاكثر شيوعا ، كان في ان يبيع احدهم ربع فرس او نصفها ، او ثمنها مع رسنها ، اي بشرط ان تبقى عند المشتري ، حتى يكون لها من النسل ما يحتمل ، القسمة ، وهذا انما يكون في حسان ، لان الخيل في الزوايا قليلة ..

وهناك عائلات تاريخية معروفة باقتناء الخيول الكثيرة ذكر منها : اولاد سيدي المختار الكنتي ، وآل الشيخ سيدي ، وآل ادوعل وغيرهم . ولكن اليوم لم تعد

العائلات المعروفة وحدها تملك الخيل ، فقد اصبح في البيضان اغنياء كثيرون من عائلات غير معروفة تملك خيولا كثيرة ، اذكر انه كان على زماني يوم كنت في بودور ــ ١٩٤٥ ــ ثري بيضاني كبير من اثرياء الحرب يدعى محمـــد الحافظ (ادوعلي) كان يملك من الخيول ما يعد بالمئات !

وذكر من اسباب غلاء الخيول عندهم سبب جوهري جداً وطريف ، وهو انها كانت الاداة الوحيـــدة للسرعة واللحاق بالغزاة واسترجاع الغزو احيانا . . بالاضافة الى ان عادة صيد المطاردة (صيد الغزلان والوحوش) كانت عـــادة معروفة بواسطة الجياد الاصيلة، وقد دخلت قصة هذا الصيد الادب العربي القديم ونظم الشعراء القدامى كالبحتري وابو صفوان الاسدي وحميـــد بن ثور وغيرهم قصائد - طرديات ــ لا ابدع منها ولا اروع !

ويحدثنا احد ابناء تلك البلاد العارفين ــ صاحب الوسيط ــ حديثاً يعزو فيه غلاء الخيول عندهم الى صفات اخرى غير ما ذكرنا ، ويصور لنا حياة القوم في ماضيهم الذي كان قائماً على الغزو والغارات ، فيقول :

« اما سبب مغالاتهم في تقدير الخيـــل العتاق ، فهو سرعتها وصبرها ، فقد بلغنا ان سيد احمد بن ابراهيم اخليل التروزي ، كان عند احمد بن عيدّه ، رئيس احيي بن عثمان ، زاوك ، وكان ــ اي سيد احمد ــ منفيا من رئيسه محمد لحبيب ، فبلغه ان ابلا له اغار عليها بنو دليم من بعيد ، فركبت فرسانة على خيله العتاق ، فتبعهم ابن ابراهيم اخليل المذكور ، ولحق بابناء دليم ، فقاتلوه دون الابل ، فقتل منهم ستة ، كل مرة يرمي عليهم فرسه ، فيقتل اثنين ، ويركضها حتى يجعل في مدفعه (اي بندقيته) ثم يعود كذلك ، حتى تركوا له الابل ، فجعل يسوقها حتى وافته الخيل ، فتركهم يسوقونها ، ورجع قبل ظهر اليوم الذي خرج صبيحته ، وكان قد لحق بالمغيرين على بعد سبعة ايام !.

ومن هذا القبيل ، ما وقع ليوسف بن لكْلَيب احد ايكاون احمد سالم بن محمد الحبيب ، وكان احمد سالم المذكور ، نازلا في اكان ، مع من معـــه من الترارزة ، بعد ان هزمه اخوه اعل بن محمد لحْبيب ، فبعث يوسف المذكور على فرسـه

(اغزالة شوفا) ، اي طليعة . فذهب صباحاً ، وطاف بعدوه في بلاد يقال لها : (ادخل) ، وهي مسيرة ايام من الموضع الذي توجه منه ، ثم رجع قبل الظهر ، وجعـــل يدور على اصحابه في منازلهم ، وجعلت الفرس تأكل علفها ، فتعجب الناس أيهما اقوى !!

الحيوانات الاخرى ومناطقها

أما البغال ، فلا توجد في موريتانيا ، واما السباع فان آدرار اقلهـــا سباعاً ، ولا يوجد فيه الا الذئب والضبع ، ولا يأكلان غير الغنم ، بخلاف الذئب في ارض الحجاز ونجد . فانه يأكل بني آدم ، وكذلك الضبع في ارض سوس . .

اما تكانت ، ففيها الاسود ، والدببة ، والضباع ، والذئاب ، لكثرة مياهها ، وموضع السباع منها ، انما هو (تامورت انعاج) ، وجانبها الشرقي وفيها الفهود ، ودببتها آفة على الابل . .

اما الرقيبة : فاكثر البلاد فيلة واسوداً ودببة ، وكل السباع فيها .

واما (آوكار) : من ارض القبلة : فلا يوجد فيه غير الذئاب والضباع ، وقد توجد كلاب الخلاء ، وهي كلاب في القفار متوحشة ، تأكل بني آدم ، وتخاف من رغاء الابل ، كما يخاف الضبع منه ، في ارض الفرس والافغان !

واما آتكور ، وما يليه من ارض العُقل ، فتوجد فيه الدببة والذئاب والضباع . اما الذئاب والضبع ، فلا يتعرضان لغير الغنم . واما الدب ، فيأكل البقر والغنم والحمير ، ولا يتعرض للابل . .

واما اكيدي ، فان الدب فيها يأكل الابل ، كما تقدم .

واما شمامه ، وادخل : ففيها السباع والنمور والفهود ، والنوع المسمى بكلنكي ، وهو اشرها كما يقال ، وبعده النمر ، ثم السبع ، وهو اقلها مضرة لبني آدم .

اما الابل : فارضها التي لا تساويها ارض ، فهي (تيرس) ، وداؤها الذي يستأصلها فيها ، انما هو الجرّب . ولا يوجد في الارض مرض الذباب المعروف : بتابريت . والخبيرون بهذا الداء يعرفونه باستنشاق بولهـــا ، فيُبيلُها احدهم على

زنده ، ثم يشمه اذا يبس .. وهي كثيرة في تلك البلاد ، ولا يفنيها الا داء الذباب او الجرب ..

اما البقر : فيكثر في ارض القبلة وتكانت والحوض واركيبه ، واقل البلاد بقراً آدرار ، لكثرة جدوبه ، وهو عندهم على خلقة بقر الحجاز ، ولا يوجد في تلك البلاد الجاموس . وقد يقولون للبقرة ، اذا كانت لا سنام لها جاموسة ، وهو غلط ، لان الجاموس نوع قائم بنفسه لا يشتبه بغيره . وهذا يعود الى عدم معرفة القوم بغير بلادهم ..

واما الغنم عندهم : فلا اليات لها ، كما يوجد في غنم المشرق ، بل ان لها اذنابا كاذناب الماعز ، وهم يعتقدون ان هذا الغنم اي غنم المشرق من نسل غنم نبي الله شعيب عليه السلام ..!

واما الحيوان البري : فيختلف باختلاف البلدان . اما ارض آدرار ، فتكثر فيها الآرام ، ويسمونها الامهار ، وواحدها مهر ، وفيها الغزال بنوعيه ، فكبيره الاسمر ، يسمونه الدامي ، والصغير الذي فيه صفرة يسمونه لغْزال وهذه الانواع توجد في تكانت بكثرة ، وفي آوكار من ارض القبلة ، حتى يتصل بارض العُقل ، فتنقطع الآرام ، وفيه نوع يسمى : شات أمْل ، اي النمل ، وهذا النوع لا يخرج نهاراً . وانما يبقى في مكامنه ، ثم يخرج ليلا ويضع ذنبه في قرية النمل ، حتى يلصق فيه فيأكله .. وقد شاهدت آثاره على القرية كثيرة ؛ ينبطح عليها ويجر ذنبه . اما المهى ، فارضه أدافر ويسمونه : لِنْمه . وواحدته امهايْه ، اي مهاة .

اما الجنس المعروف باجمل ، واركميم ، وحمار الوحش الموجود في بوادي نجد ، فان هذه الاجناس في اركيبه بكثرة ، وما اكثر الصفات التي تتجانس فيها وجوه الشبه بين بلاد الحجاز وبلاد موريتانيا !

اما النعام : فانه يوجد في ارض الحوض وادافر بكثرة ، ولعله يوجد في نواحي آدرار في بعض الاحيان ، وقد تطرده جسان في ايام الصيف يضمِّرون له الخيل ، ويتَّجرون بريشه ، ويسمون ذكره ظليم ، وانثاه النعامة .

الأفاعي والعقارب في موريتانيا :

الافاعي كثيرة في ذلك القطر كله ، وخصوصاً في تكانت ، وقد ذكر العلامة سيدي عبدالله بن الحاج ابراهيم العلوي ان سرى الراجل في تكانت حرام ، لما فيه من التعرض للمهالك ، ثم ان الافاعي متفاوتة في المضرة فمنها : الفاعْ . اي الأفعى . وقد يقولون له : الفاع الاركط ، اي الارقط ، وهو خبيث منكر . ومنها : كيشكاشه وهي ضرب من الافاعي ، تحكّ بعض جلدها ببعض ، اذا آنست الانسان ، فيسمع لها صوتاً مزعجاً ، فاذا سمعه وثب فارًّا !! وهي التي شبه الاعرابي صوت شخب ناقته بصوتها ، حيث يقول :

كأنّ صوتَ شخبِها المرفَضّ   كَشيشُ أفعى أجمعت للعضّ
فهي تحكّ بعضها ببعض !

وهذا التشبيه ، في غاية الحسن ، خصوصاً اذا كانت الناقة كثيرة اللبن ، واسعة مجرى ضغطه من الخلف ..

ومنها (كُرُجْمَهْ) وهي حية عظيمة ، لا تكون الا في محل فيه انهار غالباً وقد تكون في محل فيه شجر (افرش) هو الآراك الذي تستجاد مساويكه وهي لا تعض ، وانما تلتوي على الانسان فتقطعه نصفين ، ان التوت على نصفه ، وان التوت على ساقه قطعتها وحدها !! ومن العجائب ان السودان يأكلونها !. ورأيت عندهم سيوراً من جلدها يجعلونها تكّة للسراويل !..

اما العقارب ، فانها كثيرة جداً ، ولكنها لا تقتل من لسَعتْه ، والناس يزعمون ان من لسعته ، وركب حماراً ، وجعل وجهه الى ذنبه يبرأ .. ويزعمون ايضاً ان من لسعته لا يشفى الا بعد ان يمكث اربعاً وعشرين ساعة يصيح !..

وقد يعملون للصبيان ترياقاً ينفعهم في لسعها ، وهو ان يذبحوها وهي حية ، فيقطون الانبوبة التي تلي ذنبها ، والتي فيها الشوكة فيرمونها ، ثم يأخذون الثلاث الباقية ، فيحرقونها بالنار ، حتى تستوي ، فيجعلونها في شيء يزدرده الصبي .. فيمكث مدة لا يؤثر فيه لسغها !..

ومنها نوع يقال له (بنَيْنَهْ) وهو حنش فيه نقط سود ، واكثر لونه يميل الى الصفرة ، يئن اذا اراد ان يعض الانسان . ويقال انه ينقلب على ظهره قبل اللسع (كَيَرْوَهْ) : هي اشر حيات تلك البلاد ، وهي حنش ضخم اصفر ، وعلى جلده قشور ، وله ظفر في ذنبه ، لا تخلو منه ارض في موريتانيا ، اذا كانت تنبت شجر آفرنان ، وهذا الشجر كثير في ارض تكانت ، وهذه لا تنفع فيها الرقاة غالباً ، ولا يعيش من لسعته ، اكثر من ساعة او ساعتين !!

قال صاحب « الوسيط » :

« وقد رأيت رجلا من قبيلة ادوعل اسمه (الفخ بن انجاي) يرقيها ، وقدثبت عندي انه رقاها وعاش صاحبها !! والحكمة التي عنده لا توجد عند غيره ، وقد تلقاها عن رجل من لِكنوَر ، (اي السودان) ومن عجيب امر هذا الرجل ،انه يتخطى الملسوع ، فيشفى من غير ان يمسه !! »

ومنها : (صواع البُجْوان) ، وهي حية تطرد راكب الجمل فتثب عليه ، والجمل يجري فيلسعه فيموت !!

وصف حسى لغابة افريقية موريتانية[1]

بعد هذا العرض الذي تقدم لغابات موريتانيا ووحوشها وزحافاتها كمعلومات واخبار ، ارى بالمناسبة ان انشر هذه المقطوعة الادبية الوجدانية من الوصف الحسي لغابة افريقية موريتانية ، اجتزتها بين باكل وسيلبابي – وحدي كابيض – عام ١٩٣٨ ، برفقة مرافق عبد سراخللي ، وقد انطبعت نفسي باهوال ومخاوف ، اترك وصفها للقطعة المذكورة :

الدّاخل فيها كالداخل في نَفَق في ظلمات بعضها في بعض !!

إنها فوق ما ينهض به ظنك وخيالك ، من وعورة وكثافة وهول !!

تدُخلها فتداخلُك خشيةٌ مرافقة ، هي خشية الاستيحاش الضارب في مذاهب حدسك وظنّك ، سواء أكنت مسلحاً ام اعزل . ! فمهما توفرت الشجاعة في قلبك ، وبلغت الطمأنينة في نفسك ، فانك مأخوذ بتلك الخشية الى حدّ ، ومُستَخذ لتلك الرهبة الى مقدار !!

ولستَ ملوما ولا مُنتَقَصاً : لان الذي يهولك ، او يوحي اليك الهول في افزع حالاته هو « الطبيعة » ، وحشية الطبيعة الهائلة في الغابة !

انت فيها منهمكٌ بنفسك ، منشغلٌ بحذرك وتحسّبك من وحوشهاوغوائلها .. فاذا أمّنك السلاح من هذا الحسبان ، فما صرف عنك شعور المهابة التي يمتلىء بها قلبك على اي حال ، حيال هَيبتها وجلالها وقطوبها !!

* * *

انت فيها في بحرٍ لُجّيّ ، في بحر ظلمات ، لا في غابة مكتظة ُجلّ امرها انها

---

[1] (١) كتبت هذه المقالة الوصفية في مدينة كولخ – السنغال – بعد ست سنوات من الرحلة الرهيبة التي اوحتها .. ثم نشرتها سنة ١٩٥٠ في مجلة « الالواح » وتناقلتها عدة صحف ادبية في دمشق وبيروت اعتز بتقديرها .

« شجر » بعضه فوق بعض ، وهشيم خصيب لاتبين منه الأرض !! ..

كلما توغلتَ فيها ، اكتظت واكتظت .. حتى لو أن غَيمةً دخلَتْها لما انْسرَبَتْ منها !!!

تبصر السماء احياناً من خلال اغصان الشجر كدنانير المتنبي(١) ، واحياناً لا تبصرها مطلقاً .. واما الشمس ، فان لها معها حكاية الابد ، ومشادّة الابد .!

تقول لها الشمس : يا لك من عنيدة .. أحتلّ كل يوم الدنيا باجمعها ، الا انت ، الا ارضك .. فانها محرمة عليّ منذ كَبرتِ .. تمرّدتِ عليّ ، عصيتني !!

فتجيبها الغابة : انت في سمائك ، وانا على ارضي .. انت سيدة سمائك ، وانا سيدة ارضي ! .. لن ادعك تحتليني ما دام انسان المدنية والفاس بعيدين عني .. انك يوم تحتليني ــ وذلك بعيد .! ــ تكون الدنيا قد اقتربت من نهايتها !!

الطريق فيها كالجرح ، كمسحب الثعبان ، تتلوى بك ذات اليمين وذات الشمال .. وكلما بلغْتَ منعطفاً جديداً افترسَتْكَ بهيبة جديدة !!

وكلما قلت « هنا تنتهي » ، تجيبك طبيعتها : « بل هنا تبتدىء » !!

لكأنما دَخلْتَ في بداية اللانهاية !! فلا يسعك حينئذ الا ان تعود من حيث أتيت ، والا كنت من الضائعين الضالين !

وما اكثر ما يقشعرّ بدنك ويواثبك من الرعب : ففي كل لحظة وفترة ، يقطع الطريق عن يمينك وشمالك قطيع من وحوشها المفترسة ، اشكال واشكال تنبع من كل صوب ، وتنبع عند كل جذع .. ولا غرابة ، فانت في غابة افريقية موريتانية !

وبين الفينة والفينة تشاهد حنَشاً فظيعاً كأنه في اللون والاستدارة ، دولاب سيارة .. فاذا ما انساب خلته (جنزير) باخرة تسمع صليله وخشيشه في مساحبه الوعرة كالنار المشتعلة في خصيب الهشيم !!

في تلك الآجام المدهشة الموحشة ، تقول كلما لاح لك قطيع من الوحش : « وَيْحي ! هنا سأفترَس » فلأتأهبْ !!

---

١ ــ اشار الى قوله في « شعب بوان »

والقى الشرق منها في ثيابي   دنانيراً تفر من البنان !

قلت لعبدي ، وكان معي دليلا : أما لهذه الغابة ، « لهذا الليل » من آخر .؟!

فقال : أوَ تحسب ان ما قطعناه منها شيئاً بالنسبة لما بقي يا سيدي ؟؟!

وفي وَقْدة من الظهيرة ، يسيخ لها دماغ الضبّ ، عرّجنا وقِلْنا* تحت شجرة ريثما نستريح ويبرد النهار .! وما هي الا دقائق معدودة حتى طلعت علينا كتيبة من السعادين ــ اقاربنا القدماء ! ــ تعد بالعشرات ، وعسْكرت قريباً منا !! .. بعضها تسلّق الشجر ، وبعضها ظلت على الارض تنظر الينا وتتغامز علينا .. ! واذا بكبيرها يصيح .. واذا بالبقية تجيبه .. وتتجاوب الغابة بالصياح .. « انهم » يشتموننا !! ورأوا ان الشتيمة لا تكفي .. فانهالوا علينا يقذفوننا بالاحجار وعيدان الحطب وكل ما وصلت اليه « ايديهم » !! ..

قلت للعبد : ما ترى ؟ لقد وقعنا في مأزق .. هيا بنا .. !

* * *

كانت الشمس على المغيب حين وصلنا الى دسكرة قريبة ، وكانت طبيعة النهار قد لطُفَت ، والريح قد قويت ، حتى صرنا نسمع للغابة هديراً كهدير البحر ، واصطخاباً كاصطخاب أمواجه !! وكانت الطير قد بدأت تتهيأ للمبيت ، وكان لا يزال بيننا وبين القرية التي نحن بطلبها بضعة عشر ميلا ...

اتدري ماذا كان بشير اقترابنا منها ؟

ــ : صوت دقّ الدُّخن ، وايقاع المَداقّ ، ورنين الاجران الخشبية ، من خبط الكُسْكُس(١) وتصفيق (لِعْليَاّت)(٢) في حلقات الرقص ، وضرب الطبول ، ونبح الكلاب .. !

لم نبصر القرية الا عندما صرنا بين اكواخها ...

حينئذ ، كان الليل قد خيّم ...

الآن فليخيّم ، أمِنّا شر الغابة !!

---

(١) طعام افريقي مشهور يصنع من دقيق الذرة البيضاء (الذكب) .

(٢) لقب البنات الشابات ، عند البيضان . واحدتهن (علية) ..

(*) بكسر القاف : القيلولة .

أحوالهم الاجتماعية

اللغات المحلية :

مرجعنا في ذلك صاحب الوسيط حيث قال :

إن لغات تلك الارض ، كانت قبل دخول العرب بلادهم تنقسم الى قسمين ، قسم يسمى : ازير ، وقسم يقال له (اكلام ازناكة) اما القسم الاول ، فلم يبق له اثر ، الا في مدينة وادان ، فانه الى الآن يوجد من يتكلم به ، والاغلب ان القسمين واحد . وقد ذكر سيدي عبدالله بن محمد بن القاضي العلوي :

لقد شمخت أنفاً علينـــا خديجة   وقالت بآزار لها (إدَوارن)(١)
ونحن الانوفَ(٢) الشامخات على الورى   تقاصر عنـــا كل انف ومازن

وسبب قوله لهذين البيتين ، انه كان مقيما بوادان لطلب العلم ، فاتفق انه كان جالساً بقرب بيت من بيوت وادان ، فارادت امرأة فيه الخروج الى محل، فامرت وليدها لها ان تنظر لها من في الطريق لتعلمه . فان كان ممن يعتد به عندها ، تتأخر عن المرور ، لئلا يراها . وان كان ممن لا اهمية له عندها، تذهب لشأنها . فلما سمته لها ، خرجت من غير مبالاة به . وقالت كلمتها التي ذكرها في شعره . فخطبهـــا بعد ذلك فلما زفها النساء اليه ، قال لهن : ما خبركن ؟ فقلن له زففن اليك فلانة . . فقال : ومن فلانة ؟ ثم خرج عنهن ، ولم يعد . وقال البيتين السابقين .

واما القسم الثاني : فانه كثير في الزوايا القـــاطنين في ارض الترارزة ، ولاهل تلك البلاد ، لسان اخر يسمى عندهم بالحسانية، وهي العربية الممزوجة بالعاميـــة لسانهم العام كما سبق القول .

---

١ ـ لفظة زناكية لا نعلم لها تفسيراً .

٢ ـ الانوف : منصوب على الاختصاص ، كما سمعت من العلماء الخبيرين منهم .

كلام ازناكة :

هو نوع من البربرية المغربية ، وهو موافق للسان الشلحي ، ويختلف معـــه اختلافاً قليلا ، كما بين لسان الترك والتتر ، فانا رأيناهم في سوسة يتفاهمون من اول وهلة ، كما يتفاهم التركي والتتري وليس لهذا اللسان كتابة مخصوصة ، ولا اعلم من قواعده الا ان المؤنث تكون التاء منه في اوله مثال ذلك :

أغْرَبظْ : بمعنى الطفل . يقابلها في الحسانيه: (ايشير) ، والجمع : شاشرَهْ .
التاغرْبظتْ : بمعنى الطفلة (وهذه اللفظة في اولها وآخرها التاء)
اوبل : بمعنى العبد
توّبلْ : بمعنى الامة .
إجمْ : بمعنى الجمل .
تِجمْ : بمعنى الناقة
اَزكرْ : بمعنى الثور .
تش : بمعنى البقرة : والجمع انششذاً ، بمعنى البقر .
إبركِ : بمعنى العِجل .
تيرك : بمعنى العِجلة .
آجِل : بمعنى الحمار .
تاجِل : بمعنى الحمارة ، والجمع اججا ، الجيم الاولى مغربية ، والثانية مشرقيّة.

العلم في موريتانيا

مرادنا بالتعميم ، انما هو بالنسبة الى الزوايا فقط ، والا فان حسان واللُّحمة ولحراطين (اي المعتقين من الرق) والمعلمين ، اي صناع الحديد واكاون ، وهم ناس يقال ان اصلهم قيون كما تقدم ، لا يدخلون في ذلك العموم ، وان كان قد وجد فرد من هذه الاجناس عالماً ، فذلك شاذ لا يجعل اصلا .

اما الزوايا ، فـــلا يوجد بينهم ذكر او انثى الا يقرأ ويكتب ، وان وجد في قبيلة غير ذلك فانـــه نادر ، بحيث لا يوجد في المائة اكثر من واحد ، على تقدير وجوده . هذا القول يرجع الى نحو خمسين سنة ، اما اليوم فان الوضع يختلف فقد

اصبح العلم منتشراً والوسائل متوفرة ، والكائن الموريتاني اصبح يعرف اكثر من لغة ، ويتابع النشاط الفكري عن طريق الكتاب المطبوع في بيروت والقاهرة وباريس وغيرها من عواصم الشرق والغرب .

كيفية التعليم عندهم

محمد يحيى الحامد ، وأخته عائشة ، ابنا المختار الحامد العالم والاديب المعروف ، في جلسة درس وتحصيل طبيعية . . . والكتاب الذي يحملان هو كتاب « الاسلام ديني » . . . !

اذا بلغ الصبي خمس سنين يمتحنونه ، بان يعلموه من الواحد الى العشرة ، فان تابعها من غير تقديم ولا تأخير ، يعلموا انه صار ينجح تعليمه ، وان لم يعلم كيفية العد يتركوه ، ثم يبدأون في تعليمه ، واكثر من يتولى اذ ذاك ، النساء . ثم بعد معرفة الحروف الابجدية ، يعلمونه كل شكلة ، يقولون : فتحة او نصبة ، وكسرة او جرة ، وضمة او رفعة ، وجزم او سكون . وفي بعض الحروف يعبرون بما لا يعرف عند غيرهم ، مثل الياء المكتوبة هكذا « ي » يقولون : اي انظر زهْ . ولا أدري من اين أخذوه ، ويقولون في النون التي تكتب هكذا « ن » النن اعْرِك ، وحتى ان بعض الادباء شبه حظيرة على حرث بها ، فقال يذكر دارا :

امست لسيدان(١) الفلا مألفاً   وكل حرث مثل نونٍ عَرَكْ

الا ان حذف الالف ضرورة ، او لغةلم اسمعها ، ويقولون في هاء الضمير التي تكتب مثل ضربوه : اهذوت وفي التاء التي تكتب هكذا « ة » التذوت . ويعبرون بالصطّ : موضع الصّاد والضّطْ موضع الضاد وهم مختلفون في ذلك فمنهم من يقول: الكسرة موضع يا انظرزّهْ ، ويستمر التعليم في القرآن ، الى ان يبلغ الصبي ، او نحو ذلك (اعني اذا لم يحفظ القرآن قبل البلوغ) فان حفظه اما ان يشتغل بعلم القراآت ، ويسمونه التجويد ، واما ان يبقى يكرر تلاوة القرآن ، لئلا يضيع من حفظه ، ويقولون : ايطيب صراته . بمعنى سوره ، جمع سورة ، هكذا ينطقون . فان بلغ الحلم ، يبدأ في غير القرآن ، وتختلف الناس اذ ذاك ، بحسب البلدان والقبائل . اما اهل آدرار وتكانت ومن حذا حذوهم ، فانهم يبدأون بالاخضري وابن عاشر والرسالة ثم الشيخ خليل . واما اهل القبلة ، فانهم يختلفون في ذلك ايضاً ، ففيهم البعض يقرأ بعض دواوين العرب ، قبل البلوغ ، ثم العقائد الاشعرية ، ويمضي سنين عديدة ، في اتقان تأليف السنوسي ، حتى لا يبقى عليه منطوق ولا مفهوم ، ليصير عندهم مؤمنا حقيقة ، والا فانه اذا كان لا يقدر على معرفة انواع الصفات وتعيينها بالالفاظ المتداولة عندهم ، فهو عرضة للكفر ، ثم يقرؤونه النحو والفقه . وفيهم مواضع ، تتأنق اهلها في البيان والمنطق ، ولكل جهة اعتناء ببعض العلوم اكثر من غيرها .

شقاء المدرس في موريتانيا وما يكابد من بؤس :

اذا نظرت الى الاستاذ عندهم من جهة التدريس ، تجده يكابد من الاتعاب

---

(١) جمع سيد بكسر السين : الذئب

ما لا يحصى ، فقد يستغرق يومه كله في التدريس ، لان (الشيخ) عندهم ، لا يلزم الطلبة ان يشتركوا في درس واحد ، من فن من الفنون ، فتراه مثلا يدرس لعشرة من التلامذة الالفية ، فبعضهم يقرأ من اولها ، وبعضهم يقرأ من وسطها ، وبعضهم يقرأ من اخرها ، ويلقي لكل درسة في موضعه الذي يليق به ! وهكذا في الفقه وغيره من العلوم ، وقد يضم اشخاصا في محل واحد من فن واحد ، ويضم اخرين في محل منه آخر ، ويسمون المشتركين في الدروس : « دولة » ..

اما ما يكابده العالم من مشاق الدنيا ، فهو انه يكون موردآ للضيوف وللمستفتين ولطالب الحاجة ، وليس للقاضي ولا للمدرس ، هناك اوقاف تصرف عليهما ، ولا يأخذ احدهما من الطلبة ، بل قد يعطيهم من يده ، والمفتي ايضآ لا يأخذ شيئآ

صف من تلميذات الكلية الموريتانية في بوتيليميت وبينهن بنتان سوداوان احداهما الامامية والتي وراءها (فوتها) .. وتبدو الاستاذة في اعلى الصورة ، وهي ذات الملفحة البيضاء...

في مقابلة الفتوى . وقد يكون لبعض العلماء ما يسمونه : كبط . اي عطية ، يعطيه اياها حسان ، او اللحمة ، أو لحرْاطين ، اي المعتقين . وهذه العطية : شاة من الغنم على كل ذي غنم ، او أمداد من الزرع ، على كل ذي حرث ، وهذا النوع قليل جدآ بالنسبة الى من لا يأخذ شيئآ . واذا ظلم حسان احدآ ممن ينسب اليه ، يذهب في طلب استرداد ما اخذ ، وربما جلس في استرداد ذلك سنة أو نصفها !

جميع هذه الحالات التي ذكرناها وما يليها من صورة القاء الدروس وطريقة التأديب ، قديمة ، ولكنها لا تزال متعارفة حتى يومنا هذا ، لان المدارس والوسائل العصرية الحديثة غير معممة بعد في كافة انحاء موريتانيا .

صورة القاء الدروس :

لا ضابط للهيئة التي يلقي عليها المدرس عندهم ، فتراه يدرس مرة ماشيآ مسرعآ ، ومرة جالسآ في بيته ، ومرة في المسجد ، ومنهم من يدرس في اثناء الارتحال ، من جهة الى اخرى ، سواء كان ماشيآ ، أو راكبآ ، وقد يكون راكبآ ، والطلبة يمشون على اقدام في ناحيتيه . !

طريقتهم في التأديب :

اذا بلغ الشيخ ان احد التلاميذ اساء ، فانه يعاتبه برفق ، بان لا يلتفت اليه حتى يعلم التلميذ ذلك من حاله ، وكان العلامة محمد فال بن احمد فال التندغي ، تجتمع عنده الطلبة من الزوايا ، ومن قومه . فاذا بلغه عن احدهم قول لا يليق ، تركهم حتى يجتمعوا عنده . فيقول :

وقول ما لا ينبغي لا ينبغي   لتندغي ولا لغير تندغي !

واذا كان الذي بلغه فعل ، قال مرددآ البيت نفسه :

وفعل ما لا ينبغي لا ينبغي   لتندغٍ ولا لغير تندغ !

وكان رسول الله ﷺ ، يفعل ذلك على جهة التعميم فيقول : « ما بال اقوام يفعلون كذا ، او يقولون كذا ، وما بال اقوام يشترطون شروطآ ليست في كتاب

الله ؟ » وهذ النوع اردع للنــاس . وهنا يعقب صاحب الوسيط على خالة كانت متعارفة في الازهر الذي عاش قريباً منه زمناً في القاهرة ، فيقول :

فليت ان علماء الازهر فعلوا مثله ، وتركوا عنهم ، (يا ابن الفاعلة ، او يا ابن الكلب ، او يا حمار ! فان هذه الالفاظ ، تذهب هيبة الشيخ من قلب الطالب . .

كيف يطلبون العلم :

يقول صاحب الوسيط وقد عــاش في القاهرة زمن العهد التركي أيام لم يكن لينجو من الخدمة العسكرية إلا من يثبت انه طالب علم :

« اذا تأملت يا مشرقي ، طلب العــلم في ارض شنقيط ، علمت انك تجد من الاعانة ما لا يجد ، لان لك من الاوقاف ما يكفيك ، ووراءك امتحان يحملك على الاجتهــاد ، لانك اذا سقطت ، قطعت من الدفتر ، واذا لم تكن عالماً ، جعلت عسكرياً ، واذا صرت عالماً ، تأخــذ من الاوقاف ما يكفيك انت ومن تعول . اما الطالب في ارض شنقيط ، فبعكس هذا كله ، فانه اذا لم يتعلم لا يؤخذ للعسكر ، واذا طلب العلم لا يجد وقفا يتقوت منــه ، واذا صار عالما ، ليس وراءه وقف يضمن له ما هو مضمون لك ، فهذا كله ، يثبط من العلم » .

تلك صورة صادقة من صور ذلك الزمان القديم ، انتهت اسبابهــا ومسبباتها من الشرق بعد ان دالت دولة الترك . ولكن ظروف هذه الحالة الموصوفة ما زالت على ما وصفها صاحب الوسيط بالنسبة لشنقيط . .

واذا اشتهر عالم بالمهارة في العلم ، اكثر من يتعلم عليه ، انما هم الغرباء ، لان الشخص في ارض شنقيط يصعب عليه ان يتعلم في بيت اهله ، اذ يلزمه ان يتفقد مواشيه ، وان يواظب على الضيوف التي تقصده دائماً ، وبالنظر في الشؤون المنوطة به ، فيتغرّب لذلك ، اذ لا يهمه اذا كان غريباً ، غير شؤون نفسه . اما ما يعيش به ، بالاكثر ان يأخذ بقرة حلوبا ، او بقرتين الى ثلاث ، الا ان الثلاث لا يقدر عليها الا القليل ، وهكذا اغلب من يتغرب . واذا كان الشيخ صاحب ابل ، يذهب الطالب بناقة أو ناقتين الى ثلاث ، فاذا اجتمعوا عند شيخ يكونون طوائف ، كل طائفة تشترك فيما عندها ، لا فارق بين من عنده واحدة او ثلاث فيحلبون واحدة مثلا ، ويحلّقون كل يحسو حسوة ، ويناول الاخر وهكذا . . اما ما يسكنون فيه من الامكنة ، فيصدق عليه قول بعضهم :

تلاميذ شتى ، الّف الدهر بينهم   لهم همم قصوى اجل من الدهر !
يبيتون لا كِنّ لديهم سوى الهوى   ولا من سريرٍ ، غير أرمدة غُبرٍ !

ويتناوبون رعي مواشيهم ، فيخرج احدهم اليوم يرعى الابل ، ويأخذ كتابة او (لوحه) ، يظل يقرأه ، ثم يخرج غيره بعده ، وهكذا حتى يدور ذلك عليهم . . وقد يوجد شخص معه عبد ، يرعى له نياقه ، وهذا قليل جداً . واذا كان الطلبة اهل بقر : يتناوبون الورود على المنهــل لسقْيها ، لان البقر يشرب كل يوم ، بخلاف الابل ، فانها في ايام الصيف تغبّ يومين او ثلاثة ، وفي غــيره اسبوعاً واسبوعين ، الى الشهر او الشهرين ، وقد تمكث ثلاثة اشهر لا تشرب ، اذا كانت الارض مخصبة !!

وما يحكى عن تلاميذ اهل محمد سالم المجاسيين : ان احدهم كرع في ماء يشرب منه ، فنقرته وليدة وقالت له : انت شربت امس ، ولا يشرب بي هذا اليوم ، الا من لم يشرب امس ، وكان ذلك في شدة الحر !

آدابهم الاخلاقية :

قد يكتب بعضهم الى بعض شعراً ، فيجيبه الاخر في بحره ورويه على مقتضى شعره . . وقد يكون ذلك صادراً عن موجدة ، كمــا وقع بين بابَ بن احمد بيب العلوي ، وادييج الكمليلي . وكما وقع بين ادييج المذكور ، ومحنض بابَ بن اعبيد الديماني ، وبين محنض بابَ وحرمَ بن عبد الجليل العلوي ، وكما وقع بين حُرمَ وشيخه المختار بن بون الجكني ، فان حُرمْ َوعد المختار بارسال شيء من الزرع ، فابطأ عليه ، فقال المختار :

لك الفصل ان واعدت يا حُرمَ والفصلُ   ولكنما ميقاتِ انجــازك الفصل
(فزرعك) هذا لم يشخَّص بخارجِ   ولم يتعلق فيه كَيْلٌ ولا أكْل

فأجاب ُحرم بقوله :

هنيئـــاً لشيخي قوله فيّ والفِعل   ومانال من ِعرضي (وزرعي) له ِحَلّ
فلا تَكُ ُ عونَ الدهر يا شيخ ، انه   لابنائه في مقتضى صرفـــه ، شغل
يعوق فتهجو من يعوق بصرفـــه   ولو انه مـــا شاب اخلاقه بُخل ..!
واني امرؤ عن هفوة الشيخ ان هفا   صفوح ، على اني لمـــا قاله أهل !

وكتب غالي بن المختار فال البستاني ، الى ُحرم المذكور ، وكان غالي حسن الخط :

من كاتب الخط منشيه وكاتبُـــه   لحائز المجد عن ارث ٍ ، وكاسبُه ؟
محمـــد (حرمة الله) الذي محقت   ذكـــاء حكمته ظلماً غياهبُـــه
ازكى سلامٍ وانمـــاه وأطيبـــه   ما يَسَّرت عسرةٌ عظمى ، مواهبُه

فاجابه ُحرم :

ردّ السلام اذا أ ْكدى محاولـــةً   فكيف يحسن اجـــلالا لجالبـــه
سلام (غالي) على ما يستحق به   غداة من ربنـــا اسنى مواهبـــه
لو كـــان كاتب لاشلت انامـلـــه   رهط ِ «ابن مقلة» (١) لم يفخر بكاتبه !

طريفة من طرائفهم

وبالمناسبة ، اذكر ان بعضهم روى لي هذه الطريفة التاليـــة من طرائفهم ، فقال :

« بعض الوطنيين عندنا في موريتانيا يتخلّون بواجبهم الوطني ويفضلون صيانة اموالهم وانفسهم على النهوض بالوطن .. فانهم يمثلون ما يقول الشاعر :

من لم يرد ان تتهرّا نعلُه   يجعلها في يده اذا مشى .. !

وعقب محدثي فقال :

« ولكن ينبغي لهم ان يعلموا أن النفس والمال للوطن ، كما ان النعل للرجـــل لا لليد » .. ! »

---

١ ـ من مشاهير الخطاطين المعروفين عند العرب القدامى .

احوال المرأة الموريتانية

اختم هذا الفصل ـ الـ قبـــل الاخير ـ بحديث قصير عن المرأة الموريتانية . قد تسألني : لماذا جاء الحديث عنها « ختاماً » ولم يأت بداية .؟

ان المرأة كموضوع ، من حقه التقديم ، ولكنه هنـــا ـ في موريتانيا ـ مكانه التأخير ، وبذلك ينسجم مع تأخرها الاجتماعي ..

ولكن ما ذنب الكائن البشري حين تكون ظروفه العامة والخاصة بعيدة أقصى البعد عن الفرص الطيبة التي تجعل منه كائناً حضاريا راقياً ؟

في قطر فقير ؛ فقير في كل شيء كموريتانيا ، تعيش المرأة فيـــه على هامش الحياة عيشة بدائيـــة تعيسة ، يكون من الظلم لوم الكائن البشري المسلوب بجميع امكانات النهوض في بيئة محرومة ، او قل انه قد فرض عليها الحرمان فرضا منذ كتب عليها ان تكون « مستعمرة » ، بالاضافة الى عوامـــل اجتماعية اخرى يطول شرحها ..

ليس للمرأة في موريتانيـــا بعد ذلك الشأن الذي لاختها المسلمة في المشرق . فالتفاوت العقلي والاجتماعي بين الاثنتين شاسع جداً بمقدار ما بين المشرق والمغرب من مسافة .. فهي هنـــاك ما تزال « بنت بادية » لم تصقل المدنية شيئا من عقلها وصفاتها الاجتماعية . وما ذلك عن تقصير او عجز في مواهبها واستعدادها ، بل من تأخر دخول المدنية الى بلادها ..

وانا هنا لا انتقدها ولا انتقد احوال بيئتها ، بل اصفها واصف واقعها للذين يهمهم الاطلاع والوقوف على اكثر احوال موريتانيا . فالانتقاد انما يوجه الى من توفرت له اسباب الرقي والتقدم ، واصبح محاسَباً على مدى تقصيره في الاخـــذ بتلك الاسباب ..

ولكن المرأة الموريتانية لاينطبق عليها هذا الحكم لان رُجلها نفسه ، المفروض ان يكون سابقاً لها ، ما يزال بدويا صحراويا ــ اللهم الا وسطاً محدوداً من الجيل الجديد بدأ يتحرر من حالة البداوة ــ فكيف بالمرأة التي قضت عليها احكام القدر ان تكون بنت صحراء ..؟!

بعد هذه المقدمة الصغيرة نستطيع ان نلخص احوال المرأة الموريتانية كما يلي:

١ ــ انها تعيش لتلبية الرغبات الجنسية عند الرجل ، وانجاب الاولاد ، ومشاركته في جميع الاعمال الشاقة من زرع وفلح وتربية حيوان، وجمع (العِلك) أيام الموسم ..

٢ ــ نسبة المتعلمات في موريتانيا نسبة ضئيلة جداً ، وهي حتى الآن لا تتعدى الثقافة الثانوية في اندر الحالات . ولا تزال نسبة الامية نسبة مرتفعة ، اقدّر بانها تبلغ ثمانين او تسعين بالمئة !

٣ ــ مظهرها الاجتماعي : لباسها ، حديثها ، سلوكها ، صحراوي وحشي . وقد يوجد من لا ينطبق عليهن هذا الوصف ، ولكنهن قليلات حتى الآن .

مقارنة بين البيضانية والسودانية :

والفتاة الموريتانية ــ على العموم ــ من الناحية العقلية والجسمانية وافرة الذكاء وافرة الانوثة . ونسبة الجمال في (عليات البيضان) نسبة لا باس لها . ولو تسنى للفتاة البيضانية ان تتحرر من (الملفحة) التي لفها من اخمص قدمها حتى راسها لفاً مزعجاً ، وان تقلع عن بعض العادات الرجعية في طريقة زينتها وتبرجها وضفر شعرها (قرونا) على فوديها وفي مقدم رأسها .. اجل لو قُدر لها ان تظهر بزي اهل العصر ، ولا نعني ظهورها بلباس مناف للحشمة ، اجل لو قدر لها ذلك او بعضه ، لكانت اجمل افريقية بين بقية نساء افريقيا ..

وفي معرض المقارنة بين الافريقية البيضانية والافريقية السودانية (الزنجية) نلاحظ ان هذه الاخيرة ارقى في مظهرها واقرب الى صفات المرأة الاوروبية من الموريتانية لاكثر من سبب : فالاولى عربية مسلمة محافظة ، بينما الثانية اذا تعلمت

خرجت من صفات بيئتها ، واصبح جل همها تقليد الاوروبية : (التفرنج) ما وسعتها الحيلة .. فالشعور الديني ــ الاسلامي ــ عند الزنجية والزنجي ايضاً ، هو غالباً شعور تقليدي ظاهري اكثر منه حقيقي . اي ان الدين الاسلامي في قلب السوداء هو شعور دخيل لا تابه له كثيراً .. بينما الدين في قلب الموريتانية العربية شعور اصيل لا تفرط به ابدا . والتي تفرط بدينها لقاء كسب معنى او مظهر آخر ، تعتبر عندهم امرأة ساقطة .. !

وجملة القول ان الفتاة الموريتانية بدات حديثاً تتعلم وتتحضر ؛ ولكن مع

نموذج من المراة الموريتانية المحتشمة العاملة يوم قطاف البلح عن النخيل ..

المحافظة على تقاليدها الاسلامية الجوهرية . كما بدأت تتحرر نسبيـــاً من التقاليد المتأخرة البالية ، واخذت باول الطريق المؤدية الى مدنية « المدينة » نافضة عنها رمـــال الصحراء ، وكل من سار على الدرب وصل ..

حديث الجمال والغزل ..!

بيضانية في كامل زينتها من حلى وخرز ومسك و . . (دلعـة) .. ولكن صاحبة هذه الصورة تمثل طبقة معينة من نساء موريتانيا . .!

اما الجمال عند الموريتانية البيضانية فهو على العموم: وجه جنطاوي تغلب عليه سمرة الصحراء، وفي حالات كثيرة تلقي عليه البيئة الافريقية « السوداء » ظلا قويا يزيد سمرتـــه زيادة ملحوظة . ولا عجب ، فللجوار المتداخل الملاصق حكمه .. واحيانا ـ بنسبة قليلة ـ يبدو ابيض بياضاً (مغربياً) صافيـــاً .. ويتلألأ في هذا الوجـــه ـ النسائي الموريتاني ـ عينان كحلاوان فيهما كثير من السحر ، وانف مستقيم أبى ان « يتزنّج » وظل بعيداً عن (التفنيش) .. وشفتان تقطران حلاوة واشتهاء، تبدوان غليظتين بعض الشيء احياناً بتأثير الصحة والامتلاء، وليس على غزار الشفاه ذات (المشافر) .. وفم ضيّق ، فيه اسنان لؤلؤية يجول فيه (سواك) رطيب ، حتى لكأن جريراً عناه بقوله :

يجري السواك على أغرّ ، كأنه   بَردٌ تحدّر من متون غمام ..!

ويبدو ان هذه العادة الجمالية قديمة عند العرب ، فقد وصفها اكثر من شاعر وكانت موضوعاً حلواً للغزل ، قال الفرزدق وكأنه يصف (بيضانيات) جميلات:

ظبـــاء .. بدلتهن الليـــالي   مكان قرونهن ذُرى جمـــام ..
ترى قُضُبَ الاراك وهن خُضرٌ   يَمِحْنَ بها ؛ وعيدان البشام ..
بكرن بهـــا على بَرَدٍ عذابٍ   وليس بكورهن على الطعام..!

اما الشعر الاجعد او المسبول، فانهن يُعمِلن فيه امشاطاً مسننة كالمسامير تنتف منه شيئاً غير قليل ...

على ان الحسان منهن أو اللواتي يحفلن بالحسن ؛ يضفرنه جدائل كالشراشيب، ويعقدنه في مقدمة الرأس ، ويتجاوزن هذا التقليد الى الزينة في اللبـــاس العديد الالوان فوق (الملافح) الفضفاضة يجررنها تجريراً ، ويتبرجن تبرج الافريقيـــة ، ويصبغن ايديهن وارجلهن بالحناء الغامق حتى السواد ، رغبـــة منهن في تأكيد ظهوره . .

وما اشد ما ينطبق على (عليات) البيضان الجميلات (المتحفلات) قول المتنبي:

لبِسْن الوشي ، لا متجمِّلات   ولكن كي يصنّ به الجمـــالا ..
وضفّرن الغـــدائر لا لحسنٍ   ولكن خفن في الشعَر الضلالا !

والبيضانية مرهفة الحس بجمالها حتى الخيلاء .. وليس عسيراً على من يغشى مجتمعاتهم المبتذلة ان يدرك بادنى ملاحظة مظاهر هذا الحس، وكيف تتلون بالغزل، حواراً وحركة ومؤآنسة لا اطيب ولا ابهج ..! فالرجل عندهم يلقى المرأة بحماسة وحيوية روحية ، ويمسكهـا عن طريقها ، فيقف ويستوقف ، ويذكر الحبيب والمنزل ، غير تارك لامرىء القيس امتياز هذه المعجزة في حسن اللقاء.. ولا تتردد هي — على تحفظهـا الشديد — في مد اسباب الاغراء من فتـون وسحر وملاطفة .. ولذلك كانت ابرز ملاحظة تراهـا وتنطبع بها نفسك عن مجتمعهم هي : الحب والغزل !..

الفصل السادس
دراسة قومية - عربية
برسم الشبيبة الموريتانية

عوامل وحدة الجنس

ان رابطة الدم كانت دائماً وما تزال من اقوى الروابط بين عناصر الامم ، وهي من غير شك عامل قوي في ربط ابناء الامة وانسجام عناصرها ، بشرط ان تتوفر الى جانبها تلك العوامل الأخرى التي اصبح لها في التاريخ الحديث ، مكانة كبرى وهي : اللغة ، والجوار ، والدين ، والاماني ، والأهداف ، والتاريخ المشترك .

ولعل نعت الشعوب التي تسكن البلاد العربية بصفة العروبة ، مما قد يوحي بالوحدة الجنسية بين سكان هذه الاقطار المختلفة ، ولعل تلك الوحدة قائمة على ما بين سكان هذه البلاد من اتصال دائم ، واختلاط مستمر ، مما يؤدي الى صهر تلك العناصر المختلفة صهراً ، ربما ينتهي الى ما يشبه الوحدة الجنسية لهذه الشعوب .

تقوم الوحدة الجنسية ايضاً على وحدة اللغة والجوار ، وان كان علماء الاجناس لا يميلون الى اتخاذ العوامل الثقافية من لغة ودين اسساً يقوم عليها الربط والفصل بين الأجناس . الا ان رفض اللغة كأساس من اسس الدراسة والتقسيمات الجنسية لا يعني انها لا أهمية لها في هذه الناحية ، لأن وحدة اللغة قد تكون عاملا يتداخل في اختيار الازواج على اعتبار ان من الضروري توافر التفاهم والانسجام بين الزوجين ، واللغة واسطة ضرورية في هذا المجال .

ولتكوين صورة واضحة عن الموجات البشرية التي أثرت في سكان الجزيرة العربية ، لا بد ان نتذكر ما يشير اليه علماء المناخ من حدوث تذبذبات مناخيه في بعض العهود التاريخية ، نتج عنها تعرض بعض هذه الاقاليم لفترات جفاف ، ساءت اثناءها الظروف المناخية والاقتصادية ، واضطربت خلالها الحالة السياسية ، وتبع كل هذا حركات بدأت من مناطق الجفاف واثرت في الاقاليم المجاورة تأثيراً تلمس اثره الجنسي في وصول تلك العناصر التي دفعت بها الصحراء العربية الى

مناطق الاستقرار في أراضي العراق وسوريا ووادي النيل .

هجرات

على ان هجرات سكان الاقاليم الصحراوية لا ترتبط بعوامل الطرد الذي اشرنا اليه ، بل ان هناك عامل الجذب الذي يكمن في غنى الاراضي الزراعية وفقر الصحراء ، مما يغري سكان البادية بالهجرة الى مناطق الغنى بالطرق السلمية تارة ، وبالعنف تارة اخرى .. وعلى ذلك فقد ظلت المناطق الوسطى الصحراوية من الجزيرة العربية ، تطرد الموجات البشرية الى أطراف الجزيرة العربية ، وبالتالي فان السكان يقلّون ويتبعثرون في الصحراوات الداخلية ، بينما يتكاثفون ويكثرون على الاطراف الممتدة ، كالشام واليمن وعمان ، وفي السهول الخصبة في العراق ، وفي وادي النيل ، ومخاصب المغرب ..

ولما كان علماء الاجناس يؤكدون ضرورة الاعتماد على الصفات الجثمانية كاساس للربط الجنسي ، مثل شكل الرأس والشعر وابعاد الاطراف ، مع اضافة صفات فسيولوجية وخصائص دموية ، فاننا نرى ان سكان المنطقة العربية من ناحية الاصل العرقي والجنسي ، يكوّنون وحدة عرقية او على الاصح ، خليطا جنسياً واحداً متشابهاً ، تغلب فيه ملامح واحدة تأخذ خطوطها وملامحها الاساسية من تلك الموجات التي بعث بها قلب الجزيرة العربية دوماً الى الاطراف والابعاد حيث تقع موريتانيا !

ومن المعروف ان التكوين الجنسي للاقطار العربية ، اخذ شكله النهائي تقريباً منذ تاريخ طويل موغل في القدم . والتغيرات التي طرأت على الشعوب العربية منذ فجر التاريخ ، ليست بتغيرات جوهرية لا سيما وان معظم الموجات البشرية التاريخية التي خرجت الى اطراف الجزيرة الخصبة ، نزحت كلها من مهد واحد ، هو قلب الجزيرة العربية ، وترجع جميعها الى مجموعة جنسية واحدة ، هي مجموعة البحر الابيض المتوسط .

ويكثر اختلاط المجموعة الجنسية العربية ، ببعض العناصر الاخرى على اطراف المنطقة ، فنجد في جنوب المنطقة العربية امتزاجات زنجية في افريقيا وما جاورها وكذلك في المدن العربية بالحجاز . ونلاحظ في جنوب بلاد العرب مؤثرات عرضية

ايضاً نتجت عن الاتصال القديم التجاري بين العرب والملايو . وكذلك نجد في اطراف المنطقة العربية امتزاجات ارمينية ناتجة عن الوضع الجغرافي لهذه المنطقة ، وكونها ممراً للهجرات الدائمة من الشرق الى الغرب ، بعد ان تمت الغلبة لعناصر البحر الابيض المتوسط التي خرجت في موجات معتددة من الجزيرة العربية ، وتمكنت من ازاحة العناصر الاخرى الى المناطق الجبلية سواء في الشمال او في الجنوب ، في عمان وحضرموت واليمن ..

كما ان هذه الموجات العربية قد تتابعت على مصر ايضا منذ فجر التاريخ ، وهاجر بدو الجزيرة العربية اليها هجرة مستمرة .

***

كانت هجرة بدو الجزيرة العربية الى مصر في شكل موجات متتابعة ، وكانت تتخذ مظهراً سلمياً تارة ، واحيانا يكون لها مظهر الغزو ، كما حدث في كل بلد وصله العرب .

هذا الى ان غزو العرب لمصر ايام التوسع الاسلامي في نظر كثير من الكتاب ، لا يختلف عن الغزوات السابقة الا على انه اكثر تنظيما ، والا فإنه قد يكون للدافع الديني شيء من الاثر فيه ، الى جانب الدافع الاقتصادي الذي لا يمكن انكاره ...

كما كانت حدود المنافذ الشمالية والصحراء السورية المهد الذي تخرج منه القبائل الرعوية العربية ، وتلك حقيقة متفق عليها فيما يختص بالموجات التي حدثت في العصور التاريخية القديمة .. ولكن الموجات المتأخرة جاءت من مناطق اخرى في شبه الجزيرة العربية ، تكاد تجمع الكتابات العربية على ان مرجع تلك الهجرات وانتشارها شمالا في بلاد الحجاز ثم انتقالها الى المناطق الخصبة في العراق والشام ووادي النيل ترجع تلك الهجرات الى سيل العرم الذي هدم سد مأرب . كما ان الاحوال المناخية في هذه المنطقة الصحراوية من آسيا ، كانت تميل الى الجفاف قبل الميلاد حتى ظهور الاسلام وكان ذلك عاملا ايضاً في هجرات القبائل اثناء تلك الفترة من التاريخ . وعلى ذلك ، فان تلك الهجرات انما جاء اغلبها من اليمن

بما فيها هجرة البربر ، وهم يمنيون الى المغرب الأقصى الى (موريتانيا) (١)

نظرية الدم ...

هذا الى ان نظريـــة « نقاء الدماء » في جنس من الاجناس ، وقد اصبحت نظرية بالية عتيقة ، فلا بد للشعوب من عمليات تهجين مستمرة حتى تزكو اصولها، مثلها في ذلك مثل النبات والحيوان في نظر علماء الوراثة . فاختلاط الدماء بـــين الشعوب كاختلاط الافكار والثقافات ، مما يجدد حيويتها وينمي قدرتها . ولقد كانت مصر ــ مثلا ــ على صلة مستمرة بسكان الجزيرة العربية في فترات التاريخ قديمها وحديثها . بل لقد تدفقت هجرات العرب الى مصر منذ عهد الاسرات ، وليس هذا في مصر فقط ، فلقد هاجر العرب تبعاً لعوامل مختلفـــة الى الصومال واريتريا والسودان . . بل ان الميثولوجيا اليمنية تشير الى ان « افريقيس بن أبرهة » رابع التبابعة ، الذين ينتمون الى قحطان بن حمير بن سبا ، غزا ارض المغرب وبنى بها مدينة افريقية وسماها باسمه .

ونحن اذا نظرنا في تاريخ موريتانيا لوجدناه يبدأ بالبربر . ولكن الثابت ايضاً ان البرابرة في عصور ما قبل التاريخ انما كانوا ينتمون الى سلالات البحر الاطلسي .

واذا سلمنا بدوام الاتصال بين سكان افريقيا وسكان الجزيرة العربية ، وصدقنا بتدفق الهجرات العربية الى انحاء بعيدة في جميع فترات التاريخ لكان من المنطق ان نسلم ايضاً بصلة الجنس التي تربط بين موريتانيا والعرب .

ويؤكد كثير من الموءرخين والكتاب امتزاج العرب بسلالات حبشية وعناصر نوبية وليبيـــة في عصور ما قبل التاريخ مما يضفي عليهم صفة الجنس الحامي الافريقي الاصل ، الذي سكن في عصر ما قبل التاريخ واقام اقدم الحضارات . وهذا صحيح ولكن الثابت ان الحاميين انفسهم ، يرجعون في اصولهم الجنسية الى عناصر البحر الابيض اساساً ، كالمصريين تماماً . بل هناك من الكتاب من يذهب الى ان كل العناصر الافريقية الحامية كانت في وقت ما ، ممتزجة ومنتشرة في الجزيرة العربية نفسهـــا ويستدلون على هذا من وجود الصفات الافريقية ولا سيما الشعر ، ولون البشرة ، ومميزات الوجه الواضحة في سكان المناطق الجنوبية من الجزيرة العربية ، وضوحاً يصعب معه في بعض الاحيان التفريق بينهم وبين عناصر من المجموعـــة الافريقية كالهدندوه وبني عـــامر مثلا . والليبيون مثلهم في ذلك مثل الارمينيين والساميين ينتمون جميعاً الى سلالات البحر الابيض التي ينتمي اليها المصريون .

---

١ ــ قال صاحب « الوسيط » في صفحة ٤٧٧ ما يلي : يقال إنهم ــ يعني البربر ــ خرجوا من زمن التبابعة من اليمن ، واستوطنوا المغرب الاقصى (موريتانيا) وملكوه في القرن الخامس .

وسواء أكان الموريتانيون في عصر ما قبل التاريخ من سلالة عربية ، او من سلالة امتزجت بسلالات حامية وعناصر نوبية وليبية ، ثم تأثرت بالهجرات العربية المستمرة التي تدفقت الى افريقيا في الوقت الذي تأثر فيه العرب هم ايضاً بالعناصر الافريقية ، او ان مردّ هذه السلالات يرجع الى عنصر البحر الابيض ، فان الذي يعنينا اكثر من كل هذا ، هو الواقع الذي يقول : **ان كل مجموعة من الناس تنتمي الى العنصر الذي اثرّ فيها اكثر من غيره من العناصر**. فلقد استطاع العرب ان يمتزجوا بالافريقيين ، وان تجري دماؤهم في عروقهم بالنسب والمصاهرة، وان ينقلوا اليهم تراثهم وحضارتهم ، وطبعوا البلاد بلغتهم وثقافتهم ، بل واندمج العرب على مر الزمن ، وكأنهم نبتوا في افريقيا منذ الاف السنين ! وبرز من الاجيال زُرّاع يفلحون الارض ، ويبذرون الحبّ . وان الموجات العربية النازحة الى افريقيـــا والتي كانت اكثر تأثيراً من غيرها ، تلك الموجات السامية التي تدفقت ــ منذ نهاية عصر الاسرات ــ من الجزيرة العربية ومن سورية ، حيث كان من نتـــائج ذلك الامتزاج ، تلك السلالات الهجينية التي تعيش في عصرنا الحديث . .

آدم « شامي » . .

يقال ان آدم عندما هبط من السماء وطأت اقدامـــه الارض في الشام . . وبدأ يتشكل سكان الشام منذ حوالي ١٥,٠٠٠ سنة ، اي منذ بداية التـــاريخ . واول موجة عربية توطنت في الشام ، والفت اساسه العرقي بعد الطبقة الاولى من انسان العصر الحجري جاء الشام من الجنوب ، اي من الجزيرة العربية ، وهي الموجة الكنعانية التي توزعت في الشام حوالي ٢٨٠٠ قبـــل الميلاد . وقد كانت صحراء

العرب لعوامل جغرافية تمد عناصر الشام العربية في فترات متناوبة بنجدات عربية تجدد فاعليتها وتحفظ لها سيادتها الجنسية. وهكذا قدم الشام موجات الارامیین سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد ، والانباط سنة ٥٠٠ قبل الميلاد والغساسنة في القرن الثاني الميلادي ثم العرب المسلمون في القرن السابع الميلادي، وهذه الموجات كانت اساس التجانس العرقي في سورية. بيد ان ذلك الاساس العرقي الذي لم يسلم ـ بسبب قدمه وبسبب وضع الشام الجغرافي ـ من الاختلاط المتكرر بغيره من الاجناس التي تعرضت له او تعرض لها في هذه البقعة. وبالرغم من ان هذه الموجات كانت مكتسحة وفجعت الشام عدة مرات ، الا ان تأثيرها الجنسي لم يكن مرة من المرات جوهريا بل كان الاساس الجنسي العربي هو الذي يظهر ويسيطر في النتيجة ؛ لا بملامحه وصفاته الجنسية فقط ، ولكن بالاسس الثقافية التي يعتمد عليها باللغة والتقاليد . .

مقومات الشعب العربي :

هكذا نجد ان العالم العربي عاصر التاريخ مرحلة مرحلة ، وشاركه حضارة حضارة ، وشعّت منه اضواء باهرة حينما كان العالم يحبو في ظلام . . وظل قدر الحياة واحداً في كل مراحل التاريخ اذا وقع الظلم باحده فكانما وقع بالاخر ، واضاء نور الحق والعدل احده .

لقد اثارت الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها اول وحدة عربية في التاريخ الحديث ، ثائرة النفوس الاستعمارية والقوى الصهيونية . فقد هالتها تلك الانتفاضة العربية العارمة التي تغلي مراجلها في كل مكان من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي . وجاء القرار التاريخي بقيام الجمهورية العربية المتحدة حدثاً اذهلها واطاش صوابها . . وفات هذه القوى الاستعمارية ، وهي ما هي عليه من العلم والعرفان ، ان القومية العربية تعتبر ثمرة ناضجة لتفاعلات سحيقة في القدم ، تمتد جذورها الى نشأة الحياة البشرية على وجه المعمورة تفاعلات بيئية وتاريخية واجتماعية .

ان القومية العربية اشبه ما يكون بمركب كيميائي ، اتحدت عناصره بنسب ليس في الامكان تحديدها ، وتفاعلت مركباته في بوتقة واحدة هي بوتقة المجتمع العربي . . فهي على هذا النحو حتم طبيعي وضرورة استراتيجية ـ وحدث تاريخي ، ومركب مزاجه وقوامه وحدة الالام ، والمشاعر ، والظروف ، والتاريخ المشترك ، والمصالح المتبادلة ، والتعاون التلقائي . . هذا فضلا عن وحدة اللغة ، والثقافة ، والتقاليد ، وتماثل العقائد ومظاهر الفن وما اليها . .

ولا بأس من ان نزيد هذه الحقائق شرحاً وتوضيحاً بالرجوع الى الدعائم التي ترتكز عليها مقومات هذا المجتمع .

للمجتمع العربي كغيره من المجتمعات مقومات معينة تنطق بمشخصاته الذاتية ، وتعبر عن طابعه الذي تميزه عن غيره من الوحدات الاجتماعية . وغني عن البيان ان هذه المقومات انما هي ثمرة ناضجة لتفاعل ظروفه التاريخية والاجتماعية والثقافية ، والسبيل الواضح لفهم حقيقة هذه المقومات هو ان ندرس تاريخ الماضي البعيد . لأن الدراسة التاريخية ضرورية ولازمة لمعرفة حقيقة النظم الحاضرة ، ووضع النظم المستقبلة على اساس سليم . هذا الى ان كشف الحقائق ، وادراك الامور العامة ، لا يمكن الوصول اليهما من دراسة الحاضر فقط ، لاسيما وان حياة المجتمع العربي طويلة وتمتد الى عصور سحيقة ، ولذلك يجب ان ندرس نتائج الماضي كما نلاحظها في الحاضر . .

وفي ضوء هذه الاعتبارات تستلزم دراسة اصول مقومات المجتمع العربي ان نغوص الى أبعد غور ممكن في تاريخ هذا المجتمع .

الحضارة الزراعية

ولعل اول نقطة تطرح على بساط البحث هي اصالة الحضارة في معظم اجزاء هذا المجتمع تلك الحضارة التي نشأت نشأة ذاتية . ويتفق المؤرخون على ان هذه الحضارة القديمة من بين الحضارات الست الاصيلة ومن اهمها وابعدها اثراً في تاريخ الحضارات ، وكانتا المهد الاصيل الذي استقدمت منه حضارات الشعوب المجاورة مادتها . .

وبالاضافة الى اصالة الحضارة في هذه الرقعة من العالم ، نجد ايضاً تجانس

مظاهرها ، لأن من خصائص هذا المجتمع ان شعوبه شعوب زراعية عاشت اجيالا ولا تزال تعيش على الزراعة وما يتصل باسبابها . وهي ان كانت نماذج مختلفة ، غير انها تلتقي في نموذج اجتماعي عام وهو الشكل الزراعي . فالقبائل الضاربة في البادية ، والقرى المستقرة كلها ، ساعدت على خلق حضارة « المحراث » ..

وتمتاز المجتمعات الزراعية بعدم استجابتها للتطورات الاجتماعية في سهولة ويسر وعدم خضوعها لكل ما هو جديد الا بحذر وحرص بالغين . وهذا يفسر لنا ان هذا المجتمع عاش فترة طويلة بمنأى عن التموجات العنيفة التي ظهرت في بعض اجزاء العالم الصناعي ، ويفسر لنا كذلك عمق النظم الاجتماعية وقدمها واستمرارها.

ومن خصائص هذا المجتمع انه كان المهد الاول لنزول ارقى الرسالات السماوية. وغني عن البيان ان هذه الرسالات تدعو الى المحبة والاخاء والمساواة وتنطوي على المبادىء الاساسية التي يرتكز عليها التنظيم والتكافل الاجتماعي. فاذا نظرنا الى هذا كله ادركنا ان الحياة الاجتماعية في هذا الركن من العالم كانت قائمة على حق الانسان في الحرية وفي الحياة والمساواة والتآخي ، وقد انعكست كل هذه الاعتبارات في مبادئنا وعقائدنا واساليبنا في التفكير والعمل .

الحضارة الروحية

ولقد وصل هذا المجتمع ما بينه وبين جميع الرسالات الروحية التي دعا اليها الانبياء والمرسلون . فقد كان مهداً للديانات الكبرى في العالم : اليهودية والمسيحية والاسلام . فعلى الارض التي نشأ عليها هذا المجتمع ، اتيح للبشرية جميعاً ان تنظر الى السماء وان تعرف معنى التوحيد ، ومن هذه الارض اتيح لاقوام آخرين ان يعرفوا هذه المباديء الخلقية والاجتماعية التي تستهدف سعادة الانسان .. اذ دعت كل هذه الاديان الى اصول في الحياة الكريمة ومبادىء في الحرية والاخاء والمساواة والعدل ..

وكان الاسلام وهو اخرها الذي نشأ على هذه الارض ، قد جاء بتنظيم اجتماعي كامل يتناول حياة الانسان الاجتماعية والخلقية والاقتصادية والسياسية

ايضاً .. وما تزال هذه المباديء التي جاءت بها الاديان السماوية هي المباديء التي تستهدفها كل رسالة في الحياة وكل دعوة الى النهوض بها ..

وكان فيما حول هذه الارض التي نشأ فيها هذا المجتمع ، انواع اخرى من الحياة لا تعرف المباديء التي دعت اليها هذه الاديان ، ولا تسير على نهج يتيح للبشرية ان تنهض على اساس من الاسس التي تقوم عليها حياة الانسان ..

وكانت هذه الانواع في حاجة الى اصلاح ، فكانت الرسالات السماوية التي تتابعت على هذه الارض والتي نشأ عليها هذا المجتمع ، والتي استهدفت ان تلقي بظل وارف على البشرية كلها لتخرج بها الى حياة النور والحرية ، والانسانية وحياة الاستقرار والامن والسلام ..

ومن ثمة ، عرفت هذه الارض قبل ان تعرف غيرها ، ما يسميه رجال الاجتماع في العصر الحديث باسم « حقوق الانسان » التي تنتظمها تشريعات ومواثيق في العصور الحديثة .

لقد كان هذا المجتمع مهداً لهذه المباديء التي شعّت على العالم كله نوراً وحرية وهداية .. وقد رسخت هذه المباديء على ارضه وامتد بها الزمن عصوراً طويلة وصارت تقاليد تتوارثها الاجيال التي نشأت وعاشت على هذه الارض ، حتى انعكست على المبادىء التي يعتنقها المجتمع العربي ، الذي يعيش في هذا المهد الى اليوم ..

وبجانب هذه الرسالات اتى للمجتمع في تاريخه الحافل تيارات وهجرات تاثرت واثرت في ثقافة هذا المجتمع مع ما واتته من ثقافات من مختلف الجهات المحيطة به .. من ايران ومن الهند ومن هضاب آسيا الصغرى ومن شواطيء البحر الابيض (اليونان والرومان) ومن قلب افريقيا ... وقد اثرت هذه العوامل في المجتمع العربي ، فشهد على صغره ما لم يشهده جزء اخر مزيجاً متنوعاً ومتفاعلا من مختلف الثقافات والحضارات التي عاصرها التاريخ القديم .. وهذا يوضح كيف ان تاريخ المجتمع العربي كان قائما على مظاهر (الاخذ والعطاء) !

اذ ان من خصائص المجتمع العربي انه مزود بقوة عجيبة على صهر التيارات

الجديدة وتمثلها بدرجات متفاوتة، وان كان هذا الجديد لا يقوى على نسخ القديم. وهذا يفسر لنا كيف ان النظم القديمة تطورت مع النظم الجديدة في اسرة واحدة قوامها التناسق وهذه الحقيقة تنطوي على اعتبار هام ، وهو ان تقاليدنا ومبادئنا لم تكن ، ولن تكون سلعاً مستبضعة من الخارج ، لكونها نشأت نشأة ذاتية من طبيعة المجتمع ،ومن تفاعل العلاقات بين الافراد منذ فجر الاجتماع الانساني المنظم.

الذاتية البيئية :

ولنا ، ونحن نتعمق في تحليل ظواهر المجتمع العربي، لنصل الى الاسباب الكامنة في طبيعة هذا المجتمع ونتتبع مراحل نموها وتطورها ، الا نُغفل ونحن نتكلم على خصائص المجتمع العربي ، نقطة هامة يكاد يتفق بصددها علماء الجيولوجيا وهي ، ان هذا المجتمع يعتبر منطقة جيولوجية واحدة متكاملة . وغني عن البيان ان هذه الذاتية البيئية من شأنها ان تدعم القومية العربية وتصونها ، وتجعل منها ذاتا شاعرة واعية وحاسة باطنة مزود بها كل مواطن يشارك في هذه البيئة ويعيش على ارضها .. ولذلك فان القومية العربية اسبر غورا في قلوب مواطنيها من اية قومية اخرى ظهرت في مختلف اجزاء العالم.

ومما يدعم القومية العربية ويذكي عزمها في النضال، وحدة الاهداف والغايات، وخضوع المواطنين لاحداث تاريخية مشتركة ، ولظروف وحوادث متشابهة الّفت بين قلوبهم ووحدت مشاعرهم واحاسيسهم واساليبهم في التفكير والعمل، وخلقت فيهم « وجدانا قوميا » !

وما يقال عن وحدة الاهداف والآمال والآلام ، يقال مثله عن التماثل ، في العادات والعرف والتقاليد ، ومقومات الثقافة والعقيدة ومظاهر العبادة والطقوس وما اليها .. هذه الامور من شأنها ان تبرز خصائص القومية العربية ، وتحدد معالمها وتخلق منها وحدة حية وثابة ..

وثمة نقطة هامة كشف عنها رجال الحرب والسياسة وهي ان المجتمع العربي (وحدة استراتيجية) فهو همزة الوصل بين الشرق والغرب ، وهو الربوة التي

تشرف على منافذ العالم .. وهو صمام الامن ، ومفتاح السلام والحرب .. وقد ادرك هذه الاعتبارات الاستراتيجية البطل صلاح الدين الايوبي ، فاتخذ من وحدة جيوش العرب درعاً واقية وسيفاً مسلولا ضد الغزاة الصليبيين .

وليس ثمة شك في ان الوضع الاستراتيجي للمجتمع العربي يرسي بين يديه صمام الامن العالمي، ويجعله يضطلع بدور ايجابي في سبيل توكيد السلام للبشرية قاطبة.

وفي ضوء هذه الاعتبارات والحقائق نأمل ان ينظر الموريتانيون الى ان « الواقع القومي » كان قيامه كحدث يستمد جذوره من اعماق البيئة واحداث التاريخ وظروف الاجتماع . وهو ضرورة سياسية واستراتيجية ، لها ما يبررها لا سيما في هذا العصر ، عصر الوعي القومي والحساسية السياسية ..!

نشأة القومية العربية :

شعلة متقدة من جذوة الماضي البعيد ، وقوة بارزة لم تؤثر فيها الاحداث على مر السنين ، وحيوية دافقة تجدد بها الامة العربية شبابها ، وطريق للحرية والسلام والامن والرخاء ... تلك هي القومية العربية التي انتصرت في معارك العرب وصارت عقيدة كل عربي ، وامل كل عربي ، وطريق كل عربي في هذه الفترة من تاريخ الامة العربية ..

يقول الاعداء انها دعوى ليس لها وجود حقيقي .. ونقول انها حقيقة تاريخية نشأت حين نشأ تاريخنا العربي ، انها مصدر بمعنى الدعوة الى قوم؛ هم قومنا العرب ثم صارت اسماً يدل على ظاهرة ضخمة في الحياة العربية بمعنى العقد الاجتماعي يربط أبناء الامة العربية ..

وقد ظهرت القومية العربية في تاريخنا حقيقة واقعة منذ ان صار الوطن العربي وطناً للعروبة قبل اكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان، وحين انساح العرب من جزيرتهم الى ما حولهم من بلاد في الشرق والغرب ، فكانت بلاد العراق وما حولها ، وبلاد الشام ، ووادي النيل وشمال افريقية ، وبلاد اخرى من هذه المنطقة ، مجالا لانتشارهم وامتزاجهم بالشعوب التي تسكنها ..

لقد امتزجوا لغة وفكراً وثقافة وقلباً وعاطفة ، وكانت اللغة العربية هي لغة الشعب العربي جميعاً ، وكان الوطن هو وطن هذه الشعوب جميعاً ، وكانت المثل العليا في الحياة كما كانت اهداف الشعب العربي واحدة .. وارتبط الشعب بمصير واحد وجمعته مصلحة مشتركة .. **وعلى هذه الاسس قامت القومية العربية حقيقة لها واقع في التاريخ ، وواقع في كل مظهر من مظاهر الحياة العربية ..**

لقد وجدت هذه القومية قبل ان يوضع لها اسم، وقبل ان يظهر اسم «القومية» في العصر الحديث حين نشأت في القرن التاسع عشر قوميات ايطاليا ، وبروسيا ، وانكلترا ، بقصد توحيد الولايات الايطالية والالمانية ، أو المقاطعات الانكليزية باعتبارها قومية واحدة ..

والقومية العربية الى ذلك اكمل بنياناً واتم تكوينا ، وامكن اسسا ، واشرف غاية .. وذلك لان قوميات اوروبا في القرن التاسع عشر ، كانت قوميات حكام ، يريدون حكما وسيطرة ودولة وسلطاناً واستعماراً واستغلالا .. اما القومية العربية ، فانها قومية شعب لم يعرف الجنس او العنصر بعد ان انصهر الشعب العربي في بوتقة واحدة ، وهي قومية شعب عربي لا يعرف الطائفية او التعصب ، لانه قد برىء من ذلك وتقبل مختلف الاديان وهي قومية شعب عربي ، امتزجت دماؤه واشتبكت مصالحه ، واتحدت غايته ، واتجه الى هدف واحد ..

* * *

لقد نشأت القومية العربية بعد ان تمت عملية الامتزاج بين العرب وبين الشعوب التي تسكن في اجزاء هذا الوطن ، اذ استعربت هذه الشعوب ، وصارت عربية لغة وتقاليد وعادات ومثلا عليا في الحياة ، واسلم اكثرهم ، واتحد مع العرب في اصل من اصول الحياة الروحية ، وبقي اقلهم على دينهم ، وتركوا قوانينهم في الاحوال الشخصية ، ومن ثمة اصطبغت هذه الشعوب بالصبغة العربية ، وكان الطريق الى ذلك سهلا قريبا لاشتباك المصالح وامتزاج الدماء، وكانت اللغة العربية الى ذلك سبب تقارب روحي وثقافي واجتماعي .. فانفسح المجال امام الشعب العربي لبناء الحياة العربية المشتركة ، وكانت مشاركته في بناء الدولة العربية مشاركة تامة.

ففي كل ناحية من نواحي الحياة ، برز اعلام من عناصر كانت غير عربية في الاصل ، صارت اليهم زعامة الحياة الفكرية والروحية ، وقيادة الحياة الثقافية والفنية ، وبناء الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ايضا .. اذ لم يعد هنالك عنصر ، ولا دم يفترق عن دم ، ولا جنس يعلو على جنس ، ولا دين يتميز على دين ، وصار الوطن واحدا ، وهو وطن العرب جميعاً ...

اسس القومية العربية ــ اللغة اولا :

ان القومية تقوم على اسس متفق عليها ، وهي اشتراك الشعب في لغة ووطن وتاريخ ومصير ومصلحة وثقافة ، ومن ثمة قالوا في تعريف القومية : انها « عقد اجتماعي » مشترك بين شعب له لغة مشتركة ، ووطن مشترك ، وتاريخ مشترك ، ومصير مشترك ، ومصلحة اقتصادية مادية مشتركة ، وثقافة مشتركة .. اما السلالة والدين ، فلا تكون وحدها قومية ، وان كانت من عوامل تدعيمها وتوكيدها ..

ونحن اذا طبقنا هذه الاسس على القومية العربية ، نجدها قد تحققت جميعاً : فمن حيث اللغة ، صارت اللغة العربية لغة الشعب العربي كله ، هي اللغة الرسمية وهي اللغة الشعبية ، اذ اندثرت كل اللغات التي كانت منتشرة في اجزاء الوطن العربي سواء في ذلك اللغات الرسمية ام اللغات الشعبية . ماتت اللغة اليونانية الرسمية التي كانت في مصر والشام ، واللغة السريانية والقبطية اللتان كانتا لغة الشعب في مصر والشام .. وقضي على اللغة اللاتينية الرسمية في شمال افريقيا ، وعلى اللغة البربرية التي كانت لغة الشعب هناك ، وانتهت اللغة الفارسية من العرق وما حوله .. وهكذا توحد الشعب العربي ، وصارت له لغة واحدة هي اللغة العربية ؛ هي لغة العرب المسلمين ، ولغة العرب المسيحيين ، ولغة العرب اليهود ايضاً .. وصارت هذه اللغة هي لغة الادب والعلم ، ولغة القراءة والكتابة كما صارت ايضاً لغة العلوم التي ترجمها العرب عن لغات اجنبية ..

وليس صحيحاً ان اللغة العربية لم تتوحد الا في عصر قريب ، فان كل دراس متعمق ، لتاريخ الشعب العربي يعرف ان اللغة العربية صارت لغة عامة الشعب منذ

القرن الأول الهجري او الثامن الميلادي. ولا ينفي ذلك وجود بقايا لغات اخرى، اذ كان المتحدثون بها قلة قليلة . هذا الى ان العرب قد عرّبوا الدواوين قبل نهاية القرن الاول ، وكان معنى ذلك ان اللغة العربية صارت هي اللغة الرسمية للشعب العربي كله ، وقد بدأت العناصر التي اسلمت تشارك في هذه اللغة العربية مشاركة ادبية وثقافية منذ القرن الأول . كما بدأت العناصر التي بقيت على دينها تشارك في ذلك بعد وقت ، مشاركة ادبية وثقافية ، وان كان هذا لا ينفي انها شاركت في اللغة العربية الشعبية قبل ذلك .

ويثبت تاريخنا العربي اسماء رجال بارزين في الحياة الثقافية والعلمية والادبية والدينية ، كان لهم اثر كبير في مجال الثقافة والفن والدين ، وكان هؤلاء من « الموالي » وهم العناصر التي اسلمت وكانت في الاصل على غير الاسلام ..

٢ ـ الوطن :

أما الوطن ، فقد اشترك فيه العرب جميعاً . وكان يمتد من المحيط الاطلسي غرباً الى ابعد من الخليج العربي شرقاً، والى اعالي النيل جنوباً والى جبال طوروس شمالا . . ويجمع هذا الوطن بين السهل والجبل الاخضر واليابس ، وبين ارض الزرع وارض المعدن ، كما يجمع بين جنباته انهاراً وبحيرات ، وله شواطيء على البحر الابيض المتوسط ، والمحيط الأطلسي والمحيط الهادي . .

ان هذا الوطن هو وطن مشترك للعرب جميعاً ؛ هكذا عرفه الشعب العربي. وكان هذا الوطن امام العرب طريقاً ممتداً من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب . . لا يجد السائر فيه في اي بقعة من ارضه ما يشعره بالغربة ـ يمتاز عن غيره من الاقطار بميزتين هما التنوع والتكامل : ففي هذا الوطن انواع عديدة من الحاصلات ، ومن الغلات ، ومن المعادن ، ومن الاجواء الطبيعية ، وهو الى ذلك يتكامل بهذا التنوع في كل ناحية من نواحي الحياة . . فكانت هاتان الميزتان مصدر قوة ومصدر عز وثروة ، ومصدر تطور حضاري ورقي اجتماعي . .

لقد كانت طرق القوافل منذ القدم ، تخترق هذا الوطن ذاهبة او آيبة ، تحمل من حاصلاته ومعادنه ، وغلاته الى اقطار هذا الوطن ، وكانت طرق المواصلات البحرية والبرية ، اداة صلة دائمة بين اجزاء هذا الوطن ، والى اليوم يحج المسلمون الى مكة ، ويحج المسيحيون الى القدس ، من كل طرف من اطراف هذا الوطن لا يعوقهم عائق ، ولا تقف في سبيلهم عقبة ، ولا يطول عليهم الطريق . .

٣ ـ التاريخ :

اما التاريخ ، فقد ارتبط الشعب العربي بتاريخ ، هو تاريخ العروبة في هذه البلاد ، فمنذ اول الامر كان للعرب كيان واضح في التاريخ العام باعتبار انهم دول كبرى من دول العالم وكانت بداية التاريخ العربي مرحلة من مراحل تطور البشرية ونقطة من نقط التحول في التاريخ العام . . لقد ارتبط هذا الشعب بتاريخ سياسي وحضاري واجتماعي واحد ، ونظر اليهم العدو على انهم شعب واحد ، يعيش في وطن واحد ـ اذا تعرضوا لغزو كانوا هدفاً واحداً ، واذا اصابت بعضهم كارثة ، كانت تصيب العرب جميعاً ، وصار كل قطر من اقطار العرب يشارك غيره في المصير ، حتى في الوقت الذي كانت تفترق فيه بعض هذه الاقطار او تتباعد ، كانت الاحداث الكبرى تجمعهم او تؤثر فيهم باعتبار انهم شعب واحد . . وهذه اعمق ظواهر الترابط !

وكانت المصلحة رباطاً قوياً يجمع الشعب العربي ، اذ ادرك العرب في كل جز من اجزاء هذا الوطن ان مصلحتهم تفرض عليهم ان يرتبطوا الى بعضهم في كل ناحية من نواحي الحياة : في التجارة ، وفي الاقتصاد ، وفي السياسة ، وفي العمرا والحضارة كذلك . كانت الاسواق التجارية في اي جزء من اجزاء هذا الوط اسواقا للعرب جميعاً ، تصرف فيها الحاصلات الزراعية والانتاج الصناعي ايضاً وان كان في فترة نموه الحرفي . . وانتفع العرب جميعاً بثمرات الوطن العربي كله . .

ومن اجل المصلحة المشتركة ، تكتل الشعب العربي لدفع العدوان ، ومن اج هذه المصلحة اشتركوا في نشر حضارتهم ومدنيتهم ، ومن اجل هذه المصلح كذلك كانت الفتوحات العربية تضم جموعاً واخلاطاً من ابناء هذا الوطن وكا

في الجيش العربي قواد ، كانوا في اصلهم من من غير العرب ، وكانت المصلحة تجمع الشعب العربي : تجمعه من اجل رخائه ، من اجل امنه وسلامته . وكانت اسواق دمشق ، وبغداد ، والفسطاط ، والقيروان ، ومكة ، والمدينة ، والبصرة ، والكوفة تغذيهـا البضائع المصرية والشامية واليمنية والمغربية .. وكانت كل هذه العواصم رباطا يجتمع العرب حوله ، اذا اصابتها عاديـة او تعرضت لعدوان ..

امـا الرباط الثقافي والفكري ، ووحدة الحس والشعور ، ووحدة المثـل والاهداف، فان التاريخ يؤكد ان الشعب العربي قد ارتبط بثقافة واحدة هي الثقافة العربية التي حملت كل تراث العرب الفكري والادبي ، وامتزجت بثقافات البلاد التي كانت طريقهم ، ليتوحدوا فكراً وعاطفة ،وعقلا وقلبا ، ويتوحدوا في آمالهم وآلامهم ، وفي مثلهم واهدافهم .. وقد استقر المجتمع العربي فترة من الزمن على ذلك ، ينعم الناس بالعدل والحرية واتجهت انظارهم الى البناء الحضاري ، والرقي المادي الادبي ، ومن ثمة ، اندفعت القومية الى البناء فاقامت في التاريخ حضارة عربية شارك فيها العربي بجميع عناصره وكان الدافع الى ذلك هي القومية الواحدة.

٤ _ خصائص القومية العربية :

ان القومية العربية تمتاز بخصائص معينـة ، فمن خصائصها ان لها اشعاعا بغير اعتماد على الجنس ، او الدم ، او اللون . وهي هاضمة مبلورة ، تضع المواطن العربي لسانا وايمانا .. من اجل ذلك اختفت كلمة « اصلي وفصلي » كما اختفت الفرعونية والاشورية والبابلية والبربرية .. وصار في كل اقطار الوطن العربي قومية عربية واحدة .. وقد قامت منذ اول الامر تحمل صفات العروبة ، وخصائصها ، فاذا هي عزة واباء للضيم ، وهي خيرية وانسانيـة ، وهي مرؤة ووفاء ، وهي تجمع عند الخطر ، واحتشاد امام النوازل ، وهي نزوع الى الحريـة والجد ، والسمو والرقي ، وهي فوق ذلك ضد الاستعمار والاستغلال والبغي والعدوان !..

قوميات تحتمي بقوميتنا ..

حين نشأت هذه القومية سارعت اقوام عديدة الى الانضواء تحت لوائهـا ،

وكانت اكثر هذه الشعوب التي انضمت تئن تحت نير الجبروت والظلم والطغيان كانت شعوباً تسلط عليها الغالبون من الفرس والرومان، وكانت تتطلع الى الحري والعدالة وتريد الخلاص من الفتن والفرقة والانقسام ، وكانت الى ذلك في حاج الى من يأخذ بيدها بعد ان غلبت على امرها، فوجدت ذلك في الانضمام الى العرب والانضواء تحت لوائهم . فلم يجد العرب مقاومة كبيرة في دخول اكثر هذه البلا التي كونت الوطن العربي، بل وجد وامساعدة وتأييداً .. ولا عجب في ذلك فقد كان بين العرب وبين هذه البلاد من قبل الفتح صلات عديدة، اهمها صلة الجوار وصلات الاقامة، والرحلة والتجارة والبيع والشراء . ومن اجل ذلك كان الجيش العربي يحارب ومعه جيش آخر من ابناء البلاد .. ويتقدم معه مرشدون ودعاة من ابناء البلاد .. ووجدت هذه الشعوب في العرب ما لم تجـده في المستعمرين من الفرس او الرومان : وجدت مُثلاً رفيعة في الحياة ، كانت هي العـدل والسلا والامن ، وهي الحرية الدينية والتسامح ، وهي المساواة والاخاء ، ومن اجل ذلك كان الامتزاج السريع والتقارب السريع ، وكان الرباط الوثيـق ، وهو رباط القومية التي جعلت هذه الشعوب شعباً عربياً واحداً ..

في مصر اختفى البطريرك بنيامين عشرين عاماً باحد الاديرة هربا من الروما وعسفهم ، وآلى على نفسه الا يخرج من عزلته .. فلما جاء العرب عاد الى كرسي وعاد معه الاف كانوا يعيشون بعيداً عن الرومـان .. وفي بيت المقدس رفض عمر بن الخطاب ان يصلي في كنيسة القيامـة ، خوفا من ان يُظن انه يريـد ا يحولها الى مسجد ، وذلك اعترافاً بمبدأ الحرية الدينية وتأمينا لما في يد المسيحيين من اماكن العبادة ..

ولقد تحررت القومية العربيـة من الجمود ، فسايرت الحياة الجديدة التي رآ الشعب العربي في كل ناحية ، لم تجد ضيراً في ان تتصل الثقافة العربية بغيرها من الثقافات لتأخذ منها ما تحتاج اليـه من العلم والمعرفة ، حتى لقد اندفع العرب هذا الطريق الى آخره ، فترجموا عن اليونانية وعن الفارسية ، وانتفعوا بثمار العلو التي وجدوها في وطنهم او عند غيرهم من الامم المجاورة . ومعنى ذلك ان القوم

العربية متطورة ، تعيش في عصرها غير متخلفة او وانيــة ، هذا الى اتجاهها الى البناء الاجتماعي والاقصادي على سواعد جميع ابناء الشعب العربي ، فهو الذي يبني حياته ، ويؤسس حضارته ، ويدعم كيانه الادبي والمادي ..

اهداف القومية العربية :

وقد استهدفت القومية العربية على اعتبــار انها (عقد اجتماعي) بين الشعب العربي ، التحرير : تحرير الفرد من الاغلال التي تحيط به ، وتحرير الشعوب الاخرى من الظلم والاستعمار ، وكان هذا هدفاً من أهدافها منــذ ان ظهر العرب كأمة في جزيرة العرب وانساحوا في اوطان آسيا وافريقيا ..

كان الفرد العربي في الجزيرة على حال لا تحمد ، اذ كان هناك رقّ واستغلال . فلما صار العرب امة واحدة ودخلوا في طورهم الحضاري ، كان اول ما استهدفوه هو تحرير الفرد من الرق والاستعباد ، وكذلك فعلت القوميــة العربية في اجزاء الوطن العربي كله ..

كانت مصر والشام والمغرب تحت حكم الرومان ، وكان العراق تحت حكم الفرس ، وكان الشعب هنا وهناك ، يلقى الظــلم والاستغلال ويتطلع الى التحرر والاستقلال فوجد حريته على ايدي العرب ثم صار شعباً عربياً من بعــد ، يتمتع بالحرية التي يتمتع بها كل عربي .. وقد ثبتت القومية العربية على هذا الهدف ، اذ كانت تحمل رسالة الاخاء والحرية والعدالة ..

وكان من أهداف القومية العربية التي أطلت على التاريخ منذ اول ظهورها ، ان تقيم اسس البناء الاجتماعي والاخلاقي في عالم كان يتمزق اشلاء ويفترق بدداً ويحمل اسباب الضعف والتفكك والانهيار . وكانت الفرصة مهيأة لجميع هــذه الاقطار في ظل لواء واحد ، والسير بها في طريق واحــد .. فاجتمعت تحت لواء العروبة وسارت في طريق العروبة ، وبدأت اقامــة اسس الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافيــة والسياسية ، تشترك في كل ذلك عناصر الشعب العربي ويتعاون في ذلك افراد الشعب العربي . ومن ثمة قامت حضارة عربية على اكتاف العرب جميعاً ..

صحيح ان الاسلام قد جاء بنظام اجتماعي واقتصادي وثقافي ايضاً ، ولكن من الصحيح كذلك ، ان هذا النظام قد امتزج بالنظم الاخرى التي كانت في البلاد التي انتشر فيها العرب ، وصار نظاماً كونته عناصر شتى ، وامدت به اقطاراً شتى ، وكانت حركة البناء سريعة مبكرة صاحبت نمو القومية العربية ، ولم تكن القومية العربية في ذلك سلبية او عاجزة ، بل دفعت قوة الانطلاق الى سرعة البناء حتى لقد تنافس الشعب العربي في اقامة هذه الحضارة ، فكان هذا التنافس سبيلا الى النهوض بالحياة العربية في مختلف نواحيها !

لقد اقام العرب في هذا الوطن حضارة ولم يتجهوا الى الهدم او تقويض دعائم الانظمة الموجودة ، كما لم يتجهوا الى العزلة او التفرد والانفصال عن المجتمع ، بل لقد اندفعوا الى الامتزاج في هــذا المجتمع والكشف عن أوُجه اصلاحه ، والى تدعيم نظمه وتثبيت أركانه ، ومن ثمة تعلق الشعب العربي بالقومية العربية ، باعتبار انها طريق للبناء وسبيل الى خير المواطنين جميعاً ، وحاولوا الانتفاع بما في وطنهم واستغلال ثرواتهم والكشف عن اسباب رخائهم والعمل على النهوض بحياتهم .. لقد كانوا دولة واحدة تنظم حياتها وحيــاة شعبها على اسس عادلة ، تأخذ من الغني والفقير ، وتعين الضعيف والمسكين ، وتساعد المظلوم حتى ينتصف لنفسه ، ومن اجل هذا صاحب هذه القومية الناضجة ما يمكن ان يسمى في عصرنا الحديث بالاشتراكية التي تقوم على التعاون ، وتستهدف اسباب الحيــاة للمواطنين جميعاً ، وكانت القومية العربية بذلك ، فوق انها طريق للبناء سبيلا الى رخاء الشعب العربي وتوفير اسباب اطمئنانه على حياته ومستقبله .

القضاء على الفساد الداخلي :

ولقد كانت القومية العربية مجتمعاً له خصائصه وطبيعتــه ، يقوم على العدالة الاجتماعية والحرية الدينية ويستهدف البناء والرخاء ، وكان هذا المجتمع في حاجة الى ان يؤمن وان يقوم الشعب العربي على حراسته ، فاتجهت القومية العربية الى ان

تدفع عن هذا المجتمع كل عدوان داخلي او خارجي : اتجهت الى القضاء على كل اسباب الفساد الداخلي ، حتى تأمن على سلامة هذا المجتمع من عوامل الهدم او الانحراف ، واتجهت الى اتقاء كل شر يبيت ضد الوطن العربي والمجتمع العربي الجديد .

ان بعض الاعداء يزعمون ان القومية العربية تستهدف العدوان والاستغلال ، غير ان دعاة التحرر لا يستعمرون ولا يستغلون ولا يعتدون . فقد خرجوا يحملون رسالة لم يفرضوها على شعب من الشعوب ، ولم يحاربوا شعباً وانما حاربوا مستعمرين مستغلين كانوا خطراً جسيما على دعوتهم وعلى رسالتهم ، اذ لم يكن هناك خطر على الاسلام من المسيحية او من اليهودية ، وكان الخطر الذي يخشى منه هو الاستعمار الروماني والفارسي الذي كان يقسم العالم في ذلك الوقت، ويحاول ان يستغله وان يستعبده . وكانت القومية العربية في حاجة الى ان تدافع عن وجودها حتى تستطيع ان تبني بناءها الحضاري وتثبت قواعد مجتمعها الجديد .

هكذا كانت الفكرة العربية منذ اول الامر ، وكان على العرب ان يعملوا على حماية مجتمعهم ، وتدعيم الاسس التي بنوه عليها ، وصارت حريتهم في بناء هذا المجتمع تفرض عايهم الدفاع عنه ..

منذ اول الامر ، كانت هذه الاهداف واضحة امام القومية العربية التي ربطت هذا الشعب لغة ووطناً وثقافة ومثلا في الحياة ، ومنذ اول الامر اتجهت القومية العربية ، الى توفير اسباب الرخاء واسباب الحرية واسباب الامن ، ولم يكن ذلك عجباً فقد دفعت القومية العربية هذا الشعب الى ان يسير في اتجاه واضح ، والى غاية واضحة . فكانت هذه القومية مصدر قوة للشعب العربي في هذا الوطن : وقفت امام حركات الهدم والانحراف التي تعرض لها المجتمع العربي كما وقفت ضد الاعداء الذين كانوا يتربصون بالوطن العربي ، والشعب العربي ، وبكل ما بنته القومية العربية .

حركات الانفصال :

ولكن هذه الرابطة العليا قد تعرضت لمعاول هدم وجهت اليها ، وكان اول هذه المعاول هو معول الانقسام والانفصال السياسي ، اذ تغلبت الاطماع على بعض الولاة والحكام ، وملكت لُبّ بعض الطامعين والانتهازيين واستولت على خيال بعض الطامحين الى ملك والى سلطان ، فكانت بداية الانفصال السياسي عن بقية اجزاء الوطن العربي . كان ذلك حين بدأت دويلات صغيرة تظهر ، وبدأ امراء وولاة يستقلون بما ملكوا لانفسهم ، وكان ذلك حين بدأت دول تفترق وكان ذلك حين اطلت « الشعوبية » براسها ، فكانت دعوى العنصر والجنس والنسب ..

لم تؤثر سياسة الانفصالات على القومية العربية التي تجمع الشعب العربي التأثير الخطير الذي يحطمها او يقضي عليها ، فقد كانت تظهر معلنة عن نفسها امام الغزو الخارجي حين تجد القائد الذي يبعث في العرب مثلهم واهدافهم، ظهر ذلك في حادثين تاريخيين كبيرين هما : الحروب الصليبية التي بدأت في القرن الحادي عشر ، وزحف المغول في القرن الثالث عشر .

جاءت الحروب الصليبية عن طريق عدو في الشمال كان يربط في اطراف من آسيا الصغرى تحت اسم الدولة الرومانية الشرقية التي سبق ان هزمت في موقعة ملاذكود عام ١٠٧١ م واسر في هذه الموقعة امبراطور الروم « ديجونيس » فاستنصر البابا اربان الثاني ، ومن اجل هذا كانت الاطماع الاستعمارية التي ظهرت في زي ديني ، وتكتلت اوروبا بجيوشها وامكانياتها في حملات متتالية تهاجم الوطن العربي .. وقد اتحدت مصر والشام بقيادة صلاح الدين الايوبي الذي استطاع ان يرد هذا العدوان الخارجي في موقعة تاريخية مشهورة هي موقعة حطين عام ١١٨٧ .

اما المغول فقد اندفعوا في غزوهم للشرق حتى وصلوا الى ارض الشام .. وقد توّحد الشعب العربي في مصر والشام بقيادة بيبرس الذي استطاع ان يقضي على هذا العدوان الخارجي في موقعة تاريخية مشهورة هي موقعة « عين جالوت » عام ١٢٦٠ م .

القومية العربية في العصر الحديث :

حين بدأ العصر الحديث ، كان الاتراك العثمانيون قد استولوا على اكثر اجزاء

الوطن العربي ، اذ بدأ الاستعمار العثماني منـــذ عام ١٥١٧ م فكانت مصر والشام وشمال افريقيا (ليبيا وتونس والجزائر) والشام والجزيرة العربية والعراق في جوزة الاتراك ، وكان الحكم العثماني في كل هذه البـــلاد حكماً اجنبياً بالرغم من الرباط الديني الذي كان يربط الشعب العربي بالخلافة الاسلامية في تركيا ، حتى لقدانتهى عهدالاتراك بعنصريتهم الى محاولة « تتريك » البلاد العربية ومعنى هذا هدم الكيان العربي والقضاء على اساس عريق من اسس القومية وهو اللغة العربية !

ولقد استنام الشعب العربي فترة للحكم العثماني بالرغم من مظالمه وقبائحه ، اذ كان هناك عدو خارجي يتربص للعرب جميعاً ، وهو الصليبية الاستعمارية في العصر الحديث ، تلك الصليبية التي ظهرت في فرنسا ، وانكلترا تحت ستـــار التوسع التجاري ، وكانت امتداداً للصليبية الـــتي هاجمت الوطن العربي في الشرق فردت مهزومة فتحولت الى المغرب ، وقضت على القومية العربية في الاندلس ، وحينئذ برزت الصفة الدينية الاسلامية لتقاوم الغزو الصليبي الاستعماري ، وقد اعادت هذه الفترة الى الاذهان فترة الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر حين أطلت العصبية الدينية برأسها وحمل لواءها صليبيون من اوروبا يدعون دعوة تبرأ منها المسرحية ، فجدد الاستعمار الاوروبي في العصر الحديث ، هـــذه العداوات في سبيل استعمار الوطن العربي ، فلم يكن بد من ان تتطلع الأمة العربية في هذا الوطن الى الخلافة الاسلامية في تركيا باعتبار انها صاحبة الأمر حيث كانت قوة في تلك الايام .

ولكن الامبراطورية العثمانية كانت دولة مستعمرة ، تنحـــاز الى جنس والى عنصر والى لغة ، ليس واحداً منها العنصر العربي ، أو الجيش العربي ، او اللغة العربية على اية حال ..

وكانت دولة مستغلة ، وكانت دولة اقطاعية ، وكانت فوق كل ذلك ، تريد ان يبقى لها الحكم والسلطان على هذا الوطن العربي ، ولم يكن من مصلحتهـــا ان ينهض العرب او يستيقظ العرب ، اذ كانت نهضتهم ايذانا بتحررهم من سيطرتها وكانت تطلعاتهم قضاء على استعمارهـــا ، ومن ثمة عملت بكل ما استطاعت من وسائل على تفريق البلاد العربية وهدم القومية العربية ، وحاولت كما حاول دعاتها

ان يربطوا هذا الوطن بتركيا برباط الدين ، وهكذا استطاع الاستعمار العثماني ان يعيش تحت هذه الظلال اعواماً طويلة امتدت الى ما يقرب من اربعـــة قرون ! وظلت القومية العربية امام الاتراك هدفاً من اهدافهم التي ارادوا ان يصيبوها ، اذا عرفوا كما عرف غيرهم من المستعمرين انها سبيل الخلاص والحرية ، وسبيـــل الرخاء والرفاهية ، وسبيل العزة والمنعة ، ومن ثمة وجهوا اليها سهامهم القاتلة .. كانت اللغة العربية هدفاً من اهدافهم ، فحاولوا اضعافها واحلال اللغة التركية محلهـــا ، وكان الوطن العربي هدفاً لهم ، فاصطنعوا من اساليب الحكم مـــا جعلهم يفصلون بين جزء وآخر ..

ولكن الشعب العربي لم يطق ان يصبر على الاستعمار العثماني ، فقد كانت اهداف القومية العربية ضد الاستعمار والاستغلال والضيم والبطش والطغيان ، ولم يكن مفر من ان يستيقظ العرب من نومهم على انهار الدماء التي اسالها العثمانيون ، وعلى سوء الحال التي وصلوا اليها تحت الحكم العثماني .. اذا كانت الدنيا قد تطورت ، وكانت الدعوات قد ظهرت وملأت بقاعا من العالم من اجل الحرية والاستقلال ، وكانت اوروبا قد دخلت عصراً جديداً في تاريخها هو عصر الحضارة المادية ، فنظر العرب الى انفسهم والى تركيا ، فوجدوا تخلفاً وجموداً ، ووجدوا استغلالا واستعباداً ، ووجدوا « قومية تركية » تتحكم فيهم وتعمل على هدم كيـــانهم ، فكان ذلك بداية ليقظة حقيقة للقومية العربية !

الاستعمار الاوروبي :

لقد اتجه الاستعمار الاوروبي الى تحطيم القوى التي وجدها في الشرق ، وكانت هذه القوى في الهند وايران وتركيا ، فوقف امام النمو الطبيعي للحضارة في هذه البلاد ، وسار الاستعمار يهذي باسطورة « الرجل الابيض » والرسالة التي يحملهـــا من اجل تقدم شعوب الشرق ، وكان من هذه الشعوب الشعب العربي .

لقـــد بدأ هذا الاستعمار في شكل محاولات لتسهيل طرق التجارة وكشف العوالم الخافية ، فاتجه الاسبان عام ١٤٩٢ م الى اقتحام المحيط الاطلسي ، واتجـــه

البرتغاليون عام ١٤٩٧ م الى الوصول الى الهند والشرق ، وكان اكتشاف الاسبان لامريكا وكشف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح دوي هائل في العالم الاوروبي ، فبدأ التنافس على كشف مجاهل البر والبحر شرقا وغربا ، وابتدأت القرصنة الاوروبية تتحول الى عمليات مشروعة وغزوات تتوفر على دراستها الدول الاوروبية ، وبدأ « الرجل الابيض » يؤسس الشركات الاحتكارية ليظفر بكنوز الشعوب الشرقية . وقد اتجه الى الوطن العربي وهو يحمل ذكريات الحرب الصليبية الاولى للاستيلاء على مراكز للتجارة وموارد للصناعة . . ونظر الى هذا الوطن على اعتبار انه يمثل السد يقف دون كنوز الشرق ، ويسيطر على طرق المواصلات اليه . وكانت الدولتان اللتان سبقتا الى هذا الاستعمار هما انكلترا وفرنسا، ثم شاركتهما دول اخرى من بعد . .

في عام ١٦٠١ تأسست شركة الهند الشرقية ، بعد تصريح باقامة وكالة لها في ثغر « سورات » على ساحل الهند الشمالي الغربي ، ومن هناك اخذت توطد مراكزها التجارية حتى انتهى الامر الى نفوذ سياسي تم استعماراً للهند عام ١٧٨٤ م وعندئذ بدأ الانكليز يفكرون في الوطن العربي باعتباره طريقا الى الهند ، فلما بدأت فرنسا تحلم بتكوين امبراطورية وتتجه في عام ١٧٩٨ الى الاستيلاء على مصر والتحكم في قناة السويس والبحر الاحمر ، سارع الانكليز باحتلال المواقع التي تتحكم في الممرات الانجليزية ، وبعد سبعة اعوام استطاعوا الحصول على المدخل الجنوبي للبحر الاحمر ، فاحتلوا جزيرة «بريم» وميناء «عدن» عام ١٧٣٩ ثم فرضوا حمايتهم بالتدريج على بعض الاجزاء التي سموها المحميات كما ضغطوا على امير مسقط لتوقيع معاهدتين عام ١٧٩٨ وعام ١٨٠٠ واقاموا لهم وكالة سياسية في بغداد عام ١٧٩٨ . ولم يكتف الانجليز بهذا الجانب من الوطن العربي ، اذا ارادوا مهاجمة الامبراطورية التركية في منطقة حساسة فارادوا احتلال مصر ، وجاء اسطولهم الى رشيد عام ١٨٠٧ ولكنهم فشلوا وارتدوا وعندئذ وقفوا يتربصون حتى تمكنوا في عام ١٨٨٢ من احتلال مصر ثم استعمروا السودان باسم الحكم الثنائي في عام ١٨٩٩ ، ولما قامت الحرب العظمى الاولى عام ١٩١٤ اعلنت انكلترا حمايتها على مصر ، كما اعلنت حمايتها على الكويت والمناطق المحيطة بالخليج العربي بعد ان بدأت بشائر البترول تظهر في هذه المناطق ، فعقدت معاهدة حماية مع الكويت عام ١٩١٤ ، ومع نجد عام ١٩١٥ ، ومع قطر عام ١٩١٦ .

وظلت فرنسا تحلم باحلام الامبراطورية الاولى ، فاذا هي تحتل الجزائر غدراً عام ١٨٣٠ ، وتونس عام ١٨٨١ ، وفي عام ١٩٠٤ عقدت اتفاقاً مع بريطانيا لتقسيم الاسلاب ارادوا اغتنامها من الوطن العربي . وتعهدت فرنسا بمقتضى هذا الاتفاق الا تعرقل الاحتلال الانكليزي لمصر في مقابل تسليم بريطانيا بحق فرنسا في اطلاق يدها في مراكش ، كما عقدت اتفاقا مشابها مع اسبانيا وبذلك تمت سيطرتها على مراكش ١٩١٢ ؛ اما ايطاليا فقد احتلت ليبيا عام ١٩١١ .

وهكذا اتفق الاستعمار الاوروبي على ان يقسم الوطن العربي الى مناطق نفوذ وان يضرب القومية العربية والشعب العربي . .

لقد جاء الاستعمار الى الوطن العربي ليحقق اهدافاً ، كانت كلها ضد القومية العربية وضد الشعب العربي : جاء للتفريق والتفتيت ، وجاء للنهب والسلب ، جاء لاقامة حدود وفواصل ، وجاء للاستعباد والاستغلال ، جاء ليقضي على اسس القومية العربية باعتبارها كياناً للعرب وطريقاً لحرية الشعب العربي . . فكان اضعاف اللغة العربية ، واحلال لغة اجنبية محلها ، واشاعة ثقافة اجنبية للقضاء على الثقافة القومية والانحراف بالتعليم واساليبه وقتل الطموح واشاعة روح الهزيمة . هذا الى ما عمل له الاستعمار ليبقى : فخلق صنائع وارسى قواعد للرجعية والاقطاع ، وبذر بذور الفرقة فكانت دعوى الجنس والاصل ، وكانت الطائفية ، وكانت دعوى اختلاف الوطن تارة اخرى ، فقال في مصر : انتم لفرعون وقال في الشام : انهم آراميون او فينيقيون . وقال في العراق : انتم لبابل ، وقال في شمال افريقيا : انتم من البربر . . وحمل مثل هذه الدعوات صنائع واعوان ليفرقوا الشعب العربي ويبثوا فيه اسباب الفتنة والانفصال كما حمل امثالهم دعوات التعصب واثارة الفتن الدينية ، كل ذلك ليظفر الاستعمار بما يريد وهو اضعاف القومية العربية !

وقد استطاع الاستعمار عن هذا الطريق ان يصل الى بعض ما اراد ، ولكن

الشعب العربي ظل مع ذلك يشعر بهذه الرابطة الخالدة التي كان ينبثق شعاعها كلما هيء لها ان تنطلق وتعلن عن وجودها وكلما اتيح لها ان تظهر . ولكن الاعداء كانوا اقوياء بجيوشهم واساطيلهم، واقوياء بتدبيرهم مؤامراتهم ، واقوياء بمكرهم وخداعهم ، ومن ثم ظلت قوة معطلة وعملاقاً نائماً . . !

تعريف « العربي » قانونياً

واخيراً ، من هو العربي بالمعنى القانوني ؟

من المعروف ان المصطلحات الجغرافية البشرية من الامور الصعبة وليس تحديد لفظ « العربي » من اسهلها .

هناك حد ممكن، ولكننا نطرحه جانباً في الحال . فالعرب شعوباً واقطاراً متقاربة ومتباعدة ، « أمة » ، ما في ذلك ريب . ولكنهم ليسوا بعد «جنسية» بالمعنى القانوني : فالرجل الذي يدعو نفسه « عربياً » قد ينعت في وثيقة السفر (الباسبور) بانه ذو جنسية موريتانية او لبنانية ، فلسطينية او مصرية ، عراقية او سعودية عربية ، ولكن لا ينعت بانه « عربي » . وهناك دول عربية، بل وجامعة عربية ولكن ليس ثمة بعد دولة عربية واحدة بالمعنى القانوني يكون العرب كلهم فيها مواطنين ذوي جنسية قانونية (ما عدا الجمهورية العربية المتحدة حديثاً) .

بيد انه اذا لم يكن للعروبة مفهوم قانوني، فذلك لا يقلل من حقيقة وجودها . فاعتزاز العربي بعروبته ، وشعوره بالروابط التي تربطه الى غيره من العرب، قدماء ومعاصرين ، ليس اقل متانة . فهل العامل الموحّد اذاً عامل لغة، وهل العربي هو الذي يتكلم العربية لغة اصيلة له ؟

هذا الجواب مقنع عند النظرة الاولى . ولكن ثمة صعوبات ، فهل اليهودي العراقي او اليمني الناطق بالعربية ، وهل النصراني المصري او اللبناني ، او المالي الأفريقي الناطق بالعربية عربي ؟

قد يظفر الباحث باجوبة مختلفة بين هؤلاء الناس انفسهم وبين جيرانهم المسلمين بل هل المسلم الناطق بالعربية عربي ؟

ان كثرة يعتبرون نفسهم كذلك ، غير ان هذا لا ينطبق على جميعهم . ولايزال لفظ « اقليمي » يستعمل في عامة مصر والعراق وموريتانيا ليميز البدوي المقيم في الصحارى المجاورة عن السكان الاصليين . وتستعمل بعض الطبقات تعبيراً غليظاً هو « الناطق بالعربية » ، تمييزاً للذين يتكلمون العربية لا غير ، من الذين هم عرب اقحاح . .

وقد حدد اجتماع الزعماء من العرب، منذ سنوات عدة ، العربي بهذه الكلمات:

« كل من يعيش في بلادنا ويتكلم لغتنا ، وينشأ على ثقافتنا ، ويعتز بامجادنا ، فهو منا » .

ولنقارن بهذا الحد ، حداً مأخوذاً من مرجع اوروبي كفوء ، هو « جب » الاستاذ بجامعة اكسفورد اذ يقول : **« ان العرب هم الذين يعتبرون رسالة محمد وذكرى الدولة العربية نقطة الارتكاز في التاريخ . والذين بالاضافة الى ذلك يرون اللغة العربية وتراثها الثقافي في ملكهم المشترك »** . وكلا التعريفين كما هو بيّن ليس لغوياً ، لان كلا منهما يضيف مقوماً ثقافياً ، واحدهما على الاقل يضيف مقوماً دينياً . وكلاهما ينبغي ان يفسر تاريخياً ، اذ لا يرتجى منه الاصطلاح ، منذ استعماله البداءي المحدد في الازمنة القديمة ، حتى معناه الواسع اليوم ، وان يكن غير واضح تماماً إلا من خلال تاريخ الشعوب التي تسمى عربية . .

واصل كلمة « عربي » ما يزال غامضاً على الرغم من ان علماء اللغة قد قدموا تفسيرات تختلف جودة وقبولا . فبعضهم يرى ان الكلمة مشتقة من جذر او اصل سامي بمعنى « الغرب » . اطلقه اول ما اطلقه سكان ما بين النهرين على الشعوب الواقعة الى غرب وادي الفرات . وربطها اخرون بالاصل « عابار » اي ينتقل او يمر (من عبَر) ، وقد تولد ارتباط المعنى بالبداوة من العرب انفسهم ، على ما يظهر حين استعملوا الكلمة منذ زمن قديم ليميزوا البدوي عن سكان المدن والقرى الناطقين بالعربية . بل وما زالوا يفعلون ذلك، الى حد ما ، حتى يومنا هذا .

والاشتقاق العربي المأثور الذي يشتق الاسم من فعل « اعرب » ومعناه : ابان او أفصح ، يكاد يكون بالضبط قلباً للتطور التاريخي .

واقدم ذكر وصلنا عن بلاد العرب والعرب ، وهو الوارد في الاصحاح العاشر من سفر التكوين ، حيث يرد ذكر كثير من شعوب شبه الجزيرة العربية وديارها بالاسم[1].

ويرد استعمال « عربي » لكلمة في النقوش العربية الجنوبية ، والتي هي من اثار الحضارة الزاهرة ، التي اقامها في اليمن الفرع الجنوبي من الشعوب العربية ، والتي يرجع تاريخها الى القرون الاخيرة قبل المسيح والقرون المسيحة الاولى .

وتعني كلمة « عربي » في هذه النقوش « البدوي » . وغالباً ما تعني « المُغير » وتطلق على الرحّل تمييزاً لهم من الحضر . وترد كلمة « عربي » في الشمال اول ما ترد ، في نقش النمارة التي يرجع الى اوائل القرن الرابع . وهـذا النقش من اقدم الوثائق الباقية في اللغة العربية الشمالية التي اصبحت فيما بعد الفصحى . ويسجل هذا النقش المكتوب بلغة عربية ، ولكن بخط نبطي آرامي ، وفاة امرىءالقيس «ملك العرب كلهم » واعماله في الفاظ توحي السيادة التي يدعيهـا ، لم تكن تتعدى مضارب البدو في شمال الجزيرة العربية ووسطها

ولم يصلنا شيء ثابت عن استعمال الكلمة في وسط جزيرة العرب وشمالها الاعند ظهور الاسلام في اوائل القرن السابع . فالعرب عند محمد واهل زمنه هم « بدو الصحراء » . ويرد لفظ « الاعراب » في القرآن بهذا المعنى دون غيره .

عروبة الفتح الجغرافية :

وهنا نجد جذور الرأي الذي ساد فيما بعد ، وهو ان اصح صور العربية ، هي عربية البدوي الذي حفظ بامانة اوفى من غيره ، الاسـلوب العربي الاصلي في الحياة واللغة . .

وقد نشرت موجات الفتوح العظيمة التي تلت وفاة الرسول ، واقامة الخلافة ، من قبل خلفاً له لامامة الجماعـة الاسلامية الحديثة ، اسم العرب على قارات آسيا وافريقيا واوروبا الثلاث . ووضعته على رأس حقبة حيوية ، وان تكن طويلة ، من تاريخ الفكر والجهد الانسانيين . فقـد اسس شعوب بلاد العرب الناطقون بالعربية ، البدوي منهم والحضري على حد سواء ، دولة واسعة تمتـد من اواسط آسيا الى الاطلنطي . ووجد الغرب انفسهم وسط خليط من الشعوب يختلف عنصراً ولغة وديناً ، فكونوا بينهم اقليـة حاكمة من الفاتحين والسادة ، والاسلام دينهم القومي وشعارهم في الحزب ، والدولة الجديدة ، غنيمتهم ، واصبحت الفروق الاجتماعية بين الحضر والبدو مدة من الزمن ، اقل اهميـة من الفروق بين سادة الدولة الجديدة وبين الشعوب المتباينة التي قهروها .

وخلال هذه الفترة الاولى من التاريخ الاسلامي ، عندما كان الاسلام دينـاً عربياً خالصاً والخلافة دولة عربية ، صار لفظ « العربي » كافياً لتمييز العرب من مجموعـة الفرس والسوريين والمصريين ، وغيرهم الذين ادخلتهم الفتـوح العظيمة في الحكم العربي كما كان يميزهم كعنصر حـاكم من غيرهم من المقيمين خارج دار الاسلام .

وبقيت اللغة العربية ، اللغة الرسميـة الوحيدة ، واللغـة الاولى في الادارة والتجارة والثقافة . وحضارة الخلافة الفنية المتنوعة ، التي انتجها رجال من جميع الشعوب والعقائد ، عربية في لسانها ، بل عربية في طابعها .

وفي الوقت نفسه ، كان مدلول كلمـة « عرب » البشري يتيغر ايضاً . فقد

---

[1] ١ ـ جاء في الاصحاح المذكور اسم يقطان بالطاء ، حسب الترجمة العبرية ، وهو بالعربية قحطان احد جدود العرب الاول الذي ولد الموداد ، وشالف ، وحضر موت ، وديارج ، وهدورام واوزال ، ودقلة وعيوبال الخ ... وكان مسكنهم في جزيرة العرب ، وهم من قبائل بني نوح التي تفرقت في الارض بعد الطوفان . وجاء في سفر اشعيا ـ الاصحاح ٢١ ما نصه بالحرف :

« وحي من جهة بلاد العرب . في الوعر ، في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدادانيين . هاتوا ماء لملاقاة العطشان ، يا سكان ارض تيماء الخ . . وجاء في اشعيا ايضاً ـ الاصحاح ٢٣ ما نصه :

« وحي من جهة صور . ولولي يا سفن ترشيش لانها خربت حتى ليس بيت ، حتى ليس مدخل من ارض كتيم . أعلن لهم . اندهشوا يا سكان الساحل . تجار صيدون العابرون البحر ملأك وغلتها زرع شيحور حصاد النيـل على مياه كثيرة . اخجلي يا صيدون لأن البحر حصن ، حصن البحر نطق قائلا : لم اتمخض ، ولا ولدت ولا ربيت شبابا وانشأت عذارى » الخ . . وكل سفر اشعيا حتى الاصحاح ٤١ من هذا القبيل الادبي الرائع ، ومعظمه يتحدث عن مجد صور وصيدون من بلاد العرب .

صاحب انتشار اللغة العربية انتشار الاسلام بين الشعوب المغلوبة . وقد زاد هذا التطور سرعة توطن اعداد من العرب في الامصار ، كما زاد فيه ، منذ القرن العاشر فما بعد ، عنصر حاكم جديد هو الاتراك . فخضع لهم الجميع ، ولم يعد ثمة اهمية للتفريق بين ابناء الفاتحين العرب ، وبين اهل البلاد المستعمرين ، وفي جميع الامصار تقريبا الواقعة غرب بلاد فارس ، ماتت لغات أهل القديمة ، وأصبحت اللغة العربية لغة التخاطب الرئيسية ، واثبتت وجودها الدائم .

تحديد الرقعة العربية من الارض :

وعقب زوال الحكم العثماني (الذي ابتدأ سنة ١٥١٧) من بلاد الشعوب الناطقة بالعربية في الشرقين الادنى والاوسط (العالم العربي حالياً) ، بعثت بسبب الاحتكاك السياسي والثقافي والاقتصادي مع الغرب ، فكرة « الحركة القومية » التي تهدف الى خلق دولة او دول مستقلة . وقد بدأت الحركة في الشام . ويبدو ان زعماءها كانوا يفكرون في حدود تلك البلاد فقط ، وسرعان ما امتدت الى العراق ومصر ولبنان ، واقامت في السنوات الاخيرة علاقات متينة مع الحركات القومية المحلية كالجمهورية العربية المتحدة ، والاردن ، والكويت ، بل وفي اقطار شمالي افريقيا الناطقة بالعربية .

من الايسر ان ندقق في انتشار العروبة من حيث « الرقعة » في يومنا هذا .. فالبلاد الناطقة بالعربية تقع في مجموعات ثلاث :

١ ــ آسيا الجنوبية ـ الغربية ، (لبنان ، سوريا ، الاردن ، فلسطين ، العراق)
٢ ــ مصر
٣ ــ شمال افريقيا (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، مراكش ، موريتانيا)* .

واكبر بلد عربي في المجموعة الاولى هو جزيرة العرب نفسها (السعودية ، اليمن ، الكويت ، البحرين ، قطر الخ ...) .

(*) نحن لا نعتبر التخطيط الجغرافي الحالي ، لانه تخطيط استعماري جعل من موريتانيا « فاصلا » بين افريقيا الغربية والشمالية لأغراض سياسية عديدة ، اهمها قطع الطريق على التغلغل العربي ..

اما شمالي افريقيا ــ غرضنا الاساسي من هذه الدراسة ــ فقد ظلت لعهد قريب تحت الحكم الاوروبي (الفرنسي) ، بصورة مختلفة من انواع الحكم والسيادة الفرنسية .. ويتخلل تلك البلاد جماعات اوروبية ذات شأن ، وخصوصا في تونس والجزائر وموريتانيا . وقد تأثرت هذه البلاد اكثر ما تأثرت بالتغلغل الاوروبي الاقتصادي والثقافي والسياسي . اما تأثرها بالنهضة العربية والانطباع العربي فكان قليلا ــ واكاد اقول معدوماً ! ــ لان ذلك كان مقصوداً من قبل الفرنسيين ، الذين بذلوا مجهوداً بشريا وفكريا واقتصاديا لا حد له ، لـ « فرنسة » البلاد!

وفي السنوات الاخيرة ، اخذت شعوب شمال افريقيا العربية حتى موريتانيا ، تبذل نشاطاً متزايداً للحصول على الاستقلال ، وبدأت بالحصول على اهدافها بصورة محلية ــ ذاتية ــ بالدرجة الاولى ، وبدأ امتداد النفوذ العربي الثقافي يتزايد على شواطىء الأطلسي ، وما يزال ..

ايتها العروبة !
امتدي ، من المشرق الى المغرب عبر صحراء موريتانيا ..
تقدمي وراء الفاتح الروحاني الخالد : القرآن !!
الى الامام !
الى الامام !

خاتمة الى
ولدي الموريتاني
«يوسف اللبناني»

ابن المؤلف المعروف هناك بـ «يوسف اللبناني» وبجانبه المختار الحامد صديق المؤلف الحميم ..!

ما أعجبها من مصادفة يا ولدي ، يا سمي أبي !

لقاء بالخيال على أمل .. واستحثاث «للحقيقة» على مهل !

فمنذ تركتك جنيناً في أحشاء امك عائداً الى بلادي، ونفسي تحدثني بشأنك، وقلبي ـ قلبي ـ يبحث عنك حتى «وجدتك» ولكن (صورة) على قرطاس ؛ فانتفى اليأس ، وقوي الرجاء ، وسعر الوجد !

ما اعجبها من مصادفة يا ثمرة شبابي الأولى !

كأني ما تغربت من اقصى مشرقي الى اقصى مغربك إلا لانجبك .. فهل تطلع نجيباً حقاً ..؟

وكأنك ما ولدت الا لتكون «شاهداً حياً» على تأكيد صلات «الدم العربي» المستمرة بين عرب المشرق وعرب المغرب ..؟

صلة قومية روحية ، قدر لي منذ خمسة عشر عاماً ان اجعلها بك «بشراً سوياً» موريتانياً ـ لبنانياً .. وان اجددها اليوم كتاباً تقرأونه بكرة وعشيا .. وبذلك تمت لي ببلادك رابطتان : الدم وهو «انت» ، والروح وهو ما قرأتم وستقرأون !

وما أسأل بعد ذلك ان كنت ـ سياسياً ـ مرضياً او منقوماً عند هذا الفريق أو ذاك ، فالأمور السياسية قضية رأي يجوز فيه الخطأ والصواب، والامور القومية الوطنية قضية ضمير ووجدان . الأولى حظوة ومكانة ، والثانية رسالة وامانة .. واني أحب عندي لدى الاختيار ، ان تتضرر (حظوتي) وتسلم الرسالة والأمانة، ففي سلامتهما سلامة ضميري الاغلى علي من كل مكاسب الدنيا !

ما اعجبها من مصادفة يا ولدي «الموريتاني ـ اللبناني» !

تغربت الى بلادك ايام الشباب لأتاجر ، فقضيت اعواماً على ضفة «السنغال» ـ حيث ولدتك[1] ـ اكتب لقومي صفحات من المفاخر .. فان قوماً يحملون الى صحارى تلك القارة السوداء النائية ومجاهلها الواسعة ، دينهم وكتابهم ولسانهم ، ويصلون وصول الفاتحين الى تلك الاقطار السحيقة من الارض ؛ ان قوماً فعلوا ذلك قبل وجود الطائرات واستحداث وسائل تقريب المسافات ، هم صنعة معجزة ! ومن حق العربي الحر الذي تقذفه الاسفار الى مواطن تلك المعجزة ، ان ينصرف الى الحديث والتبشير بما رأى وسمع وعلم ..

ومنذ كتب الله لي العودة الى مشرقي وانا «ابشر» بما رأيت وسمعت وعلمت فاذا عالمي العربي الكبير كله آذان صاغية، وقلوب واعية ، يسألني : هل من مزيد ..؟؟

نعم عند روحي المزيد الكثير ، فهل عندكم التشجيع المعين .. ؟

ذلك امر مرده الى حسن تقديركم لكتاب عنكم يحمل اسم بلادكم ، قراؤه ـ بلا تبجح ـ من المحيط الاطلسي حتى الخليج الفارسي .. !

اشعر اليوم بسعادة معنوية تغمر قلبي اذ أرى هذه الصفحات الموريتانية مجتمعة بين دفتي كتاب . ذكراها البعيدة والقريبة (مقاطع) غالية من مقاطع عمري .. فقد كتبت بعضها على الشواطىء السنغالية ـ الموريتانية المشتركة في بودور ، وبعضها على ضفاف بردى في دمشق، وبعضها على شواطىء المتوسط في

---

[1] ـ كان ذلك في بلدة بودور سنة ١٩٤٦ اي عقب الحرب العالمية الثانية بعام واحد .

يروت[٢] .. واحنيناه ، الى كل ما تركت في نفسي تلك الامـاكن من حساس ، وتنوع ، وانطباعات ..!

— يا ولدي ، يا ذكرى غربتي !

الباقيان بعد شط المزار اثنان : حبي لبلد عربي قصي « زرعتك » فيه، وكتابي!

— ترى .. هل « تتبناك » — من قبيل الوفاء — حكومة بلادك ، كما « تبنتى » ك قضيتها وشؤونها وما يزال ..؟

— عار والله ، لا أريده لبلادك وحكومة بلادك ان تبقى « بدوياً » لبنانية دأبه حيل مع امه واخواله في بوادي موريتانيا !

— أيتم يرافق حياتك ولا فجيعة ، وبؤس تعانيه وعند « المختارين[٢] » الف يعة !!؟

كانت دالتي على بلادك دالة المواطن على وطنه .. فغربتي اليها لم تكن غربة، ا اطالب اليوم لك بكرامة اكراماً لتلك الدالة عند الكرام .. ان جميع المغتربين رب هم في مغترباتهم « رعايا دول أجنبية » لا مواطنون إلا أنا ، فاني لم اكن بلادك (غريب الوجه واليد واللسان) .. ذلك ان واقع شعوري، هو مصداق ما ل شاعر عربي كبير معاصر[٣] :

إني امرؤ عربي ، والعـلى نسبي — في كل ارض أرى عرباً، أرى وطنا !

— يا (يوسف) .. يا ولدي الموريتاني الأول !

يا غريباً في وطنه ، يا قريباً على بعده !

كنت انت وبلادك قبل اليوم ، نكرة من نكرات الدنيا المغمورة ، فاصبحتما بعد هذا الكتاب (معرفة) من المعارف المشهورة ..

كان لك قبل اليوم أب واحد ، لا تلقاه ولا يلقاك ، فاصبح لك الان (أب) في كل بلد يدخله هذا الكتاب ، يحنو عليك ويرعاك ..

وبعد .. رعياً لك وبقياً يا موريتانيا من بلاد اختلط دمي بدمها فكان ولداً ، واختلط حبها بروحي فكان كتاباً !

— انتهى —

---

[١] — كتب المؤلف آخر فصول هذا الكتاب في مقهى الحاج داود ومقهى البحرين، وهما مكانان وفان على البحر في بيروت .

[٢] — هما المختار بن داده رئيس الحكومة ، والمختار الحامد العالم والاديب المشهور وصديق لف الحميم .

[٣] — هو احمد الصافي النجفي اكبر شعراء العرب في العصر الحاضر ومن اعز اصدقاء المؤلف ، يقضي واياهم اجمل وامتع ساعات الفراغ كل يوم ..

بعض مصادر هذا الكتاب

بالاضافة الى الملاحظات والاستقصاءات الشخصية ، اعتمد المؤلف في بعض ابحاث هذا الكتاب التاريخية مصادر مختلفة اهمها :

١ ــ : « البيان المُغرب في اخبار المغرب » لابن عذاري المراكشي .

٢ ــ : « تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين » للمستشرق الالماني يوسف اشباخ ــ ترجمة محمد عبد الله عنان (طبع القاهرة)

٣ ــ : « العرب في التاريخ » للمستشرق برنارد لويس استاذ تاريخ الشرقين الأدنى والاوسط (طبع بيروت)

٤ ــ : « نحن في افريقية » لكابل مروة .

٥ ــ : « الوسيط » ، لأحمد الأمين الشنقيطي (الطبعة الاولى المحققة بحياته ــ طبع القاهرة) .

٦ ــ : « تاريخ ابن خلدون » طبعة دار الكتاب اللبناني المحققة ــ بيروت

اما بعض المواضيع السياسية الحديثة والمعلومات الاقليمية الجديدة ، فمصدرها :

١ ــ : مجلة « موريتانيا » التي تصدر في سان لويس (حكومية) .

٢ ــ : ومجلة « شنقيط » التي تصدر في الرباط (معارضة) .

تصويب حركة

في الصفحة ٢٠٣ ، المادة ١٢ من الدستور الموريتاني وردت الياء الثانية في كلمة « يسيَّر » بالفتح ، وصوابها الكسر .. وتأكيداً لوضعها الصحيح ، نعيد نص المادة كاملاً :

المادة ١٢ ــ : يحدِّد ويسيِّر الوزيرالاولُ سياسةَ الدولة .

الفهرس

الصفحة
٣ ـ ١٨ موريتانيا في صور (شخصيات سياسية واجتماعية وادبية وغيرها)
١٩ مقدمة ـ الوطن ذو الاسمين
٢٣ لغة تغزو ديار الغزاة
٢٧ « دكار » آية الفتح الابيض ـ العربي
٢٨ اوروبا خلفت الاسلام في حكم البلاد
٢٩ نعرات عنصرية تلقى مصيرها
٣١ حوافز الانبعاث والنهوض في افريقيا
٣٣ موريتانيا والتجاذب السياسي
٣٦ هذا الكتاب : (اهدافه وغاياته ـ خاتمة المقدمة)
٣٩ **الفصل الاول :** افريقيا في مجرى التاريخ العربي ـ الاسلامي
٤١ معلومات اولية عن موريتانيا
٤٩ جنسية موريتانيا التاريخية
٥٢ كيف دخل العرب المغرب
٥٥ البربر او « الأمة الثانية » من اهل المغرب قبل الفتح الاسلامي وبعده
٥٩ اخبار المرابطين والموحدين
٦٢ عبدالله بن ياسين داعية الاسلام
٦٧ عقبة بن نافع على شاطىء الاطلسي
٧٢ برقة والقيروان ـ أوجه شبه
٧٣ الاسلام عنصر « تعريب » الجماعات

٧٦ عرب المعقل
٧٩ اخبار صنهاجة
٨١ الملثمون ايضاً ـ اوصاف واوضاع تاريخية
٨٤ موسى بن نصير فاتح المغرب
٨٥ نسب طارق (بن زياد)
٨٧ يحيى بن ابراهيم معلم الأسلام الصحيح في افريقيا السوداء
٩٠ اخبار زناتة ونسبهم
٩٣ **الفصل الثاني :** حديث البلاد المتاخمة ـ لمحة تاريخية عامة
٩٤ ١ ـ السنغال
٩٧ حدود ونهر
٩٩ ٢ ـ السودان الفرنسي ـ لمحة تاريخية
١٠٠ الممالك الزنجية بعد دخول الاسلام
١٠١ ممالك اخرى غير الممالك السودانية
١٠٢ ٣ ـ المغرب العربي
١٠٥ الحدود الشرقية
١٠٨ أشتات افريقية سياسية ـ المغرب او « البلاد المباركة »
١١٢ تونس بو رقيبة
١١٣ تونس البلاد
١١٦ اهداف القارة
١٢٣ « مالي » بين المغرب واسرائيل ـ كلمة عتاب اخوي !
١٢٧ **الفصل الثالث** ـ موريتانيا في غابرها القبلي ـ خطط ارضها وبلدانها
١٢٩ الوطن ذو الاسمين .
١٣٠ اللغة البربرية والحسانية (العربية)
١٣٢ الحياة القبلية
١٣٣ تقسيمات قبلية

١٣٧ خسّان
١٣٨ الترارزة ـ أبناء ديمان
١٤٠ تقسيمات ادارية
١٤١ تاريخ عمارة شنقيط
١٤٤ خطط الاماكن والبلدان
١٥٢ عمارة تيجيكجة والسبب فيها
١٧١ **الفصل الرابع** – موريتانيا في حاضرها الحديث : مراحل التكوين السياسي وقيام **الجمهورية الاسلامية الموريتانية** مشاكل السياسة الاتحادية بين مالي والمغرب .
١٧٣ سنوات الانبعاث
١٧٥ توحيد الاحزاب (في حزب التجمع الحاكم) .
١٧٩ الوجود السياسي
١٨٠ مرحلة التكوين الاولى
١٨٣ ملاحظات دستورية (للمختار الحامد)
١٨٦ عام التحول (١٩٥٧ ـ ١٩٥٨)
١٨٨ مبادىء سياسية (لحكومة بن دادة عند قيامها)
١٩١ اول تعديل وزاري
١٩٣ مولد الكيان الموريتاني : الدستور ـ الجمهورية ـ علم البلاد الوطني
١٩٧ رأي على الهامش (تعليق على خطاب بن داده)
٢٠١ـ٢١٠ النص الكامل للدستور (الموريتاني)
٢١٠ ملاحظاتنا على هذا الدستور
٢١٦ الوضع السياسي في موريتانيا الآن
٢٢٠ نقاط سياسية خطيرة على حروف المشاريع الاقتصادية

٢٢٧ الاماني القومية الموريتانية
٢٢٩ آراء الشبيبة الموريتانية في المشاكل الاقليمية والسياسية ـ خطاب ماء العنين
٢٣٢ خطاب حرمة بن سيد امه ـ يحيى بن عبد يتكلم
٢٣٤ هذه الرسالة قفوا عندها !! مسألة النهر
٢٣٧ تعقيب على الرسالة
٢٣٨ تصريح جريء للمختار نجاي
٢٤١ نظام الحكم في شنقيط
٢٤٤ المجلس الوطني ـ الاستفتاء
٢٤٧ المسألة الاتحادية بين دعاتها ومعارضيها
٢٤٨ زعماء السياسة « المغربية » ـ خطاب محمد المختار (بن أباه)
٢٤٩ خطاب جلالة الملك
٢٥١ خطاب احمد بلفريج
٢٥٢ بيان الملك بعد عودته من المشرق (خطاب لشعبه)
٢٥٥ مشكلة الحدود (بين موريتانيا ومالي)
٢٥٩ المغرب يطالب باستفتاء حر في موريتانيا
٢٦٢ القضية الموريتانية في الأمم المتحدة ـ خطاب بن عمير
٢٦٧ الى من يهمهم الأمر في نواكشوط
٢٦٨ مشكلة افني
٢٧٣ **الفصل الخامس** ـ الاحوال الداخلية
٢٧٥ ماذا تعرف عن شنقيط ؟
٢٧٨ العناية الطبية ـ اهم المنتجات ـ الماشية (الثروة الحيوانية)
٢٨٠ الاصلاح الزراعي
٢٨٣ المعادن
٢٨٤ طرق المواصلات ـ (طريق روصو ـ بوتيليميت)

٢٨٦ منظمة الصحراء ـ تصريح بن داده
٢٨٧ احتجاج صالح الجكني
٢٩٠ آفات التخلف في الصحراء (١ ـ التخلف الثقافي)
٢٩١ ٢ ـ التخلف الاقتصادي
٢٩٢ ٣ ـ التخلف الاجتماعي
٢٩٤ الوضع العسكري في آدرار وأطار
٢٩٥ آدرار نفسها (معلومات)
٢٩٧ حالة موريتانيا الزراعية والتجارية والصناعية الخ ..
٢٩٨ أخبارهم التجارية القديمة
٢٩٩ طريقتهم في التعامل التجاري
٣٠٢ القضاء الديني عندهم
٣٠٥ كيف يؤرخون احداثهم
٣٠٨ توقيتهم بالحساب القمري ـ العربي . السحر والسحَرة
٣٠٩ أحوالهم الصحية والمرَضية
٣١١ ارض شمامه
٣١٣ مناخ آدرار وشجره
٣١٤ اسماء شجرهم
٣١٦ الحيوان الأهلي والوحشي في موريتانيا
٣١٧ صفات الخيل العتاق وكراماتها
٣١٩ الحيوانات الأخرى ومناطقها
٣٢١ الافاعي والعقارب في موريتانيا
٣٢٣ وصف حسي لغابة افريقية موريتانية
٣٢٦ أحوالهم الاجتماعية ـ اللغات المحلية
٣٢٧ كلام ازناكه ـ العلم في موريتانيا
٣٢٨ كيفية التعليم عندهم

٣٣١ صورة القاء الدروس ـ طريقتهم في التأديب
٣٣٢ كيف يطلبون العلم
٣٣٣ آدابهم الاخلاقية
٣٣٥ احوال المرأة الموريتانية
٣٣٦ مقارنة بين البيضانية والسودانية
٣٣٨ حديث الجمال والغزل

٣٤١ **الفصل السادس** ـ دراسة قومية ـ عربية برسم الشبيبة الموريتانية
٣٤٣ عوامل وحدة الجنس
٣٤٤ هجران
٣٤٦ نظرية الدم
٣٤٧ آدام « شامي » ..
٣٤٨ مقومات الشعب العربي
٣٤٩ الحضارة الزراعية
٣٥٠ الحضارة الروحية
٣٥٢ الذاتية البيئية
٣٥٥ أسس القومية العربية ـ اللغة اولاً
٣٥٦ ٢ ـ الوطن
٣٥٧ ٣ ـ التاريخ
٣٥٨ ٤ ـ خصائص القومية العربية ـ قوميات تحتمي بقوميتنا
٣٦٠ اهداف القومية العربية
٣٦١ القضاء على الفساد الداخلي
٣٦٢ حركة الانفصال
٣٦٣ القومية العربية في العصر الحديث
٣٦٥ الاستعمار الأوروبي
٣٦٨ تعريف « العربي » قانونياً

٣٧١ عروبة الفتح الجغرافية
٣٧٢ تحديد الرقعة العربية من الأرض
٣٧٤ خاتمة الى ولدي الموريتاني « يوسف اللبناني »
٣٧٨ بعض مصادر هذا الكتاب
٣٧٩ تصويب حركة

مطبعة عيتاني الجديدة — بيروت